



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي آفلو

تنوير

للبحوث الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد: 01

نوفمبر 2017

مجلة تنوير للبحوث الإنسانية و الاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

الرئيس الشرفي:

د/ طهاري عبد الكريم

مدير المركز الجامعي بأفلو

مدير المجلة مسؤول النشر:

أ/ هراو خثير

رئيس التحرير:

د/ شلالي لخضر

المركز الجامعي بأفلو

ص ب 603

مجلة تنوير للبحوث
الإنسانية
و الاجتماعية

الهيئة العلمية

د/ عماد عبد الغني الجامعة اللبنانية لبنان
 د/ حلمى محمد حلمى عبد العزيز جامعة الإسكندرية
 د/ نصره عبد العال منصور جامعة القاهرة مصر.
 د / سعداوي مريم. المركز الجامعي آفلو
 أ/ رماضنية أحمد المدرسة العليا للأساتذة الأغواط
 أ/ جلالى ناصر. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ/ ناجم مولاي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ/ صافي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ / عياط لمين. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ/ قروح بولفاعة. المركز الجامعي آفلو
 أ / قريبي مشري. المركز الجامعي آفلو
 أ / تمير بولرباح. المركز الجامعي آفلو
 أ / زروقي ثامر. المركز الجامعي آفلو
 أ / مهدي محمد. المركز الجامعي آفلو
 أ / ميلق عبد القادر. المركز الجامعي آفلو
 أ / مايدي كمال. المركز الجامعي آفلو
 أ / يزير جمال. المركز الجامعي آفلو
 أ / بن سعيد جمال. المركز الجامعي آفلو
 أ / خيالي بلقاسم. المركز الجامعي آفلو
 أ / شتوح بنخته. المركز الجامعي آفلو
 أ / بلحماري بشير. المركز الجامعي آفلو

أ د / حسين بوداود. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ د/ قويدري لخضر جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ د/ بن طاهر تيجاني. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 أ د/ عبد الحكيم الغزاوي الجامعة اللبنانية (لبنان)
 أ د/ طارق الجوازنة جامعة اليرموك الأردن
 أ د/ عبد العظيم بشير خالقي جامعة طرابلس ليبيا
 د / داودي محمد . جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د / بوفاتح محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ عمومن رمضان. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د / عون علي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ بن سعد أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ صخري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ نوري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ حران العربي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ بن عون البودالي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د/ بكاي رشيد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د / سعودى أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
 د / قاسم سعد. المركز الجامعي آفلو
 د / بن جلول هزرشي. جامعة "زيان عاشور" الجلفة
 د / سعد عبد السلام. جامعة "زيان عاشور" الجلفة
 د / طحطاح مبروك. جامعة "زيان عاشور" الجلفة
 د/ عميره عليه الصغير جامعة منوبة تونس
 د/ صباح نوري هادي العبيدي جامعة ديالى العراق.
 د/ سالم محمد القرعان جامعة اليرموك الأردن

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث العليمة للأساتذة في التخصصات التالية (علم النفس وعلوم التربية، التاريخ، فلسفة، علم الاجتماع).
2. تقدم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني : Levrert.dr@gmail.com
3. يرفق البحث بملخص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث ، وملخص ثان باللغة الفرنسية أو الإنجليزية ، مع الكلمات المفتاحية ، وكذا ملخص للسيرة الذاتية للباحث.
4. أن لا يكون البحث منشورا من قبل، أو مقدا لل نشر في جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا مكتوبا بذلك.
5. أن لا يكون البحث فصلا من رسالة جامعية.
6. أن لا تقل صفحات البحث عن 15 صفحة ، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.
7. أن تكتب البحوث العربية باستخدام خط simplified Arabic بحجم 14 ، والبحوث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية باستخدام خط Taime New Romans
8. أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.
9. في التوثيق يمكن اعتماد منهجية (APA) أو التهميش أسفل الصفحة - استعمال التهميش الإلى - هنا يكون في أسفل كل صفحة وبتقديم متسلسل ، كما يجب أن تجمع المراجع في نهاية البحث وترتب ألفبائيا.
10. أن يرفق بالبحث أدوات البحث المستخدمة إن وجدت.
11. البحوث التي تخل بأي ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.
12. تخضع البحوث و المقالات لرأي محكمين من مختلف الجامعات الوطنية والدولية.
13. ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث و لا لمكانة الباحث.
14. البحوث التي تقدم للمجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، و لا تلتزم المجلة بأبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، و لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو المركز الجامعي. كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الإخلال بقواعد الملكية الفكرية.

فهرس الموضوعات

01	كلمة العدد
02	المعتقلات الفرنسية في الجزائر أثناء الثورة - معتقل أفلو - أنموذجا أ. بقادي مسعود - المركز الجامعي أفلو - الجزائر.....
22	أساليب معالجة المعلومات- المفاهيم والنظريات - د. بوفاتح محمد. أعائشة العيدي جامعة الأغواط - الجزائر.....
37	سياسة تركيا اتجاه إسرائيل 1991- 2002 أ.م.د صباح نوري هادي العبيدي.. م.أ. احمد محمد جاسم الدايني.... جامعة ديالي - العراق.....
67	الوجود العثماني في الجزائر بين مؤديه ومعارضيه د. سعودي أحمد جامعة الأغواط - الجزائر.....
82	المرأة في الفلسفة الحديثة . جون لوك أنموذجا د. فرات أمين مجيد جامعة ديالي - العراق.....
99	مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي أ.د. عبد الرزاق عبد الله زيدان... م. أنوار فاروق شاكر- جامعة ديالي - العراق.....
126	الانزياحات الدلالية للهوية الثقافية في الفضاءات الافتراضية أ. شايب نبيل جامعة يحي فارس، المدينة- الجزائر.....
138	دور الخطاب الديني في تحقيق الأمن الفكري ومكافحة التطرف أ. خطير نعيمة - جامعة الجزائر 03 - الجزائر.....
156	واقع استخدام التكنولوجيا لتطوير البحث العلمي- جامعة الأغواط أنموذجا- أ. عامري خديجة ... أ. سالي فطيمة - جامعة الأغواط - الجزائر.....
174	مخاطر انحراف اليتامى واللقطاء ومجهولي النسب على المجتمع د. سعد عبد السلام.... جامعة الجلفة - الجزائر.....
196	مشكلة بناء الإنسان في الحضارة العربية الإسلامية (قراءة في فكر مالك بن) أ. مولاي ناجم... جامعة الأغواط - الجزائر.....
221	الأوضاع التجارية ببلاد السودان الغربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين خلال القرن 19 أ. مرجاني عبد القادر... جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر.....
238	الثورات الشعبية للطرق الصوفية في القرن 19 وموقف الاستعمار منها ثورات الطريقة الرحمانية أنموذجا أ. محمد الأمين عطلي... أ. محمد الأمين شرويك... المركز الجامعي أفلو- الجزائر.....
259	الجهود الدولية للقضاء على العنف ضد الطفل د. سميحة يونس - جامعة برج بوعريريج ... أ. كلثوم مسعودي - جامعة ورقلة - الجزائر.....
278	الفايس بوك والعلاقات الاجتماعية أ. بلخير فايزة - المركز الجامعي غليزان - الجزائر.....
295	القضاء ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية دراسة من خلال كتاب المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيبي . أ.م.د. سماهر محي موسى... أ.م.د. ظافر اكرم قدوري... جامعة ديالي - العراق.....

	إدارة الأزمات المرورية في الوطن العربي بين الواقع والمأمول. "الجزائر والسعودية نموذجا"
307	أ.ساحي علي جامعة الأغواط (الجزائر) ... أ. سلامي أسماء ... جامعة قسنطينة 03 (الجزائر).....
	جودة الحياة الأسرية (مفهومها وأبعادها)
324	د. عون علي.. جامعة الأغواط - الجزائر ... أ. صندوق فريحة...جامعة الجلفة - الجزائر.....

كلمة العدد

يتشرف رئيس تحرير مجلة "تنوير للبحوث الإنسانية والاجتماعية" للمركز الجامعي بأفلو ولاية الأغواط (الجزائر) مع هيئته العلمية ، بإصدار العدد الأول لها .

هذا ونحن نعبر عن غبطتنا وسرورنا بما أنجزه الباحثون ، على أن نكون حرصين وسباقين لإحتضان مثل هذه الجهود العلمية ونشرها ، انسجاما مع أهداف هذه المجلة بوصفها منبرا ثقافيا وفكريا ومعرفيا للعديد من التخصصات : الفلسفية والتاريخية ، وكذا علم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع.

وقد تنوعت أبحاث هذا العدد بين الدراسات والبحوث لجمع من الأساتذة والباحثين الفضلاء ومن جامعات جزائرية وعربية عريقة ، لتكون هذه المجلة وعاء يحتضن المزيد من باقات الإبداع الفكري والعطاء العلمي يؤكد أصحابها حرصهم على التلاقي الثقافي والتواصل العلمي والمعرفي ضمن أفق إنساني حضاري تتفاعل فيه الأفكار والثقافات لتسهم في نهضة معرفية عربية ، وفي إغناء الحضارة العالمية والتقدم العلمي.

كما تضع هيئة التحرير نصب عينها العزم والأکید والتصميم على أن يكون هذا المنبر حرا للأفكار وواسطة أمينة بين الباحث والقارئ وطائرا حرا يخلق في سماء الثقافة والفكر والعلم ؛ كما نسر حين يضع الباحثون الأكارم ثقتهم - التي نعتز بها - بمجلتهم "تنوير" فيجعلون النشر فيها خيارا مفضلا ، وهذا الموقف يحملنا مزيدا من البذل والسعي والعطاء ، ليكون عملنا بما يرضي طموحنا في أن نرقى بهذه المجلة إلى الصورة التي نريدها لها ، والنهوض بها حتى يكون لها حضور لائق ومنزلة مستحقة في حركة الثقافة الوطنية والعربية ، وهو أمر نشترك فيه جميعا هيئة التحرير وخبراء وباحثون.

راجين من المولى عز وجل أن يوفقنا لعمل الخير في طريق العلم والتقدم في الميادين كافة من أجل أن نوصل رسالتنا الثقافية والعلمية لجميع طلاب العلم والمعرفة وخدمة لوطننا وأمتنا العربية.

ومن الله التوفيق.

د/ شلالى لخضر

المعتقلات الفرنسية في الجزائر أثناء الثورة - معتقل آفلو - أنموذج

أ/ بقادي مسعود - المركز الجامعي آفلو

الملخص :

تعتبر الثورة الجزائرية (1954-1962) من بين أكبر الثورات في العالم لأسباب متعددة منها جسامه التضحيات البشرية (مليون ونصف من الشهداء) ناهيك عن نوعية الاستعمار الفرنسي الذي حاول القضاء على هذه الثورة بثتى الطرق والوسائل ،ومن بين تلك الوسائل محاولة فصل الشعب عن الثورة وذلك ببناء عشرات المحتشدات والمعتقلات ومراكز التعذيب ،وفي هذا الإطار سنحاول في ورقتنا البحثية هاته تسليط الضوء على إحدى هذه الأساليب (المعتقلات) ولعلّ معتقل آفلو بولاية الأغواط هو أحد نماذج هذه المعتقلات ومن هنا نأت إشكالية الموضوع على الشكل التالي: هل وفقت السلطات الفرنسية في الفصل بين الشعب وقيادته الثورية من خلال هذه المعتقلات؟ وقد حاولنا تناول هذا الموضوع وفق النقاط التالية :

- التعريف بالمحتشدات والمعتقلات
- دواعي وظروف إنشاء السلطات الاستعمارية للمعتقلات
- يوميات المعتقلين (معتقل آفلو أنموذجاً)

وختمت هذه الدراسة باستنتاجات حول السياسة الفرنسية بالجزائر أثناء الثورة التحريرية

Résumé :

La révolution algérienne (1954-1962) est l'une des plus grandes révolutions du monde pour de nombreuses raisons, y compris l'ampleur des sacrifices humains (un million et demi de martyrs), sans parler de la qualité du colonialisme français qui a tenté d'éliminer cette révolution de diverses façons. En construisant des dizaines de camps, centres de détention et centres de torture. Dans ce contexte, nous essaierons d'éclairer l'une de ces méthodes. Le centre de détention d'Aflou à Laghouat est l'un des exemples de ces centres de détention. Entre Pour le peuple et son leadership révolutionnaire à travers ces camps de détention, nous avons tenté d'aborder cette question selon les points suivants:

- Définition des camps et des centres de détention.
- Les raisons et les circonstances pour la création des autorités coloniales des centres de détention.
- Journal des détenus (centre de détention d'Aflou).

Cette étude a conclu avec des conclusions sur la politique française en Algérie lors de la révolution de la libération.

مقدمة :

يمكن القول وبلا مبالغة بأن الثورة الجزائرية هي أعظم ثورة قام بها إنسان العالم الثالث، وهي في نفس الوقت من أعظم ثورات العصر الحديث¹، وباندلاع الثورة التحريرية سارعت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى عملية القضاء عليها منتهجة في ذلك شتى الوسائل لفصل الشعب عن قادة الثورة ومن ذلك إعلان حالة الطوارئ² بالإضافة إلى بناء المحتشدات³ والمعتقلات⁴ ومن بين هذه المعتقلات معتقل آفلو الذي سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال الحياة اليومية لمعتقله إبان الثورة التحريرية .

- بداية المعتقلات في الجزائر:

بدأ الفصل الأول من المعتقلات في الجزائر سنة 1840 عندما اتبع الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة مع المقاومة الوطنية، حيث يقوم بحشد المؤيدين لها من قبائل وأعراش في محتشدات رهيبة يمنعم فيها من الترحال والرعي وزراعة أراضيهم ،أما فيما يخص الفصل الثاني من المعتقلات فقد بدأ مع اندلاع ثورة نوفمبر 1954 ،عندما جعلت فرنسا أرض الجزائر منظومة واسعة من السجون والمحتشدات

¹ - أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع -الجزائر - 1981 ،ص43
² - حالة الطوارئ، هي حالة استثنائية تفرض خلالها إجراءات وقوانين صارمة قصد التحكم في الوضع وقد تم الإعلان عنه رسميا في الفاتح من شهر آفريل سنة 1955 وفيه تحول صلاحيات القيادة وتؤول لسلطة الجيش الذي يفرض حالة الحصار وإقرار حالة الاستنفار القسوى فتتمركز قوات الجيش في المدن وتمنع التجمعات وتفرض أوقاتا للدخول والخروج ليلا ونهارا ،وهذا الظرف يمتد حتى إلى السلطة القضائية التي تجمد وتحل محلها تطبيق الاجتهادات العسكرية لمحاكمة المدنيين. يراجع : أمال قبائلي ،قانون حالة الطوارئ بالجزائر 1955،مجلة المصادر (يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد ، 17، ص 171

³ - المحتشدات هي مستوطنات غير طبيعية، تضم وطنيين غير مدانين قضائيا .أقيمت في أماكن حددتها السلطات الاستعمارية . تحيط بها الأسلاك الشائكة .يقيم فيها جزائريون هجروا غصبا من أراضيهم.فرضت عليها حراسة مشددة، بهدف عزل الشعب عن الثورة، وبالتالي قطع كل أشكال الدعم عن المجاهدين للحيلولة دون قيامهم بمهاجمة المصالح والمنشآت الاستعمارية وقد عرفت هذه المحتشدات محليا باسم "السلك" نظرا للأسلاك الشائكة التي كانت تحيط بها.يراجع : عبد المالك مرتاض، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية، 1954-1962 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر ، الجزائر، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. 2001 ص76

⁴ - يختلف المعتقل عن السجن وهو ليس من نوع خاص ،ويطلق على كل مكان يجمع فيه الناس و تقيّد حريتهم فيه، ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة ،فلا يتعرض من في المعتقل للمحاكمة ،أما السجن فنشأته قديمة قدم ظهور الحضارات ،بينما المعتقل لا يظهر الا في الحروب و الصراع بين الدول ،وفيه يحشر ذوو الأفكار الحرة ومختلف الاتجاهات السياسية ،يراجع عبد المالك مرتاض المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954 - 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1983 ،ص112 ، ينظر كذلك :جمالة عبد الوحيد ،الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 ،مجلة الباحث للبحوث و الدراسات التاريخية ،العدد التاسع، جانفي 2017 ،ص315

والمعتقلات ومراكز التعذيب ومكاتب لاصاص¹ هذه الأخيرة les Sections Administratives Spécialisées) كانت تعرف باسم المكاتب العربية سنة 1834 وتغير اسمها سنة 1955 إلى لاصاص(S.A.S) هدفها تثبيط عزيمة الشعب الجزائري والقضاء على روح المقاومة، وهي وسيلة من وسائل الحرب النفسية الفرنسية².

- الهدف من إنشاء المعتقلات :

إن الخلفيات والخبايا التي على أساسها أقدمت السلطات الفرنسية على إقامة السجون والمعتقلات هو الإصرار على كبح إرادة الجزائريين في تحقيق حريتهم واستقلالهم ولأجل ذلك لم يدخر الاستعمار الفرنسي جهدا ولا وسيلة تمكنه من القضاء على الثورة وإخماد لهيبها إلا وجربها في الجزائر، فقد أدرك مع مرور الزمن أن قوة الثورة الجزائرية مستمدة من الدعم مختلف الأشكال الذي تتلقاه من الشعب الذي آمن بها وبالتالي أمدتها بكل ما يملك من غال ونفيس³ وعندئذ تظن الاستعمار الفرنسي إلى أهمية هذه العلاقة بين الشعب والثوار فرسم استراتيجيات متنوعة للقضاء على هذه العلاقة وتطويقها بشتى الطرق ومن ذلك إنشاء المعتقلات التي كان الهدف منها تحقيق الغايات التالية :

- أبعاد العناصر الحية عن الإسهام المباشر في الثورة
- تسليط الإرهاب والقمع والتخويف، قصد إيصال هذه العناصر إلى السقوط وانهيار معنوياتها وبالتالي ضمها إلى الجانب الفرنسي عن طريق التعذيب وغسل المخ.
- العمل على بث التفرقة السياسية بين المنتمين إلى جبهة وجيش التحرير الوطني وغير المنضوين تحت لوائها، وإثارة النعرات الجهوية وخلق تضارب بين أبناء البلد الواحد للقضاء على الوحدة ومنع الشعب من الالتفاف حول جيش وجبهة التحرير الوطني.
- تهيئة هذه العناصر الجزائرية المعذبة بواسطة المصالح البيسيكولوجية إلى قبول التعاون مع إدارة الاحتلال وتزكية المشاريع المضادة لمبادئ الثورة وأهدافها، وجعلها في آخر المطاف مطايا للقوة

¹ - مشري عمار، معتقل قصر الطير (قصر الأبطال) مجلة أول نوفمبر عدد 169، نوفمبر 2006، ص 90

² - محمد مجاود و آخرون، تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962 ج2 مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، صص، 136، 165،

³ - بختاوي قاسمي، المحتشدات ومراكز التعذيب شهادات حية من منطقة صيرة (تلمسان)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص 215

الثالثة، وهي الفئة التي تكون مرتبطة بفرنسا وتدافع عن وجودها في الجزائر، وتتكون من الحركي والعملاء والمتواطئين مع الاستعمار.¹

لم يكن هناك إلى غاية سنة 1955 إقرار بالصفة السياسية للمعتقلين، ولم تكن هناك نصوص ولا مراسيم تجعل لهذا الإجراء (الاعتقال) وجودا قانونيا وإنما هي إجراءات تعسفية وتصرفات خرقاء باسم التدابير الوقائية تحت عمليات بوليسية لحفظ الأمن، وظلت المعتقلات غير خاضعة لأي تشريع، يسيرها حكام عسكريون حسب نزواتهم حتى سنة 1955² وبالرجوع إلى مركز أرشيف ما وراء البحار باكس - أن-بروفانس (Centre d'Archives d'Outres Mer (C.A.O.M) الذي سنعود له فيما بعد فإنه عند قراءة الوثائق الاستعمارية الفرنسية المتعلقة بأهداف فرنسا من إنشاء المعتقلات ((فإنها قد لجأت لبنائها خدمة لمصلحة الجزائريين المودعين رهن الاعتقال، وذلك لاعتبارات منها توفير الحماية للمعتقلين وجعلهم في منأى من خطر الخارجين عن القانون وقطاع الطرق³ وقد أطلقت السلطات الاستعمارية الفرنسية أسماء متعددة على هذه المعتقلات منها مراكز الإيواء أو مراكز الاستضافة « Centres d'hébergement » ولربما توحى هذه التسمية كما تروج له السلطات الاستعمارية الفرنسية بأن هذه المراكز ستؤدي لا محالة إلى إتاحة الفرصة للمعتقلين بمراجعة أنفسهم والعودة إلى صوابهم⁴ ومن بين أسباب الاعتقال كما تشير إليه الوثائق الفرنسية الموجودة في أرشيف ما وراء البحار باكس أن بروفانس بأن الاعتقال كان لأحد الأسباب التالية:

- 1 - القيام بحملة دعائية لصالح الشيوعية.
- 2 - نقل معلومات إلى الثوار « Renseignement des rebelles » .
- 3 - تشكيلا مجموعات إرهابية (في الحقيقة ثورية)، أو الانتساب إليها .

¹ - محمد الطاهر الأطرش، المعتقلات و السجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1 نوفمبر 1954 و 20 أوت 1956 ، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، المنعقد بالجزائر ما بين 8 إلى 10 ماي 1984 ، ص 77، ينظر كذلك : جلالة عبد الوحيد، الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، مقال سابق، صص، 314- 315

² - عبد القادر بكاري، المعتقل ودوره في إفشال المخططات الاستعمارية في الجزائر، معتقل الجرف نموذجاً ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص 234

³ - عدة بن داهة، دراسة نقدية للقانون الداخلي لمعتقل سان-لو Saint-Leu ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص 312

⁴ - عدة بن داهة، دراسة نقدية للقانون الداخلي لمعتقل سان-لو Saint-Leu ، مقال سابق، ص، 313

- 4 - عقد أو تنظيم اجتماعات سياسية « Réunions politiques » .
- 5- النقل السري للثوار « Transport clandestin des rebelles » .
- 6- اختلاس أو تحويل أموال « Détournement de fonds »
- 7- ربط صلات مع الثوار « Liaison avec rebelles » .
- 8- تلبية دعوة جبهة التحرير الوطني للإضراب عن العمل.
- 9- القيام بالدعاية ضد فرنسا « Propagande anti-Française » .
- 10- الانخراط في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني « Adhésion au FLN » .
- 11 - المشاركة في الإضرابات الثورية (حيث تم اعتقال الآلاف من الأشخاص في كل المدن الجزائرية أثناء إضراب الثمانية أيام 28 جانفي إلى حتى 04 فيفري 1957 ، وعدم الاستجابة لدعوة السلطات الاستعمارية بالعدول عن الإضراب) .
- 12- النشاط السياسي لصالح ملك المغرب محمد الخامس « Activité politique en faveur du sultan »
- « Med V ¹ .

أنواع المعتقلات :

بعد فشل كل أساليب القمع الاستعمارية من قتل جماعي ونفي خارج الحدود ، ومصادرة الأراضي الزراعية والممتلكات، وتدمير البيوت، ومراقبة للحدود حتى لا تُهرب الأسلحة للمجاهدين، وعندما اكتظمت السجون بالمعتقلين لجأت السلطة الفرنسية إلى إقامة معسكرات اعتقال جماعية لسكان المنطقة روعي في إنشائها اختيار المناطق النائية المعزولة عن العمران والتجمعات السكانية، من أجل عزل المعتقلين عن العالم الخارجي، وبالتالي منع المجاهدين الاتصال بالسكان الذين يُدعمونهم بالغذاء ونقل المعلومات والتعليمات الأمنية² وقبل الحديث عن يوميات المعتقلين داخل مراكز الاعتقال يجب أن نذكر بأنواع المعتقلات التي أنشأتها السلطات الاستعمارية الفرنسية ظنا منها أنها ستقضي بذلك لا محالة على الخيط الرفيع الذي يربط المناضلين الوطنيين بثورة التحرير المباركة، ومن بين أهم أنواع المعتقلات نذكر ما يلي :

1 - مراكز الفرز والعبور: (les centres de treillages et de transit) هي مراكز مخصصة للتعرف على الأشخاص العاملين في صفوف الثورة يقضي فيها المعتقلون فترة تتراوح ما بين الشهر وثلاثة

¹ - عدة بن داهاة ، المقال السابق ، صص ، 314-315

² - فاطمة الزهراء سيدهم، أنواع المعتقلات ودور المساجين في النضال الوطني ، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، عدد خاص ، ديسمبر 2012 ، ص 258

أشهر¹ ويتواجد في هذه المعتقلات قاعات المكتب الثاني "Deuxième Bureau"² هذا الأخير الذي كان يسيره ضباط الجيش الفرنسي الذين منحت لهم كامل الصلاحيات في تعذيب وقتل المعتقلين، وتعتبر هذه المكاتب الأكثر انتشارا عبر التراب الوطني أثناء الثورة التحريرية³.

2 - مراكز الأيواء (les centres d'hébergement): أنشئت هذه المراكز من طرف عالمة الأعراق (جرمان تيون)⁴ وتعتبر هذه المراكز من الإجراءات القمعية الاضطهادية التي طبقتها فرنسا في الجزائر محاولة منها لخنق وتطويق الثورة وذلك بعزل الشعب عنها، ومنع وصول أي مدد أو مساعدة سواء كان سلاحا أو غذاء أو دواء، رغم أنها لم تأخذ طابعها الرسمي والمنظم إلا في سنة 1956⁵ وقد حققت هذه المراكز نجاحا أثار الحذر في أوساط الجيش الفرنسي نفسه، بينما يمقتها غلاة المحافظين لأنهم لا يرون بؤس الجزائريين أو أنهم يرون هذا البؤس طبيعيا وبالتالي فهم لا يفهمون فائدة إقامة هذه المراكز للشعب الذي هو في نظرهم حامي المتمردين يجب معاقبته⁶.

المعتقلات السوداء: les champs noirs رغم أنه لا يوجد أي نص رسمي يبرر وجودها إلا أن الأشخاص الموقوفين بهذه المعتقلات هم من (السجناء السابقين) الذين أطلق سراحهم، ثم يوضعون مرة أخرى تحت الأسر أو الإقامة الجبرية ومنها يتم توجيههم إلى هذه المعتقلات، والمعتقلات السوداء أنواع:

¹ شتوان نظيرة، الثورة التحريرية 1954 - 1962 الولاية الرابعة نموذجا أطروحة دكتوراه غير منشورة - جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2007 - 2008 ص 454

² ينسب إلى هيئة الأركان العامة للجيش الفرنسي إذ تتكون هذه الهيئة من أربعة مكاتب من بينها المكتب الثاني الخاص بشؤون الاستخبارات و الهجوم أو الدفاع أو التخطيط... الخ وقد اشتهر هذا التنظيم الإداري أثناء الثورة التحريرية عبر كامل أنحاء الجزائر وظيفته الجوسسة والبحث عن المعلومات حول الثورة التحريرية، معتمدا على أسلوب التريغيب و الترهيب و التقرب من الجزائريين للحصول على أكبر قدر من المعلومات... يراجع: عبد الكريم بوصفصاف، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، 1954 - 1962 دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1998، ص 154

³ - التقارير الدولية تفضح مجرمي الحرب الفرنسيين، جريدة المجاهد، ع 59، 11 جانفي 1960، ص 5

⁴ - مقاومة بارزة وعالمة مرموقة وكاتبة ملتزمة، ولدت في 30 مارس 1907 في آليغر بمنطقة اللوار الأعلى بفرنسا، سافرت إلى الجزائر عام 1931 في رحلة أبحاث ودراسة حول المجتمع الجزائري البربري وعادت بعد رحلتها بأطروحة دكتوراه تحت عنوان "مورفولوجيا لإحدى جمهوريات البربر" سنة 1958، عيّنت فيما بعد مشرفة على الأبحاث في المعهد العالي للدراسات التطبيقية في باريس، اعتبرها الرئيس الفرنسي ساركوزي امرأة استثنائية، توفيت سنة 2008... لمعلومات أكثر يراجع: جريدة المستقبل اللبنانية، الأحد 27 أبريل 2008، العدد 2946، صفحة 16

⁵ - جلالة عبد الوحيد، الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، مقال سابق، ص 318

⁶ - عاشور شرقي، قاموس الثورة الجزائرية 1954 - 1962، تر: عالم مختار، دار القصبية للنشر، الجزائر 2007، ص 315

- أ- معتقلات الاختيار: حيث يستجوب الأشخاص المحتجزين بوسائل وطرق متعددة أهمها التعذيب الجسدي والنفسي ثم يوضع العديد منهم تحت الإقامة الجبرية في معتقلات رسمية¹.
- ب- معتقلات التعذيب: يزج فيها بالآلاف من الأشخاص الذين خضع أغلبهم للتعذيب بالكهرباء أو الماء أو بإخضاعهم للعمل الشاق سواء في خدمة الجيش الفرنسي أو في خدمة المعمرين المقيمين بجوار المعتقل².
- ج- معتقلات الإبادة حيث يتم اعتقال المشتبه بهم بعد عمليات التمشيط ثم يُعدمون وفي الغد تنتشر في الجرائد عناوين عريضة تحمل أسماء 20 أو 30 متمردا - حسب تعبيرهم- حيث كان المعتقلون يعيشون داخل هذه المعتقلات ككباش كل واحد ينتظر دوره ليتم قتله³.

معتقل آفلو نموذجاً :

قبل الحديث عن هذا المعتقل وجب أن نلقي نظرة عامة على منطقة آفلو المنتسبة إلى جبال عمور الشهيرة ،وتختلف الآراء حول أصل التسمية⁴ غير أنه بالرجوع إلى ما كتبه الفرنسيون عن المنطقة ووصفهم لها "بأنها أكثر اخضراراً وأنها ذات مناطق طبيعية خلابة وأن ¼ من سكانها هم رعاة ،يعيشون في الخيم ويربون الأبقار والإبل وخاصة الأغنام⁵ وهي بذلك منطقة رعوية بامتياز .

تنتهي آفلو إلى منطقة الأطلس الصحراوي وتتربع على مساحة تتجاوز 30000 هكتار أي 300 كلم² ويعود تأسيسها إلى سنة 1820⁷ وتعتبر آفلو من الهضاب العليا الغربية تتميز بتضاريسها ضمن سلسلة جبل العمور إذ تتواجد بها قمم عالية كقرن عريف (1721 م) وسيدي عقبة (1707 م) كانت بلدية آفلو سابقا تابعة لعمالة وهران ثم ولاية تيارت وحاليا ولاية الأغواط⁸ يحدها من الشمال ولاية تيارت

¹ - جلالة عبد الوحيد ،الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 ، مقال سابق ،ص 320

² - نفسه ،ص 320

³ - نفسه ،ص 320

⁴ - يجمع الكثير من كبار السن حسب الروايات الشفوية بالمنطقة أن منطقة آفلو كانت تشتهر بالإخضرار الدائم وانها كانت مجالا خصبا لعملية الرعي - التي تشتهر بها منذ القدم - وهنا جاء اصل التسمية من الفلاء أي الاستكلاء ،ويقال أن فعل الأمر الذي تلفظ به أحد المزارعين المالكين للبقر قائلا مخاطبا اياهم "أفلو يا بقر" وبفعل التكرار للكلمة حملت المنطقة هذا الاسم

يراجع : ناصر مجاهد ، سبل العبور بجبل العمور ،الطبعة الأولى ، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد -غرداية- بدون تاريخ ص 80
Revue Africaine ,N 103, année,1959,p,161-⁵

⁶ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة 15,40 سا

⁷ - حوفة بالمواز و مليكة ماسنة،منطقة جبال عمور في الثورة التحريرية الكبرى 1956-1962 من خلال الروايات الشفوية ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف ،بشير مديني ،المركز الجامعي بغرداية ،السنة الجامعية،2010 2011 م ، ص 18

⁸ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة 15,40 سا

بمسافة تقارب 170 كلم ومن الجنوب ولاية الأغواط بمسافة تقارب 110 كلم ومن الشرق ولاية الجلفة بمسافة تقارب 150 كلم ومن الغرب ولاية البيض بمسافة تتجاوز 130 كلم ومن أبرز مميزات المنطقة. أولاً: مناخها القاري الذي يمتاز بشتاء بارد وصيف حار ،ورغم جوّها المنعش في فصل الصيف إلا أن البرودة الشديدة هي السمة الغالبة على أبرز فصول السنة بها. ثانياً: كثرة العيون بها فجمال عمور بها مائة عين جارية ،وينبع منها نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة ...والسكان هناك يربون الإبل وبعضهم يربي الماعز والغنم وهم من أجود الفرسان ولغتهم هي العربية¹ .

مشاركة سكان المنطقة في الحركة الوطنية :

مع مطلع القرن العشرين ميلادي وبظهور الوعي السياسي لدى فئة النخبة من الوطنيين الجزائريين ،ظهر الكفاح السياسي كبديل عن الكفاح المسلح وانتشرت أفكار الحركة الوطنية السياسية في كثير من مناطق الوطن ،وقد كانت هناك ثلة من أبناء منطقة آفلو ممن رحبوا بأفكار الحركة الوطنية واعتنقوا مبادئها فنجد في حزب الشعب كل من الأخوين سعيد تعبد الله ، وأخوه سي موح ،بينما انتمى كل من عبد القادر سلماني بن بلقاسم ،وخنفوسي الجيلالي ،ومحمد بن يعقوب طاهري ،ويحي لعوطي ،وغيرهم إلى أحباب البيان والحرية الذي كان يتزعمه فرحات عباس ،أما عن جمعية العلماء المسلمين فلها إتباع في المنطقة نذكر منهم: عبد الحفيظ عزوزي ،وبن الساسي قريشي ،وبومدين محمد القاضي² .

ومع اندلاع الثورة التحريرية كانت المنطقة كغيرها من مناطق الوطن تنتظر من يؤطرها ويوجهها للإلتحاق بالثورة المسلحة ،وبعد مرور سنتين على اندلاعها ها هي ذي الثورة تدشن أول تجسيد ميداني لقرارات مؤتمر الصومام 1956 والذي عبّر عنه جيش التحرير بانتصاره على قوات المستعمر ،فكانت معركة جبل عمور في 2 أكتوبر 1956 والتي شارك فيها 500 جندي من جيش التحرير ،وكانت القوات الفرنسية بالمقابل تعد بالآلاف ،وتواصلت المعركة أسبوعاً كاملاً ،وقد حقق بها جيش التحرير انتصاراً كبيراً حيث بلغت خسائر المستعمر 1375 قتيلاً من بينهم 92 ضابطاً دفنوا بتيارت ،واحرق 22 سيارة (ج،م،س) ويقول عنها العقيد لطفي "ووصلنا على أسلحة وفيرة وفرة هائلة بحيث كان الجندي الواحد يحمل معه أربعاً أو خمساً من البنادق ،كما أسقطنا طائرات حربية فرنسية ،ولم نفقد في هذه المعركة سوى أربعين مجاهداً لأننا استفدنا من عنصر المفاجأة وكانت الطبيعة في صالحنا بجمالها المنيع وأراضيها

¹ - أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج2 ،دار البصائر ،الجزائر، 2007 ،ص 245 وهذا الوصف مأخوذ من حديث الأغواطي عن منطقة جبل عمور في رحلته الشهيرة المعروفة برحلة الأغواطي .

² - حوفة بالمواز و مليكة ماسنة،منطقة جبال عمور في الثورة التحريرية الكبرى 1956 -1962 من خلال الروايات الشفوية مرجع سابق ، صص 39 ،40

الوعدة¹ وبفعل قرارات مؤتمر الصومام وتقسيم الوطن إلى ست ولايات ،أصبحت منطقة جبل عمور -آفلو- تابعة للولاية الخامسة المنطقة الثانية ثم الثالثة للناحية الرابعة² .
- معتقل آفلو :

ومن بين ما اشتهرت به المنطقة زمن الثورة التحريرية هو ذلك المعتقل الذي ضم سياسيين وعسكريين وعلماء ونقابيين لا تزال في أعناق الأحياء منهم أمانة لسكان المنطقة لكشف خبايا الثورة خلال المدة التي قضاها في هذا المحتشد. ونستأنس في هذا الموضوع بالشهادة الحية التي قدمها المجاهد والقائد الكشفي عيساني عمار³ حيث كشف عن الكثير من الحقائق التاريخية عن هذا المحتشد ولا تزال أخرى محفوظة في ذاكرة من لا زالوا على قيد الحياة المحتشد حسب عيساني عمار كانت الغاية منه تأديبية، ضم ما بين 200 و220 سجين، أغلبهم أوزان ثقيلة من السياسيين والعلماء والنقابيين، ومن مختلف جهات الوطن، ومن تيارات مختلفة، حيث تحتفظ ذاكرته بأسماء كثيرة منهم بشير بومعزة⁴ الذي وجده

¹ - أزغيد محمد لحسن ، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 - 1962 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989 ، ص 149 - 150

² - حوفة بالماز و مليكة ماسنة،منطقة جبال عمور في الثورة التحريرية الكبرى 1956 -1962 من خلال الروايات الشفوية مرجع سابق ، ص 50

³ - هو أحد أعضاء الحركة الوطنية من مناضلي "نجم شمال إفريقيا" وقد ألقى هذه الشهادة في الملتقى الذي نظمته محافظة الكشافة الإسلامية بأفلو سنة 2004

⁴ - بدأ نضاله في سن مبكرة في حزب الشعب الجزائري، وكان واحداً من الذين شاركوا في أحداث 8 ماي 1945 وأدخل السجن إثرها. كان بومعزة من المقربين من مصالي الحاج، وسافر معه في إحدى الرحلات إلى مدينة بوردو في فرنسا. ورغم أنه كان من المقربين لمصالي إلا أنه فضل الالتحاق بجهة التحرير الوطني الجزائرية منذ تأسيسها. بعد يوم واحد من اندلاع الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر 1954 أُلقي القبض عليه من طرف الاستعمار الفرنسي وكان ذلك في 2 نوفمبر وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية إلى غاية عام 1956 أين تم الإفراج عليه ليسافر بعدها إلى فرنسا وهناك أسس لجان مساندة المساجين السياسيين، لكن تم القبض عليه من جديد في 13 ديسمبر 1958 وسُجن في سجن فران، لكنه استطاع الهرب منه في 21 أكتوبر 1961 ، بطريقة ذكية وعجيبة، أثارت اهتمام وسائل الإعلام الفرنسية آنذاك واتجه إلى ألمانيا. بعد استقلال الجزائر عام 1962 شغل بومعزة عدة مناصب وزارية في حكومة الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بلة، منها وزير العمل، ثم وزير الاقتصاد الوطني، فوزير الصناعة والطاقة. بعد الخلافات التي كانت بينه وبين الرئيس بن بلة، بخصوص طبيعة الحكم، التحق بالرئيس هواري بومدين بعد انقلاب 19 جوان 1965، وأصبح وزيرا للإعلام، إلى غاية أكتوبر 1966، حيث انتقل لمعارضة نظام هواري بومدين، فاختار حياة المنفى. بعد وفاة بومدين عام 1978 عاد إلى الجزائر وكان واحداً من أهم الشخصيات السياسية المقربة من الرئيس الجزائري السابق الشاذلي بن جديد، وعاد من جديد إلى حزب جبهة التحرير الوطني. أشرف بومعزة على رئاسة جمعية ماي 1945 منذ تأسيسها في 6 ماي 1990 بمدينة خراطة. ثم عيّنه الرئيس السابق اليمين زروال في 5 جانفي 1998 رئيساً لمجلس الأمة، إلى غاية استقالته عام 1999. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة س15,40)

توفي بشير بومعزة في 6 نوفمبر 2009 في مدينة لوزان في سويسرا بعد مرض عضال لازمه منذ عدة سنوات، ودُفن في الجزائر

قبله وحسان حرشة الذي كان ممرضا بالسجن وفر منه في صهريج فارغ والتحق بالجيش، والمقراني عضو في جمعية 45 ومحمد باهي من نجم شمال إفريقيا وعيسات إيدير¹ والمجاهد الرسام محمد لزرق بن سيدي خالد الذي صمم شعار الإتحاد العام للعمال الجزائريين على نعل حذائه بشفرة حلقة. ومن جمعية العلماء المسلمين يذكر الشيخ مصباح وعبد القادر لياجوري² ومحمد الصالح عتيق

1 - ولد عيسات إيدير في قرية جمعة صهاريج قرب مدينة تيزي وزو عام 1919 من عائلة فلاحية متواضعة الحال. تلقى تعليمه الابتدائي بقريته ومنها انتقل إلى مدرسة تكوين الأساتذة ببوزريعة لمواصلة دراسته ومن هذه الأخيرة انتسب للمعهد الثانوي الفرنسي بتيزي وزو واستمر في هذا المعهد حتى حصوله على شهادة الطور الأول من التعليم الثانوي، إلا أن الحال الاقتصادية لأسرته حالت دون الاستمرار في الإنفاق عليه مما أرغم على ترك مقاعد الدراسة. في سنة 1935 التحق بعمه بتونس حيث تابع دراسته العليا في الاقتصاد بالجامعة التونسية إلى غاية 1938. في سنة 1944 دخل عيسات إيدير ورشة صناعة الطيران ولم يلبث حتى رقي إلى رتبة رئيس قسم المراقبة الإدارية مما دفع بإدارة الورشة لإرساله إلى المغرب ليقوم بنفس العمل في مطار الدار البيضاء. كان لجهود عيسات إيدير ومساعدته الأثر الكبير في تأسيس أول منظمة نقابية جزائرية متمثلة في الإتحاد العام للعمال الجزائريين في فيفري 1956. وقد عين أمينا عاما. وقد مكنته هذا المنصب أن يشر ف على تنظيم فروع وخلايا الإتحاد وأستمر على هذا النحو حتى تاريخ توقيفه في 23 ماي 1956 بأمر من روبري لاكوست الوزير المفوض بالجزائر. ألقى عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية في يوم 23 ماي 1956 بسبب نشاطه النقابي وأدخل سجن البرواقية، ومنه إلى عدة محتشدات سان لو، آفلو، بوسوي، ومن هذا الأخير نقل إلى العاصمة ليوضع بسجن برباروس. ومن التهم التي ألصقتها به السلطات الاستعمارية تهمة ؛ النيل من أمن الدولة الفرنسية الخارجي. وفي يوم 13 جانفي 1959 أصدرت المحكمة العسكرية حكمها ببراءته. ولكن بالرغم من تبرئته فإنه لم يطلق سراحه وإنما نقل من جديد إلى محتشد بئر تراريا حيث تعرض لأبشع أنواع التعذيب وأقساها مما أضطر بإدارة المحتشد إلى نقله إلى المستشفى العسكري. توفي عيسات إيدير في 26 جويلية 1959 متأثرا بالتعذيب المسلط عليه. أثار اغتيال الأمين العام للإتحاد العام للعمال الجزائريين موجة واسعة من الاستنكار والسخط في أنحاء عدة من العالم. وقد وردت بقرقيات الاحتجاج والاستنكار من المنظمة العالمية للنقابات الحرة وجامعة النقابات العالمية والاتحاد العالمي للزراعيين والنقائبيون العرب والنقابات الشيوعية الفرنسية. ولم تكن هذه الهيئات بالاستنكار وإنما طالبت الحكومة الفرنسية بتسليط الضوء على الظروف الغامضة التي رافقت عملية استشهاده (ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة س15,40).

2 - الشيخ عبد القادر الياجوري من رجالات الإصلاح والتعليم في الجزائر من مواليد قرية أقمار بوادي سوف عام 1904م، درس القرآن الكريم على يد والده الفلاح التحق ب جامع الزيتونة في تونس وبقي حوالي تسع سنوات. تعرف في قسنطينة على الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1934م كان رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين ب قمار لسنة 1356هـ، وكان نائبه محمد السايح بن عبد الله. أصبح فاعلا في جمعية العلماء الجزائريين. ألقى عليه القبض ثلاث عشرة مرة حتى يقال أنه قضى نصف حياته في السجون منها سجن الكدية بقسنطينة كما فرضت عليه الإقامة الجبرية في مليانة 1940م - 1942م، وفي بني عباس بعد العام 1943م. وفي معتقل آفلو سنة 1956 بعد الاستقلال شغل العديد من المناصب الحكومية بوزارة الأوقاف والتعليم الأصلي. توفي في عام واحد وتسعين وتسع مائة وألف للميلاد 1991م (ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة س15,40).

وخمسة نواب من المجلس الوطني الفرنسي، ثلاثة من قسنطينة وإثنان من الجزائر، هرب اثنان وتم إلقاء القبض عليهما فيما بعد، وبصلة عمر وزعاف رايح وعبد الله ركيبي¹ والدكتور كربوش سعيد الذي كان يؤمهم في الصلاة ودمان دبيح عبد الله² وبوشامة عبد الرحمان ومازري وبلقاسم بن يلس وحداد مخلوف وتيطواح مخلوف وعراف سعيد واميتال محمد وماحي محمد وبوشنان حسن وبوصوف بوزيد كانوا جميعهم من المنظمة السرية.³

¹ - كان عبد الله الركيبي من الطلبة الجزائريين الذين التحقوا بجامعة الزيتونة في تونس قبل الاستقلال متخرجاً منه بشهادة التحصيل عام 1954، ليلتحق مباشرة بثورة التحرير إذ كان على صلة بمصطفى بن بولعيد أحد مفجري الثورة. لكن السلطات الاستعمارية ألقت عليه القبض وزجّت به في الإقامة الجبرية بالصحراء (معتقل آفلو) وقد فرّ منها والتحق مرة أخرى بتونس كأستاذ بالمدرسة الصادقية، ومنها إلى جامعة القاهرة التي حصل فيها على الاجازة عام 1964 ولأن الجزائر كانت تعاني فقراً في المدرّسين بُعيد استقلالها فقد عاد الراحل إليها ليكون واحداً من مؤسسي قطاع التربية والتعليم إلى أن حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر عام 1972 بأطروحة تناول فيها الشعر الديني الجزائري الحديث. توفي عن عمر ناهز 83 سنة .

² - من مواليد 1918، عرف عنه قوة نضاله وإيمانه العميق بالعمل النقابي وسهره الدائم والمستمر، في طليعة النقابيين داخل الوطن بداية من مسقط رأسه بمدينة عين مليلة، ولاية أم البواقي، خلال فترة الاستعمار الفرنسي، أين التحق بالحركة النقابية في بدايات 1936 تحت اسم الكنفدرالية العامة للشغل الفرنسية. CGT إضافة إلى كونه كان حريصاً في نشاطه النقابي بمنطقة قسنطينة وما جاورها من خلال تحسيس العمال والاستماع إلى انشغالاتهم وتمكينهم من معرفة بعض الإجراءات التي تساعدهم في عملهم اليومي تحت ظل إدارة الاحتلال.

عمله المتواصل واتصاله الدائم والمستمر بشرائح المجتمع الجزائري سبّب إخراجاً للحاكم الفرنسي وإهانته وهو ما أثار انتباه الإدارة الاستعمارية، فحكم عليه بالسجن سنة 1948، لأنه نظم بمناسبة الاحتفالات بالفتح من ماي، المصادف لعيد العمال، مظاهرة كبيرة حشد إليها الكثير من العمال والمتعاطفين بمنطقة وادي سوف وهذا قبل سنتين من انطلاق الثورة التحريرية أي في سنة 1952. الفقيد اشتغل في عديد الوظائف المهمة، سواء في الإدارة أو في قطاع المالية أين عمل مفتشاً لمصلحة الضرائب، وهي وظيفة مهمة في إدارة الاستعمار، إلا إن نشاطه الدؤوب والنقابي تسبب في تسريحه من الوظيفة سنة 1954، إلى غاية 1955 حيث تم إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالسجن إلى غاية 1960 ليتم إطلاق سراحه، لكنه لم يلبث فعاد إلى نشاطه النضالي، بعد الاستقلال تقلد الفقيد العديد من المسؤوليات، بداية من الأمين الجهوي لمنطقة قسنطينة، ثم انتخب في المؤتمر السادس للاتحاد العام للعمال الجزائريين بتاريخ 29 ماي 1978 أميناً عاماً لفترة أربع سنوات وشغل عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني في 1979... توفي سنة 2015 عن عمر ناهز 96 سنة (ويكيبيديا الموسوعة الحرة ليوم 2017/02/27 على الساعة 15,40س)

³ - حوفة بالمواز و مليكة ماسنة، منطقة جبال عمور في الثورة التحريرية الكبرى 1956-1962 من خلال الروايات الشفوية مرجع سابق، ص 56

وهنا يشيد سي عمار بموقف سكان آفلو الذين تقدموا لإدارة المعتقل، وطلبوا منها السماح لهم بتزويد المساجين بالأكل، لكن المساجين رفضوا ذلك لأنهم كانوا يريدون إزعاج الإدارة الاستعمارية¹ وحول الدور الذي لعبه بعض سكان آفلو خاصة في إيصال المعلومات إلى المعتقلين يؤكد المجاهد أحمد طواقين الجاكاني التيندوفي بأن سكان آفلو هم الذين كانوا يقومون بنقل الخبر إلى المعتقلين سواء أولئك الذين يزودون المعتقل باللحم أو الخضر أو الخبز أو حتى عمال النظافة . ويستطرد المجاهد أحمد طواقين قائلاً بأن معاملة الاستعمار كانت جهنمية ، رغم ذلك كانت الرسائل تأتيه من أهله منها رسالة لازال يحتفظ بها مسجلة بتاريخ 1956/12/22 . كما أنه يشيد بتلاحم المعتقلين الذين كانت تشرف عليهم كما يقول : اللجنة المديرية (comité directeur) ومن أبرز أعضائها المعتقلين بآفلو آنذاك : الياجوري من الوادي ، الجمعي من عنابة ، عبد الحميد الحصار من تلمسان ، مخنتر احمد من حمام بوججر ، قادة الشادلي من تيارت ، حميمد (أحمد) خلادي ، بكوش صالح²

يوميات المعتقلين :

شكل المعتقل أثناء الثورة التحريرية إحدى أهم حلقات المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري ، ولم تكن الحياة عادية داخل المعتقل ، فقد وجد المدنيون من إبناء الشعب الجزائري والمناضلون أنفسهم داخل مراكز تحكمها قوانين خاصة وظيفية وذلك من أجل النيل من عزميتهم ، والحط من معنوياتهم³ ولعل معتقل آفلو صورة حية لمعاناة أولئك المناضلين الوطنيين ، ومن خلال وعيهم أدركوا أن طرق النضال متعددة ، وأن خلاصهم يكمن في توحيد مواقفهم ، فتحول بذلك المعتقل إلى خلية تتلاحم فيها أفكارهم وأهدافهم ، وهذا ما نلمسه من خلال تتبعنا وقراءتنا لبعض الرسائل (أطلقت عليها اسم صور ، لأنها تعكس وتصور لنا ذلك الواقع المرير لحياة نزلاء المعتقل) التي نقلها لنا وترجمها الأستاذ محمد شاطو من الأرشيف الفرنسي باكس - آن - بروفانس .

الصورة الأولى : عبارة عن رسالة كتبت يوم 17 سبتمبر 1956 من قبل ديستافال جويستان منتدب بمركز الإقامة إلى السيد المحافظ الجهوي بوهران محتواها إصرار نزلاء المعتقل على التظاهر إذا لم يتلقوا بريدهم ... وبالفعل فقد تجمّع النزلاء في ساحة المركز وبدأوا يصرخون نريد البريد ... نريد البريد⁴ ونستشف من خلال هذا الموقف عزيمة وإصرار نزلاء المعتقل على ضرورة الاستجابة لأبسط حق من حقوقهم ألا وهو

¹ - نفسه ص 57

² - لقاء مصور أجرته قناة الشروق اليومي بعنوان : قناة الشروق تدخل معتقل آفلو إبان الثورة التحريرية ، وفيه تسجيل للقاء القناة مع المجاهد أحمد طواقين الجاكاني التيندوفي يوم 02 /11/ 2016 وهو متاح على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/watch?v=QeXmFAOsDEM>

³ - محمد شاطو ، واقع المعتقلين بآفلو أثناء الثورة التحريرية من خلال الأرشيف الفرنسي باكس - آن - بروفانس ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، عدد خاص ، ديسمبر 2012 ، ص 191

⁴ - نفسه ، ص 202

التواصل مع نويهم من خلال البريد (الرسائل) والصورة الثانية لتضامن النزلاء تتضح لنا كذلك من خلال التقرير التالي المؤرخ في 03 أكتوبر 1956 من عامل (والي) وهران إلى السيد الوزير المقيم بالجزائر ومضمون هذا التقرير هو ذلك الأمر الذي أعطي للنزلاء زويتى علي Zouiti Ali من طرف العميد دولاقارد ممثل مفتشية مراكز الإقامة للإلتحاق بمكتب المدير أين طرح عليه بعض الأسئلة لكن هذا النزلاء رفض الاستجابة الا بحضور زملائه، مما دفع بدولاقارد إلى وضعه انفراديا لمدة 10 أيام، وعلى اثر هذه العقوبة المجحفة قرر النزلاء القيام بإضراب عام رافضين القيام بنشاطاتهم العادية¹ وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على روح الأخوة و التضامن بين كل نزلاء المعتقل .

الصورة الثالثة: عبارة عن تقرير كتبه ضابط الشرطة ديستافيل (destaville) يوم 30 أوت 1950 ومضمونه إضراب عن الطعام من قبل نزلاء المعتقل ، مع التوقف عن القيام بأي نشاط² . وبخصوص موضوع التعذيب والاستنطاق داخل هذه المعتقلات فقد ظل طبي الكتمان من قبل الإدارة الفرنسية ، كما أن الصعوبات التي تواجه الباحث اليوم هي جمع الوثائق والشهادات والتي هي ليست بالأمر الهين لأنه يعد من الطابوهات بالنسبة للإدارة الفرنسية من جهة وبالنسبة للمناضلين الذين تعرضوا للتعذيب في أماكن حساسة من الجسم من جهة أخرى³ .

تعمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية على أن تجمع في الكثير من المعتقلات العديد من الأفراد الذين ينتمون إلى الأحزاب و الهيئات السياسية التي كانت سائدة قبل الثورة ،حتى يؤدي ذلك إلى قيام مشاجرات ومجادلات عنيفة بينهم بل وفي بعض الأحيان كانت الأمور تتطور إلى مشادات بالأيدي ومن أمثلة ذلك الحادثة التي رواها الأستاذ محمد الطاهر الأطرش " كنا إذا جاء إلينا أحد المعتقلين الجدد نرحب به ونطالبه بتقديم معلومات عن سير حركته الثورية ،ونوصيه بالمحافظة على آداب المعتقل ومن ذلك ترك تحزبه جانبا سوى انتمائه إلى جبهة التحرير الوطني ... فعندما قدم إلينا الشيخ مصباح الحويذق والشيخ عبد القادر الياجوري فاحتفلنا كالعادة بهما وقدمتهما إلى المعتقلين باسم (لجنة التسيير أو اللجنة المديرة)⁴ وذلك بإلقاء كلمات وأوصيتهما بالابتعاد عن ذكر جمعية العلماء والاقتصار على ذكر جبهة التحرير الوطني ،فأما الشيخ الياجوري أجاد في كلمة وأفاد المعتقلين ،وأما الشيخ مصباح الحويذق فقد بدأ كلمته بما كنت قد حذرت منه فقال إن جمعية العلماء هي صانعة الثورة ،مما أدى إلى إثارة النعرات الحزبية

¹ - نفسه ،ص 206

² - نفسه ،ص 207

³ - سعد طاعة ،ممارسة التعذيب في سجون ومعتقلات منطقة معسكر من خلال الشهادات الشفوية للمجاهدين 1954-

1962 مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية ، عدد خاص ،ديسمبر 2012 ، ص ص 41-42

⁴ - نفس اللجنة التي أشار إليها المجاهد أحمد طواقين الجاكاني التيندوفي (انظر الهامش رقم 40 السابق الذكر)

وخلق جو مكهرب دام عدة شهور، إغتمت فيه المصاليون هذه الفرصة لبث التفرقة والتطاحن ومحاولة جلب أفراد من المركزين إليهم¹.

أما عن الحالة النفسية للمعتقلين، فتختلف الظروف النفسية باختلاف نوعية المعتقلين فالبعض يتربص الانتصار، والبعض الآخر يتأثر بما يأتيه من الأخبار عن طريق الرسائل، ومنهم من يتربص الخروج وذلك ما يتلقاه من الوعود عن طريق الإدارة الاستعمارية، والبعض الآخر ينتظر العذاب مرة أخرى وتجده يعيش على أعصابه فلا يستريح ولا يهدأ له بال، والبعض الآخر انحطت معنوياته بما يسمع من خطب صوت البلاد² وترى اليأس يعلو محياه والقلق يسيطر على نفسه³.

ورغم هذا الوضع البائس في كثير من المعتقلات الفرنسية بالجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية، إلا أن أغلب نزلاء المعتقلات كانت لهم روح وطنية كبيرة ينتظرون ساعة الخلاص للإلتحاق بإخوانهم في الجبال ومن أمثلة ذلك المجاهد عيساني عمار الذي مكث بمعتقل آفلو من 11 مارس 1955 إلى 17 أوت 1957 وبعد أن فرّ من المعتقل سعد إلى الجبل يوم 31 ديسمبر 1957 حيث التقى بالعقيد عميروش وانضم بذلك إلى صفوف جيش التحرير⁴.

وبالرجوع إلى يوميات المعتقلين بآفلو، وبقراءتنا لتقارير مسؤولي المعتقل من الضباط الفرنسيين نلاحظ ما يلي:

- قراءة ومصادرة الكثير من رسائل المعتقلين وهذا يدخل في إطار الحرب النفسية للضغط على المعتقلين، وجعلهم يعيشون حياة القلق بقطع الأخبار عن أقاربهم وذويهم.
- عدم استسلام المعتقلين للقرارات التعسفية الصادرة عن ضباط المعتقل ففي رسالة مؤرخة في يوم 12/09/1956 و أمضاها نيابة عن المعتقلين كل من بورويبة، وسعيد، وزويت، وبين هملة

¹ - محمد الطاهر الأطرش، المعتقلات والسجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1 نوفمبر 1954 و 20 أوت 1956، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، المعقد بالجزائر ما بين 8 إلى 10 ماي 1984، ينظر كذلك: إبراهيم لونيسي، المعتقلات وتوظيفها في ممارسة الحرب النفسية على الجزائريين إبان الثورة التحريرية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص ص 25 - 26

² - هي إذاعة موازية لإذاعة صوت الجزائر، أنشأتها السلطات الاستعمارية للدعاية والترويج لفكرة الجزائر فرنسية، والعمل على تشويه صورة الثورة والمجاهدين، وممارسة الضغوط النفسية على الجزائريين بهدف إضعاف عزائمهم، والخط من معنوياتهم، ونشر اليأس في أوساطهم، ويشرف عليها رجال ذوي خبرة في الدعاية والحرب النفسية

³ - بلقاسم صحراوي، معتقل قصر الطير 1956-1962، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006، ص ص 29-30

⁴ - شهادته في الملتقى الذي نظمته محافظة الكشافة الإسلامية بآفلو سنة 2004

وتاقي ،وخالدي يطالبون فيها بتحقيق فوري حول تحويل ومصادرة بريدهم اعتبارا من الفاتح سبتمبر من نفس السنة¹ .

- الحذر الشديد الذي كانت تتخذه سلطات المعتقل وذلك بتتبع سيرة المعتقلين واحدا واحدا ،ومراقبة زوارهم بدقة ، مسجلة كل ملاحظة في تقاريرها إلى المسؤولين ،وهو ما يبينه التقرير الذي بعث به كورشيون جون إلى المحافظ الجهوي للشرطة بوهران يطلعه فيها بزيارة أب لإبنه المدعو مصباحي محمد سالم يوم 28 سبتمبر 1956 من 17 سا و30 إلى 18 سا ،ووظيفة الأب تاجر متنقل قاطن بمدرسة ولاية وهران ،ويصف فيها سلوك النزول الشاب داخل المعتقل بكل تفاصيلها² .

ومن خلال اطلعنا على العديد من الدراسات حوا واقع المعتقلين بالجزائر إبان الثورة التحريرية ، فإن المعتقلين يصنفون إلى ثلاث أنواع :

- صنف المعتقلين المتصلبين .
- صنف المعتقلين المترددين .
- صنف المعتقلين المؤيدين للعدو³ .

غير أنه وبسبب العدد الهائل لنزلاء معتقل آفلو (ذلك أنه يضم مختلف شرائح المجتمع منهم العلماء والتجار والمنقون والسياسيون والأميون)⁴ ، وبسبب نقص الوثائق الأرشيفية لم نتمكن من تحديد هذه الفئات الثلاث بهذا المعتقل ،ورغم ذلك فإن الكثير من المعتقلات في ربوع الجزائر قد تحولت إلى أماكن لتوطيد العلاقات والوحدة والتضامن بين المعتقلين حيث تم إنشاء خلايا جبهة التحرير الوطني داخل هذه

¹ - محمد شاطو ، واقع المعتقلين بآفلو أثناء الثورة التحريرية من خلال الأرشيف الفرنسي بأكس -آن - بروفانس ،مقال سابق ،صص 195 -196

² - نفسه ، ص 197

³ - بلقاسم صحراوي ،معتقل قصر الطير 1956 -1962 ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، مرجع سابق ،صص 35 - 36

⁴ - محمد شاطو ، واقع المعتقلين بآفلو أثناء الثورة التحريرية من خلال الأرشيف الفرنسي بأكس -آن - بروفانس ،مقال سابق ص 193

المراكز والتي وقفت الند للند ضدّ مصالح البسيكولوجيا وذلك برفع معنويات المعتقلين من جهة ، وتمتين الوعي الوطني من جهة ثانية¹ .

إن الإجراءات التعسفية التي كانت السلطات الاستعمارية تنفذها مع المعتقلين لم تزدهم سوى تماسكا وتقاربا وتضامنا مع إخوانهم المجاهدين...وعليه فقد ظل التواصل قويا بينهم وبين الثوار يأترون لأوامرهم ،ويقومون بتوعية بعضهم البعض بضرورة التماسك والصبر والإتحاد حتى النصر² .

خاتمة:

من خلال هذا العرض المبسط لوضعية المعتقلات الفرنسية بالجزائر بصفة عامة ومعتقل آفلو بصفة خاصة نستنتج مايلي :

- أنّ السياسة الفرنسية بالجزائر أثناء الثورة التحريرية كان الهدف منها القضاء على الثورة بشتى الطرق إذ أنها لم تكثف بالمخططات العسكرية بل حاولت الاستمالة والضغط على مختلف الفئات الشعبية بواسطة مراكز الاعتقال التي تقننت في تنويعها.
- أنّ حالة الطوارئ التي أعلنت عنها السلطات الاستعمارية منذ شهر آفريل 1955 يدل دلالة واضحة على عظمة الثورة والثوار رغم عدم التكافؤ في العدة والعتاد بين جيش التحرير والقوات الفرنسية .
- أنّ طريقة تسيير المعتقلات باختلاف أنواعها كانت عملية مدروسة من طرف خبراء واختصاصيين فرنسيين ،طبّقوا فيها مختلف النظريات الدنيئة (عمليا) لكسب أكبر عدد من الجزائريين والمحافظة على الجزائر الفرنسية .
- أنّ معتقل آفلو كغيره من المعتقلات كان أداة فعّالة في يد السلطات الفرنسية لعرس التفارقة بين أبناء الوطن الواحد (من خلال نوعية المعتقلين) واختلاف توجهاتهم وايدولوجياتهم الفكرية والنضالية .
- إنّ حالة الوعي والتضامن التي وصل إليها عدد هائل من المعتقلين بمعتقل آفلو ،دلّت دلالة واضحة على بعد نظرهم وذلك من خلال الإضرابات التي كانوا يقومون بها بين الحين والآخر لإسماع صوتهم للإدارة الاستعمارية .

¹ - رشيد زوبير ،جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة خلال الفترة 1955- 1961 رسالة ماجستير

،اشرف ،بوعزة بوضرساية ، جامعة الجزائر ، 2002- 2003 م ، ص 69

² - محمد شاطو ، واقع المعتقلين بآفلو أثناء الثورة التحريرية من خلال الأرشيف الفرنسي باكس -آن - بروفانس ،مقال سابق ص 198 .

- إنّ الروح الوطنية التي كان يتمتع بها معظم المعتقلين في معتقل آفلو، والصبر الذي تحلوا به وفرار بعضهم بطريقة أو بأخرى هو الذي منح الثورة التحريرية الاستمرارية ومن ثمة تحقيق النصر .
- وأخيرا فإنه رغم الآثار السلبية التي خلفتها هذه المعتقلات على نفسية الكثير من المعتقلين فإنها قد أثبتت إخفاق فرنسا في تحقيق أهدافها، وعجزها عن فصل الشعب عن الثورة التحريرية .

الملاحق :

صورتان فوتوغرافيتان للنصب التذكري المخلّد لمعتقل آفلو (من التقاط صاحب البحث)



المراجع المعتمدة في البحث :

- أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج1 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر - 1981
- عبد المالك مرتاض، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية،1954-1962 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر ، الجزائر ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. 2001
- جلالة عبد الوحيد ،الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 ،مجلة الباحث للبحوث و الدراسات التاريخية ،العدد التاسع، جانفي 2017
- مشري عمار، معتقل قصر الطير (قصر الأبطال) مجلة أول نوفمبر عدد 169 ، نوفمبر 2006
- محمد مجاود وآخرون ،تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830 -1962 ج2 مكتبة الرشد للطباعة والنشر ،الجزائر ،2005
- بختاوي قاسمي ،المحتشدات ومراكز التعذيب شهادات حية من منطقة صبرة(تلمسان)، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية،عدد خاص ،ديسمبر 2012
- محمد الطاهر الأطرش ،المعتقلات والسجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1 نوفمبر 1954 و 20 أوت 1956 ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ،الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة ،المنعقد بالجزائر ما بين 8 إلى 10 ماي 1984
- عبد القادر بكاري ،المعتقل ودوره في افضال المخططات الاستعمارية في الجزائر،معتقل الجرف نموذجاً ، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية،عدد خاص ،ديسمبر 2012
- فاطمة الزهراء سيدهم، أنواع المعتقلات ودور المساجين في النضال الوطني ، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية،عدد خاص ،ديسمبر 2012
- شتوان نظيرة ،الثورة التحريرية 1954 - 1962 الولاية الرابعة نموذجاً أطروحة دكتوراه غير منشورة -جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2007 - 2008
- عبد الكريم بوصفصاف ،حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف ،1954 - 1962 دار البعث للطباعة و النشر ،قسنطينة ،1998،
- ناصر مجاهد ، سبل العبور بجبل العمور ،الطبعة الأولى ، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد - غرداية-بدون تاريخ

- حوفة بالمواز ومليكة ماسنة ،منطقة جبال عمور في الثورة التحريرية الكبرى 1956-1962 من خلال الروايات الشفوية ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ الحديث و المعاصر إشراف ،بشير مديني ،المركز الجامعي بغرداية ،السنة الجامعية،2010 2011 م
- أزغيدي محمد لحسن ، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 – 1962 المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989
- محمد شاطو ، واقع المعتقلين بأقلو أثناء الثورة التحريرية من خلال الأرشيف الفرنسي بآكس -آن - بروفانس ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية ، عدد خاص ،ديسمبر 2012
- محمد الطاهر الأطرش ،المعتقلات و السجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1نوفمبر 1954 و 20 أوت 1956 ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ،الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة ،المنعقد بالجزائر ما بين 8 إلى 10 ماي 1984
- - بلقاسم صحراوي ،معتقل قصر الطير 1956-1962،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، إشراف يوسف مناصرية ،جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2005 - 2006 .
- - أمال قبايلي ،قانون حالة الطوارئ بالجزائر 1955،مجلة المصادر(يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد ،17 .
- - رشيد زوبير ،جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة خلال الفترة 1955-1961 رسالة ماجستير ،إشراف ،بوعزة بوضرساية ، جامعة الجزائر ،2002-2003 م .
- Revue Africaine ,N 103, année,1959

أساليب معالجة المعلومات - المفاهيم والنظريات -

د. بوفاتح محمد أ. عائشة العيدي

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

كلية العلوم الاجتماعية جامعة عمار ثلجي بالأغواط

1- ماهية تجهيز ومعالجة المعلومات:

1-1- نبذة تاريخية عن نشأة معالجة المعلومات:

لقد بدأ الإهتمام بنظرية معالجة المعلومات منذ الأربعينيات من القرن الماضي عندما حاول علماء النفس فهم آليات عمل العمليات المعرفية من ترميز وتخزين واسترجاع، حيث مهدت هذه المحاولات الطريق لتطوير نظم الحاسب الإلكتروني في الستينات من نفس القرن، وقد اقترن اتجاه معالجة المعلومات (Information Processing Approach) بشكل واضح مع نظم الحاسوب مع أنه أحد الموضوعات القديمة نسبياً في علم النفس المعرفي.

ويؤكد "هابرلانت" (1994) أن تطور اتجاه معالجة المعلومات جاء كرد فعل على الاتجاه السلوكي. (عدنان يوسف العتوم، 2004، ص 174) فقد استخدم أصحاب نظرية معالجة المعلومات مصطلحات جديدة في وصف التعلم، غير تلك التي استخدمها السلوكيون، فكان مصطلح المدخلات بدلاً من المثيرات، والمخرجات بدلاً من الاستجابة أو السلوك، ومستوى معالجة المعلومات بدلاً من العوامل الوسيطة. (حسين محمد أبو رياش، 2007، ص 178).

وجاء ذلك نتيجة تأثر هذا الاتجاه بالبحوث التي جرت حول قضايا العوامل الإنسانية المترتبة على نتائج الحرب العالمية الثانية والتطور السريع الذي حدث على أنظمة الحاسوب منذ الستينات. أما في مجال الاتصال، فقد أثرت ضجة كبيرة حول قدرة أجهزة الاتصال على نقل الرسائل الصوتية مما أثار تفكير علماء النفس أمثال "ميللر" (1956) لدراسة أثر الطاقة الاستيعابية المحدودة لقنوات الحس على الذاكرة القصيرة وأدى ذلك إلى التوصل إلى فكرة محدودية عدد الوحدات المعرفية التي تستطيع الذاكرة القصيرة معالجتها والتي قدرها "ميللر" بحوالي 5-9 وحدات. (عدنان يوسف العتوم، 2004، ص 158)

1-2- تحديد المصطلحات:

1-2-1- تعريف المعالجة:

هي سلسلة من العمليات المتتابعة التي تحدث داخل الفرد منذ تقديم المعلومات وحتى صدور الاستجابة. (محمد مصطفى الديب، 2003، ص 557)

1-2-2- تعريف المعلومات:

هي حقائق أو أفكار حصل عليها الفرد بأي طريقة من الطرائق مثل الملاحظة والتجريب والقراءة والتعليمات الشفوية وسواها. (فاخر عاقل، 1985، ص 57).

كما أنها: "نتائج معالجة البيانات إما بتحليلها إلى مفردات وعناصر ومقارنتها ببعضها أو بإعادة تركيبها لاستخلاص ما تشير إليه من دلالات وعلاقات". (سمير سعيد حجازي، 2005، ص 257).

1-2-3- تعريف معالجة المعلومات:

- يعرفها "أنور الشرفاوي" (1984) بأنها مجموعة من الإجراءات أو العمليات التي تحدث منذ تعرض الفرد للمثير حتى ظهور الاستجابة. (محمد مصطفى الديب، 2003، ص 557).

- ويعرفها "عبد الوهاب كامل" (2004) أنها مفهوم يقصد به ممارسة أو استخدام عملية نوعية من خلال برنامج ذاتي التعديل لتحويل المعلومات من صورتها الخام إلى صورة أخرى جديدة توضح الوظائف المعرفية والانفعالية والسيكوحركية.

- في حين يرى "فتحي الزيات" (2004) أن مفهوم تجهيز ومعالجة المعلومات يشير إلى بناء تراكيب أو أبنية معرفية تقوم على إدماج المعلومات أو الخبرات الجديدة في المعلومات أو الخبرات السابقة ثم إعادة توظيف أو استخدام ناتج هذا الإدماج في المواقف الجديدة. (سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، 2011، ص 86).

- ويعرفها "سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم" (2011) أنها مجموعة من العمليات النفسية والعقلية ذات التعقيد مثل: (استقبال المعلومات، الانتباه، الإدراك، التذكر، التفكير، وحل المشكلات) والتي يقوم بها الفرد خلال تناوله للمعلومات، ويؤثر نمط الفرد في معالجة وتجهيز المعلومات على الاستجابة التي يقوم بها، ويساعد فهم هذه العمليات في تفسير سلوك الأفراد وتحديد نمطهم في معالجة وتجهيز المعلومات. (سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، نفس المرجع السابق، ص 37).

يتضح من خلال هذه التعاريف أن الهدف من معالجة المعلومات هو محاولة فهم العمليات النوعية المتضمنة في أداء المهام المعرفية، ومحاولة الوصول إلى فهم أعمق لكيفية استرجاع الأفراد المعلومات المخزنة في الذاكرة وما يتم على هذه المعلومات من عمليات، وإمكانية استخدامها في مواقف جديدة.

ومن خلال التعاريف السابقة يمكننا تجسيد مفهوم معالجة المعلومات على أنها: مجموعة من العمليات النفسية والعقلية التي تقوم على إدماج المعلومات أو الخبرات الجديدة في المعلومات أو الخبرات السابقة، بشكل أكثر ثراءً وتكاملاً يمثل إنتاج عمليات الترميز والتخزين والاسترجاع والتي تمتد بين السطحية والعمق.

1-3- أهمية نظام معالجة المعلومات:

تكمن أهمية اتجاه تجهيز المعلومات في فهم النشاط المعرفي في أنه ينظر إلى العمليات العقلية ومنها عمليات الانتباه، والإدراك والذاكرة والتفكير على أنها متصل من النشاط المعرفي الذي يمارسه الأفراد في مواقف الحياة المختلفة.

وأوضح "سليمان محمد" (1998) أن دراسة تجهيز المعلومات يتيح فهم العمليات الحسية الإدراكية بصورة أكثر إجرائية، حيث يحاول هذا الاتجاه الكشف عن الارتباطات التي تتم بين مكونات

المثير ومكونات الاستجابة الصادرة عن الفرد بعد بدء الاستثارة في الموقف السلوكي. (محمد مصطفى الديب، 2003، ص 558).

1-4- نظرية معالجة المعلومات:

تهتم هذه النظرية بدراسة الذاكرة البشرية من خلال محاولات تفسير نسيان الارتباطات المتعلمة بين المثيرات والإستجابات، وتوفر بشبه إجماع بين الباحثين على أن نسيان الارتباطات يعود إلى آثار التداخل بين الارتباطات التي يتم تعلمها في أوقات مختلفة، وقد أيدت العديد من التجارب صدق هذا التفسير كما تؤيده خبرات الحياة اليومية فقد ينسى الفرد رقم الهاتف لتداخله مع أرقام هواتف أخرى.

وتعنى نظرية معالجة المعلومات بحث وتوضيح الخطوات التي يسلكها الأفراد في جمع المعلومات وتنظيمها وتذكرها. ولا تأبه هذه النظرية كثيراً بالمبادئ العامة للتطور المعرفي كتلك التي اقترحها "بياجيه" مقارنة باهتمامها بالخطوات أو النشاطات العقلية المعنية التي تحدث وتعاد الحدوث باستمرار أثناء التفكير. (إبراهيم قشقوش، 1985، ص 29). ومن رواد هذه النظرية الذين ساعدت مساهماتهم في تطورها من خلال دراساتهم وأبحاثهم كل من "تكسون وشيفرن" (1971)، وأيضاً كل من "بجورك" (1975) و"بور" (1975) و"كريك" و"جاكوبي" (1975) و"كريك وليفلي" (1976) و"هنت" (1971) و"شيفرن" (1975، 1976) و"أندرسون" (1990) و"وبادلي" (1982) وغيرهم. (رافع النصير الزغول، 2003، ص 50).

1-5- الافتراضات الرئيسية لنظرية معالجة المعلومات:

ينظر نموذج معالجة المعلومات إلى الإنسان بأنه نظام معقد وفريد في عمليات معالجة المعلومات أدى إلى دراسته من حيث عمليات الإدراك والتعلم والذاكرة، ووفق هذا النموذج هناك مجموعة من الافتراضات:

- إن الإنسان كائن نشط وفعال أثناء عملية التعلم، فهو يسعى إلى البحث عن المعلومات ويعمل على معالجتها واستخلاص المناسب منها بعد إجراء العديد من المعالجات المعرفية.
- التأكيد على العمليات المعرفية أكثر من الاستجابة بحد ذاتها. والاستجابة تعتبر نتاج لسلسلة العمليات والمعالجات المعرفية تتم عبر مراحل متسلسلة من المعالجة.
- تشتمل العمليات المعرفية على عدد من عمليات التحويل للمثيرات أو المعلومات والتي تتم وفق مراحل متسلسلة في كل منها يتم تحويل هذه المعلومات من شكل إلى آخر من أجل تحقيق هدف معين.
- تتألف العمليات المعرفية العليا مثل (المحاكمة العقلية، فهم وإنتاج اللغة، حل المشكلات) من عدد من العمليات المعرفية الفرعية البسيطة.
- يمتاز نظام معالجة المعلومات لدى الإنسان بسعته المحدودة على معالجة وتخزين المعلومات خلال مراحل المعالجة.
- تعتمد عمليات المعالجة التي تحدث على المعلومات عبر المراحل المتعددة على طبيعة وخصائص أنظمة الذاكرة الثلاث (الذاكرة الحسية، الذاكرة قصيرة المدى، الذاكرة طويلة المدى).

مما مضى نستخلص أن فهم السلوك الإنساني وكيفية حدوثه يتطلب تحديد طبيعة العمليات التي تحدث على المعلومات والمثيرات أثناء مراحل معالجتها.
(رافع النصير الزغول، 2003، ص ص 48/49).

1-6- مكونات نظام معالجة المعلومات:

يعد كل من "اتكسون" و"شيفرن" (1971) من أوائل علماء النفس الذين أسهموا في صقل وصياغة نموذج معالجة المعلومات. وقد قاما بوضع نموذج لمكونات معالجة المعلومات من خلال اقتراح نموذج ثلاثي الأبعاد للذاكرة البشرية مبرزين فيه مراحل تناول المعلومات ومعالجتها. وقد قدم أيضا كل من "بجورك" (1975) و"بور" (1975) و"كريك" و"جاكوبي" (1975) و"كريك" و"ليفي" (1976) و"هنت" (1971) و"شيفرن" (1975،1976) وغيرهم مساهمات ساعدت في تطور هذا النموذج من خلال دراساتهم وأبحاثهم المستفيضة في مجال الذاكرة البشرية (1982).

وجرى حديثا تعديل على نموذج معالجة المعلومات في ضوء المساهمات التي قدمها كل من "أندرسون" (1990) و"بادلي" (1982) و"لاسيما" في مجال الذاكرة العاملة (1998). (رافع النصير الزغول، 2003، ص 50).

إذ أننا سنعرض تفسيرات متناقضة على نظام معالجة المعلومات في دماغ الإنسان، وذلك عند تطرقنا إلى نماذج معالجة المعلومات من خلال بحثنا هذا. وإذا نظرنا إلى الدماغ الإنساني على أنه يطابق أو يشابه الحاسوب الآلي من حيث معالجة المعلومات، ورجوعا إلى البدايات التي تفسر نظام معالجة المعلومات فإننا نرى أن نظام معالجة المعلومات "يتألف لدى الإنسان من ثلاثة مكونات (أنظمة) رئيسية تتمثل في: الذاكرة الحسية أو ما يسمى بالمسجلات الحسية، والذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة العاملة، والذاكرة طويلة المدى وهذه الأنظمة مشابهة إلى درجة ما لأنظمة معالجة المعلومات في الحاسوب الإلكتروني .

وبالإضافة إلى هذه المكونات الثلاث، فإن هناك عددا من عمليات التحكم المماثلة للبرامج الموجودة في الحاسوب والتي تعمل على انسياب المعلومات ومعالجتها داخل النظام (1989). (رافع النصير الزغول، 2003، ص 50).

وهذا ما أردنا أن نبرزه من خلال الإشارة لاحقا إلى علاقة الذاكرة بنظام معالجة المعلومات. ولا يعني القول بوجود ثلاثة أنظمة للذاكرة، أن هذه الأنظمة منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض، أي يوجد كل منها في مكان معين في الدماغ، ولكن يمكن النظر إليها على أنها ثلاثة أنواع من التنشيط لنفس الموقع. وهكذا يمكن اعتبار الذاكرة البشرية وفق تصور (بادلي 1999) مخزنا كبيرا يضم ثلاثة أنواع من المستودعات اعتمادا على نوعية واستمرارية التنشيط المطلوب، وتقع أشكال التنشيط في الأنواع التالية:

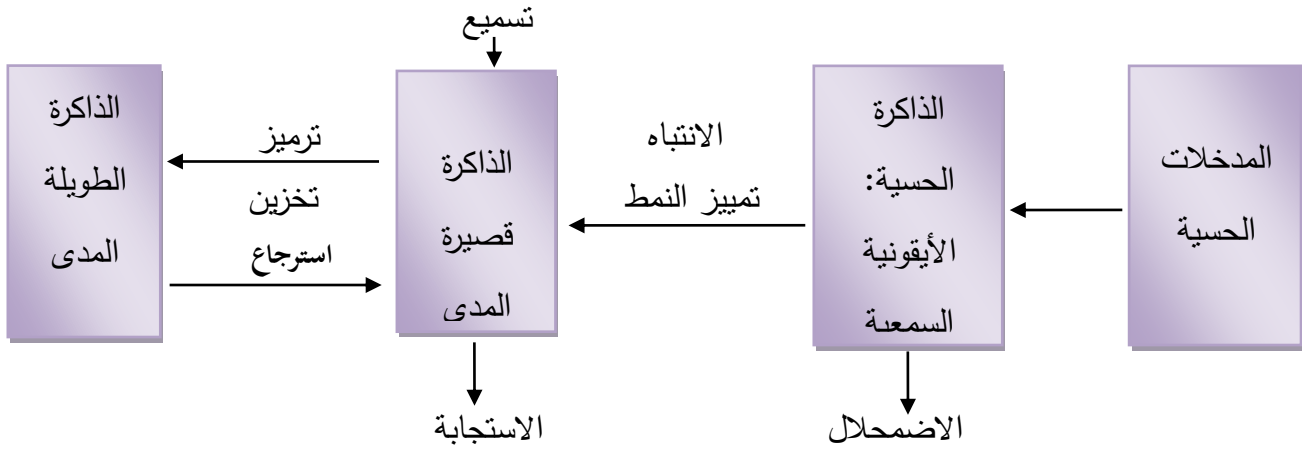
• **التنشيط طويل المدى:** ويشير إلى التغيير المستمر والدائم في الجهاز العصبي، وهذا ما يحدث في الذاكرة طويلة المدى.

• **التنشيط المؤقت السريع:** هو الذي يدوم أقل من ثانية، ويحدث في الذاكرة الحسية ويركز على الخصائص الفيزيائية للمثيرات.

• **التنشيط المؤقت القصير:** وهو الذي يدوم لبضع ثوان، ويحدث في الذاكرة العاملة ويركز على التمثيلات المعرفية وعمليات الترميز للمثيرات.

وفيما يتعلق بعمليات التحكم فيمكن النظر إليها على أنها استراتيجيات تنفيذية معرفية تكون عادة مخزنة في الذاكرة وتتحول إلى أنشطة عندما تقتضي الحاجة إليها في معالجة المعلومات". (رافع النصير الزغول، 2003، ص51).

في حين تبقى هذه المكونات لنظام معالجة المعلومات بداية فقط مثل ما بدأ به علماء النفس في تفسير هذا النظام إلى أن نصل في نهاية بحثنا هذا إلى توضيح التغيير الذي يناقض هذا العرض. وفيما يلي شكل توضيحي لمكونات نظام معالجة المعلومات:



شكل رقم 01: يوضح مكونات نظام معالجة المعلومات (حسين محمد أبو رياش، 2007، ص 178).

1-7- مراحل معالجة المعلومات:

اتفقت آراء علماء النفس المعرفي في مجال تجهيز ومعالجة المعلومات على أن مراحل معالجة المعلومات تمر بمجموعة من العمليات العقلية المعرفية، ويظهر ذلك في شكل:

1-7-1- استقبال وتجهيز المعلومات: Information Reception & Processing

يمثل الاستقبال المرحلة الأولى من مراحل التجهيز، ومعالجة المعلومات، ويتم ذلك من خلال المسجلات الحسية، حيث تكون هذه المعلومات في صيغة من الإدراك للمثيرات في صورتها الخام وخلال هذه الفترة الانتقالية تتحول بعض المعلومات إلى الذاكرة قصيرة المدى. وتتوقف درجة الاستفادة من المعلومات وتوظيفها على كمية المعلومات التي يتاح للمفحوص تحويلها وحملها إلى الذاكرة قصيرة المدى ومنها إلى الذاكرة طويلة المدى. (سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، 2011، ص 50).

1-7-2- الانتباه الانتقائي: selective attention

إن نظام معالجة المعلومات لا يستطيع تناول جميع المدخلات الحسية التي يستقبلها الفرد في الوقت نفسه، قد يرجع ذلك إما إلى كبر حجم المدخلات الحسية المستقبلية عبر الأجهزة الحسية، مما يتسبب في نسيان الكثير منها، أو قد يرجع ذلك إلى محدودية سعة الذاكرة العاملة، ولذا فإن النظام

المعرفي يعمل على نحو انتقائي. ويرى علماء النفس المعرفي أن الانتباه الانتقائي يعنى قدرة الفرد على اختيار المعلومات ذات الصلة الوثيقة، وتركيز عمليات المعالجة لها، وتجاهل المعلومات غير المتصلة بها.

1-7-3- الترميز: encoding

عقب تسجيل المعلومات عن طريق المسجلات الحسية، فإنها تحل في الذاكرة العاملة أو الذاكرة قصيرة المدى، وفي بعض الحالات في الذاكرة طويلة المدى، وتخضع المعلومات خلال انتقالها، أو تحويلها إلى ما يسمى بتمييز المعلومات، وأنه عندما يقابل الفرد مثير معين، فإنه لا يستطيع الاحتفاظ بنسخة، أو صورة حرفية للمثير، ولذا فإنه يرمز له، وتأخذ عملية الترميز أنماطاً متعددة ومتنوعة، وربما يكون التركيز على لون المثير، أو شكله، أو حجمه، أو تكوينه، أو السمة، أو غيرها من الخصائص المميزة له. بحيث تخضع عملية الترميز لعدة عمليات.

1-7-4- التسميع: reheorsol

يتوقف معدل تذكر الفرد أو استرجاعه لل فقرات المعروضة على أنشطة التسميع واستراتيجياته، فإذا كان هناك ما يقف حائلاً دون القيام بمثل هذه الأنشطة، فات معدل استرجاع المعلومات المراد أي أولوية عرض الفقرات، حيث يتاح تذكرها في ضوء أثر الأولوية لل فقرات الأولى فرصة أكبر للتسميع، أو الترييد عن تلك التي يراد ترتيبها في الوسط، يكون معدل تذكر تلك المعلومات أكبر.

1-7-5- التنظيم: organisation

تعد استراتيجيات التنظيم من العوامل التي تؤثر على فاعلية نشاط الذاكرة، وتبدو هذه الإستراتيجيات في ايجاد علاقات ارتباطيه بين المثيرات موضوع الحفظ، والتذكر، ببعضها البعض من ناحية، وبينها وبين مختلف الوقائع البيئية من ناحية أخرى. وأنه تتوقف عملية التنظيم على عدة عوامل منها:

قابلية المادة موضوع الحفظ. التذكر للتنظيم. أو تصنيف، أو الرابطة، ودرجة مألوفة هذه المادة، وطريقة عرض المادة، أو تنظيمها، والنشاط الذاتي الذي يبذله الفرد في حفظه، وتجهيزه، واسترجاعه لها.

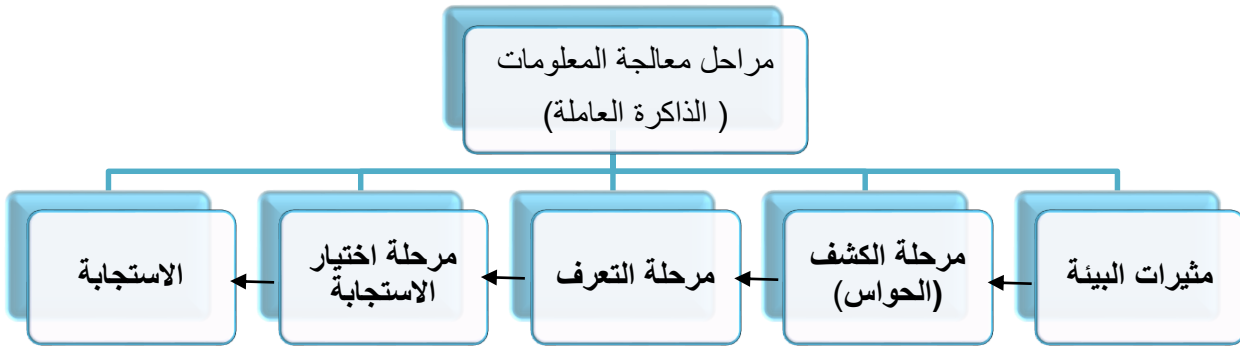
1-7-6- الاستعادة أو الاسترجاع: reteriva

وتتمثل في البحث على المعلومات وتحصيلها من الذاكرة واستعادتها، وتتوقف فاعلية هذه العملية على طريقة عرض المادة موضوع الاستعادة وتميزها، ومستوى التجهيز الذي تعالج عنده هذه المادة، كما أن عملية استرجاع المعلومات تمر بثلاث مراحل، وهي: مرحلة البحث على المعلومات، حيث يتم فحص جميع محتويات الذاكرة لإصدار حكم، أو لاتخاذ قرار حول مدى توفر المعلومات المطلوب تذكرها، ومرحلة تجميع وتنظيم المعلومات، حيث يقوم الفرد بالبحث عن أجزاء المعلومات المطلوبة وربطها معا لتنظيم الاستجابة المطلوبة، ومرحلة الأداء الذكرى، وتعنى تنفيذ الاستجابة المطلوبة، وقد تؤخذ هذه الاستجابة شكلاً ضمناً، كما يحدث في حالات التفكير الداخلي بالأشياء، أو ظاهرياً كأداء الحركات

والأقوال. (WWW.ecow.engr.wisc.edu)

إلا أن هذه المراحل تعد خطوات مبدئية لتفسير عمل الفرد أثناء معالجة المعلومات، و قد تطرقنا لها من أجل إلقاء الضوء عما استدرجه الإطار النظري في هذا الجانب و ذلك لإرساء هذا النظام الشامل على مبدأ يمكن دراسته بشكل بسيط، "فلا يمكن القول أن مراحل المعالجة مختصرة على هذه العمليات أو الخطوات فقط بل تتم المعالجة للمعلومات بشكل واسع يصعب تمييزه حيث "يشير" سولسو" (1988) إلى وجود مشكلتين في طريق اتجاه معالجة المعلومات تلقيان اهتماما كبيرا من علماء النفس المعرفي، أولهما صعوبة تحديد جميع المراحل التي يتكون منها نظام معالجة المعلومات، وثانيهما حول أسلوب وطريقة تمثيل المعلومات في الذاكرة الطويلة أو في الدماغ الإنساني، وقد فتحت المشكلة الأولى الطريق أمام علماء النفس لوضع تصورات لنماذج في الذاكرة وحل المشكلات كما سيتضح عند الحديث عن نماذج الذاكرة، كما فتحت المشكلة الثانية الآفاق أمام علماء النفس للحديث عن طرق تمثيل المعلومات في الذاكرة طويلة المدى في الدماغ الإنساني .

ويؤكد "ستيرنبرغ" (2003) أن عمليات معالجة المعلومات لا ترتبط بالحديث عن مراحل التخزين الثلاثة (الحسي والقصير والطويلة) ،مما يعني أن هنالك عدد غير محدد من محطات المعالجة للمعلومات لا يمكن تحديدها ،وأن لكل مرحلة متقدمة من مراحل المعالجة عدد من المحطات تتصف بزيادة تعقيدها المعرفي وترتبط بزيادة احتمالية تذكر المعلومات مع زيادة ارتفاع مرحلة المعالجة. والشكل التالي يوضح كيفية حدوث هذه العمليات:



شكل رقم 02: يوضح مراحل معالجة المعلومات (محمد عوده الريماوي، 2004، ص 293)

II- النماذج النظرية والفروق الفردية في معالجة المعلومات:

II-1- النماذج النظرية لمعالجة المعلومات :

وضع أصحاب نظرية معالجة المعلومات أكثر من نموذج لتمثيل ما يفترضون أنه يجري في دماغ الإنسان أثناء تفاعله مع مثيرات العالم الخارجي، لمساعدة الأفراد على فهم المعرفة الإنسانية وكيفية اكتساب المعلومات، وكيفية ترميزها وتخزينها واسترجاعها، وكيفية توظيفها في عمليات التفكير وحل المشكلات. وقد ارتأينا هنا أن نوجز تصنيفا لنماذج معالجة المعلومات يعكس الاتجاهات المختلفة في تمثيل هذه النماذج، والذي بين الاتجاهات التي تستند في تصنيف هذه النماذج على أساس نماذج الذاكرة

والتي تنقسم إلى نماذج منفصلة وأخرى متصلة، والاتجاهات التي تصنفها على أساس انتقاء أو اختيار المعلومات أي سعة النظام المعرفي كآتي:

II-1-1- اتجاهاً تصنف نظريات معالجة المعلومات على أساس نماذج الذاكرة :

يؤكد "سولسو" (Solso 1988) أن اتجاه معالجة المعلومات يفترض أن المعرفة يمكن تحليلها إلى عدد من المراحل الافتراضية يتم في كل منها عمليات معرفية على المعلومات الحسية القادمة من البيئة الخارجية لتنتهي باستجابة ضمنية أو ظاهرة. (حسين محمد أبو رياش، 2007، ص 388).

ولقد وفر الأدب النظري في هذا الموضوع العديد من نماذج الذاكرة ويمكن تصنيفها إلى نوعين:

II-1-1-1 نماذج الذاكرة المنفصلة:

وتقوم نماذج الذاكرة المنفصلة على فكرة التخزين المتعددة، وتقدم تصوراً نظرياً منطقياً عن التراكيب أو الأبنية التي تكون نظام عمل الذاكرة، ويفترض هذا النظام أن تعطيل أحد هذه المكونات يعمل على تعطيل نظام عمل الذاكرة بشكل عام، ومن الأمثلة على ذلك نموذج "أتكسون - شيفرن" ونموذج "تولنغ". (محمد عودة الريماوي، 2004، ص 296)

أ- نموذج أتكسون - شيفرن (Atkinson and Shfrin Model).

اقترح هذا النموذج عام 1968 على يد "أتكسون وشيفرن" حيث يشير إلى أن الذاكرة تتكون من ثلاثة مخازن والتي تم تعريفها سابقاً، وهي مخزن الذاكرة الحسية ومخزن الذاكرة القصيرة ومخزن الذاكرة الطويلة، كما هو مشار إليه في الشكل رقم 03:

المثيرات البيئية

External Input

ما يفقد من المخزن الحسي Lost From SR	مخزن الذاكرة الحسية Sensory Storage
ما يفقد من المخزن قصير المدى	مخزن الذاكرة قصيرة المدى Short Term Memory
تحليل - تداخل - و فقد من LTM	مخزن الذاكرة طويلة المدى Long Term Memory

شكل رقم 03: يوضح نموذج "أتكسون-شفرن" للذاكرة. (حسين محمد أبو رياش، 2007، ص 391).

ويشير نموذج "أتكسون - شيفرن" إلى أن المثيرات البيئية تدخل من خلال جميع الحواس حيث تخزن الذاكرة الحسية لوقت قصير يتم بعدها إما نقل المعلومات الحسية إلى مخزن الذاكرة القصيرة أو تعرض للفق والنسيان، وفي الذاكرة القصيرة، تتعرض المعلومات الحسية إما إلى الترميز أو يتم فقدانها خلال 30 ثانية، فإذا تم ترميز المعلومات في الذاكرة الطويلة، فإنها تنتقل إلى مخزن الذاكرة الطويلة التي تستوعب كميات غير محددة من المعلومات لفترات غير محددة. ويتم تخزين المعلومات في الذاكرة

الطويلة وفق معانيها، إلا أن هذه المعلومات قابلة أيضا للفقْد والنسيان بفعل عوامل التعفن والتداخل والإمحاء، ويؤكد هذا النموذج على أن الإنسان يعالج ما يصادفه أو يعيشه من مثيرات خارجية في مراحل متعددة.

* **نقد النموذج** : يواجه هذا النموذج مشكلتين أساسيتين هما أن الذاكرة الطويلة لا تنطوي على عملية ترميز المعاني، بل يتم ذلك في الذاكرة القصيرة، كذلك لم يوضح النموذج كيف تتم عملية النسيان في المخزن الحسي إذا افترضنا أن كل المعلومات تصل إلى الذاكرة القصيرة حيث يتم هناك التركيز على مثيرات دون الأخرى بفعل النسيان.

ب- نموذج تولفنج Tulving Model :

يركز نموذج "تولفنج" على طبيعة المادة وطول الفترة الزمنية التي تخزن فيها المعلومات في الذاكرة، ولذلك فقد اقترح هذا النموذج عام 1972 ليميز بين الأحداث وذاكرة المعاني والذاكرة الإجرائية في إطار فلسفة المكونات المنفصلة للذاكرة كما هي موضحة أدناه :

- **ذاكرة الأحداث Episodic Memory** : وتدور طبيعة هذه الذاكرة حول الأحداث والعلاقات والسير الذاتية والمواعيد والقصص مثل أعياد الميلاد ، والزواج ، والقبول في الجامعة ، أو أي حدث له أهميته الخاصة للفرد.

- **ذاكرة المعاني Semantic Memory** : وتشمل المعلومات التي تعكس علاقتنا ومعرفتنا للعالم الخارجي كمعاني الكلمات والمفردات، وقواعد اللغة، والقوانين، والحقائق والنظريات، والاتجاهات والقيم والعادات وغيرها.

- **الذاكرة الإجرائية Procedural Memory** : لقد أضاف تولفنج هذا المكون عام 1987 ليختص بالمعلومات المتعلقة بالإجراءات التي يقوم بها الفرد يوميا مثل السباحة، وقيادة السيارة، وتناول الطعام ولبس الملابس، واستخدام الألعاب والأجهزة المختلفة .

* **نقد النموذج**: ومن الانتقادات الموجهة لنموذج "تولفنج" أنه من الصعب التمييز بين معلومات ذاكرة المعاني وذاكرة الأحداث حيث أن ذاكرة الأحداث قد تعد شكلا من ذاكرة المعاني، وهذا على خلاف الذاكرة الإجرائية التي تتسم بطبيعتها بالوضوح التام والتي تتأثر بعمل الدماغ والبرمجة الفسيولوجية. (عدنان يوسف العتوم، 2004، ص ص 158-161).

II-1-1-2- نماذج الذاكرة المتصلة:

وتقوم على فكرة أن معالجة الذاكرة للمعلومات تتم بصورة كلية متكاملة كنظام واحد غير قابل للتجزئة، وأن تعطيل أحد أجزاء النظام لا يعطل عمل النظام كاملا. ومن الأمثلة على ذلك مدخل مستويات تجهيز ومعالجة المعلومات ومدخل نموذج العمليات الموزعة الموازية.

أ- مدخل مستويات معالجة المعلومات:

يعد كريك ولوكهارت (1972 Craik and Lochart) من أهم رواد هذا الاتجاه والذي يركز على كيفية تجهيز ومعالجة المادة المتعلمة خلال عملية التعلم. ويستند هذا الاتجاه على فكرة أن لكل فرد في

معالجة المعلومات عدة مستويات للتجهيز والمعالجة، وهذه المستويات هي المستوى السطحي أو الهامشي والمستوى المتوسط والمستوى العميق والمستوى الأكثر عمقا.

أما فيما يتعلق بالمستويات الهامشية أو السطحية، فإن الفرد يركز في تعامله مع المعلومات من حيث خصائصها المادية أو الشكلية أو الوسط والسياق الذي ترد فيه المعلومات، بينما في المستويات العميقة، تقوم فكرة معالجة المعلومات على إدراك وتحليل معاني المعلومات التي يتعامل معها الفرد ومحاولة الربط بين هذه المعاني مستخدما قدراته التخيلية والسابقة بشكل فعال، وتشير الدراسات إلى أن المعالجة الأعمق للمعلومات تؤدي إلى إدامتها وقدرة أكبر على استرجاعها في المستقبل وذلك على عكس التحليل الهامشي الذي يحتفظ أفراده بمعلومات محدودة حول شكل المثير وطبيعته دون الخوض في معانيه القريبة والبعيدة، ففي المعالجة السطحية يكون التسميع للاحتفاظ بالمعلومات من خلال تكرارها لضمان تخزينها، بينما يكون التسميع في المعالجة العميقة تحليليا حتى يستطيع الفرد اشتقاق المعاني وبالتالي الاحتفاظ بأكبر قدر من المعلومات ومعانيها ولفترة طويلة من الزمن.

ويتطلب مستوى التحليل والمعالجة العميقة قدرات خاصة من الفرد حتى يستطيع ممارستها بشكل فعال مثل القدرة على التمييز بين المثيرات، والقدرة على إدراك التفاصيل الدقيقة لضمان المعالجة والترميز العميق للمعلومات في الذاكرة القصيرة وبالتالي قدرة أكبر على الاسترجاع الجيد.

* **نقد النموذج:** لا شك في أن أسلوب المعالجة العميقة يعد أفضل بكثير من أسلوب المعالجة السطحية للمعلومات، ولكن هنالك الكثير من التساؤلات حول طريقة تقييم العمق والعلاقة بين العمق والاحتفاظ، وهل زيادة العمق تؤدي بالضرورة إلى زيادة الاحتفاظ وهل العكس صحيح؟ لذلك فإن أسلوب القياس يبقى مشكلة قائمة إمام هذا النموذج. (عدنان يوسف العتوم، 2004، ص ص 161-162).

ب- مدخل العمليات الموزعة الموازية:

ويرتبط مدخل العمليات الموزعة الموازية في معالجة المعلومات وتفسير نظام الذاكرة بمفاهيم الشبكات العصبية (Neural Networks). ففي دراسات علم نفس الأعصاب والاتجاه المعاصر في دراسة الظواهر المعرفية الذي عرف بالارتباطين (Connectionism) وارتبط اسم هذا الاتجاه مع دراسات "ماكيلاند ورمهارد" (1986) اللذين أكدتا دراستهما على أن العمليات المعرفية تتم من خلال شبكة الترابطات بين الأعصاب بشكل متواز وليس متسلسلا، فكل عنصر معرفي يرتبط مع عدد كبير من النيوترونات التي تنتوزع في مناطق واسعة من الدماغ الإنسان، وبالتالي فإن هنالك ملايين النيوترونات التي ترتبط مع بقية العناصر المعرفية في شبكة عصبية متكاملة. إن التفكير في مثير معرفي واحد يعني أن الدماغ سيبدأ عملية بحث واسعة في خلايا الدماغ الإنساني حتى يصل إلى جزء يسير من هذا النظام المعقد ليصل إلى معلومة محددة. ووفقا لمدخل العمليات الموزعة الموازية، فإن السؤال مثلا عن المهندس "علي" ينشط أو يستثير المعلومات المتعلقة بكل المهندسين أو طلبة الهندسة الذين تعرفهم بما فيها المعلومات المتعلقة بتوجهاتهم وميولهم وأماكن سكنهم وغيرها من المعلومات ذات العلاقة وعندئذ يمكنك

الرد بأن علي هو طالب في السنة الخامسة في كلية الهندسة، ويمكن ايجاز أهم خصائص هذا الاتجاه في النقاط الآتية:

- العمليات المعرفية تقوم على عمليات موازية أكثر من كونها متسلسلة أو متتابعة.
- تخزين المعلومات على شبكة من الترابطات أو الوصلات العصبية من خلال النيترونات لتمثل وحدات توصيل، وأن تنشيط واحدة ما يؤدي إلى تنشيط الوحدات الأخرى ذات العلاقة .
- تكوين نتيجة استثارة الوحدات الأخرى إما إيجابيا (Exciting) أو يتم حدوث منع أو كف (Inhibition) للوحدات المجاورة فلا تتم الاستثارة العصبية .
- كل ما تخزنه الشبكات العصبية هو قوة أوزان الاتصال بين الوحدات العصبية
- المعرفة الجديدة تغير قوة الوصلات مما يعني أن الاستجابة في المرة القادمة ستكون مختلفة (حدوث التعلم).

- الذاكرة تعمل بشكل فعال حتى لو كانت بعض المدخلات غير صحيحة وذلك بفعل السياق المخزن أصلا من خلال المعالجات السابقة، ولذلك توصف محتويات الذاكرة بأنها معنونة (Content Addressable) أي أن كل مثير يصل إلى المكان المخصص له.
- نتيجة السعة الدماغية المحدودة ومدى قوة الترابطات فقد يحدث تذكر جزئي للمعلومات أو يمارس الفرد صعوبات في الاستدعاء. (محمد عودة الريماوي، 2004، ص ص 299-300).

* **نقد النموذج:** يمثل مدخل العمليات الموزعة أحد أهم الاتجاهات المعاصرة في تفسير نظام الذاكرة ومعالجة المعلومات وفق أسس عصبية بحثه ارتبطت بعلم الأعصاب وتطور علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، ولكن لازال هنالك قضايا كثيرة حول هذا الاتجاه يصعب تفسيرها مثل قضية النسيان، ودور عمليات الانتباه في المعالجة، وماذا يحدث للمعلومات التي لا ننتبه لها، كذلك فإن هنالك عددا من الصعوبات المنهجية في البحث كوننا نتعامل مع دماغ بشري في غاية التعقيد وليس من السهل اختبار أفكار هذه النظرية. (محمد عودة الريماوي ، نفس المرجع السابق، ص 300).

II-1-2- اتجاهات حديثة تصنف معالجة المعلومات على أساس سعة النظام المعرفي :

ترى الاتجاهات الحديثة في الدراسات والبحوث في مجال تجهيز ومعالجة المعلومات أن تركيز علماء النفس المعرفي قد انصب في تصنيف معالجة المعلومات على التمييز بين نوعين من أساليب معالجة المعلومات وهذا راجع إلى " أن مسألة السعة المحدودة للنظام المعرفي وما يتمخض عنها من انتقائية الانتباه إلى مثيرات معينة أو بعض جوانب منها دون غيرها، أثارت جدلا لدى العديد من المختصين بعلم النفس المعرفي حول الكيفية التي يتم فيها توجيه هذه السعة. وهذا أدى إلى ظهور عدد من النظريات في هذا الشأن. حيث تمخض عن هذه النظريات وجهة نظر حول استراتيجيات معالجة المعلومات وهي:

II-1-2-1- إستراتيجية المعالجة المتسلسلة Serial Processing Strategy :

وفيها يتم معالجة المثيرات واحدا تلو الآخر، حيث يتم توجيه سعة الانتباه إلى هذا المثير بحيث يتم إغفال المثيرات الأخرى، ويتم الانتقال إلى المثيرات الأخرى على نحو متسلسل وذلك حسب أهميتها. إضافة إلى إستراتيجية يتم من خلالها اختيار المثير المحدد في مرحلة الاستقبال لتركيز عليه ومعالجته دون غيره من المثيرات الأخرى.

II-2-2-1- إستراتيجية المعالجة المتوازية Parallel Processing Strategy :

و فيها يتم معالجة مجموعة مثيرات في وقت متزامن على نحو مستقل عن بعضها بعضا، أي أن مجموعة عمليات عقلية يتم تنفيذها على هذه المثيرات بمعزل عن بعضها البعض، و يصار لاحقا خلال مراحل المعالجة إلى التركيز على بعضها وإهمال بعضها الآخر. (رافع النصير الزغول، 2003، ص ص 70-71).

يتضح من خلال النماذج النظرية التي تم عرضها أنها قد طرحت تصورات افتراضية لكيفية اكتساب وتعلم التلاميذ المعلومات، إلا أننا نلاحظ عدم وجود نموذج أو نظرية متكاملة وشاملة تعطي صورة واضحة لعملية معالجة المعلومات عند المتعلمين، ولعل هذا يعود لتعدد العمليات العقلية المعرفية. ومع ذلك لا يمكننا تجاهل الجوانب البارزة التي أوردتها هذه النظريات في هذا المجال، من خلال البحث والفحص في عمليات التعلم، ومعالجة التلاميذ للمعلومات ومدى الكشف عن الطرائق والأساليب التي يتعامل بها المتعلم مع المعلومات الآتية له من البيئة الخارجية.

II-2- الفروق الفردية في معالجة المعلومات:

ويرى "وود wood، 1983" أن تجهيز المعلومات هو الاتجاه الملائم لتقدير الفروق الفردية بين الأفراد، وذلك لأنه يوضح مدى إنجاز الأفراد مهام معرفية بنجاح، بينما يفشل البعض الآخر في إنجازها. (محمد مصطفى الديب، 2003، ص 551).

وفي هذا الصدد تشير دراسة "مجدي" (1988) أن الفروق الفردية بين المتعلمين ليست ناتجة عن الاختلافات في القدرة، أو الجهل فكل فرد منا يوجد عنده طريقة معينة لمعالجة المعلومات الجديدة. (محمد أحمد الرفوع، 2008، ص 199).

كما أننا لا نستطيع أن نغفل هنا على أن سعة معالجة المعلومات تتغير مع زيادة العمر، حيث ينمو الدماغ الإنساني بشكل منتظم خلال فترة الرضاعة والطفولة، وحتى ما بعد سن الرشد ولكن بدرجات متفاوتة، وترتبط التغيرات في الدماغ الإنسان بقدرته على معالجة المعلومات، حيث يلاحظ أن الأطفال مع زيادة العمر، يصبحون أكثر قدرة على التفكير، بسبب تطور نظام معالجة المعلومات لديهم ونضجه وسرعته في عمليات المعالجة. (حسين محمد أبو رياش، 2007، ص 184).

وتعتبر الدراسات الخاصة بالارتباطات العصبية في الفروق الفردية مثل دراسة: "هاير، وسايجل ونوشترلين وهازلت، ووأو وبايك، ووبراونيج، وبوتشباوم" مثيرة للاهتمام بهذا الخصوص. فقد نظر هؤلاء الباحثون إلى هذا الموضوع من خلال أداء المفحوصين لأعمال أو مهام استنتاجية مجردة. ووجدوا أن

المفحوصين الأفضل لديهم معدلات أقل من النشاط على هذه الأعمال، وهذا يشير إلى أن المفحوصين الأقل كفاءة عليهم أن يبذلوا مجهودا أكبر على نفس العمل، مثلما تشير عملية معالجة المعلومات إلى سرعة المعالجة، فإن ذلك يقترح أن الفروق في الذكاء قد يعكس عاملا أساسيا بشكل كبير. (جون أندرسون، 2007، ص 545).

وفي هذا الجانب سنستشهد على وجود فروق فردية في معالجة المعلومات بالنظريات التالية:

II-2-1- نظرية سنو Show's Theory:

حدد "سنو" (Snow, 1979) أربعة مصادر للفروق بين الأفراد في معالجتهم للمعلومات. ولم تقتصر الفروق فقط على اختبار الفرد للعملية وأنواعها لتنفيذ إستراتيجية الحل، بل وعلى الفرد أيضا أن يختبر الأوجه الأخرى ومن هذه الفروق:

- الفروق البارامترية Parameter Differences

- الفروق التتابعية Sequence Differences

- الفروق في الطريقة Route Differences

- الفروق في الإستراتيجية Strategic Differences (يوسف القطامي، 2007، ص 501).

II-2-2- نظرية ستيرنبرغ في الفروق Strnberg's Theory In The Differences:

حدد "ستيرنبرغ" (1979) ستة مصادر أولية للفروق الفردية في تفكير معالجة المعلومات وهي:

أ- العناصر: (Components)

إذ يستخدم البعض عددا من العناصر أكثر من استخدام غيرهم لها، أو عناصر لا يستخدمها غيرهم. مثلا يمكن أن يستخدم فرد عناصر أ، ب، ج، بينما يستخدم فرد آخر عناصر أ، ب، ج، د.

ب- قانون التجمع للعناصر: (Combination Rule For Compnents) إذ يستخدم بعض

الأفراد قانونا واحدا لتجميع العناصر، بينما يمكن أن يستعمل أفراد آخرون أكثر من قانون. مثلا يستعمل فردا تجميعا مثل: $A+B+C$ في حل مشكلة بينما يستعمل فردا آخر تجميعا مثل: $A \times B \times C$.

ج- ترتيب معالجة العناصر: (Order Of Component Processing)

إذ يستخدم البعض أحد الأساليب في التتابع بينما يمكن أن يستخدم الآخرون أساليب أخرى، ويمكن التمثيل على ذلك بأنه يمكن أن يسير حل مشكلة لدى الفرد بالترتيب التالي خطوة: أ، ج، د، بينما يمكن أن يسير فرد آخر في حله للمشكلة وفق ترتيب التالي:

خطوة د، ب، ج. وهكذا...

د- أسلوب معالجة العناصر: (Mode Of Component Processing)

وتختلف الطريقة التي يستعملها الأفراد في معالجة العناصر، إذ يستخدم البعض طريقة طويلة وقد لا تكون بالضرورة متعبة، وقد يستخدم أفراد آخرون طرقا تعالج الهدف مباشرة، أو حل المشكلة دون الإهتمام بالخطوات غير المتعلقة بالحل.

هـ - زمن العنصر ودقته (Component Time Or Accuracy)

يمكن أن يكون أحد الأفراد أسرع وأكثر دقة من غيره في تنفيذ الحل، أو أداء المهمة.

و- التمثيل الذهني لأداء العنصر (Mental Representation)

قد يستعمل فرد تمثيلاً محدداً للعناصر، بينما يستخدم آخر تمثيلاً مختلفاً. ففي حل قضية مثل :
أحمد أطول من خالد.

خالد أطول من سمير.

فأيهما الأطول؟

قد يتمثل بعض الأفراد في حل المشكلة بطريقة لغوية، في حين يتمثل هذه المعلومات فرد آخر بطريقة فراغية. (يوسف القطامي، 2007، ص 502).

خلاصة:

نستخلص من هذا الفصل أن أصحاب الاتجاه المعرفي المعاصر يتبنون فكرة اعتبار الدماغ البشري يعمل بأسلوب مماثل لما يحدث في الحاسوب الإلكتروني، مستشهدين في ذلك بظهور أحدث النظريات المعرفية ألا وهي نظرية تجهيز المعلومات، إذ يعتبرون أن المعلومات أثناء معالجتها تمر في مراحل تتمثل في الاستقبال والترميز والتخزين وإنتاج الاستجابة؛ ومن هنا أنجب هذا التصور المولود الهجين بين الآراء المختلفة من حيث وضع مكونات ومراحل وبصفة أدق وضع نموذج موحد يفسر أساليب معالجة المعلومات عند الفرد، لأن المجال هنا يرتبط بعمليات عقلية معرفية معقدة. ومع ذلك لا يمكن تجاهل بعض الجوانب المشرقة التي أبرزتها هذه النظريات في تفسير معالجة المعلومات من خلال البحث والفحص والتمحيص في عملية التعلم، وما لها من جوانب قد تساهم في تنمية قدرات الفرد على معالجة المعلومات كمرعاة الفروق الفردية والتطلع إلى رقي التعليم بصفة عامة.

قائمة المراجع:

1- قائمة الكتب:

- 1- حسين محمد أبو رياش، (2007): التعلم المعرفي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع الطباعة، عمان.
- 2- جون أندرسون، (2007): ترجمة محمد صبري سليط، رضا مسعد الجمال، علم النفس المعرفي وتطبيقاته، الطبعة الأولى، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.
- 3- رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، (2003): علم النفس المعرفي، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- 4- سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، (2011): المرجع في علم النفس المعرفي (العقل البشري وتجهيز ومعالجة المعلومات)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر.
- 5- عدنان يوسف العنوم، (2004): علم النفس المعرفي (النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

- 6- محمد عودة الريماوي، (2004): علم النفس العام، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
 7- محمد مصطفى الديب، (2003): علم النفس الاجتماعي التربوي أساليب تعلم المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب نشر - توزيع - طباعة، القاهرة.
 8- يوسف القطامي، (2007): تعليم التفكير لجميع الأطفال، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

II- المعاجم والقواميس:

- 1- سمير سعيد حجازي، (2005): معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
 2- فاخر عاقل (1985): معجم مصطلحات علم النفس، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت.

III- المجلات والدوريات:

- 1- محمد أحمد الرفوع، (2008): أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة المرحلة الثانوية الأكاديمية في الأردن وعلاقتها بالجنس والتخصص، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، المجلد 24، العدد 02.

VI- مواقع من الانترنت:

http://ecow.engr.wisc.edu/cgibin/get/ie/549/carayon/notes/ie549_infoprocessin-.of human information processing models_website.ppt#263,6,Wickens' model

سياسة تركيا اتجاه إسرائيل 1991 - 2002

أ.م.د صباح نوري هادي العبيدي. م.احمد محمد جاسم الدايني
جامعة ديالى - العراق جامعة ديالى - العراق

الملخص:

بعد أن اعترفت تركيا اخذت سياسة تركيا تجاه إسرائيل مسارها بعد إقرار تركيا بإسرائيل عام 1949 اخذت هذه العلاقة مسارها في تطور تلك العلاقة بين البلدين ، في المجالات السياسية والإقتصادية والعسكرية وإقامة المشاريع في المجالات الزراعية والتجارية والصناعة وتبادل الخبرات لتكون أول بلد ذات اغلبية مسلمة يعترف بإسرائيل ، فقد ادت هذه العلاقات إلى أحداث توتر في علاقات تركيا مع الدول العربية و الاسلامية.

ومن أجل تنشيط العلاقات التركية - الإسرائيلية على كافة المجالات، فقد أبدى قادة الأترك استعدادهم لإتباع دبلوماسية نشطة في الشرق الأوسط في محاولة لتقليل المشاكل بين الدول العربية وإسرائيل.

كما عملت الحكومة التركية على تكييف سياستها الخارجية بشكل يتلائم مع الواقع الدولي والإقليمي وذلك بهدف تفعيل دورها الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي إعادة تشكيل سياستها حيال عدد من المشاكل الإقليمية.

Abstract :

Turkey recognized Turkey's policy toward Israel after Turkey's recognition of Israel in 1949. This relationship took its course in the development of the relationship between the two countries in the political, economic and military fields and the establishment of projects in the fields of agriculture, trade, industry and exchange of experiences to be the first country with a solid majority that recognizes Israel, These relations have led to tension in Turkey's relations with Arab and Islamic countries.

In order to revitalize Turkish-Israeli relations in all the magazines, Turkish leaders have shown their willingness to pursue active diplomacy in the Middle East in an effort to reduce the problems between Arab countries and Israel.

The Turkish government has also adapted its foreign policy to the international and regional realities in order to activate its regional role in the Middle East and thus reshape its policy towards a number of regional problems.

مقدمة:

اخذت سياسة تركيا اتجاه إسرائيل مسارها بعد إقرار تركيا بإسرائيل عام 1949 لتكون أول بلد ذات اغلبية مسلمة يعترف بإسرائيل ، لتحقيق أهداف لكل من البلدين وتطويرها في المجالات السياسية

والإقتصادية والعسكرية وإقامة المشاريع في المجالات الزراعية والتجارية و الصناعة وتبادل الخبرات ، فقد أدت هذه العلاقات إلى أحداث توتر في علاقات تركيا مع الدول العربية والإسلامية.

اهمية البحث : لقد جاء بحثنا الموسوم " سياسة تركيا تجاه إسرائيل 1991 - 2002 " للتعرف على طبيعة العلاقة بين البلدين وكيفية تطورها في كافة المجالات ، وتأثيرات و انعكاسات هذه العلاقة على طبيعة العلاقات التركية العربية الإسلامية ، لما لهذه الفترة من ميزات على الساحة الإقليمية والدولية .

مشكلة البحث: تتجلى بالاتجاهات التي تأخذتها سياسة تركيا تجاه إسرائيل لتحقيق أهدافها ومصالحها في كافة المجالات، وتتفرع هنا تساؤلات هي:

(1) ماهي خطوات تطور سياسة تركيا تجاه إسرائيل ؟

(2) ماهي اهم المجالات لبناء تلك السياسة ؟

(3) هل لقضية المياة دور في بناء تلك العلاقة؟

(4) ماهي طبيعة الأهداف لكلا من تركيا وإسرائيل لتطبيع العلاقة بينهم؟

اقتضت طبيعة الدراسة أن يقسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث واستنتاجات ،تناول المبحث الأول سياسة تركيا تجاه إسرائيل منذ الاعتراف التركي بإسرائيل عام 1949 وحتى عام 1991 ،وتطرق المبحث الثاني إلى العلاقات السياسية والعسكرية بين تركيا وإسرائيل 1991-2002 متناول أهم المحطات في تلك العلاقات، وكرس المبحث الثالث إلى العلاقات بين تركيا وإسرائيل الإقتصادية ،أما المبحث الرابع تطرق إلى اهمية قضية المياة واثرها على سياسة تركيا تجاه إسرائيل 1991 - 2002 .

اعتمد الباحث على العديد من المصادر المتنوعة وكان اهمها كتاب "التعاون التركي -الإسرائيلي" للمؤلف مصطفى طلاس ،دمشق ،1997، وكذلك كتاب "اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي - الإسرائيلي" للمؤلف صالح زهر الدين ،الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع ، فلسطين، 1999.

المبحث الأول:

- سياسة تركيا تجاه إسرائيل حتى عام 1991:

كانت بداية العلاقات التركية _الإسرائيلية عندما اعترفت تركيا رسمياً بإسرائيل في الثامن والعشرين من آذار 1949 ،وبذلك تكون أول دولة إسلامية تعترف به، وقد كان هذا الإعتراف واقعياً وهذا ما أكدته عصمت أينونو⁽¹⁾ زعيم حزب الشعب الجمهوري عندما قال في المجلس الوطني التركي الكبير "قد

(1)عصمت اينونو(1884-1973) تخرج من الأكاديمية العسكرية عام 1906، ولتحق بلجنة الاتحاد والترقي عام 1907 عمل رئيس اللاركان تحت قيادة مصطفى كمال على الجبهة الشرقية عام 1916، ترأس الوفد التركي لمفاوضات السلام في لوزان عين اول رئيس للحكومة في العهد الجمهوري (1923-1924)خلف مصطفى اتاتورك في رئاسة الجمهورية (1938-1950)استقال من حزب الشعب الجمهوري عام 1972.ينظر :اريك زوركر،تاريخ تركيا الحديث ،ترجمة :عبد الطيف حارس،ط1،دار المدار الاسلامي ،بيروت ،2013،ص519.

كونا علاقات سياسية مع إسرائيل التي نشأت منذ وقت قريب ونتمنى ان تكون هذه الدولة مصدر أمن واستقرار في الشرق الأوسط" (1)، اثار هذا الاعتراف اعتراض الدول العربية والإسلامية، إلا ان الأتراك برروا هذا الاعتراف، إذ قالوا إن تركيا اخر دولة من الدول الأوروبية اعترفت بإسرائيل، أن تركيا قد انتظرت حتى أصبح وجود إسرائيل حقيقة واقعية، ولم تكتف تركيا بهذا القدر، إذ قامت بالاعتراف القانوني الكامل بإسرائيل في كانون الثاني عام 1950، ونتيجة لذلك فقد قامت علاقات دبلوماسية بين تركيا وإسرائيل على مستوى سفارات، كان هنالك أسباب ظاهرة وكامنة قد دعت تركيا إلى الاعتراف بإسرائيل، وقد كان من بين تلك الأسباب دور جماعات الضغط اليهودية في تركيا بصورة عامة ودور يهود الدونمة بصورة خاصة، إذ تسيطر الاخيرة على وسائل الاعلام والاقتصاد التركي، وخاصة وإذا عرفنا ان اليهود الدونمة دورا واضحا في تأسيس حزب الشعب الجمهوري، أن هذا الحزب قد أعترف بإسرائيل عام 1949، كذلك إن تركيا رأت ظهور إسرائيل بالمنطقة العربية سيؤدي حسب إعتقاد القادة الأتراك إلى سيطرة تركيا على ميزان القوى بالمنطقة العربية والشرق الأوسط، بالإضافة إلى إعتبار إسرائيل عنصر توازن مضاد للأطماع السوفيتية في الإطار الإقليمي الجنوبي وحليف محتمل في إطار المنظومة الأمنية والسياسية الغربية في الشرق الأوسط (2).

قامت تركيا في التاسع من آذار 1950 بافتتاح أول سفارة لها في تل أبيب، وفي عام 1952 تم التحاق أول سفير تركي بمركز عمله في إسرائيل، وقد كان لهذه العلاقات الدبلوماسية النامية بين تركيا وإسرائيل، أثر كبير في توتر العلاقات بين تركيا والعرب (3).

كان لانحياز تركيا إلى الغرب أثره الحاسم في سياستها الإقليمية فبعد إعتراف تركيا بإسرائيل، إذا شهد عام 1954 وقوف تركيا إلى جانب الدول المحتجة على قرار منع مصر منع مرور السفن

(1) فاخر أرما أوغلو، تركيا والصراع العربي - الإسرائيلي، الجزء الثاني، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1993، ص256.

(2) مروة علي حسين، السياسة الخارجية التركية اتجاه المشرق العربي في عهد حزب العدالة والتنمية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة المستنصرية كلية العلوم السياسة، 2013، ص57.

(3) محمود عبد الرحمن خلف، سياسة تركيا الخارجية مع دول الجوار العربي (العراق - سوريا) 1980 - 1993، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة المستنصرية معهد القائد المؤسس، 2002، 98.

الإسرائيلية عبر قناة السويس، وفي حزيران عام 1954 وجه رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس⁽¹⁾ أثناء زيارته لواشنطن اللوم على العرب، وقال فيه قد حان الوقت للاعتراف بحق إسرائيل في الحياة⁽²⁾.

عملت تركيا على إنتهاج سياسة أكثر تحالفية مع إسرائيل وبصورة جدية، لذلك فقد وقعت تركيا عام 1958 مع إسرائيل معاهدة الميثاق الإطاري الذي أوصت به إسرائيل، ولقد كان هذا التحالف سريا وهو من بنات أفكار رئيس وزراء إسرائيل ديفيد بن غورين⁽³⁾.

وفيه سعت إسرائيل إلى تحسين علاقاتها بالبلدان المحيطة بدول الجوار لإسرائيل والتي تشمل تركيا وإيران من الشمال وإثيوبيا من الجنوب، ومثل هذا التعاون ذروة التعاون السياسي مع إسرائيل، قد كانت هنالك أحداث سياسية في المشرق العربي قد ساهمت في تعزيز العلاقات التركية-الإسرائيلية، منها الوحدة العربية بين مصر وسوريا عام 1958، لذلك أعربت تركيا عن خشيتها من قيام الدولة العربية الموحدة بقيادة جمال عبد الناصر على حدودها الجنوبية، لذلك فقد رأت إن إسرائيل هي القوة بوجه فكرة القومية العربية، كذلك شهد عام 1958 تعاون أمني بين تركيا وإسرائيل، عندما تم الإتفاق على تعاون شامل مابين المخابرات الإسرائيلية والمخابرات التركية والذي تطور إلى إتفاق رسمي ثلاثي باسم تزايدت بعد أن إنضمت إليهما المخابرات الإيرانية، ويسمح هذا الإتفاق للموساد بجمع المعلومات الإستخبارتية وتتبع حركات ونشاطات السوفيت في تركيا ودول المجاورة، وتدريب العملاء السريين الأتراك على أساليب وفنون التجسس المضاد، مقابل قيام تركيا بتزويد إسرائيل بمعلومات حول نوايا العربية إتجاه إسرائيل ومع سقوط حكومة عدنان مندريس انتهت تركيا من سياسة الحذر اتجاه قضايا الشرق الأوسط، بعد أن ظلت طوال ثلاثة عقود لاحقة تنتم إلى بمزيد من الحذر، كذلك كانت انقرة تحرص بصورة خاصة الابتعاد عن

(1) عدنان مندريس (1889-1961) ابن احد ملاكي الأراضي من ايدن، حارب في الحرب العالمية الاولى، دخل المعتزك السياسي عام 1930 كرئيس محلي لحزب الحر الجمهوري التابع لفتحي اوكيار، انتخب عضو في البرلمان عام 1931 وظل نائبا لمدة خمسة عشر عام وهو احد مؤسسي حزب الديمقراطي عين رئيسا للوزراء في المدة (1950-1960) اعتقل على اثر انقلاب عام 1960 وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم في السابع عشر من ايلول عام 1961. ينظر : اريكزوركر، المصدر السابق، ص522.

(2) مهدي صالح العبيدي، التحالف الإستراتيجي الصهيوني-التركي وأثره على الأمن القومي العربي، مجلة دراسات دولية مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد، العدد 9، بغداد، تموز 2000، ص105.

(3) وُلد في مدينة بلونسك البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمسة للصهيونية، هاجر إلى فلسطين عام 1906. امتهن بنغوريون الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي بنغوريون عندما مارس حياته السياسية، من طلائع الحركة العمالية الصهيونية في مرحلة تأسيس إسرائيل، ترأس مجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من الخامس والعشرين من كانون الثاني 1948 وحتى 1963 (باستثناء الأعوام 1953 حتى 1955)، فقد قاد بنغوريون إسرائيل في حرب 1948 التي يُطلق عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال، ويعد من المؤسسين حزب العمال الإسرائيلي، توفي في الاول من كانون الاول 1973. ينظر إلى الموقع الالكتروني التالي ديفيد بنغورين / <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

سياسة حلفائها في الناتو ،طوال الستينات والسبعينات والثمانيات من القرن الماضي (1) مع بداية الستينات من القرن الماضي بدأت تركيا بالتخفيف من سياستها المنحازة نحو الغرب وإسرائيل وتحسين العلاقات مع الدول العربية ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة :

- (1) الضغوط السياسية الداخلية بما فيها دور الاسلام المتزايدة في السياسة الانتخابية.
- (2) انعكاسات الأزمة القبرصية الأولى (1963-1964) بعد أن وجدت تركيا نفسها ليست معزولة فقط عن الدول العربية بل حتى الدول الغربية ذاتها وكذلك إسرائيل التي إختارت الوقوف إلى جانب اليونان في هذه المواجهة.
- (3) تراجع التيار الوحدوي العربي نتيجة الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة الوحدة بين مصر وسوريا.

كان نتيجة ذلك إدراك القادة الأتراك بأن المواقف التركية السابقة إتجاه القضايا العربية ،قد ساهم في فرض العزلة على تركيا ،مما دعاها إلى ضرورة إعادة النظر في هذا الدور والذي يقتضي تعاون تركي أقل مع الولايات المتحدة الأمريكية وموقفاً أكثر توازناً تجاه الصراع العربي- الإسرائيلي ،وفق سياسة متعددة الأطراف من أجل أن تحظى القضايا التركية القومية بتأييد من المجتمع الدولي (2) .

لذلك لم تسمح تركيا خلال حرب عام 1967 بين العرب وإسرائيل بإستخدام القواعد العسكرية التابعة لحلف شمال الأطلسي على أراضيها في إعادة تزويد إسرائيل بالسلاح ،كذلك لم تسمح تركيا بإستخدام تلك القواعد في عمليات حربية ضد الدول العربية ، ولذلك وقفت تركيا ضد الاحتلال الإسرائيلي للإراضي العربية ،ومع بداية السبعينات من القرن الماضي كان هناك تحول في السياسة الخارجية التركية إتجاه المنطقة العربية، وتزامن ذلك مع ظهور أزمة الطاقة وإرتفاع أسعار النفط عالمياً ،مما جعلها تفكر بالتقارب من الدول العربية ،المصدرة للنفط ،فضلاً عن نشوب الأزمة القبرصية ،مما جعل تركيا للمرة الثانية تتوجه نحو دعم الموقف العربي، فخلال حرب عام 1973 اعلنت تركيا دعمها لحقوق الشرعية للفلسطينيين، كما طلبت مرة أخرى من الولايات المتحدة الأمريكية بعدم إستخدام المنشآت العسكرية في تركيا لغرض تقديم دعم عسكري لإسرائيل ،لكن مع أواخر السبعينات من القرن الماضي حصل تغيير في السياسة التركية إتجاه إسرائيل ،إذ أصبحت تركيا أول دولة عضو في حلف شمال الأطلسي تقيم علاقات كاملة مع إسرائيل، إذا بدأت في أواخر السبعينات قيام الخبراء الأتراك والإسرائيليين تبادلاً غير معلن للمعلومات حول أهدافهما المشتركة ضد ما يسمى الإرهاب ،ولاسيما حول عمليات التدريب التي كانت

(1) فليبروبنس، تركيا والشرق الأوسط، ترجمة ميخائيل نجمخوري، دار قرطبة للنشر والتوثيق، قبرص، الطبعة الأولى ،

1993 ، ص96_97.

(2) فليبروبنس، المصدر السابق ، ص97.

تجري في لبنان والتي تربط بين منظمة التحرير الفلسطينية والأكراد ومنظمات تركية أخرى مناهضة للسلطة المركزية في تركيا (1).

وفي الرابع عشر من تموز 1980 تدهورت العلاقات التركية-إسرائيلية، إذ أغلقت تركيا قنصليتها في القدس وتم تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي في سفارتها في تل أبيب من القائم بالأعمال إلى سكرتير ثاني، قد جاء هذا القرار كرد فعل على قرار الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي في الثالث من تموز من العام نفسه، والذي إعتبر القدس الموحدة بكاملها هي عاصمة إسرائيل، وتبع ذلك جمود العلاقات الثقافية وإنكماش العلاقات الاقتصادية الثنائية، ولذلك فقد بين رئيس الوزراء سليمان ديميريل (2) هذا الموقف والذي يعبر عن رأي حكومته قائلاً "أن إعلان القدس عاصمة لإسرائيل هو خطوة على السلام، ومن جانبنا نشجب هذا الاجراء ونبدي عدم موافقتنا للرضوخ للأمر الواقع، وأن الاجراء الإسرائيلي هو عمل غير مسؤول ويتعارض مع القانون الدولي، لأن من شأنه أن يوجد حالة من عدم الإستقرار في المنطقة ويلحق الضرر بالجهود السلمية " ولكن بعد عامين عادت تركيا بإتباع نهجها المعروف بإتباع خطوة بإتجاه العرب وخطة بإتجاه إسرائيل، وهكذا إمتنعت تركيا عن التصويت في شباط 1982 ضد قرار إدانة إسرائيل في الأمم المتحدة وإعتبر ضمها لمرتفعات الجولان أمر غير قانوني (3). في عام 1986 بدأت تركيا بتوجيه أهتمامها إلى عملية التقارب مع إسرائيل، تم إحياء إتفاق التبادل واستعادة التنسيق في مجال الأمن والاستخبارات والمعلومات، إذ وقع الجانبان على برنامج تعاون سري بينهما حول تطوير الطائرات من نوع (F.4) بتكلفة 400 مليون دولار في مواجهة سوريا التي ترى فيها تركيا تهديداً فيما يتعلق بلواء الأسكندرونة ودعم حزب العمال الكردستاني والأرمن، وكذلك شهد عام 1986 أيضا رفع تركيا درجة تمثيلها الدبلوماسي في تل أبيب من سكرتير ثاني إلى وزير مفوض، وقد أنعكست هذه التطورات السياسية في العلاقات بين الطرفين في أواخر الثمانينات من القرن الماضي إلى زيادة التبادل التجاري بين البلدين خلال عامي 1987-1988 بنسبة 47% أي أنها ازدادت من (367.61) مليون دولار عام 1987 إلى (635.90) مليون دولار عام 1988، كما ازدادت عدد الشركات الإسرائيلية الخاصة العاملة في تركيا من أربع شركات عام 1984 إلى تسع شركات عام 1988 (4).

(1) محمد نورالدين، تركيا في الزمن المتحول وصراع الخيارات، مكتبة رياض الريس، بيروت، 1997، ص263.

(2) ولد عام 1920 في مقاطعة اسبارطة تخرج مهندسا وكان مسؤول عن برنامج السدود في عهد مندريس، أصبح امين عام حزب العدالة عام 1964، عين رئيس لحكومة خمسة مرات منع من العمل السياسي عام 1980، ثم أصبح الرئيس التاسع للجمهورية في تركيا (1993-2002) توفي في تموز 2015. ينظر: اريكزوركر، المصدر السابق، ص514.

(3) مروة علي حسين، المصدر السابق، ص63.

(4) المصدر نفسه، ص67.

مع بداية التسعينات حدثت تطورات دولية جعلت تركيا تستأنف علاقاتها مع إسرائيل على مستوى السفراء، ومنها إنهيار الإتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ولذلك فقد حاولت تركيا أن تستغل الوضع الدولي المتغير في إعادة تعزيز علاقاتها بإسرائيل في ميادين متنوعة، ولاسيما مخطط بيع مياه الشرب لإسرائيل وتحقيق ذلك باستثمار الأنهار التركية، فبإنهاء الحرب الباردة وإنهيار الإتحاد السوفيتي وبدء حرب الخليج الثانية، دعت تركيا إلى أهمية تسوية القضية الفلسطينية، وفي تحقيق السلام والإستقرار الإقليميين في الشرق الأوسط، وعبرت عن إستعدادها للإسهام في حل هذه القضية عن طريق إستضافة أي مؤتمر دولي أو إقليمي يتقرر عقده بشأن الصراع العربي_الإسرائيلي، وجاء ذلك ضمن النظرة الأمريكية التي تريد أن تؤدي تركيا دوراً محورياً في المنطقة العربية، سواء على صعيد العلاقات العربية_التركية أو التركية_الإسرائيلية، وضمن تلك النظرة الأمريكية التي تسعى إلى تطوير وتحسين العلاقات التركية_الإسرائيلية بعد حرب الخليج الثانية، وكان لوجود التنسيق بين إسرائيل وتركيا في مجال مكافحة الإرهاب، بأن قامت إسرائيل بتزويد تركيا بوثائق تدل على وجود علاقة بين الجماعات التركية المعارضة ومنظمة التحرير الفلسطينية، إذ حصلت هذه الجماعات على تدريب ومعدات عسكرية مختلفة في المعسكرات التابعة للمنظمة التركية إلى سارية في السابق، بالإضافة إلى زوال الاستقطاب الدولي بإنهيار الإتحاد السوفياتي (1).

المبحث الثاني:

– العلاقات السياسية والعسكرية بين تركيا وإسرائيل

1991 – 2002 مع انتهاء حرب الخليج الثانية في آذار 1991، تم عقد مؤتمر مدريد في الثلاثين من تشرين الأول من العام نفسه بين الدول العربية وإسرائيل لتحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام، فقد رحب المسؤولون الأتراك بانعقاد المؤتمر واعدوه خطوة على طريق تحقيق السلام، إذ قامت تركيا برفع درجة التمثيل الدبلوماسي للمنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في أنقرة إلى مستوى السفارة في التاسع عشر من كانون الأول 1991 (2).

في عام 1992 شهد سياسة تركيا تجاه إسرائيل تطوراً ملحوظاً، ويمثل هذا التطور بالعديد من المحطات كان أبرزها زيارة الرئيس الإسرائيلي حاييم هيرتزوج (3) إلى تركيا في تموز 1992، وشهد

(1) محمد نورالدين، المصدر السابق، ص 267.

(2) خليل إبراهيم الناصري، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية-التركية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، طبعة الأولى، 1990، ص 137.

(3) حاييم هيرتزوج (17 ايلول 1918 – 17 نيسان 1997)، سياسي وعسكري إسرائيلي وهو الرئيس السادس لإسرائيل، ولد في إيرلندا الشمالية لعائلة يهودية محافظة. هاجر إلى فلسطين سنة 1935 والتحق بفرقة الهاجانا، درس الحقوق في معهد الحقوق في القدس ثم التحق بالجيش البريطاني وأصبح ضابط إستخبارات، شارك في حرب فلسطين

العام نفسه زيارة وزير السياحة التركي لأول مرة إلى إسرائيل للحديث عن مشاريع سياحية مشتركة بين مصر وتركيا وإسرائيل في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط⁽¹⁾؛ كذلك شكل توقيع إتفاق أوسلو⁽²⁾ في عام 1993 بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عامل دفع لعلاقات تركيا وإسرائيل، مما سمح لتركيا إنهاء مبدأ التوازن إتجاه القرارات الخاصة بالصراع العربي_الإسرائيلي وأراح صانعي القرار في تركيا من حسابات مطولة لكل خطوة يخطوها إزاء المنطقة العربية، كما أدى هذا الإعتراف إلى تقليص ضرورة إتباع الحذر في الموازنة بين إسرائيل والدول العربية، كما مكنها من عملية تطوير سريع لسلسلة طويلة من أشكال التعاون الواسع والبعيد المدى في مختلف الأصعدة العسكرية والإقتصادية والسياسية مع إسرائيل، كما أن إتفاقية وادي عربة⁽³⁾ عام 1994 قد فتحت الطريق أمام تحول ملحوظ في السياسة الخارجية التركية إزاء إسرائيل بحيث شكل عامل مسهل حمى الحكومة التركية من نقد الرأي العام التركي والعربي، وبذلك لم تعد علاقاتها المتطورة مع إسرائيل تسبب الحرج الذي كانت تجد نفسها فيه السابق، إذ لم تعد الدولة المسلمة الوحيدة التي تعترف بإسرائيل مع إعتراف كل من مصر والأردن ومنظمة التحرير

كضابط في الجيش الإسرائيلي، شغل منصب رئيس جهاز أمن بين 1949 و1950 (وقد كان وقتئذ يسمى قسم الإستخبارات)، وبين 1959 و1962 تدرج في الرتب العسكرية ليحال على التقاعد سنة 1962 في رتبة ميجر جنرال، اشتغل بعد ذلك في الأعمال الحرة، بعد حرب 1967 عين كحاكم عسكري في الضفة الغربية، بين 1975 و1978 شغل منصب مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة عام 1981 أنتخب كعضو في الكنيست عن حزب العمل، وفي الخامس من ايار 1983 أنتخب رئيساً لإسرائيل خلفاً لبيتسحاق نافون. قام أثناء توليه المنصب بأول زيارة يقوم بها رئيس إسرائيلي لألمانيا والصين، توفي في 17 نيسان 1997 ودفن في جبل هرتسل. يعتبره المسؤول الأكبر عن تنفيذ هدم حي المغاربة الملاصق لحائط البراق. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي https://ar.wikipedia.org/wiki/حاييم_هيرتزوج

⁽¹⁾مصطفى طلاس، التعاون التركي -الإسرائيلي، دمشق، 1997، ص40.

⁽²⁾ تعتبر إتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13 / أيلول 1993، أول إتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. ينظر إلى الموقع الإلكتروني التالي https://ar.wikipedia.org/wiki/اتفاق_أوسلو

⁽³⁾ معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية ما يشار إليه باسم معاهدة وادي عربة، هي معاهدة سلام وقعت بين إسرائيل والأردن على الحدود الفاصلة بين الدولتين والمارة بوادي عربة في 26 تشرين الاول 1994، طبعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين وتناولت النزاعات الحدودية بينهما، وترتبط هذه المعاهدة مباشرة بالجهود المبذولة في عملية السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. بتوقيع هذه المعاهدة أصبحت الأردن ثاني دولة عربية بعد مصر وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، طبع علاقاتها مع إسرائيل. نظراً للظروف الصعبة التي كان يمر بها الأردن من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية كان عقد معاهدة السلام مع إسرائيل خياراً استراتيجياً لضمان عدم خسارة مزيد من أراضي المملكة. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي https://ar.wikipedia.org/wiki/اتفاق_وادي_عربة

الفلسطينية قانوناً عبر إتفاقيات السلام ودخول دول متشددة مثل سوريا مفاوضات تسوية مع إسرائيل⁽¹⁾. تعد زيارة رئيسة الحكومة التركية تانسو تشيللر⁽²⁾. إلى إسرائيل في الثالث من تشرين الثاني 1994 نقطة تحول في العلاقات الثنائية ومنعطفاً جديداً لتلك العلاقات، ليس فقط لكونها أول زيارة لمسؤول تركي على هذا المستوى منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بينهما، كما تم توقيع إتفاقيات تعاون ثنائية بينهما في مجالات التعاون العسكري والاتصالات والبريد، بالإضافة إلى البحث في مشروع المياه السلام لنقل المياه من تركيا عبر أنابيب تمر ببعض الدول العربية إلى إسرائيل، وقد كان لهذه الزيارة آثار سياسية كبيرة ولذلك فقد شكر رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين⁽³⁾ رئيسة الوزراء التركية تانسو تشيللر على اتخاذ خطوة لم يجرؤ أي رئيس وزراء تركي على اتخاذها، وهي زيارة إسرائيل، لذلك بدأت تركيا منذ عام 1995 بإنتهاج أسلوب جديد والذي يتمثل بإقحام وإشراك إسرائيل كأسلوب في تعاملها مع سوريا وكذلك العراق عن طريق تعاونهما في المجال العسكري، وفي مجال مكافحة الإرهاب وتوظيف هذا التعاون كوسيلة ضغط على سوريا بوجه خاص، حتى تشعر سوريا أن ليس لديها القوة الكافية لإثارة نزاع مع تركيا بشأن مياه نهر الفرات أو لواء الاسكندرونة⁽⁴⁾.

في شباط 1995 رحب الجانب الإسرائيلي بزج تركيا له في الصراع التركي السوري على المياه لذلك فقد أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيريز⁽⁵⁾ "أن دون حل مشكلة المياه لن يكون هناك أي

(1) مصطفى طلاس، المصدر السابق، ص41.

(2) تانسو تشيللر: مواليد اسطنبول ولدت في 23 تشرين الاول 1946، وهي سياسية واقتصادية تركية، تانسو كانت أول امرأة تتولى منصب رئيس وزراء في تاريخ تركيا الحديث، بعد التدريس في الجامعات عملت كأستاذة، دخلت السياسة تشيللر في تشرين الثاني 1990، وانضمت إلى حزب الطريق القويم المحافظ، انتخب لأول مرة عضو في البرلمان عام 1991 عن مدينة اسطنبول وشغلت منصب وزير الدولة المسؤول عن الاقتصاد، كما شغلت أيضا منصب وزير الشؤون الخارجية التركي ونائب رئيس الوزراء بين عامي 1996 و 1997، وبعد هزيمتها في انتخابات تشرين الثاني 2002، تقاعدت من الحياة السياسية. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي تانسو تشيللر / <https://ar.wikipedia.org/wik>

(3) إسحاق رابين: ولد في الأول من اذار 1922 وهو سياسي إسرائيلي وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي ورئيس وزراء إسرائيل، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية وأحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية، العسكرية والأمنية في إسرائيل، وهو خامس رئيس وزراء إسرائيلي، وتقلد هذا المنصب في فترتين، الأولى من 1974 إلى 1977 والثانية من 1992 انتهت بإطلاق الرصاص عليه ومقتله في 4 تشرين الثاني 1995 على يد قاتل يهودي اسمه إيجالعامير، ليصبح رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الوحيد الذي يقضي اغتيالاً. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي إسحاق رابين / <https://ar.wikipedia.org/wik>

(4) محمد نور الدين، المصدر السابق، ص203.

(5) شمعون بيرس: ولد في الثاني من اب 1923، كان سياسياً وشخصية عامة إسرائيلية، شغل منصب رئيس الدولة وهو منصب فخري في إسرائيل من 15 تموز 2007 وحتى 24 تموز 2014، كما تولى رئاسة وزراء إسرائيل مرتين، الفترة

إتفاق أو حل يمكن لسوريا من الحصول على المياه من تركيا وأن نحفظ نحن بجميع مصادر المياه التي تحت سلطتنا" وبذلك ندرك بأن من أهداف التقارب التركي مع إسرائيل هو عرقلة أو تأجيل التوصل إلى تسوية بين سوريا وإسرائيل بشأن الجولان لأن هذا لا يخدم المصالح التركية إلى حين إستكمال مشروع جنوب شرق الأناضول يعرف اختصاراً باسم "غاب" هو مشروع تنموي اقتصادي لمنطقة جنوب شرق الأناضول في تركيا يهدف إلى توسيع الرقعة الزراعية وتوليد الكهرباء عبر بناء (21) سد ونفق على مجري نهر الفرات ودجلة، وبتكلفة (32) مليار دولار أمريكي، كما يضم المشروع (17) محطة توليد طاقة كهربائية من الماء، ويتوقع أن تلبى تلك المحطات 22% من احتياجات تركيا للطاقة عام 2010 وبذلك يكون المشروع من أكبر مشاريع سلاسل توليد الطاقة في العالم⁽¹⁾.

منذ أواخر عام 1995 بدأت تركيا تستعين بإسرائيل من أجل تدعيم علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، ففي شباط 1996 أصدر شمعون بيرز رئيس الوزراء الإسرائيلي تعليماته إلى جميع سفراء إسرائيل في أوروبا بالتركيز على شرح مدى أهمية الإتفاق الجمركي بين الإتحاد الأوروبي وتركيا، في محاولة إسرائيلية لتقريب تركيا للغرب، ومن أجل ضمان المصالح الإسرائيلية في تركيا، لذلك فقد أثمرت الجهود التركية - الإسرائيلية، خلال المدة ما بين عامي 1991-1997 عن تطورات حقيقية في العلاقات السياسية والإقتصادية والعسكرية ما بين البلدين، إذ شهدت إنطلاقة جديدة في حجم ونوع العلاقات العسكرية بينهما، إذ دخلت العلاقات العسكرية التركية - الإسرائيلية مرحلة جديدة من التطور مع توقيع الطرفين إتفاق العسكري في الثالث والعشرون من شباط 1996، إبان زيارة رئيس

الأولى من عام 1984 إلى 1986، والثانية لسبعة أشهر بين 1995 إلى 1996 بعد إغتيال إسحق رابين، إنخرط مبكراً في الشأن العسكري، فكان مسؤولاً في منظمة الهاجاناه الصهيونية المسلحة عن الموارد البشرية وشراء العتاد - وهو الدور الذي إستمر بلعبه في مناصب لاحقة، وعمل مع دافيد بنغوريون وليفي أشكول من أهم الزعامات الصهيونية في فلسطين أثناء فترة الإنتداب البريطاني، وبعد تأسيس دولة إسرائيل عُيّن مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية وعمره 29 عاماً، فاهتم بتقوية العلاقات العسكرية مع فرنسا، فنسّق ببريس التعاون العسكري مع فرنسا للسيطرة على قناة السويس التي كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر قد أممها، في ما عُرف بالعدوان الثلاثي على مصر في تشرين الأول 1956، كما سبّر العلاقة مع الحكومة الفرنسية مؤسس للبرنامج النووي الإسرائيلي في ديمونة، وصناعات الفضاء الإسرائيلية والعمل من أجل تجنيد الاموال اللازمة لتحقيق هذه المشاريع، كما أدى ببريس دوراً محورياً في الحياة السياسية الإسرائيلية، فشارك بتأسيس مجموعة من الأحزاب وكان رئيساً لحزب العمل لأطول مدة 15 عاماً من 1977 حتى 1992. وكان عضواً في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) لمدة 5 عقود، متقلداً عدّة وزارات ومناصب عليا في الدولة، كما أنه أحد مهندسي المفاوضات مع الفلسطينيين ومع الأردن توفي في ايلول 2016. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي شمعون بيرس / <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(1) صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي - الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع فلسطين، 1999، ص56.

الأركان التركي جوبق بر لإسرائيل والتي لم يتم الإعلان عن هذا الإتفاق إلا بعد زيارة الرئيس سليمان ديميريل لإسرائيل في آذار 1996، ومن الجدير بالذكر إن هذا الإتفاق لا يزال يكتنفه الغموض، فبالرغم من أنه يتعين عرض كافة الإتفاقيات التركية على لجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان طبقاً للدستور، إلا أن هذا الإتفاق تم توقيعه بالخفية عن هذه لجنة تحت ذريعة الإجراءات الأمنية التي تشمل الإتفاقيات العسكرية لحماية أمن البلاد واستقرارها، إذ مرت هذه المسألة بهدوء دون إحاطة البرلمان بشيء مما حدث لذلك شكل هذا الإتفاق نقله نوعية متطورة في علاقات الجانبين (1).

وشكل الدعم التقني والاستخباراتي الإسرائيلي لتركيا أهمية بالغة، لأن بهذا الدعم تصبح تركيا قوة عسكرية اقليمية فاعلة في المنطقة تخدم المصالح الإسرائيلية الإستراتيجية في الإبقاء على الخلل في التوازن الإستراتيجي القائم بين العرب وإسرائيل لصالح الأخيرة، وهذا ما أكده الخبير الإسرائيلي يحزقال أحد مخططي السياسة الإسرائيلية "إن التحالف بين تركيا وإسرائيل يمثل ضمانة أكيدة لمنع بروز أي قوة عربية مناهضة لمصالح إسرائيل في المستقبل، وتنسجم هذه الأهداف في الوقت ذاته مع رغبات تركيا في مجال تحويلها إلى قوة إقليمية مؤثرة في المنطقة" (2).

وفي آب 1996 تم تبادل الزيارات بين كبار المسؤولين العسكريين من الطرفين بشكل مكثف مما تمخض عنه توقيع العديد من الإتفاقيات بخصوص تطوير التعاون في مجالات التدريب وتبادل المعلومات وإجراء مناورات عسكرية المشتركة والتصنيع الحربي المشترك، لذلك وقع الجانبان إتفاق عسكري وإستراتيجي في الثامن والعشرون من آب 1996 إتفاق بشأن تحديث 54 طائرة (أف4) وهو مشروع مدته خمس سنوات وتبلغ قيمته (632) مليون دولار، والذي يقضي أيضا بتحديث وتطوير الأجهزة الإلكترونية وأنظمة الملاحة والرادار لـ65 طائرة حربية تركية من قبل شركات الصناعات الجوية الإسرائيلية، كما تم تشكيل المنتدى الأمني للحوار الإستراتيجي بين تركيا وإسرائيل في كانون الثاني 1997 والذي يدعو إلى إقامة آلية مشتركة لرصد الأخطار التي تهددهما وتحدد سبل مواجهتها ويتضمن ذلك تبادل المعلومات الأمنية والإستراتيجية التي تحصل عليها الأجهزة الأمنية التركية والإسرائيلية التي تخص القضايا الإقليمية، ويمتد نشاط هذا الحوار إلى إقامة أجهزة رصد وتنصت الإلكترونية على حدود تركيا مع كل من سوريا والعراق وإيران (3)؛ من الجدير بالذكر أن كل هذه الإتفاقيات قد تمت بعد تسلم

(1) عماد الضميري، تركيا والشرق الأوسط، دار طلاس، دمشق، 2001، ص111.

(2) أنوار عبد جليل هاشم، التعاون التركي - الإسرائيلي، وأثره على العلاقات التركية - العربية، مجلة العرب والمستقبل العدد3، الجامعة المستنصرية، بغداد، ص42.

(3) خليل إبراهيم أحمد، الإتفاق التركي-الإسرائيلي جنوره وطبيعته ومخاطره على الأمن القومي العربي، مركز دراسات تركية، جامعة الموصل، 1996، ص28.

نجم الدين أريكان⁽¹⁾ رئاسة الحكومة في المدة من حزيران 1996 إلى حزيران 1997، بالرغم من أن أريكان زعيم حزب الرفاه من المعادين لإسرائيل والغرب، ومن دعاة التقارب مع العالم الإسلامي ولكن التيارات السياسية العلمانية بصورة عامة والمؤسسة العسكرية التركية بصورة خاصة، قد مارست ضغوطها على النخب الحاكمة، من أجل تنشيط العلاقات مع إسرائيل، لتتوافق مع رؤيتها الذاتية بتأهيل لأداء دور إقليمي أكبر في إطار التعاون مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁾.

بذلك نتبين أنه خلال فترة حكومي تشيللر - أريكان تسارعت وتيرة الزيارات المتبادلة بين قيادات الجيش التركي ونظيره الإسرائيلي، ولقد سببت تلك الزيارات الإحراج لحكومة أريكان التي دعا رئيسها علناً إلى قطع تلك الصلات مع إسرائيل، وبزيادة توثيق الصلات مع الدول العربية، حاول الجنرالات في تركيا السياسة الخارجية إلى لعبة سياسة داخلية⁽³⁾.

ومنذ عام 1997 إتجهت تركيا إلى تعميق علاقات التصنيع العسكري مع إسرائيل، إذ أصبحت هذه العلاقة أحد مداخل تركيا لرفع كفاءة وفاعلية قواتها المسلحة من خلال الإهتمام بالجانبين الكيفي والتكنولوجي للمنظومة العسكرية وتطوير التكنولوجيا العسكرية التركية، ولذلك فقد شهدت المشروعات العسكرية المشتركة تطوراً ملحوظاً، إذ أبرم البلدان (14) إتفاقاً في هذا المجال عام 1997، ومشروعات مهمة أعلن عنها في كانون الثاني 1998، وفي مقدمتها تحديث واسع لسلاح الطيران التركي وتبلغ تكلفته 600 مليون دولار، بهدف تحديث التأهيل القتالي لـ 54 من طائرات الجو التركي من طراز أف-4 بواسطة خبراء ومدربين إسرائيليين وأمريكيين، ويحظى هذا البرنامج بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية الأمريكية، كذلك تم الإتفاق على إجراء مناورات بحرية وجوية مشتركة ولقد كان أكبرها مناورات ذئب البحر ولقد جرت لمدة شهر منذ بداية وحتى نهاية شهر حزيران 1998، والتي امتدت من بحر إيجه وحتى حدود المياه الإقليمية السورية مروراً بالمجالين الجوي والبحري لقبرص، ولقد شاركت فيها سفن وطائرات حربية تركية (أف-4) وإسرائيلية، وقد شهدت المناورات في اليوم التالي لبدايتها إختراق الطائرات التركية الإسرائيلية للمجال الجوي اللبناني قبل هبوطها في إحدى القواعد العسكرية التركية، ولقد أثارت هذه

⁽¹⁾ نجم الدين أريكان : ولد عام 1926، تخرج كـمهندس عام 1948، انتخب عضو في البرلمان كـمستقل عام 1969، اسس عام 1970 حزب النظام القومي ذات توجهات إسلامية اغلق الحزب عام 1971، اصبح عام 1973 نائب رئيس الحكومة، ومنع من مزاولت السياسة بعد انقلاب عام 1980، ثم بعد عام 1987 ترأس حزب الرفاه الذي أصبح في أوائل التسعينات من القرن الماضي أكبر أحزاب تركيا، أصبح رئيس للوزراء في حزيران 1997 كاول رئيس حكومة إسلامي للجمهورية التركية، إستقال عام 1997 تحت تأثير قوي من قبل الجيش، ومنع من مزاولت الحياة السياسية عام 1998، توفي في شباط 2011. ينظر :منال صالح، نجم الدين أريكان ودوره في السياسة التركية 1969-1997،الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 2012، ص40-49.

⁽²⁾ خليل إبراهيم احمد، المصدر السابق، ص32.

⁽³⁾ خليل إبراهيم احمد، المصدر السابق، ص34.

المناورات تكهنات وهواجس الدول العربية ولاسيما سوريا، إذ أنها تعد بمثابة رسالة تحذير وتهديد موجهة من طرفي التحالف إلى سوريا (1).

أما بخصوص التعاون الأمني بين تركيا وإسرائيل فقد أبرم الطرفان في أنقرة في نيسان 1998 إتفاق تقدير المخاطر الذي ينص على أن يتم التقدير المشترك للمخاطر كل ثلاثة أشهر على مستوى الفنيين، وكل ستة أشهر على مستوى وزراء الدفاع و رؤساء الأركان، كما تم أيضا عقد إتفاقية أمنية بين كل من تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ونصت على تعاون أجهزة المخابرات في الدول الثلاث لمواجهة ما أسموه التطرف الديني والتوأم مع السياسة الأمريكية في المنطقة، إذ تعاني كل من تركيا وإسرائيل من مشكلات أمنية في أكثر من اتجاه، ففي تركيا هناك حرب شبه مستمرة بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني (2)، كذلك هناك العنف المرتبط بالمنظمات اليسارية التركية، فيما تواجه إسرائيل المنظمات الفلسطينية ولاسيما منظمتي حماس والجهاد الإسلامي فضلاً عن عناصر من حزب الله اللبناني وعملياته المستمرة شبه اليومية في المنطقة التي تحتلها إسرائيل في جنوب لبنان، إذ كانت تركيا تأمل من تلك الإتفاقيات أن تستفيد من الدعم والخبرة الإسرائيلية في مواجهة الحركات والمنظمات داخل أراضيها مع التأكيد على تماثل التحدي الذي يواجه كل من تركيا وإسرائيل في هذا المجال والذي أسفر عن دور كبير أداه جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد في إلقاء القبض على زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان (3) في عام 1999 (1).

(1)نوار عبد جليل هاشم، المصدر السابق، ص47.

(2)حزب العمال الكردستاني: يعرف PKK هو جماعة مسلحة كردية يسارية ذات توجهات قومية كردية وماركسية لينينية تهدف لإنشاء دولة كردستان المستقلة، نشأ الحزب في السبعينيات في القرن الماضي وتحول بسرعة إلى قوة مسلحة بزعماء عبدالله أوجلان، وحول منطقة جنوب شرق تركيا إلى ساحة حرب في عقدي الثمانينيات والتسعينيات، يتبع الحزب كل من حزب الحياة الحرة الكردستاني في كردستان إيران وحزب الاتحاد ويمثلها الديمقراطي في كردستان السورية وحزب الحل الديمقراطي الكردستاني في كردستان العراق ويمثله حزب سياسي في تركيا منذ 2008 يسمى حزب السلام والديمقراطية، يصنف حزب العمال كمنظمة إرهابية على لوائح الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي وتركيا وإيران وسوريا وأستراليا. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي حزب العمال الكردستاني / <https://ar.wikipedia.org/wik>

(3)عبد الله أوجلان: ولد في الرابع من نيسان 1948، هو مؤسس وأول قائد لحزب العمال الكردستاني عام. بدأ نشاطا عسكريا عام 1984 تخلله عدة محاولات للسلام مع الحكومة التركية وللهدنة، إحداهما في آب 1998، وفي ذات الفترة انتقل أوجلان تحت ضغوط الحزب والحكومة التركية من منفاه في سوريا إلى روسيا ثم إيطاليا ثم اليونان ثم وصل إلى السفارة اليونانية في نيروبي في كينيا، حيث أعتقل وأرسل إلى تركيا في شباط 1999 في عملية أثارت سخطا كرديا حول العالم وأنهت الهدنة الأخيرة، وحوكم أوجلان في تركيا في الثامن والعشرين من نيسان 1999 بتهمة الخيانة العظمى لتركيا وفقا للمادة 125 لقانون العقوبات التركي. وقد حكم عليه بالإعدام في التاسع والعشرين من تموز 1999 لقيامه بتأسيس وإدارة منظمة إرهابية مسلحة، وفي عام 2002، قامت تركيا بتحويل حكم إعدام أوجلان للسجن المؤبد ضمن سياسة إلغاء عقوبة

لم تكن إسرائيل بعيدة عن الفكرة التي طرحتها تركيا لإقامة حزام أو منطقة أمنية في شمال العراق كجزء من ترتيبات متفق عليها مسبقاً مع الإدارة الأمريكية للإبقاء على الوضع مضطرباً في هذه المنطقة فقد ترددت معلومات في حزيران 1998 عن إقامة إسرائيل أجهزة تنصت إلكترونية في تركيا لرصد أي تحركات عسكرية في سوريا وإيران وجمع المعلومات عنها مقابل مساعدة إسرائيل لتركيا في تجهيز المنطقة الأمنية عنها في شمال العراق، وقد شهد الفترة 1997-1999 تطور على صعيد العلاقات التركية-الإسرائيلية، ففي عام 1998 فقد تسارعت خطى ترسيخ العلاقات التركية-الإسرائيلية، إذ تم التوصل الوضع مجموعة من الخطط المشتركة على المستويات الإستراتيجية ومخابراتية وإنتاجية وتسليحية، كذلك نفس العام تبادل الزيارات بين العديد من المسؤولين من الطرفين في الجانب العسكري والسياسي، ولقد أتاحت تلك الزيارات المتبادلة عن تطوير التعاون بينهما، إذ إتفق الجانبان على أربع مشاريع أعلن عنها في أيلول 1998 وومن بينها فوز الشركات الإسرائيلية في العاشر من أيلول 1998، بصفقة قيمتها 75 مليون دولار لتحديث 48 طائرة أف-5 تركية، والإتفاق الثاني على تنفيذ مشروع قيمته 4 مليارات دولار من أجل إنتاج 145 طائرة عمودية هجومية، كما إتفق الجانبان على تزويد تركيا بصفقة صواريخ إسرائيلية أرض-جو بقيمة 100 مليون دولار، أما الإتفاق اعتزامهما دراسة امكانية الإنتاج المشترك لسفن الحربية الإسرائيلية في تركيا، كذلك شهد عام 1998 مشروع وقعت بشأنه مذكرة تفاهم إبان زيارة وفد من وزارة الدفاع الإسرائيلية لتركيا في تشرين الأول 1998، أعلن عن بدء تنفيذها في الثاني من تشرين الثاني 1998 والذي يتعلق بإنتاج مشترك للطائرات صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية لتتصبها تركيا فوق أراضيها وفقاً للتكنولوجيا المستخدمة في إنتاج صواريخ غيتس السهم وتطويرها بمشاركة إسرائيلية وأمريكية وكذلك وفي إطار هذا التحالف الإستراتيجي التركي-الإسرائيلي، فقد قام الطرفين بمناورات بحرية إسرائيلية تركية والتي جرت تحت اسم حورية البحر المتمكنة في شرق البحر الأبيض المتوسط في كانون الأول 1998، بمشاركة الأردن كمراقب، ولقد كان الهدف من هذه المناورات حسب الجانب الإسرائيلي هو ما أشار إليه الخبير الإسرائيلي أفرييم أنبار "إن هذه المناورات ترسل إشارة إلى الدول المتشددة في المنطقة بأن هناك تحالفاً قوياً بين إسرائيل وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية ويجب أن تخشاه"⁽²⁾.

أيضا تصاعدت الدعوات الإسرائيلية والتركية لقيام تحالف تركي-إسرائيلي، يضم بعض الدول العربية إليه بدعم أمريكي واضح، فأثناء زيارة وزير الخارجية التركي اسماعيل جيم إلى القاهرة في الحادي والعشرين من كانون الأول 1998، دعا إلى إقامة منتدى الحوار والهادف إلى إقامة جسر من التعاون

الإعدام في تركيا، ومحاولة التلازم مع قوانين للاتحاد الأوروبي، وهو محبوس في سجن إمالالان. ينظر: إلى الموقع

الإلكتروني التالي عبد الله أوجلان / <https://ar.wikipedia.org/wik>

(1) جلال عبدالله معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية-التركية، القاهرة، 2002، ص256،

(2) ممدوح عليمي، عوامل وجوانب تطور العلاقات التركية-الإسرائيلية في التسعينات، القاهرة، 2003، ص135-136.

بين تركيا ودول الجوار الجغرافي، في إطار مساعي تركيا للتوصل إلى ترتيبات أمنية في المنطقة، ولكن هذه المبادرة التركية أثارت قلقاً كبيراً وخصوصاً بعد قيام التحالف الإستراتيجي بين تركيا وإسرائيل⁽¹⁾. كما دعى بنيامين نتانياهو⁽²⁾ أثناء زيارة مسعود يلماز⁽³⁾ إلى إسرائيل في كانون الثاني 1999 إلى "توسيع نطاق العلاقات ما بين تركيا وإسرائيل في المجالات المختلفة وخصوصاً العسكرية باعتبارها المحور الأساسي في منطقة الشرق الأوسط وخطوة مهمة لتحقيق الاستقرار الإقليمي"، وبداية محور جديد يضم تركيا وإسرائيل والأردن، ولذلك فقد جاءت زيارة مسعود يلماز للأردن لبحث امكانية التعاون العسكري بين الجانبين، ولقد جاءت هذه الزيارة قبيل اشتعال الأزمة السورية-التركية في عام 1998، ضمن جهود يلماز لإقناع الأردن في المشاركة في التحالف التركي-الإسرائيلي بإعتبار أنه لإستهداف أي دولة ثالثة⁽⁴⁾.

في عام 1999 واصلت العلاقات التركية-الإسرائيلية تطورها السابق بالرغم من المواقف الرسمية التركية التي تدعي أن علاقاتها في المجال العسكري ليس موجهة ضد طرف ثالث، ففي الثاني من شباط 1999 قام وفد عسكري إسرائيلي برئاسة ديفيد أيفري مستشار وزير الدفاع والمسؤول عن

(1) وليد رضوان، العلاقات العربية-التركية، ط1، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص270.

(2) بنيامين نتانياهو: ولد في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1949، هو رئيس وزراء إسرائيل (حاليا) من الحادي والثلاثون من اذار 2009، وكان قد تولى قبل ذلك رئاسة الوزراء في الفترة من 1996 إلى 1999، رئيس حزب الليكود الإسرائيلي وكان سفير إسرائيل في الأمم المتحدة، يعد أصغر رئيس حكومة في تاريخ دولة إسرائيل، فاوز ياسر عرفات في المفاوضات المشهورة بمفاوضات وايريفر والتي يرى البعض أنه حاول إعاقة أي تقدم في سير المفاوضات بخلاف رئاسة الوزارة التي سبقته والتي تلتها، فقد قطعت تلك الحكومات تقدماً ملموساً بالمقارنة مع عهده. وإتصف عهده بالهدوء النسبي باستثناء بعض العمليات الفلسطينية داخل إسرائيل، اصبح في عام 2002 ترك وزير الخارجية، في حكومة رئيس الوزراء أريئيل شارون، وعمل على منافسة شارون لزعامة حزب الليكود، إلا إنه فشل في المنازلة، وبعد انتخابات 2003 تم تعيينه وزيرا للمالية في حكومة شارون الإئتلافية، قام بتأليف العديد من الكتب منها: "محاربة الإرهاب" و"مكان بين الأمم".

ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي بنيامين نتانياهو / <https://ar.wikipedia.org/wik>

(3) مسعود يلماز: ولد في السادس من تشرين الثاني 1947 في إسطنبول وقد بدأ التعليم المتوسط في مدرسة إستراليا الثانويه وأنهاه في مدرسة إسطنبول الثانويه بنين. وفي عام 1971 تخرج من كلية العلوم السياسييه قسم مالية والاقتصاد جامعة أنقرة. وأتم دراسة الدراسات العليا في كلية إقتصاد وعلوم سياسية جامعة كولونيا في ألمانيا في ما بين عامين (1974:1972). وقد تولي وظائف في قطاعات الكيمياء والنسيج والتوصيل وعمل كمدير في شركات خاصه متنوعه.

وهو سياسي تولى رئاسة الوزراء 3 مرات لوزارات مختلفة. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي مسعود يلماز /

<https://ar.wikipedia.org/wik>

(4) وليد رضوان، المصدر السابق، ص272.

الشؤون الإستراتيجية والصناعية في وزارة الدفاع الإسرائيلية بزيارة تركيا ،وأجرى إجتماعاً مع النائب الثاني لرئيس الأركان التركي حلمي أوزكوك ، وتم التحديد فيه إستراتيجية التعاون الثنائي في المجال العسكري.(1)

ومع إندلاع إنتفاضة الأقصى عام 2000 على إثر الزيارة التي قام بها أرئيل شارون إلى المسجد الأقصى، حاولت تركيا من خلال مسؤوليها إظهار حسن النية حيال الطرفين ،إذ حاولت تركيا من خلال رئيس الحكومة ووزير الخارجية التركي الاتصال بالمسؤولين الإسرائيليين والفلسطينيين من أجل التهدئة وعدم تصعيد الأوضاع ، وكذلك وعلى نفس السياق أوقفت القوات البحرية التركية المناورات العسكرية التي كان من المقرر أن تقام في شهر كانون الأول 2000 مع القوات الإسرائيلية والأمريكية ،وفي آذار 2001 عادت القطعات البحرية الإسرائيلية والتركية والأمريكية المشتركة المناورات العسكرية عروس البحر المتمكنة ،بعد تأجيل دام شهرين ،ويعتبر الإعلان هو إعلان لتجميد المؤقت في العلاقات العسكرية والزيارات رفيعة المستوى بين تركيا وإسرائيل عقب إندلاع إنتفاضة الأقصى ،وقد واصلت العلاقات التركية -الإسرائيلية تطورها من خلال زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون(2) إلى أنقرة في حزيران 2001 وقد أكتسبت هذه العلاقات أهمية أستثنائية لأنها تأتي في اطار تحول نوعي في العلاقات بين البلدين ،وقد كان الملف الفلسطيني- الإسرائيلي ،هو محور المحادثات التي أجراها أرئيل شارون مع المسؤولين الأتراك ،ولكن بالرغم من علاقاتها مع إسرائيل ،فقد كررت تركيا بأنها دولة مسلمة ذات نظام علماني تنديدها بإستخدام إسرائيل القوة المفرطة ضد الفلسطينيين ،وتم أثناء الزيارة بحث المسائل الثنائية بين الجانبين مثل المبادلات التجارية والسياحية ،وفي العام نفسه عملت إسرائيل على توقيع إتفاقية تحديث دبابات (A-60M30) بأقل سعر ممكن ، فأنقرة لديها 900 دبابة من هذا النوع ولم تقبل السعر الذي طرحه الجانب الإسرائيلي والبالغ 350 مليون دولار لتحديث وجبه قوامها 170 دبابة أي أن تكون التكلفة الاجمالية بعد تخفيض السعر للمشروع مليار دولار على مدى عشر سنوات ،لكن بالرغم من تلك الزيارة والتطورات في العلاقات بين البلدين ،فإن هذا لا يمنع من تباين وجهات النظر بين البلدين حول التسوية السلمية للصراع العربي -الإسرائيلي ،فخلال المؤتمر الصحفي المشترك بين رئيس الوزراء التركي ونظيره

(1)وليد رضوان،المصدر السابق،ص275.

(2)ارئيل شارون: ولد في 26 شباط في قرية كفارملال بفلسطين أيام الإنتداب. كان اسم عائلته الأصلي شاينرم انوكان والداه من اليهود الأشكناز الذين هاجروا من شرقي أوروبا. إذ ولد أبوه في بولندا بينما ولدت أمه في روسيا يعدّ من السياسيين والعسكريين المخضرمين على الساحة الإسرائيلية. والرئيس الحادي عشر للحكومة الإسرائيلية، هو شخصية مثيرة للجدل في داخل إسرائيل وخارجها. وبينما يراه البعض كبطل قومي يراه آخرون مجرم حرب، بالنظر إلى دوره العسكري في الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982 ،وقد اضطرّ عام 1983 إلى الاستقالة من منصب وزير الدفاع بعد أن قررت اللجنة الإسرائيلية القضائية الخاصة للتحقيق في مذبحه صبرا وشاتيلا أنه لم يفعل ما يكفي للحيلولة دون المذبحة أما في 2001 ففاز بأغلبية ساحقة في الانتخابات الإسرائيلية العامة إذ تبنى مواقف سياسية أكثر اعتدال توفي في 11 يناير 2014 عن عمر يناهز 86 عاماً ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي ارئيل شارون / <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الإسرائيلي في ختام زيارة أرئيل شارون إلى تركيا، قال بولنت أجويد "إن هدف تركيا وإسرائيل واحد هو السلام لكن هناك خلاف بيننا في الأساليب الواجب إتباعها من أجل تحقيقه"، معلناً موقف تركيا الداعي إلى البدء في المحادثات السلمية فوراً ورفع الحصار عن المناطق الفلسطينية، وكما أضاف "إن إستدعاء قوة سلام دولية سيساعد على تهدئة الأوضاع في المنطقة"، فيما أعلن أرئيل شارون "أنه يؤمن بضرورة تبادل المصالح والتعاون المتبادل بين الأصدقاء كأساس لتلك العلاقة، وأضاف أن لدى تركيا بعض المشكلات التي يمكن أن نسهم في حلها لو طلب من إسرائيل ذلك، ولكننا نتوقع أن تساعد أنقرة في استعادة الهدوء والأمن في المنطقة"، ويقصد بذلك أن تمارس تركيا بعض الضغوط على السلطة الفلسطينية لوقف الإنتفاضة ويربط أرئيل شارون ذلك كشرط أولي لمساعدة في حل مشكلاتها المالية والسياسية من خلال اللوبي اليهودي في الكونغرس الأمريكي، ويقصد من ذلك أن التعاون العسكري والأمني بين أنقرة وتل أبيب ليس كافياً لحث إسرائيل اللوبي اليهودي في مساعدة تركيا والوقوف إلى جانبها ضد اللوبي الأرمني اليوناني في الكونغرس، وأما أصبح مطلوباً من تركيا أن تكون إمتداد سياسياً وظلّ لسياسات إسرائيل في المنطقة (1).

ولكن فقد واصلت تركيا بإستمرار بالتنديد بالمجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق الفلسطينيين، وفي عام 2002 كان هنالك شبه إجماع تركي رسمي وشعبي وإعلامي بخصوص التنديد بحرب الإبادة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، واعتبرت تركيا أن ما تفعله إسرائيل هو خطة لإبادة الشعب الفلسطيني (2).

المبحث الثالث:

- العلاقات الإقتصادية بين تركيا وإسرائيل 1991 - 2002

يعود تاريخ بدء العلاقات الإقتصادية بينهما، بعد فترة قصيرة من الإعتراف الرسمي التركي بإسرائيل عام 1949، قد عقد الطرفين إتفاقية تجارية في حزيران 1950، ثم تبعها أبرام إتفاقية النقل الجوي في شباط 1951، وفي أيار 1954 وقعت إتفاقية للتبادل التجاري، وهذا دليل على أن الإعتراف التركي بإسرائيل كان بمثابة شراكة اقتصادية إستراتيجية (3). استمرت العلاقات الإقتصادية بينهما بوتيرة محدودة ومستقرة نسبياً حتى أوائل التسعينات من القرن الماضي، إذ بلغ حجم التبادل التجاري أقصى مستوى له هو 91 مليون دولار عام 1990، بحكم رغبة تركيا ومحاولتها الموازنة في علاقاتها مع الدول العربية وإسرائيل وكان هناك تداخلاً في أثناء هذه الفترة مع مراحل وظروف الصراع العربي - الإسرائيلي ولكنه (أي التبادل التجاري) بقي محافظاً على استمراريته على الرغم من محاولات تركيا إضفاء نوع من السرية على علاقاتها الإقتصادية مع إسرائيل وذلك حفاظاً على مصالحها اقتصادياً المتنامية مع الدول

(1) ممدوح عليمي، المصدر السابق، ص 142-144.

(2) المصدر نفسه، ص 147.

(3) وليد رضوان، المصدر السابق، ص 285.

العربية ولاسيما العراق⁽¹⁾. بعد انتهاء حرب الخليج الثانية في آذار عام 1991 ثم انعقاد مؤتمر مدريد في تشرين الأول من العام نفسه لتحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط ، بدأت العلاقات الاقتصادية التركية الإسرائيلية تنمو، إذ بلغ التبادل التجاري عام 1992 نحو 156 مليون دولار ثم ارتفع إلى 186 مليون دولار عام 1993 وإلى 303 ملون دولار عام 1994 ليتصاعد أكثر من 447 مليون دولار عام 1996، يمكن القول أن نسبة الزيادة في حجم التبادلات التجارية بين الطرفين قد بلغت 50% سنوياً وأن تفسير هذا التطور المتزامن مع بدأ مسيرة التسوية للصراع العربي الإسرائيلي وظهور نظام دولي جديد يؤكد حرص تركيا على توظيف مقوماتها الجغرافية السياسية بكل أبعادها لخدمة المشروع الشرق أوسطي والشراكة مع إسرائيل⁽²⁾.

كانت بداية تطور العلاقات الاقتصادية التركية _ الإسرائيلية من خلال محطة مفصلية هامة ألا وهي بتأسيس مجلس العمل التركي _ الإسرائيلي في آذار 1992، الذي وقع إتفاقيته رئيس إتحاد غرف وبورصات تركيا ياليم أيزيز من جهة، ورئيس معهد الصادرات الإسرائيلية عوزي نيتانيل من أخرى وبين ياليم أيزيز، خلال زيارته إلى إسرائيل بصحبة العديد من رجال الأعمال "إن إسرائيل تستطيع المساهمة في حل مسائل تركيا المالية على الأمد الطويل، من خلال بيع المنتجات التركية بوساطة إسرائيل بصفتها عضواً في إتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، إذ تباع إسرائيل هذه المنتجات بدون رسوم جمركية"، وبعد عودت ياليم أيزيز قدم تقريراً عن التكنولوجيا الإسرائيلية المتطورة المستخدمة في الزراعة إلى وزير الدولة المسؤول عن شؤون الغاب(مشروع شرق الأناضول) عمر بادتشو وأبدا إعجابه بالسياسة الزراعية الإسرائيلية التي قوامها " أرض أقل - ماء أقل - إنتاج أكثر"⁽³⁾.

(1) علي عبد الهادي الدليمي، العلاقات الاقتصادية التركية _ الإسرائيلية واثرها في الأمن الاقتصادي العربي ، مجلة الحكمة، العدد 7، شباط 1999، بغداد، ص37.

(2) المصدر نفسه، ص39.

(3) مازن خليل ابراهيم، المتغيرات الاقتصادية في العلاقات التركية - الإسرائيلية 1996 - 2002 واثرها على القضية الفلسطينية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد 12، العدد 4، 2006، ص79.

يمكن القول، أن تطور حجم التبادل التجاري بين تركيا وإسرائيل للاعوام من 1991 إلى 2002 (مليون دولار) ،بتبين من خلال الجدول الاتي (1).

السنوات	الصادرات التركييه إلى إسرائيل	الاستيرادات التركييه من إسرائيل
1991	22,3	33,7
1992	24,7	39,4
1993	30,8	60,05
1994	46,4	62,5
1995	56,9	65,3
1996	78,4	78,9
1997	89,8	97,7
1998	102,1	121,5
1999	147,6	126,2
2000	141,4	119,8
2001	167,5	132,7
2002	201,9	143,6

ملاحظة : الجدول اعلاه من عمل الباحث .

إن معظم الاستيرادات التركية كانت من السلع الصناعية إذ بلغت نسبتها 76,8% بالمقابل فإن الاستيرادات الإسرائيلية من نفس السلع الصناعية بلغت 71,9% ،قد حصلت تطورات مهمة على الاقتصاد الإسرائيلي منذ منتصف التسعينات تمثلت بنمو حجم ونوع اقتصاديات إسرائيل لتشمل سلع متقدمة لتحل محل الصادرات التقليدية ،ويستنتج من ذلك بأن هناك تماثل بين الاستيرادات التركية والصادرات الإسرائيلية بالنسبة للسلع الصناعية ،وهذا يعكس أشواط التقدم الصناعي التطور الاقتصادي في كل من البلدين ،بينما بلغت نسبة الاستيرادات التركية من المكائن ووسائل النقل من مجموع الاستيرادات السلع الصناعية 35,6% عام 1996 (2) .

بذلت تركيا جهود حثيثة لإبرام إتفاقية التجارة الحرة مع إسرائيل والتي لم يتم توقيعها إلا في الرابع والعشرون من آذار 1996 ،كذلك الأستعانة بالخبراء الإسرائيليين لاصلاح أنظمة المالية التركية ،فقد أقر البرلمان التركي في نيسان 1997 إتفاق التجارة الحرة بين تركيا وإسرائيل وبدء العمل بهذا الإتفاق في تموز من العام نفسه ، وقع وزير الخارجية إسرائيل ديفيد ليفي أثناء زيارته إلى تركيا في التاسع من نيسان من العام نفسه مع وزيرة الخارجية التركية تانسو تشيللر إتفاق النقل البري على أن يجري تنفيذه في حالة

(1)المصدر نفسه ، ص81-83.

(2)مازن خليل ابراهيم ، المصدر السابق، ص85.

تطبيع العلاقات العربية_الإسرائيلية، نظرا لوقوع سوريا بينهما، كذلك تم بحث قضية امكانية بيع تركيا لإسرائيل الفائض من مياه أحد أنهارها منافات، وبالرغم من أن هذا الموضوع مثار منذ 1990، إلا أنه لم يتم التوصل إلى إتفاق نهائي بشأنه بسبب خلاف الطرفين على تسعير المياه (1).

إن من أهم أهداف تركيا وإسرائيل للانفتاح الاقتصادي فيما بينهم هي:

(1) الأهداف التركية:

_ إن انفتاح السوق التركية أمام البضائع الإسرائيلية من شأنه أن يوفر فرصة إضافية لزيادة الصادرات بسبب الإتساع النسبي لحجم السوق التركية وذلك لمل تمثله من حجم سكاني كبير في المنطقة، مما يوفر فرصة مضافة لتطوير وزيادة الإنتاج .

_ تريد تركيا من خلال زيادة حجم التبادل التجاري مع إسرائيل، هو الاستفادة من علاقاتها مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا الغربية للدخول في السوق الأوروبية المشتركة، وفي حالة تحقيق ذلك فإن تركيا سوف لا تعير أهمية لتطوير علاقاتها مع الدول العربية بالنظر لتركيز مصالحها مع إسرائيل .

_ تريد تركيا من زيادة حجم التبادل التجاري مع إسرائيل من أن تؤدي دور محوري في منطقة الشرق الأوسط .

(2) الأهداف الإسرائيلية:

_ تخفيف من معاناة الاقتصاد الإسرائيلي من ضيق السوق المحلية وآثار المقاطعة العربية التي تعد أقوى سلاح فعال بوجه المحاولات الإسرائيلية للاندماج في المحيط الجغرافي .

_ اعاققة ومحاولة منع أي توجه حقيقي لأية صيغة من صيغ التكامل الاقتصادي العربي، وذلك لتجريد العرب من مصادر القوة الإقتصادية ومن ثم السياسية .

_ تهميش وخرق المقاطعة العربية الإقتصادية للبضائع الإسرائيلية والشركات المتعاملة معها .

_ إسرائيل تريد ان تكون تركيا منفذا لتصريف بضائعها إلى مجموعة الدول المستقلة في آسيا الوسطى لما تملكه تركيا من علاقات متميزه معها (2).

المبحث الرابع:

_ أهمية قضية المياه وأثرها على سياسة تركيا تجاه إسرائيل 1991 - 2002

نظرا لأهمية، المياه لدى إسرائيل، قامت بتقوية علاقاته مع دول الجوار غير العربية مثل تركيا والعمل على مد يد التعاون إليها لاستثمار كل عوامل الضغط لديهما في نهر الفرات ضد العراق وسوريا

(1) علي عبد الهادي الدليمي، المصدر السابق، ص42.

(2) مازن خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص84.

وهذا ما صرحت به غولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل في قولها " إن التحالف مع تركيا يعني أن أكبر نهريين في المنطقة - دجلة والفرات - سيكونان في قبضتنا"⁽¹⁾.

لقد تطابقت أهداف إسرائيل في السيطرة والاستحواذ مع الأهداف التركية ، للعودة إلى البروز كقوى اقليمية في المنطقة ، وبعد الماء أحد الوسائل المهمة التي بدأت تستخدمها تركيا ، مثلما هو عليه الحال بالنسبة لإسرائيل، وهذا التشابه في الأهداف والوسائل، قرب مصالح الطرفين المشتركة بينهما، ورفع مستوى العلاقة بينهما إلى مستوى التحالف الإستراتيجي إذ شكلت المياه أحد البنود المهمة لهذا التحالف، فتركيا تأمل أن تحظى بدعم إسرائيل في مسألة المياه ضد الدول المجاورة، كما يسعى إسرائيل من خلال هذا التحالف إلى إكمال مشروع إقامة السوق الشرق أوسطية، بالتعاون مع تركيا والولايات المتحدة الأمريكية فيكون المستفيد الأكبر منه، ولهذا ينبغي بيان أوجه التعاون الإسرائيلي - التركي في مسألة مياه نهر الفرات، التي في حقيقتها هي جزء من المخطط الرامي إلى اضعاف القوة العربية المتمثلة بسوريا والعراق واللذين لم يركعا للمخططات الإستسلامية التي تفرضها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط⁽²⁾.

- دعم إسرائيل لمشاريع الري التركية

تميز إسرائيل عن غيره في دعمه المستمر للمشاريع الاروائية التركية، إذ قام بتحريض، تركيا على تنفيذ تلك المشاريع دون أي اعتبار لردود الأفعال العربية، وهذا ما نوه إليه أوري لوبراڤي سفير إسرائيل السابق في كل من إيران وإثيوبيا ،وذلك بقوله " لتتعلم تركيا من الدرس الإسرائيلي، فلقد حولت نهر الأردن وانتفعت بمياهه ونفذت المشروعات على الرغم من أن منابعه تقع في عمق الأراضي الأردنية والسورية"⁽³⁾.

من جانب آخر، وجد إسرائيل، ثغرة التسلسل إلى منابع نهري دجلة والفرات في تركيا، وبتقديم مقترح لحل مشكلة المياه العالقة بين الدول الثلاث، ويفضي هذا المقترح إلى تقسيم مياه الفرات بين تركيا وسوريا وأن تؤجل تركيا تطوير حوض نهر دجلة وتنفرد لتطوير حوض نهر الفرات، وان تكتفي باستغلال دجلة لأغراض انتاج الطاقة الكهربائية، وأن سوريا ستقوم باستغلال نهر الفرات التي ستخصصها تركيا لها فضلا عن استغلال الروافد السورية لنهر الفرات البليخ والخابور وكذلك سحب جزء من مياه نهر دجلة وسوف لن تواجه سوريا نقصا في المياه ما دامت لا تضطر لتخصيص جزء من مياه الفرات للعراق، أما العراق فيتنازل عن مياه الفرات ويعوض باستخدام معظم مياه دجلة، وعند ذلك يستطيع أن ينقل المياه من

(1) محمد احمد السامرائي، نهرالفرات بين الاستحواذ التركي والاطماع الصهيونية، سلسلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2001 ص ص52-53.

(2) المصدر نفسه، ص57.

(3) سعود محمد حبيب، التهديدات الإسرائيلية للأمن المائي العربي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية معهد القائد المؤسس، 1997، ص69.

دجلة إلى الفرات، كلما دعت الضرورة، وهذا التقسيم سوف يلزم العراق باستخدام مياهه بصورة اقتصادية⁽¹⁾.

لم يكن تدخل إسرائيل فقط، إنما بدأ الخطر الإسرائيلي يتمثل بشكل خطير من خلال الإهتمام الواضح بمشروع الغاب التركي، وهذا واضح من تصريح المسؤولين الإسرائيليين الذي جاء فيه " أن إسرائيل تنظر إلى مشروع غاب باهتمام متزايد وهي مستعدة بالمساهمة وتقديم الخبرات، والتكنولوجيا الإسرائيلية في مجال تطوير الزراعة في هذا المشروع"⁽²⁾.

لتحقيق ذلك ساهم إسرائيل، مساهمة فعالة في تنفيذ هذا المشروع، بما قدمه من أموال وخبرات علمية فقد ساهمت شركات بأنظمة الري بما مجموعه (43) مليون دولار، كما أن هناك خمسين خبيراً صهيونياً يعملون في مشاريع الري والزراعة في جنوب شرق الأناضول بتركيا، هذا وشمل التعاون التركي - الإسرائيلي، تقديم العديد من المقترحات لاستثمارات مشتركة والتعاون في مسائل مثل نظم البذار والري والمسح بواسطة الكمبيوتر وخدمات الهندسة وما إلى ذلك، كما شمل التعاون، أيضاً، الزيارات المتبادلة لمسؤولي الطرفين في كل من تركيا وإسرائيل⁽³⁾.

إن دعم إسرائيل للمشاريع الإروائية التركية ليست إلا وسيلة ضغط سياسي على كل من العراق وسوريا، خاصة وأن إسرائيل يعد العراق أخطر أعدائه، كما هي وسيلة ضغط أيضاً على سوريا لدفعها باتجاه المفاوضات والتسوية، ومما لا شك فيه، أن إسرائيل، يعد المستفيد الأكبر من موقف تركيا المائي ضد العراق و سوريا، في ظل استمرار التوتر في المنطقة، إلا أنه بالرغم من ذلك، فإنه يشير عملياً إلى هواجس تركية متعددة، فتركيا، المستفيدة من علاقاتها القوية مع إسرائيل، لا تنظر بعين الرضا إلى توصل سوريا مستقبلاً إلى تسوية سلمية مع إسرائيل، ذلك أن مثل هذه التسوية سوف تتيح لسوريا التحرر من انشغالها بمواجهة إسرائيل، والتفرغ بالتالي لمواجهة مشكلاتها الأخرى، ومنها تلك المشتركة مع تركيا إذ أن الأولوية لدى إسرائيل هي التصالح مع عدوتها سوريا، ومن أجل الحصول على تنازلات سورية في شأن مياه الجولان، فإن إسرائيل قد يكون مستعداً للتخلي عن تضامنه مع تركيا والاختلاف معها في شأن مسألة المياه وضرورة تمرير الكمية التي تحتاجها سوريا من مياه الفرات مقابل تنازل الأخيرة عن كل أو جزء من مياه الجولان⁽⁴⁾.

تتطابق وجهة النظر الإسرائيلية مع وجهة النظر التركية من قضية المياه، التي تعد مشكلة المياه هي مشكلة عالمية، لذا ليس من غريب الصدف أن تدعو الطروحات التركية إلى بيع المياه إلى الدول العربية

(1) محمود عبد الرحمن خلف، المصدر السابق، ص 177.

(2) محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص 62.

(3) محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص 65.

(4) محمود عبد الرحمن خلف، المصدر السابق، ص 180.

وإسرائيل ، وهي أحد الحلول المتعلقة بشحة المياه وندرته في المنطقة، التي وضعت لها تركيا الوسائل الآتية:

أولاً: مشروع أنابيب السلام:

يعد مشروع أنابيب السلام أحد المواضيع الحساسة والمؤثرة في العلاقات العربية - التركية بوجه عام، وسيسهم هذا المشروع في حال تنفيذه كما تزعم تركيا في إزالة الكثير من المشاكل المائية والزراعية والتنمية لدول المنطقة. فالمشروع ، بحسب وجهة نظرها ، يهدف إلى سد العجز المائي للدول المجاورة وبخاصة في مياه الشرب، وتحقيق عائدات مالية كبيرة - تقدر بحوالي ملياري دولار سنويا - نظير بيع المياه إلى الدول العربية ، وهو ما يعني مقايضة المياه بالنفط العربي الذي تستورده تركيا، وهذا ما تسعى إليه تركيا من فكرتها المنطلقة من أن الماء ثروة وطنية كالنفط، وكما أن لدى الدول العربية نفطا فإن لدى تركيا مياها ويمكن مقايضة الماء بالنفط⁽¹⁾.

تعود فكرة المشروع أنابيب السلام إلى مرحلة ثمانينات القرن الماضي عندما رئيس الوزراء التركي توركوت أوزال، مشروع مياه السلام في المؤتمر الدولي الثالث الذي نظمه مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون في الخامس والعشرين من حزيران 1987، ويقضي المشروع تزويد سوريا والأردن وإسرائيل واقطار الخليج العربي، بفائض مياه نهري سيحان وجيحان. وقال " ان المطلوب اقتناع هذه الدول بأن مصلحتها تقتضي تشكيل شريان الحياة ، عوضا عن خلق مشكلة جديدة لنزاعات الشرق الأوسط " وترى تركيا أن مشروع مياه السلام إحدى وسائل مواجهة أزمة المياه في الشرق الأوسط قبل استفحالها ، وصيغة ملائمة يمكن لدول المنطقة تطبيقها اتقاء لمخاطر هذه الأزمة وما قد تثيره في المستقبل من صراعات ، ويستهدف المشروع التركي نقل ما يتراوح بين بليون إلى بليون متر مكعب سنويا عبر الأنابيب إلى الدول المذكورة آنفاً ، وقد قامت الحكومة التركية بتكليف شركة براون اندروت الأمريكية لإعداد دراسة جدوى أولية للمشروع في عام 1986 ، أظهرت فيه امكانية تنفيذ المشروع من الناحية الفنية، ويتألف المشروع من أنابيب رئيسيه هي الأنبوب الغربي والأنبوب الاشرقي وأنبوب الخليج العربي :

أ- أنبوب غربي - غربي : يبدأ من ارضه في تركيا ويمر في الأراضي السورية والأردن حتى عمان ، ويلاحظ ان المياه التي سينقلها هذا الخط لم يجر الحديث عنها اطلاقا ، ويعتقد أنها ستكون مخصصة لو تم تنفيذ المشروع للسراييلي وحده .

ب - أنبوب غربي - شرقي : يبدأ من ارضه يبلغ طوله حوالي (2650) كم لنقل 3,5 مليون متر مكعب يوميا ، وسوف يسير نحو الجنوب إلى حلب وحماة وحمص ودمشق وعمان وتبوك والمدينة وينبع وجدة ومكة ؛ويتطلب ضخ المياه عبر هذا الأنبوب 11 محطة ضخ، ويقدر عدد المستفيدين منه من 8-9 ملايين نسمة.

(1) وليد رضوان ،المصدر السابق ،ص 313.

ج - أنبوب الخليج العربي : ويقدر طوله بـ 3900 كم لنقل 2,5 مليون متر مكعب من المياه يوميا ، ويتبع مسار الأنبوب الغربي نفسه حتى مدينة حماة ، ثم يسير عبر حوض شرق الأردن بموازاة الحدود الأردنية - العراقية، ثم يسير بموازاة أنبوب النفط العربي التابلاين إلى شواطئ الخليج العربي ليشمل مدن الكويت ، والدمام ، والهفوف في السعودية ، ثم البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان. وسيحتاج هذا الأنبوب إلى خمس محطات ضخ ، ويقدر عدد المستفيدين منه بين 6-7 ملايين نسمة ، وقدرت تكاليف هذا المشروع بمبلغ إجمالي قدره (23) مليار دولار بحسب أسعار عام 1993 ، وتعتقد الأوساط التركية ، أن علاقاتها الجيدة مع الحكومات المعنية بالمشروع ستتيح للحكومة التركية فرصة التغلب على المشاكل إن فكرة إنشاء هذا المشروع ذات مردود سياسي واقتصادي كبير لتركيا والغرب ، والكيان الصهيوني على حد سواء ، وإضافة إلى زيادة الدور الإقليمي لتركيا ، فإن المشروع يستهدف ربط إسرائيل بالمنطقة العربية بمصالح مشتركة ، وهذا ما تسعى إليه تركيا تحقيقا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد عبر المسؤولون الأتراك عن اهتمامهم في مشروع أنابيب السلام امام منظمة المؤتمر الإسلامي في الرابع عشر من آب 1991 ، إذ قال وزير خارجية تركيا "إن إسرائيل ستستفيد أيضا من هذا المشروع ، ولو لم تكن إسرائيل معنية بمفهوم المشروع لما كان بالإمكان تسميته مشروع السلام"⁽¹⁾.

وقد عبر شيمون بيريز ، بعد ختام لقائه مع الرئيس التركي توركوت أوزال في عام 1991 بأن "الرئيس التركي أوزال أبدى استعداداه لإنشاء أنابيب مياه تصل من تركيا وتمر عبر الدول المجاورة وهو بحق خط السلام لأن الحرب القادمة في الشرق الأوسط قد تنشب بسبب المياه وليس الأرض ، ويمكن لمشروع مياه السلام (الأنبوب الغربي) ان يمتد حتى الضفة الغربية" من جانب آخر ، لاقى مشروع أنابيب السلام دعما دوليا ، تمثل بترحيب الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد قال عنه الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون " علينا ان نشجع تركيا لاستغلال مميزاتنا التاريخية والحضارية لكي تؤدي دورا أكبر ، سياسيا واقتصاديا في الشرق الأوسط ، وإذا امكن حل مشكلة الصراع العربي - الإسرائيلي فإن مشكلة المياه سوف تكون أهم مشكلة في المنطقة . وبالنظر إلى أن تركيا دولة لها مصادر غنية بالمياه ، فإنه يمكنها المساهمة في حل مشكلة المياه عن طريق امداد إسرائيل والدول الأخرى المحتاجة إلى المياه في المنطقة بمصادر المياه بواسطة أنابيب ضخمة تساعدنا الولايات المتحدة في هذا الشأن " ، أما الموقف العربي ، فإنه لم يحط بقبول وترحيب بهذا المشروع ، وذلك لعدم الإتفاق على قسمة مياه نهري دجلة والفرات وقد شنت سوريا حملة عنيفة على تركيا ، وشدت على ضرورة ربط العلاقة بين أي دولة عربية وتركيا ، بالموقف التركي من مياه نهري دجلة والفرات ؛ وطالبت بتصعيد الضغط العربي على العاصمة التركية في شكل "هادف وبناء" للتوصل في أسرع ما يمكن إلى إتفاق واضح على قسمة

(1) وليد رضوان المصدر السابق، ص 315-317.

مياه النهرين مع سوريا والعراق لان تركيا تضر بمصالح عربية تتعلق بعنصر من عناصر الحياة وهو المياه (1).

ثانياً: مشروع تسويق المياه بالنقل البحري:

وفي اطار الدعوات التركية لتبني مشروعات التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط ، جاء الإعلان عن مشروع بيع مياه نهر مانوغات التركي إلى إسرائيل ، فقد وافقت تركيا منذ منتصف عام 1991 على مد إسرائيل بنحو (25) مليون م² من المياه سنويا لسد عجزها من المياه وأوضح أوكتلي اكسوي السفير التركي لدى الأردن ، أن تزويد إسرائيل بالمياه قد تم بين شركة تركية وأخرى كندية ولم تكن بين الحكومة التركية وإسرائيل مباشرة، وقد أوضحت صحيفة دافار الإسرائيلية في السادس عشر من آذار 1991، أن عملية نقل هذه المياه ستتم من خلال الاستعانة ببالونات خاصة انتجتها إحدى الشركات الكندية لهذا الغرض ،وعلاوة على تلك المشاريع، من أجل زيادة التعاون المائي بين إسرائيل وتركيا، طرحت على بساط البحث بينهما فكرة مد أنبوب بحري مباشر بين الدولتين (2).

الاستنتاجات:

إستمر الخطاب التركي منذ إنتهاء الحرب الباردة يتحرك ضمن السقوف والثوابت التي كان يتحرك عبرها في تلك الحرب أي النظر على أنها جزءا ،من المعسكر الغربي ،ولكن مع نهاية الحرب الباردة وبعد انهيار الإتحاد السوفيتي بدأت تركيا تبحث لنفسها عن دور إقليمي لاسيما بعد اختلال التوازن الإقليمي نتيجة حرب الخليج الثانية عام 1991 ،إذ اكتسب القادة الأتراك الثقة بالنفس بأنهم قادرين على تنشيط الدور التركي في البيئة الإقليمية المحيطة بتركيا بعد أن إنتهى التهديد من الشمال إذ تعد تركيا العضو في حلف الأطلسي التي وقفت في خط المواجهة مع الإتحاد السوفيتي.

ولكي يكون الدور الإقليمي لتركيا فاعلاً ومؤثراً فإن الرؤية التركية الجديدة في السياسة الخارجية تركزت على أهمية التحول الداخلي لاسيما توطيد الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد، إذ أتاح الإصلاح الداخلي في تركيا وقدراتها الإقتصادية المتنامية بالبروز كراع للسلام في المناطق المجاورة ،ومن أجل ذلك تنشطت العلاقات التركية - الإسرائيلية على كافة المجالات ،وعلى هذا الأساس فقد أبدى قادة

(1) وليد رضوان المصدر السابق، ص319.

(2) محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص72.

الأترك استعدادهم لإتباع دبلوماسية نشطة في الشرق الأوسط في محاولة لتقليل المشاكل بين الدول العربية وإسرائيل.

وجدت السياسة التركية نفسها بأنها يجب عليها تكيف سياستها الخارجية بشكل يتلائم مع الواقع الدولي والإقليمي، وذلك بهدف تفعيل دورها الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي إعادة تشكيل سياستها حيال عدد من المشاكل الإقليمية.

الهوامش:

1. عصمت أينونو(1884-1973) تخرج من الاكاديمية العسكرية عام 1906، ولتحق بلجنة الإتحاد والترقي عام 1907 عمل رئيس اللاركان تحت قيادة مصطفى كمال على الجبهة الشرقية عام 1916، ترأس الوفد التركي لمفاوضات السلام في لوزان عين أول رئيس للحكومة في العهد الجمهوري (1923-1924) خلف مصطفى اتاتورك في رئاسة الجمهورية (1938-1950) استقال من حزب الشعب الجمهوري عام 1972. ينظر: اريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ترجمة: عبد الطيف حارس، ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2013، ص519.
2. فاخر أرما أوغلو، تركيا والصراع العربي -الإسرائيلي، الجزء الثاني، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1993، ص256.
3. مروة علي حسين، السياسة الخارجية التركية اتجاه المشرق العربي في عهد حزب العدالة والتنمية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة المستنصرية كلية العلوم السياسة، 2013، ص57.
4. محمود عبد الرحمن خلف، سياسة تركيا الخارجية مع دول الجوار العربي (العراق - سوريا) 1980 - 1993، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة المستنصرية معهد القائد المؤسس، 2002، ص98.
5. عدنان مندريس(1889-1961) ابن أحد ملاكي الأراضي من أيدين، حارب في الحرب العالمية الأولى، دخل المعتزك السياسي عام 1930 كرئيس محلي لحزب الحر الجمهوري التابع لفتحي أوكيار، انتخب عضو في البرلمان عام 1931 وظل نائبا لمدة خمسة عشر عام وهو أحد مؤسسي حزب الديمقراطي عين رئيسا للوزراء في المدة (1950-1960) اعتقل على اثر انقلاب عام 1960 وحكم عليه بالعدام ونفذ فيه الحكم في السابع عشر من أيلول عام 1961. ينظر: اريك زوركر، المصدر السابق، ص522.
6. مهدي صالح العبيدي، التحالف الإستراتيجي الصهيوني -التركي وأثره على الأمن القومي العربي، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية -جامعة بغداد، العدد 9، بغداد، تموز 2000، ص105.
7. وُلد في مدينة بلونسك البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمس للصهيونية، هاجر إلى فلسطين عام 1906. ام تهنينغوريون الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي بنغوريون عندما مارس حياته السياسية، من طلائع الحركة العمالية الصهيونية في مرحلة تأسيس إسرائيل، ترأس مجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من الخامس والعشرين من كانون الثاني 1948 وحتى 1963 (باستثناء الأعوام 1953 حتى 1955)، فقد قاد بنغوريون إسرائيل في حرب 1948 التي يُطلق عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال، ويعد من المؤسسين حزب العمال الإسرائيلي، توفني الأول من كانون الأول 1973. ينظر إلى الموقع الإلكتروني التالي ديفيدبنغورين / <https://ar.wikipedia.org/wiki>
8. فليبروبنس، تركيا والشرق الأوسط، ترجمة ميخائيل نجمخوري، دار قرطبة للنشر والتوثيق، قبرص، الطبعة الأولى، 1993، ص96_97.
9. فليبروبنس، المصدر السابق، ص97.
10. محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول وصراع الخيارات، مكتبة رياض الرئيس، بيروت، 1997، ص263.
11. ولد عام 1920 في مقاطعة اسبارطة تخرج مهندسا وكان مسؤول عن برنامج السدود في عهد مندريس، اصبح امين عام حزب العدالة عام 1964، عين رئيس لحكومة خمسة مرات منع من العمل السياسي عام 1980، ثم اصبح الرئيس التاسع للجمهورية في تركيا (1993-2002) توفي في تموز 2015. ينظر: اريك زوركر، المصدر السابق، ص514.
12. مروة علي حسين، المصدر السابق، ص63.
13. المصدر نفسه، ص67.
14. محمد نور الدين، المصدر السابق، ص267.

15. خليل إبراهيم الناصري، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية-التركية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، طبعة الأولى، 1990، ص137.
16. حاييم هيرتزوج (17 أيلول 1918 - 17 نيسان 1997)، سياسي وعسكري إسرائيلي وهو الرئيس السادس لإسرائيل 1983 - 1993، ولد في أيرلندا الشمالية لعائلة يهودية محافظة. هاجر إلى فلسطين سنة 1935 والتحق بفرقة الهاجانا، درس الحقوق في معهد الحقوق في القدس ثم التحق بالجيش البريطاني وأصبح ضابط إستخبارات، شارك في حرب فلسطين كضابط في الجيش الإسرائيلي، شغل منصب رئيس جهاز أمن بين 1949 و1950 (وقد كان وقتئذ يسمى قسم الإستخبارات)، وبين 1959 و1962 تدرج في الرتب العسكرية ليحال على التقاعد سنة 1962 في رتبة ميجر جنرال، اشتغل بعد ذلك في الأعمال الحرة، بعد حرب 1967 عين كحاكم عسكري في الضفة الغربية، بين 1975 و1978 شغل منصب مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة عام 1981 أنتخب كعضو في الكنيست عن حزب العمل، وفي الخامس من أيار 1983 أنتخب رئيساً لإسرائيل خلفاً لبيتسحاق نافون. قام أثناء توليه المنصب بأول زيارة يقوم بها رئيس إسرائيلي لألمانيا والصين، توفي في 17 نيسان 1997 ودفن في جبل هرتسل. يعتبر هو المسؤول الأكبر عن تنفيذ هدم حي المغاربة الملاصق لحائط البراق. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي حاييم هيرتزوج <https://ar.wikipedia.org/wiki/هيرتزوج>
17. مصطفى طلاس، التعاون التركي-الإسرائيلي، دمشق، 1997، ص40.
18. تعتبر إتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13 / أيلول 1993، أول إتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. ينظر إلى الموقع الإلكتروني التالي إتفاق أوسلو <https://ar.wikipedia.org/wik/إتفاق أوسلو>
19. معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية ما يشار إليه باسم معاهدة وادي عربة، هي معاهدة سلام وقعت بين إسرائيل والأردن على الحدود الفاصلة بين الدولتين والمارة بوادي عربة في 26 تشرين الأول 1994، طبعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين وتناولت النزاعات الحدودية بينهما، وترتبط هذه المعاهدة مباشرة بالجهود المبذولة في عملية السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. بتوقيع هذه المعاهدة أصبحت الأردن ثنائي دولة عربية بعد مصر وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، طبع علاقاتها مع إسرائيل. نظراً للظروف الصعبة التي كان يمر بها الأردن من النواحي الإقتصادية والسياسية والعسكرية كان عقد معاهدة السلام مع إسرائيل خياراً استراتيجياً لضمان عدم خسارة مزيد من أراضي المملكة. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي إتفاق وادي عربة/ <https://ar.wikipedia.org/wik>
20. مصطفى طلاس، المصدر السابق، ص41.
21. تانسو وتشيللر: مواليد اسطنبول ولدت في 23 تشرين الأول 1946، وهي سياسية واقتصادية تركية، تانسو كانت أول امرأة تتولى منصب رئيس وزراء في تاريخ تركيا الحديث، بعد التدريس في الجامعات عملت كأستاذة، دخلت السياسة تشيللر في تشرين الثاني 1990، وانضمت إلى حزب الطريق القويم المحافظ، انتخب لأول مرة عضو في البرلمان عام 1991 عن مدينة اسطنبول وشغلت منصب وزير الدولة المسؤول عن الاقتصاد، كما شغلت أيضاً منصب وزير الشؤون الخارجية التركي ونائب رئيس الوزراء بين عامي 1996 و 1997، وبعد هزيمتها في انتخابات تشرين الثاني 2002، تقاعدت من الحياة السياسية. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي تانسو تشيللر / <https://ar.wikipedia.org/wik>
22. إسحاق رابين: ولد في الأول من آذار 1922 وهو سياسي إسرائيلي وجزرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي ورئيس وزراء إسرائيل، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية واحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية، العسكرية والأمنية في إسرائيل، وهو خامس رئيس وزراء إسرائيلي، وتقلد هذا المنصب في فترتين، الأولى من 1974 إلى 1977 والثانية من 1992 انتهت بإطلاق الرصاص عليه ومقتله في 4 تشرين الثاني 1995 على يد قاتل يهودي اسمها يجالعامير، ليصبح رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الوحيد الذي يقضي اغتيالاً. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي إسحاق رابين / <https://ar.wikipedia.org/wik>
23. محمد نور الدين، المصدر السابق، ص203.
24. شمعون بيرس: ولد في الثاني من آب 1923، كان سياسياً وشخصية عامّة إسرائيلية، شغل منصب رئيس الدولة وهو منصب فخري في إسرائيل من 15 تموز 2007 وحتى 24 تموز 2014، كما تولى رئاسة وزراء إسرائيل مرتين، الفترة الأولى من عام 1984 إلى 1986، والثانية لسبعة أشهر بين 1995 إلى 1996 بعد اغتيال إسحق رابين، إنخرط

مبكرا في الشأن العسكري، فكان مسؤولا في منظمة الهاجاناه الصهيونية المسلحة عن الموارد البشرية وشراء العتاد – وهو الدور الذي إستمر بلعبه في مناصب لاحقة، وعمل مع دافيد بنغوريون وليفي أشكول من أهم الزعامات الصهيونية في فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطاني، وبعد تأسيس دولة إسرائيل عُيّن مديرا عام وزارة الدفاع الإسرائيلية وعمره 29 عاما، فأهتم بتقوية العلاقات العسكرية مع فرنسا، فنسّق بيريس التعاون العسكري مع فرنسا للسيطرة على قناة السويس التي كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر قد أممها، في ما عُرف بالعدوان الثلاثي على مصر في تشرين الأول 1956، كما سَير العلاقة مع الحكومة الفرنسية مؤسس للبرنامج النووي الإسرائيلي في ديمونة، وصناعات الفضاء الإسرائيلية والعمل من أجل تجنيد الاموال اللازمة لتحقيق هذه المشاريع، كما ادى بيريس دورا محوريا في الحياة السياسية الإسرائيلية، فشارك بتأسيس مجموعة من الأحزاب وكان رئيسا لحزب العمل لأطول مدة 15 عاما من 1977 حتى 1992. وكان عضوا في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) لمدة 5 عقود، متقلدا عدّة وزارات ومناصب عليا في الدولة، كما أنه أحد مهندسي المفاوضات مع الفلسطينيين ومع الأردن توفى في أيلول 2016. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي شمعون بيرس / <https://ar.wikipedia.org/wik>

25. صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي – الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، فلسطين، 1999، ص56.

26. عماد الضميري، تركيا والشرق الأوسط، دار طلاس، دمشق، 2001، ص111.

27. انوار عبد جليل هاشم، التعاون التركي – الإسرائيلي، وأثره على العلاقات التركية – العربية، مجلة العرب والمستقبل، العدد3، الجامعة المستنصرية، بغداد، ص42.

28. خليل إبراهيم أحمد، الإتفاق التركي-الإسرائيلي جنوره وطبيعته ومخاطره على الأمن القومي العربي، مركز دراسات تركية، جامعة الموصل، 1996، ص28.

29. نجم الدين أربكان : ولد عام 1926 ،تخرج كمهندس عام 1948 ،انتخب عضو في البرلمان كمستقل عام 1969، اسس عام 1970 حزب النظام القومي ذات توجهات إسلامية اغلق الحزب عام 1971، اصبح عام 1973 نائب رئيس الحكومة ،منع من مزاولت السياسة بعد انقلاب عام 1980 ،ثم بعد عام 1987 ترأس حزب الرفاه الذي اصبح في أوائل التسعينات من القرن الماضي أكبر أحزاب تركيا ،اصبح رئيس للوزراء في حزيران 1997 كأول رئيس حكومة اسلامي للجمهورية التركية، استقال عام 1997 تحت تأثير قوي من قبل الجيش، ومنع من مزاولت الحياة السياسية عام 1998 ،توفى في شباط 2011. ينظر : منال صالح ،نجم الدين أربكان ودوره في السياسة التركية 1969-1997،الدار العربية للعلوم ،ط1،بيروت ،2012، ص40-49.

30. خليل إبراهيم احمد ، المصدر السابق ، ص32.

31. خليل إبراهيم احمد، المصدر السابق، ص34.

32. نوار عبد جليل هاشم، المصدر السابق، ص47.

33. حزب العمال الكردستاني: يعرف PKK هو جماعة مسلحة كردية يسارية ذات توجهات قومية كردية وماركسية لينينية تهدف لإنشاء دولة كردستان المستقلة، نشأ الحزب في السبعينيات في القرن الماضي وتحول بسرعة إلى قوة مسلحة بزعامة عبدالله أوجلان، وحول منطقة جنوب شرق تركيا إلى ساحة حرب في عقدي الثمانينيات والتسعينيات، يتبع الحزب كل من حزب الحياة الحرة الكردستاني في كردستان إيران وحزب الإتحاد ويمثلها الديمقراطي في كردستان السورية وحزب الحل الديمقراطي الكردستاني في كردستان العراق ويمثله حزب سياسي في تركيا منذ 2008 يسمى حزب السلام والديمقراطية، يصنف حزب العمال كمنظمة إرهابية على لوائح الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والإتحاد الأوروبي وتركيا وإيران وسوريا وأستراليا. ينظر :إلى الموقع الإلكتروني التالي حزب العمال الكردستاني / <https://ar.wikipedia.org/wik>

34. عبد الله أوجلان: ولد في الرابع من نيسان 1948، هو مؤسس وأول قائد لحزب العمال الكردستاني عام. بدأ نشاطا عسكريا عام 1984 تخلله عدّة محاولات للسلام مع الحكومة التركية وللهدنة، أحداها في آب 1998، وفي ذات الفترة انتقل أوجلان تحت ضغوط الحزب والحكومة التركية من منفاه في سوريا إلى روسيا ثم إيطاليا ثم اليونان ثم وصل إلى السفارة اليونانية في نيروبي في كينيا، حيث أعتقل وأرسل إلى تركيا في شباط 1999 في عملية أثارت سخطا كرديا حول العالم وأنهت الهدنة الأخيرة، وحوكم أوجلان في تركيا في الثامن والعشرين من نيسان 1999 بتهمة الخيانة العظمى لتركيا وفقا للمادة 125 لقانون العقوبات التركي. وقد حكم عليه بالإعدام في التاسع والعشرين من تموز 1999 لقيامه بتأسيس وإدارة منظمة ارهابية مسلحة، وفي عام 2002،قامت تركيا بتحويل حكم إعدام أوجلان للسجن المؤبد

- ضمن سياسة إلغاء عقوبة الإعدام في تركيا، ومحاولة التلائم مع قوانين للاتحاد الأوروبي، وهو محبوس في سجن إماليان. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي عبد الله أوجلان / <https://ar.wikipedia.org/wik>
35. جلال عبدالله معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية-التركية، القاهرة، 2002، ص256 ،
36. ممدوح عليمي، عوامل وجوانب تطور العلاقات التركية-الإسرائيلية في التسعينات، القاهرة، 2003، ص135-136.
37. وليد رضوان، العلاقات العربية-التركية، ط1، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص270.
38. بنيامين نتانياهو: ولد في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1949، هو رئيس وزراء إسرائيل (حاليا) من الحادي والثلاثون منذ آذار 2009، وكان قد تولى قبل ذلك رئاسة الوزراء في الفترة من 1996 إلى 1999، رئيس حزب الليكود الإسرائيلي وكان سفير إسرائيل في الأمم المتحدة، يعد أصغر رئيس حكومة في تاريخ دولة إسرائيل، فاضح ياسر عرفات في المفاوضات المشهورة بمفاوضات وأيريفر والتي يرى البعض أنه حاول إعاقة أي تقدم في سير المفاوضات بخلاف رئاسة الوزارة التي سبقته والتي تلتها، فقد قطعت تلك الحكومات تقدماً ملموساً بالمقارنة مع عهده. وإتصف عهده بالهدوء النسبي باستثناء بعض العمليات الفلسطينية داخل إسرائيل، أصبح في عام 2002 ترك وزير الخارجية، في حكومة رئيس الوزراء أرنيل شارون، وعمل على منافسة شارون لزعامة حزب الليكود، إلا إنه فشل في المنازلة ، وبعد انتخابات 2003 تم تعيينه وزيرا للمالية في حكومة شارون الائتلافية، قام بتأليف العديد من الكتب منها: "محراب الإرهاب" و"مكان بين الأمم. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي بنيامين نتانياهو / <https://ar.wikipedia.org/wik>
39. مسعود يلماز: ولد في السادس من تشرين الثاني 1947 في إسطنبول وقد بدأ التعليم المتوسط في مدرسة إستراليا الثانوية وأنهى في مدرسة إسطنبول الثانوية بنين. وفي عام 1971 تخرج من كلية العلوم السياسية قسم مالية والاقتصاد جامعة أنقرة. وأتم دراسة الدراسات العليا في كلية إقتصاد وعلوم سياسية جامعة كولونيا في ألمانيا في مابين عامين (1974:1972). وقد تولى وظائف في قطاعات الكيمياء والنسيج والتوصيل وعمل كمدير في شركات خاصة متنوعه. وهو سياسي تولى رئاسة الوزراء 3 مرات لوزارات مختلفة. ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي مسعود يلماز / <https://ar.wikipedia.org/wik>
40. وليد رضوان، المصدر السابق، ص272.
41. وليد رضوان، المصدر السابق، ص275.
42. ارنيل شارون: ولد في 26 شباط في قرية كفارملال بفلسطين أيام الانتداب. كان اسم عائلته الأصلي شأينرمانوكان والداه من اليهود الأشكناز الذين هاجروا من شرقي أوروبا. إذ ولد أبوه في بولندا بينما ولدت أمه في روسيا يعدّ من السياسيين والعسكريين المخضرمين على الساحة الإسرائيلية. والرئيس الحادي عشر للحكومة الإسرائيلية هو شخصية مثيرة للجدل في داخل إسرائيل وخارجها. وبينما يراه البعض كبطل قومي يراه آخرون مجرم حرب بالنظر إلى دوره العسكري في الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982 ،وقد اضطر عام 1983 إلى الاستقالة من منصب وزير الدفاع بعد أن قررت اللجنة الإسرائيلية القضائية الخاصة للتحقيق في مذبحه صبرا وشاتيلا أنه لم يفعل ما يكفي للحيلولة دون المذبحة ،أما في 2001 ففاز بأغلبية ساحقة في الانتخابات الإسرائيلية العامة إذ تبنى مواقف سياسية أكثر اعتدال توفي في 11 يناير 2014 عن عمر يناهز 86 عاماً ينظر: إلى الموقع الإلكتروني التالي ارنيل شارون / <https://ar.wikipedia.org/wik>
43. ممدوح عليمي ، المصدر السابق، ص142-144.
44. المصدر نفسه، ص147.
45. وليد رضوان، المصدر السابق، ص285.
46. علي عبد الهادي الدليمي، العلاقات الاقتصادية التركية _ الإسرائيلية واثرها في الأمن الاقتصادي العربي مجلة الحكمة، العدد 7، شباط 1999، بغداد، ص37.
47. المصدر نفسه، ص39.
48. مازن خليل إبراهيم، المتغيرات الاقتصادية في العلاقات التركية - الإسرائيلية 1996 - 2002 واثرها على القضية الفلسطينية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد 12، العدد 4 ، 2006، ص79.
49. المصدر نفسه ، ص81-83.
50. مازن خليل إبراهيم ، المصدر السابق، ص85.
51. علي عبد الهادي الدليمي، المصدر السابق، ص42.
52. مازن خليل إبراهيم، المصدر السابق، ص84.

53. محمد احمد السامرائي، نهر الفرات بين الاستحواذ التركي والاطماع الصهيونية، سلسلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2001 ص ص52-53.
54. المصدر نفسه، ص57.
55. سعود محمد حبيب، التهديدات الإسرائيلية للأمن المائي العربي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية معهد القائد المؤسس، 1997، ص69.
56. محمود عبد الرحمن خلف، المصدر السابق، ص 177.
57. محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص62.
58. محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص65.
59. محمود عبد الرحمن خلف، المصدر السابق، ص 180.
60. وليد رضوان المصدر السابق، ص 313.
61. وليد رضوان المصدر السابق، ص 315-317.
62. وليد رضوان المصدر السابق، ص319.
63. محمد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص72.

الوجود العثماني في الجزائر بين مؤيديه ومعارضيه

د. سعودي أحمد جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر)

الملخص:

رغم أهمية الوجود العثماني في الجزائر ومنطقة المغرب العربي في الفترة الحديثة ولفرة ليست بالهينة (من القرن 16 على القرن 20م) ، فإن هذا الوجود وما ترتب عليه ما زال محل نقاش وجدال بين العديد من النخب العلمية والسياسية بين معجب ومؤيد للوجود العثماني في الجزائر ما بين (1591-1830م) يرى في أن العثمانيون نجحوا في حماية الجزائر من احتلال إسباني مسيحي لا مفر منه ، وأنهم بتطوير الأسطول الجزائري بعد ذلك نجحوا في أن تتحول الجزائر إلى دولة مهابة الجناح في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وبين معارض يرى أن العثمانيين رغم قوتهم العسكرية فشلوا في بناء الجزائر على الاقتصادي والاجتماعي ، كما أنهم فرطوا في الجزائر بعد 1830م دون الدفاع المستميت عنها.

Résumé :

L'étude de la relation entre l'Etat ottoman et un Etat arabe et ses diverses élites ou vice versa, comme le sujet actuel pour l'Algérie et le rapport de son élite à l'Etat ottoman, sont devenus des sujets historiques importants qui soulèvent de nombreux problèmes et entrent en collision avec de nombreuses tendances et théories. Organisé et parfois destiné, dans la mesure où il employait la recherche académique, à des fins politiques et idéologiques évidentes, de nombreux écrivains européens, et parfois même des Arabes, peignaient une image sombre de l'Empire ottoman comme l'État oppressif qui avec son épée et son subjugé dans les peuples méditerranéens au nord et au sud, et ce qui est tombé en dessous de différentes régions de l'Europe de l'Est. Cette communauté a adopté un certain nombre de questions contemporaines pour juger un état centenaire sans préciser la validité ou l'erreur de ces problèmes Comme c'est le cas avec ce que nous appelons ces jours-ci, les massacres des Arméniens et l'emploi politique des partis européens, dirigés par l'histoire de la France, mais c'est dans la mesure où certains d'entre nous pensent que l'occupation européenne des pays arabes les a sauvés de la lumière et de l'injustice Ottoman, et que les croisades sur les rives du Maghreb Arabe (1519-1830) de l'existence ottomane en Algérie, c'est ce que nous étudierons à travers les modèles d'un groupe de personnes de l'Empire ottoman. Les scientifiques, les poètes, le clergé et les autres? Quelles sont les justifications de ces positions pro-opposition ?

الإشكالية :

إن دراسة موضوع علاقة الدولة العثمانية بدولة عربية ما ونخبها المختلفة أو العكس كما هو موضوعنا الحالي بالنسبة للجزائر وعلاقة نخبتها بالدولة العثمانية، أصبح من الموضوعات التاريخية الهامة التي تثير الكثير من الإشكاليات وتتصادم فيها كثير من الاتجاهات والنظريات، نتيجة لما تتعرض له هذه العلاقة من تشويه منظم ومقصود أحيانا، وصل إلى حد توظيف البحث الأكاديمي فيه، خدمة لأغراض

سياسية وإيديولوجية واضحة، فقد عمد الكثير من الكتاب الأوروبيين ، بل وحتى العرب أحيانا إلى رسم صورة قاتمة عن الدولة العثمانية ، بوصفها على أنها تلك الدولة المستبدة الجائرة التي أعمت سيفها وقهرها في شعوب البحر الأبيض المتوسط شماله و جنوبه وما وقع تحتها من أقاليم مختلفة في أوروبا الشرقية ، واعتمدت تلك الطائفة في هذا الحكم على عدد من القضايا المعاصرة، للحكم على دولة عمرها عدة قرون ، دون أن ندخل في تفاصيل صحة أو خطأ هذه القضايا كما هو الأمر بالنسبة لما أصطلح عليه على أيامنا هذه بمذابح الأرمن¹، وتوظيفها سياسيا من لدن أطراف أوروبية وعلى رأسها فرنسا صاحبة التاريخ (المشرف.... بالجرائم)، بل وصل الأمر لدرجة أن يصور لنا البعض أن الاحتلال الأوروبي للبلاد العربية خلصها من النير والجور العثماني، وأن حملات الصليبيين على سواحل المغرب الإسلامي، كانت تحمل للمنطقة بشائر الرحمة والحضارة وكأن العثمانيين اخطأوا في صدها وردها بمشاركة السكان المحليين، فكيف كان الأمر ياترى بالنسبة للنخبة الجزائرية المعاصرة لتلك الحقبة العثمانية (1519-1830م) من الوجود العثماني في الجزائر ،هذا ما سنتناوله بالدراسة من خلال نماذج لمجموعة من العلماء والشعراء ورجال الدين وغيرهم؟ وما مبررات تلك المواقف المؤيدة أو المعارضة؟

¹ - يعرفها الإعلام الغربي "بالهولوكوست" أو "المحرقة الأرمنية" وأنها مذابح و جرائم الإبادة التي ارتكبتها الأتراك في حق شعب الأرمن حين قامت الدولة العثمانية بعملية تهجير قسري لهم من جنوب وشرق الأناضول إلى الشام والعراق، وتصنف هذه المذبحة بأنها ثاني أكبر قضية بعد المحرقة النازية، ويتهم السلطان عبد الحميد بكونه أول من قام بتنفيذ هذه المجازر، والحقيقة أن هذه الرواية من صنع الإعلام اليهودي.

بعد استقلال بلغاريا عن الدولة العثمانية 1878م أرادت أرمينيا وبخاصة اللجان الثورية الأرمنية أن تحذو حذو بلغاريا وان تخوض تمرد مسلح ضد الدولة العثمانية حتى تحصل على الاستقلال هي الأخرى مثل بلغاريا، وقد حرضت دول أوروبا هذه اللجان والحركات الثورية الأرمنية فأمدهم بالسلاح وبخاصة روسيا ومع نشوب الحرب العالمية الأولى 1914م، زحفت القوات الروسية على أرض الدولة العثمانية واحتلت عدة مدن جنوب وشرق الأناضول وانتهزت اللجان الثورية الأرمنية المسلحة وانقضت على بعض المدن والقرى وقتلت 500 تركي ثم تحولت اللجان الثورية الأرمنية إلى عصابات ميليشيات عسكرية تقاتل مع الدولة الروسية.

وفي سنة 1915م حين زحف الجنرال الروسي جيورونزوف على بلدة راوندوز وكانت قواته عبارة عن ميليشيات عسكرية من الأرمن لم تجد الحكومة التركية حلا تقطع به خطوط الاتصال بين قوات روسيا وبين ميليشيات الأرمن سوي إصدار قرارا بتهجير نصف مليون أرمني بجنوب وشرق الأناضول الي الشام والعراق، معتبرة ذلك ضرورة حربية، وفيما تقول مصادر الأرمن أن أعداد من ماتوا من الأرمن أثناء عمليات التهجير من 1915-1918م نحو نصف مليون أرمني

وتقول أن حملة التهجير كانت متممة من أجل إبادة الأرمن لأنه العرق الوحيد الغير مسلم في تركيا بينما، تقول المصادر التركية أنهم 300 ألف أرمني، وتقول أن معظمهم مات بسبب البرد والجوع وظروف الحرب العالمية الأولى لأنه تم ب عوامل طبيعية دون أمر بالقتل ومن المعلوم أن تعداد الأرمن بعد الحرب العالمية الأولى هو أكثر من مليون أرمني ومن الشهادات الغربية أن ببريطانيا أقامت محكمة عسكرية في اسطنبول لنظر قضية الأرمن فلم تجد أي دليل إدانة للحكومة التركية ولم تصدر حكما لخلو الأدلة وفي 1985 نشر 69 مؤرخ أمريكي مختص بتاريخ الدولة العثمانية تقرير قضية الأرمن ونفوا فيه وقوع اي عمليات إبادة من قبل الأتراك وللعلم ففي 23-12-2011م أصدر البرلمان الفرنسي تشريعا يجرم إنكار وقوع إبادة جماعية للأرمن ويعاقب من يفعل ذلك ،بغرامة قدرها 450 ألف يورو، للمزيد أنظر : بهاء الأمير ، اليهود والماسون في قضية الأرمن، مطابع التحرير، بيروت، 2012.، والكتاب الهام: يوسف حلاج أوغلو، تهجير الأرمن 1914-1918 (الوثائق والحقيقة)، (ط1)، تر: أورخان محمد علي ، شركة قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، سوريا

لقد بذل الكتاب الأوروبيين عامة والفرنسيون بشكل خاص كل جهودهم وإمكاناتهم لتشويه هذه العلاقات التاريخية الطيبة والحسنة لاسيما بين العرب والعثمانيين مشرقا وغربا ، وتصويرهم في أبشع صورة وأخسها، فنعنوا الحكم (التركي) بكونه إقطاعيا وطاغيا و متخلفا، وزعموا أن الأتراك غزاة أجانب استعماريون، لا هدف لهم سوى الغزو والقرصنة البحرية، وأدعى بعضهم أن دولتهم وإمبراطوريتهم هي دولة الانتحار العسكري..¹

ولا شك أن الخطأ يبدأ من تعميم الحكم على الدولة العثمانية على اتساع مجالها الجغرافي والزمني فمن الموضوعي إذن أن لا نحكم على العثمانيين باعتماد اللونين الأسود والأبيض فقط، فلكل مرحلة تاريخية حيثياتها ولكل منطقة تواجد بها العثمانيون خصائصها ومميزاتها الداخلية، التي نسجت طبيعة العلاقة بينها وبين السلطة العثمانية في تلك المنطقة، كما أنه يجب التفريق بوضوح بين مصطلحي "الدولة العثمانية" و "الجمهورية التركية" بين مصطلحي "العثمنة" و "النتريك"، فالأول أخذ بعدا دينيا إسلاميا بينما أخذ الثاني بعدا عرقيا عنصريا لدي مستخدميه مما أنتج ردود أفعال مناهضة له هنا وهناك.

لقد نشأت أجيال متعاقبة على هذا الحكم لدرجة تحويله إلى مُسَلِّمة : "العثمانيون هم سبب تخلفنا الحالي ، فقد حكمونا لعدة قرون اتسمت بالجهل والركود والظلم"، ورغم ما في هذا التعميم الواسع من مفارقة يرفضها البحث العلمي ، ألا وهي استمرار دولة كبرى لمدة طويلة زادت على ستة قرون ، دون أن يكون لديها مقومات ذلك.

ومن تحليل لهذه المسلمة نجد أنها تحتوى على ظلمين : ظلم مكاني وظلم زمني:

- الظلم المكاني : هو في حصر الركود والجهل والتخلف في " الدائرة العثمانية" وحدها في الوقت الذي لم يكن فيه الحال أفضل في بقية العالم الإسلامي، خارج النطاق العثماني، وإذا كان البعض يطرح فكرة تقدم الغرب الأوروبي على بقية العالم ،فإن تفاوت المستويات الحضارية هو سنة تاريخية، ولم يحدث أن توحد العالم كله في مستوى حضاري واحد في أي فترة من الزمن ،لا بل كان هنالك دائما عوالم مختلفة داخل العالم الواحد من حيث مستوى التقدم².

- الظلم الزمني: وهو يتضمن العديد من النقاط، حيث يثبت التاريخ أن تراجع الحضارة الإسلامية بدأ قبل زمن العثمانيين بكثير، ولا نجد مؤرخا واحدا يعتبر بداية ظهور العثمانيين ، هو نفسه

1 - يحي بوعزيز ،" حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية " مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد الخامس، السنة 1408 هـ / 1988م ، ص 152..

2 - زاكري كاربل ، التاريخ المنسي لعلاقة الإسلام بالغرب ،ترجمة : أحمد أبيض، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، 2010،ص 239.

بداية انحطاط المسلمين، بل نجد عكس ذلك ، حيث يعتبر البعض أنه أدى إلى " إضفاء نوع من الحيوية على العالم الإسلامي"، مع حركة الفتوحات وتوسع رقعة العالم الإسلامي ،فقد تضاعفت أوروبا مقارنة بدولة العثمانيين التي كانت خصما" قد يُقزم بحجمه وتنظيمه وقوته أي شيء يحتشد أمامه...كما لم تتمكن الأساطيل الإيطالية وفرنسا وإسبانيا وبريطانيا والمجر وبولونيا والنمسا... من تجنب الهزيمة الكاملة ، حتى في القرن الثامن عشر، أمام ما وصفوه بالترك "الغاشمين"، في أكثر أيامهم إشراقا على الإطلاق.¹

والنقطة الثانية ، أن الفترة العثمانية قد شهدت عدة محاولات للإصلاح، ونهضة نبعت من داخله ولم تستسلم لواقع الضعف والتراجع، وقد سبقت المحاولات اليابانية... وكان من الممكن جدا أن تؤدي إلى إحياء المنطقة ونهوضها سواء في ظل الدولة العثمانية، أو في ظل دولة منبثقة عنها ولعله لو لم تتآمر الدول الغربية على الخلافة العثمانية، ثم على محمد علي، لقامت الدولة الإسلامية المركزية بتمويل عملية تصنيع كبرى ، لا تتخلى بالضرورة عن القيم الدينية.²، وكانت النقطة الفاصلة بين اليابان والدولة العثمانية ،أن العثمانيين تعرضوا لقطاع الطرق الحضارية من الغرب، وجد من يتصدى لتجارهم الفتيحة ويجهض كل محاولاتهم بما فيه تجربة محمد علي باشا³ في مصر⁴، خلافا لليابان البعيدة عن الجغرافيا الأوروبية وذلك لم يفيت العديد من الباحثين الذين يؤكدون على أهمية ذلك.⁵

1 - زاكري، نفسه، صص 197-198.

2 - عبد الوهاب، المسيري ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، (ط1)، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2006، ص180.

3 - محمد علي باشا : محمد علي باشا المسعود بن إبراهيم آغا القوالي ، الملقب بالعزير أو عزيز مصر، هو ومؤسس الأسرة العلوية وحاكم مصر ما بين عامي 1805 إلى 1848 ، ويشيع وصفه بأنه "مؤسس مصر الحديثة" وهي مقولة كان هو نفسه أول من روج لها واستمرت بعده بشكل منظم وملفت. استطاع أن يعتلي عرش مصر عام 1805 بعد أن بايعه أعيان البلاد ليكون واليا عليها، بعد أن ثار الشعب على سلفه خورشيد باشا، ومكّنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر في حكم مصر لكل تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة العثمانية التي كانت لا تترك واليا على مصر لأكثر من عامين.

خاض محمد علي في بداية فترة حكمه حربا داخلية ضد المماليك والإنجليز إلى أن خضعت له مصر بالكلية، ثم خاض حربا بالوكالة عن الدولة العلية في جزيرة العرب ضد الوهابيين وضد الثوار اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني في المورة، كما وسع دولته جنوبا بضمه للسودان. وبعد ذلك تحول لمهاجمة الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يسقط الدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية التي أوقفت محمد علي وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها.

خلال فترة حكم محمد علي، استطاع أن ينهض بمصر عسكريا وتعليميا وصناعيا وزراعيا وتجاريا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في 18 يونيو سنة 1953 م، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر. أنظر: موسوعة القرن، (ط2)، الدار المتوسطة للنشر ، تونس ، 2011، ص706.

4 - صوفي بسيس، الغرب وآخرون: قصة هيمنة ، ترجمة: نبيل سعد، دار العالم الثالث، القاهرة ، 2002، ص74.

5 - سعد محيو ، مآزق الحداثة العربية من إحتلال مصر إلى إحتلال العراق، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010، ص87.

ومن الجميل لنا أن نستأنس هنا بموقف عميد المدرسة التاريخية الجزائرية ، أبو القاسم سعد الله في هذا المجال ، حيث يقول: " يجب أن نفرق بين الأتراك الأفحاح الذين اعتنقوا الإسلام، عن عقيدة وساهموا في حماية الحضارة العربية الإسلامية منذ عهد المعتصم العباسي ، وبين (المتتركين) الذين اعتنقوا الإسلام كوسيلة للوصول إلى السلطة وجمع المال والذين كانوا مغامرين وجهلة ومتمردين حتى عن السلطان. ومن سوء الحظ أن حكام الجزائر خلال العهد العثماني كانوا من الأعلاج المتتركين في أغلب الأحيان. فعانى منهم الشعب الجزائري كثيرا ، كما أثبتت ذلك الوثائق. غير أن المنتصرين للعثمانيين في الجزائر يعتبرون هؤلاء حكاما أتراكا مسلمين وكفى، وكأنه يكفي المرء أن يكون مسلما كي يرتكب ما يشاء. أما المعارضون فيظلمون الأتراك الحقيقيين بجعل حكام الجزائر ممثلين لهم في كل شيء. وكلا الفريقين في نظري على خطأ"¹.

فلو نظرنا للكتاب الجزائريين أنفسهم لوجدنا هذا الاصطفاغ لهذا أو ذاك ، ففئة من هؤلاء تصف دائما الحكام العثمانيين في الجزائر بأنهم "أتراك" و " أعاجم" من أصول يونانية وألبانية وإيطالية وغيرها... وأنهم كانوا دائما من خارج الجزائر وأغلبهم لا يتكلمون إلا اللغة التركية، وأن أغلبهم من طالبي الجاه والمال، مما يفسر سوء معاملتهم للجزائريين ،وسوء تسييرهم ودمويتهم لكثرة الانقلابات وتصارع الفئات المشكلة لوجودهم في الجزائر طلية الحكم العثماني (1518-1830م).غير أننا نجد من الكتاب والمؤرخين الجزائريين كذلك من لا ينحو هذا النحو على غرار الشيخين محمد مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني². وحتى بالنسبة لأبي القاسم سعد الله فإنه يعترف بما للفترة العثمانية من ضلال سوداء ، خاصة في الجانب الثقافي والتعليمي إلا أن يقر بوجود نقاط ضوء لا يجب إغفالها، فإذا كان هذا هو الجانب الأسود من العهد العثماني فإن الجانب " المضيئ منه فهو أن العثمانيين قد أنقذوا بتدخلهم، في بداية القرن العاشر، المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد. وقد كانوا في ذلك غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي وحماية الثغور وإقامة حكم إسلامي ثابت وقوي ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو وقذى في عينه وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي، وقد ظل عامل الجهاد الموحد هو العامل الأساسي بينهم وبين الجزائريين... وقد يتساءل المرء عن مصدر قوة العثمانيين في الجزائر رغم قلة عددهم. والواقع أن قوتهم الأولى كانت تكمن في تأييد الخلافة لهم ، وذلك هو المصدر الروحي الذي اعتمدوا عليه في حكم الجزائريين. فهم كانوا حريصين على إبقاء هذا المصدر

1 - أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج1) 1500-1830 ، (ط6) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 14. (أنظر الهامش رقم 1)

2 - يتجلى ذلك في عملهما الرائد في كتابي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث وكتاب هذه هي الجزائر وغيرها

حتى حين تمردوا على السلطان وردوا مبعوثيه على أعقابهم، لأن تأييده الروحي والمعنوي هو الذي يعطيهم الشرعية في نظر الجزائريين. والمصدر الثاني لقوتهم هو استجابتهم لداعي الجهاد كلما حانت فرصة ، ولا سيما في أوائل العهد، ومع الجهاد جاء الغزو البحري والثروة الاقتصادية سواء للخزينة العامة أو لجميع السكان".¹

ولعله من المفيد في هذا المقام أن نستعرض بعض ما كتبه بعض المثقفين الجزائريين ممن عاصروا الفترة العثمانية نفسها لفهم بعض المواقف وإيجاد تفسير لها، فمثلا حمدان خوجة²، كان من أقرب المثقفين الجزائريين للسلطة العثمانية في الجزائر ، وقد صنفه أبو القاسم سعد الله عند تصنيفه للنخبة السياسية الجزائرية ، مع بداية الاحتلال، ضمن ما سماه بـ "الحزب العثماني"³، وهو من أبرز من وصلتنا بعض أعمالهم التي تؤرخ للفترة العثمانية وبداية الاحتلال.

لكن حمدان خوجة كما سنلاحظ، مقارنة بالنماذج الأخرى التي سنقدمها، إستفاد من إطار أفضل من الأوضاع الاجتماعية والمعرفية والسياسية المحيطة به، (الغنى وثراء الأسرة - التعليم المتعدد الجوانب - الرحلات المتعددة - المناصب السياسية...)، جعلت منه " مدركا للتطورات السياسية والاقتصادية وكمؤرخ عارف لمعظم مؤثرات العصر واتجاهاته وتياراته، كما وليس في إمكان أي شخص آخر في عصر مثل عصر حمدان خوجة أن يكون في مستوى هذا الفهم، إلا إذا أعد إعدادا خاصة وتهيأت له ظروف اجتماعية ومادية"⁴

سجل لنا حمدان خوجة في كتابه الشهير (المرأة)⁵ بعض مواقفه من الدولة العثمانية والجميل في الأمر أن بعضها جاء في سياقات مقارنة مع بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر ، تجعلنا نستعملها مطمئنين مع المقولة القرآنية الشهيرة " وشهد شاهد من أهلها".

- 1 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ،صص، 15-16.
- 2 - حمدان بن عثمان خوجة، من مواليد مدينة الجزائر حوالي 1773م، من عائلة جزائرية عربية مالكة عاشت بضواحي مدينة الجزائر ، عاش حمدان خوجة متنقلا بين الجزائر والقسطنطينية وفرنسا ، مشغلا بالتجارة والدبلوماسية والسياسة، وقد واصل مهامه عند عودته، إلى الجزائر حتى نفيه إلى باريس بعد وشاية المعمرين به، أما عن تاريخ وفاته فغير معروف على وجه التحديد رغم أن جورج إيفار (George Yver) حدده ما بين 1840 و 1845م، في حين قال محمد بن عبد الكريم ثبوت وفاته أواخر 1840م، أنظر عميرأوي حميدة ،" نظرة حمدان خوجة الجزائري إلى الآخر"، مقال ، أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الأفاق، أبو ضبي 2004، على الرابط : <http://alrihlah.com/nadawat/research/492>
- 3 - قسم أبو القاسم سعد الله المقاومة المدنية والسياسية في بداية الإحتلال إلى ثلاث تيارات سياسية :
- الحزب الوطني والذي كان يضمن عناصر جزائرية تنظر داخليا، وتعمل على تحرير الجزائر بكل الوسائل، كأحمد بوضربة
- الحزب العثماني الذي يهدف أصحابه إلى إبقاء الجزائر ضمن الخلافة العثماني والذين من بينهم حمدان خوجة و ابن العنابي
- الحزب الفرنسي وهم اللذين ربطوا مصالحهم بالاحتلال الفرنسي كمصطفى ابن اسماعيل....، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، صص 105-106.
- 4 - عبد الحميد زوزو ، حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة، السنة الأولى ، العدد 4، شعبان 1391 هـ / أكتوبر 1971م،ص87
- 5 - قام حمدان بن عثمان خوجة بتأليف هذا الكتاب بباريس سنة 1833 ،أي بعيد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد ضاع الأصل العربي ، لكن بقيت الترجمة الفرنسية التي قام بها مثقف ليبي ، يدعى حسونة الدغيس الطرابلسي الذي توفي سنة 1836 وقد

ورغم أن كتابات حمدان خوجة تعج بمظاهر الوطنية الصادقة والتأثر الشديد بما يحدث في الجزائر نتيجة لمآسي الاحتلال حيث يقول: "إن ما يرسف فيه وطني كان يقلقني باستمرار، وكثيرا ما كنت خلال تسجيل هذه التعاسة، أضع القلم، لأترك دموعي تنهمر.."، فإننا سنركز أكثر على الشق المتعلق بموقفه من الوجود العثماني في الجزائر ومقارنته له مع الوجود الفرنسي فيه، فهذا الكتاب يدور في مجمله حول موضوعين رئيسيين، أولهما علاقة الجزائريين بالأتراك العثمانيين، وثانيهما العلاقة مع الفرنسيين، لا سيما في السنوات الأولى للاحتلال، الذي كان حمدان خوجة "يتمناه قصيرا"، وأن يعود الفرنسيون إلى ديارهم واسترجاع حياة الجزائريين المشتركة مع العثمانيين لكن بواقع أفضل من سابقه، ولن يتأتى ذلك في نظره إلا بمغادرة الفرنسيين للجزائر، وتصحيح ما شاب علاقة الجزائريين والأتراك من سوء تفاهم، فلا شك حسب تصوره أن ما يملكه الطرفان من نقاط مشتركة كفيلا بتصحيح ما أفسده الدهر، ولكنه في الوقت ذاته، لم يغفل الإشارة إلى بعض المساوئ التي كان عليها بعض الحكام العثمانيين في الجزائر العثمانية.

عمد حمدان خوجة إلى تقديم تحليل وتفسير يراه منطقيا لتبرير استقرار الأتراك الطويل في الجزائر وثقة السكان العرب والبربر بهم، ما عدا القليل منهم، ويفسر ذلك بأن ذلك مرده، إلى عوامل كثيرة من أبرزها ذكرا لا ترتيبيا:

- احترام الأتراك للمرابطين المبجلين من الشعب، ومنح هؤلاء نوعا من السلطة الروحية والمكانة المميزة داخل المجتمع وفي نظر السلطة الحاكمة" ويزعمون أن ليس في استطاعتهم، بدون مرابط أن يأمنوا من هذه الحوادث التي تقع أثناء السفر. وجعلت الضرورة من هذا الإجراء شيئا لا بد منه، تبناه الأتراك بدورهم للمحافظة على أمن الطرقات². وقد أوضح في جزء آخر من مذكراته، كيف أن الأتراك قد منحوا العديد من الامتيازات لأولئك المرابطين، احتراماً وتجيلاً لهم وللاستفادة منهم: "ومن ذلك الحين لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات و أثمنها، وصارت أماكن سكناهم وضرائحهم، بعد الموتى مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها"، ولا شك أن ذلك قد أكسب العثمانيين إحترام و ولاء الطرف الآخر أيضا مما ساهم في استقرار الحكم، وحدوث العكس عندما ساءت العلاقة بين السلطات العثمانية وتلك الفئة.

تعرف إلى حمدان خوجة واشترك معه في العمل الفكري والاعلامي، ويعتبر هذا الكتاب مرجعا تاريخيا مهما وقد طبع عدة مرات ببيروت. ينقسم كتاب "المرأة" إلى جزئين عرض في الجزء الأول تاريخ الجزائر الثقافي والاجتماعي والسياسي بشكل مفصل ودقيق. أما الجزء الثاني فيتناول أسباب الغزو الفرنسي للجزائر وتفاصيل عن نزولها بشاطئ سيدي فرج، كما يضم الكتاب معلومات هامة حول الأوقاف والوثائق الإسلامية بالجزائر. وقد تمت ترجمته جزائريا علي يد الدكتور محمد العربي الزبييري، أنظر: محمد العربي الزبييري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، (ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

1 - عبد الحميد زوزو، حمدان خوجة...، المرجع السابق، ص94.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبييري، منشورات ANEP، 2005، ص74.

- "وهناك وسيلة أخرى استعملوها تتمثل في أنهم كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين، ويمتنعون عن القيام بكل ما هو مناف للقوانين، ولا يعملون إلا بالقانون ولفائدة القانون".

- ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواها أن الأتراك يقيمون الصلاة مما جعل البرابرة يتصورون أنهم مرابطون وصالحون".

وهناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي. وتتمثل في تطبيق العدالة والإنصاف اللذين يعتبران أساساً لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة، وعندما يتم التأثير على العقول فإن الأجسام تتبع بالطبع، وما الفتح الحقيقي إلا ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد².

غير أن حمدان خوجة، عمد في هذه الأحكام على معطيات عامة، ربما تمكث فترات معينة دون أخرى من الحكم العثماني، بل وقد تزيد أو تنقص عند هذا الحاكم أو ذاك، حيث لا يمكن إعتبارها سياسات عامة، لدى هؤلاء الحكام.

ومن بين الحكام الأتراك الذين لقوا استحسان ومدح حمدان خوجة، الباشا حسين³، والذي عمد إلى وصف عدله وحسن تسييره، لابرار نقيض ذلك من الظلم والعدوان على يد المارشال دي بورمون¹، الذي

1 - حمدان خوجة، المصدر السابق، صص 72-73.

2 - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 74

3 - الباشا حسين: تذكر الوثائق أن حسين باشا ولد سنة 1764 في مكان يدعى "ندرله" وتذكر مصادر أخرى أنه ولد سنة 1773 في أزمير ونشأ في اسطنبول وخدم هناك في المدفعية وترقى فيها بسرعة، وعندما تعرض لعقوبة قاسية سافر إلى الجزائر وانضم إلى أوجاقها وتولى فيها عدة وظائف قبل أن يصبح وزيراً وصديقاً للباشا الذي سبقه وهو علي باشا وهذا الأخير هو الذي أوصى بخلافته سنة 1818. وبعد أن بقي في الحكم اثني عشر سنة وفي المنفى حوالي ثماني سنوات توفي في الإسكندرية سنة 1838

وإذا اعتمدنا على نبذة من البيوغرافيا التي يقدمها رجل معاصر للداي حسين وهو حمدان بن عثمان خوجة فإنه بإمكاننا أن نكون عن هذه الشخصية صورة ولو جزئية. فحسين باشا كما يصفه هذا المصدر هو آخر الدايات الأتراك الذين تتابعوا في حكم الجزائر، وصل إلى الحكم حوالي سنة 1818 وهو سليل أسرة عريقة من أصل طيب. امتاز بكرم الأصل واستقامة السيرة واتساع معارفه. خدم الجزائر مدة ثلاثين سنة تولى خلالها وظائف مختلفة في الدولة. ويضيف هذا المصدر بأنه بناء على معرفة شخصية فلا يمكن اتهام حسين باشا بالتكالب على المال والثروة كما أنه، في نظر حمدان خوجة، كان حريصاً على حقن الدماء وكان معروفاً في أوروبا باحترامه للالتزامات ومحافظته على عهوده ومواثيقه ولا تستطيع أي جهة أن تتهم حسين باشا بخيانة الاتفاقية المبرمة مع الجهات القوية أو الجهات الضعيفة. ويلح حمدان خوجة على إعادة الاعتبار لهذه الشخصية لأن مغادرته للحكم عقب الاحتلال لم تكن بتقصير منه ولكن بأخطاء ارتكبها أعوانه وميليشياته التي تجاوزتها الأحداث إذ كان كثير من رجاله دون تجربة ودون شجاعة وربما دون ذمة.

ويذكر حمدان خوجة أنه طيلة حكم الداوي حسين بالجزائر كان يفكر في إعادة النظام والانضباط إلى الدولة ولكن كثيراً من التجاوزات كانت قد تاصلت في المجتمع الجزائري قبل وصول هذا الداوي إلى الحكم بسنوات طويلة، غير أن الأيام لم تمهله للقيام بالإصلاحات التي كان يرجو تحقيقها. وفي الأخير يأخذ حمدان خوجة على حسين باشا تقصيراً واحداً وهو كونه لم يعمل على تقادي الحرب مع فرنسا. ولكن المؤرخين يظنون غير متفقين في الحكم على شخصية حسين باشا فمنهم من يحملة مسؤولية ما حل بالجزائر من حملة واحتلال ونكبات لأنه في نظرهم كان أحقفاً بغضبه غير الدبلوماسي على القنصل الفرنسي ومعاند ومهمل لاسيما في جانب اتخاذ الحيلة عسكرياً وإسناد القيادة إلى غير الأكفاء ومنهم من يبرئه من ذلك. ، أنظر، حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، صص 123-136.

عمد إلى نفي الأتراك من البلاد والتفرقة بينهم وبين عائلاتهم ، وهو لا يملك أي دليل يدينهم بتهمة التآمر إلا من بعض الوشاة الذين استمع لهم، أما حسين باشا فقد أعاد النظر في حكم القاضي بعد أن ثبت أنه منافي للقانون وقام بعزل القاضي عندما أثبت الفقهاء ورجال عدالة آخرون خطأ المهني².

لكن حمدان خوجة ورغم ابرازه للعديد من مزايا العثمانيين وفترة حكمهم ، فإنه لم يتوان في انتقادهم وأبرز عوامل انحطاطهم مخصصا في مذكراته فصلا كاملا بعنوان " عن انحطاط حكومة الأتراك وسقوطها"، أبدى فيه كثيرا من صفات الناصح والمرشد، فذكر أن من أكبر مظاهر هذا الانحطاط " فساد أعضاء المليشيا، وتجنيد ذوي السوابق من الأتراك واليهود واليونانيين" وبدلا من أن يتبع هؤلاء المندوبون (المكلفون بالتجنيد)، الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند في المليشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة، فإنهم يفتحون أبواب المليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا أدبوا وأدينوا. وكان يوجد بين الجنديين يهود ويونانيون ختنوا أنفسهم . وكما أن حبة فاسدة تكفي لإفساد كوم كامل من القمح، فإن رجلا فاسد الأخلاق يكفي لجلب الشر على جميع الذين يخلطهم ويحيطون به"، ولا عجب أن تتحول هذه المليشيا عن دورها المنوط بها وهو الدفاع عن الأيالة ومواطنيها إلى أداة قمع وعصيان: " وهكذا صارت تلك المليشيا المسلحة لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء الرؤساء بإشغال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم."³ ثم يبرز حمدان خوجة إلى العديد من نقاط الضعف التي طالت الحكم العثماني في الجزائر ومنها، إعطاء الباشاوات السلطة المطلقة وأبعاد الديوان وأعيان البلاد، و الكراغلة من المشاركة في القرارات والمناصب، و ازدياد الهوة بين الجزائريين والأتراك ، نتيجة ما

¹ - المارشال دي بورمون: هو الكونت دي بورمون (لويس دي شان) Louis Auguste –Victor, comte de Ghaisne (de Bourmont)، ولد سنة 1773م في فرنسي بفرنسا وتوفي سنة 1846م . كان ضابطاً في القوات الفرنسية حين قامت الثورة الفرنسية (1789-1799). وفي هذه المرحلة بالذات هاجر دي بورمون فرنسا ولم يرجع إليها إلا في سنة 1794م حيث حارب ضد نابليون بونابارت ثم استسلم ودخل في صفوفه سنة 1800م ولكن قبل ثلاثة أيام من انهزام هذا الأخير في معركة واترلو التحق دي بورمون بلويس الثامن عشر. وصار وزيراً للحربية في عهد شارل العاشر سنة 1829م وتولى قيادة الحملة الشهيرة ضد الجزائر في 5 جويلية 1830م وعين مارشالاً سنة 1830 من طرف شارل العاشر وبعد وفاة هذا الأخير رفض الخضوع للويس فيليب وحاول الثورة ضده وفي سنة 1833 استقر في اسبانيا ولم يكن رجوعه إلى فرنسا إلا في سنة 1845م

لم يكن هذا الرجل محترماً من المجتمع الفرنسي فقد كان بعض الفرنسيين ينظر إليه بكونه خان نابليون في معركة واترلو الشهيرة سنة 1815 وقاد حملة مضايقة ضد أسرة البوربون . وإذا كان من الضروري أن نستشف شيئاً عن شخصية دي بورمون فمن الممكن القول أنه كان على نقيض الداوي حسين ذا سلوك لا يمكن الاطمئنان إليه ولا التنبؤ بما يخطط له، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1)، دار البصائر ، الجزائر ، 2007، صص 27-30 . وكذلك :

- Narcisse Faucon, Le livre d'or de l'Algerie, T1 – Biographies, Chalamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, pp 119-122.

² - حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص 198.

³ - حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص 111.

منحه هؤلاء لعناصر مثل اليهود من مميزات هامة ، سمحت لهم بإبتزاز السلطة والانتفاع منها مما عقد وضعية الجزائريين الاجتماعية والإقتصادية.

ورغم انتقاداته تلك للحكم العثماني في الجزائر فإنه في مقارناته مع الواقع الجديد والأليم الذي صنعه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830م)، كان واضحا دون لبس في تفضيله للحكم العثماني، ولتأكيد موقفه لجأ إلى أسلوب المقارنة والاستنتاج، فهو يرى الفرق واضحا بين : "إدارة الأيالة والإدارة الفرنسية، ومع ذلك فإن السيد دي بورمون يزعم أنه جاءنا ليقضي على التعسف، ويطبق القانون وفقا للعدالة والإنصاف. فلو أن هذه الأخطاء ارتكبها شخص آخر غير دي بورمون لكان يمكن غفرانها، ولذلك صار كل واحد منا يقول أين هم إذا، أولئك الفرنسيون المشهورون، تلامذة نابليون العظيم ؟ أين هم أولئك الجنرالات المتصرفون، والمواطنون والقضاة النزهاء؟ ماذا فعلوا بعلمهم ومقدرتهم وذكائهم؟"¹

و قد كان حكم حمدان خوجة على الاحتلال ورجالاته واضحا من خلال العديد من الفقرات في مذكراته تلك حيث أبرز طبيعتهم الإجرامية وصفاتهم الأقرب إلى قطاع الطرق واللصوص، بينما يدعون في بياناتهم ونداءاتهم المتعددة للجزائريين عكس ذلك كليا ،منها قوله : " ولكن التعطش إلى الثروة الذي يبدو أنه استهوى الفرنسيين في الجزائر قد نفى عنهم كل حذر وكل تعقل فأصبحوا صما عميا لا يبصرون... ولكنني أكرر بأن طمع الفرنسيين في الثروات قد وصل، في الجزائر، إلى درجة أنني عندما ألجأ إلى الاستعارة أشبه هؤلاء الأوروبيين بعملق يدفعه العطش، وأشبه المدينة بحوض صغير من الماء المالح ، كلما شرب العملق ازداد عطشا، ويجف الحوض ولكن العطش لا يزول."²

وقد بدا الإطلاع الكبير لدى حمدان خوجة لما وصلت إليه فرنسا³ من تطور في العديد من المجالات المادية وحتى الفكرية منها مما سمح له ، باستخدام العديد من الشعارات والمبادئ الفرنسية لإدانة سياستها في الجزائر وأبرز مناقضة تلك المبادئ مع ما تقوم به فرنسا في الجزائر من جرائم على مختلف الأصعدة، متسائلا عن مكان وموقف (تلامذة نابليون العظيم و القضاة النزهاء) مما يحدث في الجزائر "

1- نفسه.

2 - حمدان خوجة ، المرأة ، المصدر السابق ،ص75.

3 - سبق حمدان خوجة العديد من الكتاب والمفكرين العرب والمسلمين أمثال رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وخير الدين التونسي وغيرهم في الحديث والكتابة عن الحضارة الغربية والأوروبية خصوصا،لقد دعى حمدان خوجة إلى ضرورة نبذ التعصب والتزمّت اللذان كانا يسودان العالم الإسلامي، نتيجة لموقف المحافظين من رجال الدين الذين أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث، فأغلقوا باب الاجتهاد والتزموا التوقع، وناشد الحكام على الإسراع بالإصلاح: " يجب على السلاطين وعلى أولى الأمر...أن يبادروا بإصلاح ما يدخل عليهم الضرر (على الرعية)... ولا يخصص لهم بعد ذلك أن يساعدوا الجهال على تعصبيهم وجهلهم .." وذهب حمدان خوجة ابعد من ذلك فجاول ان يفتن الحكام إلى قاعدة هامة في التجديد: "إن كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة، ولدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم ، حتى نتفادي حدوث اضطراب وقلق في الشعب.." أنظر للمزيد حول أفكاره الإصلاحية : عميرايو حميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)،(ط1)، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1987، صص 74-86.

وإلى جانب ذلك فإن هذا الاحتلال بالنسبة لفرنسا لن يكون في مستوى عظمتها. إنها تملك ثروات متعددة من حيث الرجال والأموال فماذا تستفيد من محاربة هؤلاء السكان وإنفاق كنوزها وإراقة دماء جنودها و تعريضهم للموت الناتج عن المناخ؟ وما هو الهدف من قيامها بمثل هذه الحملة أيا كان ذلك لمجرد الرغبة في إبادة الناس أم لأجل نيتها الحمقاء في اكتساب أراض لا تثبت شيئا¹.

ومنه فإنه لا يمكن لقارئ هذه المواقف إلا أن يتأكد من موقف حمدان خوجة الواضح في تأييد عودة حكم العثمانيين² في الجزائر ، ولا يمكن التصور ولو للحظة أنه كان فرحا بزواله ومصفا للفرنسيين واحتلالهم للجزائريين.

وهناك شخصية أخرى يمكن التطرق لها، من بين المثقفين الجزائريين الذين أبدوا رأيهم في الدولة العثمانية ، ألا وهو بن هطال التلمساني³ ، الذي تركا لنا عملا أدبيا مميزا ، ضمن (أدب الرحلة) الذي عرفه الجزائريون في العهد العثماني ، لكن صاحب العمل غير بعيد عن التاريخ وموضوعاته وهو الذي يعرف التاريخ قائلا : " من أجل العلوم قدرا وأكملها محاسنا وفخرا... إذ به عرفت قدماء الأمم..⁴، غير أن أسلوبه بطبيعة الحال مختلف عن أسلوب حمدان خوجة الذي يبدو أكثر دقة وأعمق تركيبا وتوظيفا للمصطلحات التاريخية والسياسية ، بينما يمكن تصنيف ما كتبه ابن هطال في خانة أدب المدح والإطراء

1 - حمدان خوجة ، المرأة ، المصدر السابق ، ص 30.

2 - لم يكتب حمدان خوجة بالدفاع عن الوجود العثماني في الجزائر ، بل كان من دعاة الإصلاح الأوائل للدولة العثمانية نفسها، فكتابه (إتحاف المنصفين) ، الذي أظهر فيه ثقافة واسعة ومقدرة علمية، وتشبعا بأوجه الحضارة الأوروبية الحديثة، كان يرمي من إصداره وتقديمه، هدية للسلطان محمود الثاني، عملية الإصلاح التي خطت خطواتها الأولى في عهد هذا السلطان، غلى الأخذ بأسباب العلم والدعوة إلى تطبيق نظام الكارنتينة (الحجر الأربعيني)، التي سادت في أوروبا.

3 - ابن هطال التلمساني..: في غياب مذكرات ذاتية لأحمد بن هطال التلمساني، تبقى حياة وسيرة هذا الرجل غامضة وكل ما نعرفه عنه أنه أبو العباس السيد أحمد بن محمد بن محمد - بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني، ويعتبر ابن هطال، فقيها، وأديبا ، بزغ نجمه في الحقل الديبلوماسي والسياسي في عهد البايع محمد بن عثمان الكبير 1779-1797 ، إذ شغل ببلاد هذا الأخير منصب كاتب السر الرئيسي أو الباشا دفتردار، ويعد هذا المنصب مرصدا لجمع أخبار البايليك السياسية والعسكرية من شهود عيان، والتحقيق فيها. وكان ابن هطال يدعى بلسان الدولة، ويعني ذلك أنه كان الناطق الرسمي باسم حكومة البايع محمد الكبير في داخل الجزائر وخارجها. ومن أبرز آثار أحمد بن هطال التلمساني، مرافقته للبايع محمد الكبير طوال رحلته أو غزوته لقبائل جنوب الهضاب العليا بالقسم الغربي للجزائر سنة 1785م، مع تسجيل أبرز أحداث الرحلة بأمر من البايع محمد الكبير، وتقبيدها في كتاب أضحى مصدرا هاما في الدراسات التاريخية العثمانية بالجزائر. حيث قام بتدوين كل مراحل الرحلة الرسمية، ويسجل الأحداث المختلفة للحركة التأديبية، ذاكرا ما اعترض البايع في رحلته من عقبات ونكسات، وما أحرز من انتصارات، والموضوع المهيمن على الرحلة هو وصف مجريات الحملة العسكرية التأديبية التي قادها البايع محمد الكبير بجنوب بايليك الغرب لإخضاع القبائل العاصية والمستقلة عن الحكم العثماني، من خلال دفعها إلى الاعتراف بالطاعة للبايع وإجبارها على دفع اللزمة السنوية -الخراج- مع التنبيه إلى مآثر البايع المذكور خلال الحملة وللعلم فقد دامت الرحلة من يوم الخروج، الخميس 09 ربيع الأول 1119هـ/19 يناير 1785م، إلى يوم الرجوع إلى معسكر يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني 1119 هـ/10 مارس 1785م . وشملت الرحلة الرسمية قرى هضابية معينة، وأماكن استقرار قبائل مستقلة، محصورة بين مدينتي معسكر في شمال البايليك الغربي، والأغواط في جنوبه. أنظر: بلربوات بن عتو " رحلة البايع محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري سنة 1785م" ، مقال ، أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الأفاق، أبو ظبي 2004 ، على الرابط : <http://alrihlah.com/nadawat/research/484>

4 - أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج1) ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007، ص358.

أكثر، فهو قليل الانتقاد للعثمانيين، حيث إمتأ وصفه لرحلة محمد الكبير¹ نحو الجنوب الوهراني² بكثير من مفاخر وإنجازات هذا الباي المعروف، فهو مثلاً يستهل الرحلة بقوله: "وأردت أن إذكر منه نبذة أخدم بها قامع المبغضين ومدوخ المارقين، من جمع الله له خصال الشرف والمجد وموجات الشكر والحمد، محل الجلال والعظمة والجود، المخصوص بنصر الآراء والبنود... ذي الأيادي العميمة والمنن العظيمة.... الملحوظ بعناية الله السيد محمد باي ابن مولانا السيد عثمان باي"³.

لكن ورغم الطابع الأدبي المحض للرحلة فإنها لأشك تعطينا في طياتها وتفصيلها بعضاً مما كان عليه حال هذا الحاكم مع بعض مقربيه ورعيته من الجزائريين، يقول أبو القاسم سعد الله عن ابن هطال: "إبن هطال شخصية هامة في تاريخ الجزائر ولكنها مغمورة، فهو كمستشار وكاتب ودبلوماسي ومحارب قد عاش فترة خصبة من تطور هذه البلاد جديرة بالتسجيل والبعث"، أما عن الرحلة ذاتها فيصف أهميتها قائلاً: "وإذا كانت شخصية إبن هطال هامة ثقافياً فإن موضوعه هام من عدة جوانب. فإن الرحلة تتضمن أخبار جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية، لا يستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرنين الماضيين، و بالإضافة إلى ذلك فإن محمد الكبير، الذي كان سبباً في تأليف الكتاب، كان شخصية جديرة بتسليط الأضواء لأنه تقلب في مناصب مختلفة، وشهد تطورات كثيرة، وساهم هو بقسط وفير في خلق تلك المناصب وتوجيه تلك التطورات، فقد شغل منصب بأي، وإشترك في حرب الإسبان وقاد بنفسه حملة ضد الصحراء لإخضاع أهلها إلى سلطة الداوي، كما عرف عنه أنه شجع الأدباء والعلماء وطلبة العلم وأقام المدارس والعمارة..."⁴

1 - الباي محمد بن عثمان الكردي أو الباي محمد الكبير كما هو شائع عنه، رجل من رجال الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن الثامن عشر إذ حكم بإيليك الغرب بصفته بابا من 20 جمادى الثانية 1193 هـ إلى 25 جمادى الأولى 1212 هـ ما يوافق جويلية 1779م إلى نوفمبر 1797 م. تميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح أن الرجل كان مسابراً لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية عاشت المخاض في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا 1766م - 1791م، لم يترك لنا الباي محمد الكبير مذكرات عن حياته، رغم أنه اهتم بحركة النسخ و التأليف، ولد الباي محمد الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، ولا يمكننا تحديد تاريخ ولادته بدقة، إلا أن الخزندار " تدينا " Thédénat (قدر عمر الباي محمد عند أول لقاء به في قصره عام 1779م بين أربعين وخمس وأربعين سنة أي ولد بين 1734 و 1739م. توفي الباي محمد الكبير في مساء يوم الأربعاء 25 جمادى الأولى 1212م الموافق لـ 15 نوفمبر 1797م (23) وهو راجع من مدينة الجزائر، بعد أن أدى دنوشه وأتم الثمانية أيام من الضيافة لدى حضرة الداوي حسن، وذكر أحمد الشريف الزهار أنه توفي ببلاد قبيلة السائح بن خضرة، كبير أولاد قصير، قرب مازونة، وحمله أولاده ميتاً إلى وهران، ودفن بمدرسة خنق النطاح، مقابل جبهة البحر، وذلك بأمر من ابنه الأكبر «عثمان» وتبقى أسباب وفاته الحقيقية غامضة إلى يومنا هذا، أنظر: بلربوات بن عتو " رحلة الباي محمد... المرجع السابق .

2 - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري على الجنوب الصحراوي الجزائري 1789، (تق) محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2004.

3 - أحمد بن هطال، رحلة الباي... المصدر نفسه، ص 34.

4 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، (ج1)، المرجع السابق، ص 357.

فقد أورد بعض الأحداث السياسية والعسكرية المراهنة لحكمه، وابن هطال يشكل حتما فئة من المثقفين الموجودين فعلا في الحقل الثقافي ، والذين يمكن تسميتهم بـ (علماء أو كتاب السلطان) الذين لم يخلو منهم عصر ، ولكن كتاباتهم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار وتتمر تحت غربال التحقيق ، لكن دون رميها وإهمالها، ورغم أن ابن هطال كان تحت تأثير المنصب والوظيفة ، لكن بعض ما كتبه من أحداث، لا يناقض في أغلب الأحيان ما كتب عن تلك الفترة من مصادر معاصرة له.

وكذلك ممن عرف بإعجابه بالعثمانيين و وصلنا عمله نذكر محمد بن ميمون الجزائري¹ ، صاحب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" ، فقد خصص كتابه للتأريخ لأحد الحكام الأتراك، مبينا خصاله ومآثره، باعتماد أسلوب المقامة الأدبية، حينما عرض في كتابه ستة عشرة ، مقامة عرف فيها بسيرة الداوي محمد بكداش²، وأوصافه وأخلاقه وجهاده ضد النصارى الإسبان.

ولعل من أبرز ما نستشفه من خلال ما يصوره ابن ميمون عن الحياة في كنف العثمانيين تختلف كثيرا عما يصوره الفرنسيون عنه من الظلم والفقر والجهل، كما أن هذه النماذج وغيرها ، تعطينا صورة عن نخبة جزائرية تعايشت مع العثمانيين وأعجبت بهم ولو في فترات تاريخية وأوضاع مختلفة، ولكن ذلك لم يمنع أيضا من وجود فئة أخرى من الناقلين على الدولة العثمانية.

ونرى الأخصري³ في موطن حديثه عن الثقافة، يندب حظ العلم والمعرفة، بهذا الوطن، مستاء مما كان عليه حال البلاد في ذلك الزمن فيقول: "هذا الزمان الصعب الذي إنقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلا الحثالة، وغلبت العجمية، على قلوب الأنام، حتى كاد العلم ينقرض بانقراض أهله"¹.

1 - هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار ،الجزائري الدار...أهملت جميع المضان والمصادر ترجمته كما سكنت عن تحديد زمان الولادة والوفاة ومكانهما ، ومهما يكن فإنه معاصر للداوي" محمد بكداش" وصهره " أوزن حسن حتى وفاتها سنة 1710م ، أنظر : محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ،(ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981،صص 11-12.

2 - هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد نسبة إلى نيكدا (Negda) وهي ناحية من بلاد تركيا حيث نشأ وتربى وهو عربي الأصل .و بكداش لقب تركي معناه الحجر القاسي أو هو لفظ فارسي معناه المتفرد بالسودد لقبه به والده صغيرا تيمنا بشيخ الطريقة البكتاشية (البكداشية –البكطاشية)، وكان يلقب بخوجة أيضا والداوي بكطاش مما اشتهر به هو أنه هاجم مدينة وهران وطرد الاسبان منها نهائيا بعد أن قضوا بها مدة تنيف على قرنين 914-11هجري/1508-1708 افرنجي وفي أيام الداوي بكداش القي القبض على الاخوين العالمين مفتي المالكية بالعاصمة الجزائر الشيخ احمد واخيه القاضي علي ابني العلامة سيد سعيد قدورة فقتلا خنقا وكذلك كانت عاقبة هذا الداوي ايضا مثلهما فان فرقة الانكشارية استعجلت الداوي في تقاضي اجرتها فمأظها الذي بسبب تخلف صاحب الدنوش بقسنطينة وفراره من الجباية فتمرد الجند وتأمروا ضد الداوي فقتلوه خنقا يوم السبت 21 محرم 1122هجري 22 مارس 1710 افرنجي كما انه اعدم معه صهره حسن وزن وخلف الداوي في منصبه دالي =ابراهيم .أنظر عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام،(ج3)، دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ،2009،صص 209-210 و220.

3 - - محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم القشطولي الزواوي الإدريسي الحسني، ولد بقرية بوعلاوة بعشيرة آيت اسماعيل حوالي سنة 1714م وتوفي سنة 1794م، اشتهر في علوم الفقه والتصوف، أول من جاء بالطريقة الرحمانية –الخلوتية - إلى بلاد المغرب من أبرز مؤلفاته " السلم المرونق في المنطق والحكمة" أنظر ،خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس لتراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج4،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان،2002،(حرف العين) ، وكذلك أبو القاسم

وفي أرجوزته القدسية ، يقول شاكيا من أحداث زمانه (القرن العشر هجري -السادس عشر ميلادي):
 هذا زمان كثرت فيه البدع **** واضطربت عليه أمواج الخدع
 وخسفت شمس الهدى وأفلت **** من بعد ما بزغت وكملت
 والدين قد تهدمت أركانه **** والزور طبق الهوى دخانه
 ويقول في أرجوزة أخرى:

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي **** العذر حق واجب للمبتدي
 لاسيما في عاشر القرون **** ذي الجهل والإفساد والفتون².

ولما جعل الأتراك المناصب و الوظائف الحكومية العليا ، كلها مقصورة على طوائف الإنكشارية وجاقاتهم خاصة ، الأمر الذي بلغ ببعض شعراء الجزائر إلى مهاجمتهم والحط من شرفهم، ومن ذلك قول أبي عثمان سعيد بن عبد الله ، المشهور بالمنداسي، المتوفي في القرن الثاني عشر هجري ، يقول :

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم **** ولا ولدت حواء كالترك إنسانا
 ولا طار مثل الترك للسمع طائر **** ولا وجد الشيطان كالترك فتانا
 عثوا وأستفروا المسلمين من القرى **** وقد عبدوا جمر الدنانير أوثانا³.

إن ما سبق يوضح لنا ولو جزئيا تعدد المواقف والآراء في المرحلة العثمانية من تاريخ الجزائر ، ولكنها تبقى في كل الأحوال آراء، يجب أن تدرس في إطارها الزماني والمكاني ، وأن لا تهمل لصالح رأي بعينه خاصة ما ارتبط بوجهة النظر الإستعمارية وكتابتها المجحفة في حق الأتراك و للفترة العثمانية من تاريخ الجزائر.

المراجع والمصادر

- 1- زاكري كاريل ، التاريخ المنسي لعلاقة الإسلام بالغرب،ترجمة : أحمد أبيض، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، 2010.
- 2- عبد الوهاب،المسيري ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية،(ط1)،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، 2006.
- 3- صوفي بسيس، الغرب والأخرون: قصة هيمنة ، ترجمة: نبيل سعد،دار العالم الثالث، القاهرة، 2002.

محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف،(ج1)،موفم للنشر ، الجزائر ،1991،ص72. وكذلك : عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،(ج4)،دار الأمة ، الجزائر ، 2010،ص266.

- 1 - عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر،(ج4) ، مرجع سابق،ص177.
- 2 - عبد الرحمان بن الصغير الأخضرى ، السلم المرونق في علم المنطق،(دراسة وتحقيق ابو العباس النوحى) المطبعة السلفية ، القاهرة، 2003،ص16.
- 3 - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر..(ج4)، مرجع سابق ،ص87.

- 4- سعد محيو ، مازق الحداثة العربية من إحتلال مصر إلى إحتلال العراق،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، 2010.
- 5- أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج1) 1830-1500 ، (ط6) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2009.
- 6- عميراي حميدة ، " نظرة حمدان خوجة الجزائري إلى الآخر"، مقال ، أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الأفاق، أبو ظبي 2004، على الرابط : <http://alrihlah.com/nadawat/research/492>
- 7- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007.
- 8- عبد الحميد زوزو ، حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة، السنة الأولى ، العدد 4، شعبان 1391 هـ / أكتوبر 1971م.
- 9- محمد العربي الزبيري ،مذكرات أحمد بأي وحمدان خوجة وبوضرية ، (ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981
- 10- حمدان بن عثمان خوجة ، المرأة ، تقديم وتعريب وتحقيق ، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005.
- 11- Narcisse Faucon, Le livre d'or de l'Algerie, T1 – Biographies, Chalamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, pp 119-122.
- 12- عميراي حميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)،(ط1)، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1987.
- 13- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،(ج1) ،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007.
- 14- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير بأي الغرب الجزائري على الجنوب الصحراوي الجزائري 1789، (تق) محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2004.
- 15- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري،(ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ، 1981.
- 16- أنظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،(ج3) ،دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ، 2009.
- 17- وكذلك أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف،(ج1)،موفم للنشر ، الجزائر ، 1991.
- 18- عبد الرحمان بن الصغير الأخضرري ، السلم المرونق في علم المنطق،(دراسة وتحقيق أبو العباس النوحى) المطبعة السلفية ، القاهرة، 2003.

المرأة في الفلسفة الحديثة

جون لوك انموذجاً

د/ فرات أمين مجيد - جامعة ديالى - العراق

الملخص :

إن الذي حفز لوك نحو إقامة فلسفة جديدة هو انشغاله بالأسئلة الفلسفية التقليدية المتعلقة بالنفس والعالم والألوهية. لكن بدلاً من انطلاقه نحو البحث في هذه المشكلات بدأ بطريق لم يطرقه قبله معظم الفلاسفة وهو البحث في المعرفة الإنسانية⁽³⁾. وكان مبرره في هذا أن أي آراء حول مشكلات الفلسفة هي نمط من المعرفة، ولذلك فقبل أن نبدأ في البحث في المعرفة الإنسانية يجب أولاً البحث في أداة هذه المعرفة وهي الفهم البشرى. ولهذا السبب يعد لوك أول من نظر إلى البحث في طبيعة المعرفة الإنسانية على أنه النقطة التي يجب الانطلاق منها قبل البحث في موضوعات المعرفة ذاتها. وهكذا كان لوك هو أول واضع لمبحث الإبيستمولوجيا أو نظرية المعرفة⁽⁴⁾. صحيح أننا نجد لدى لوك آراء حول الجوهر والسببية والنفس والعالم والألوهية والأخلاق والسياسة، إلا أن آراءه حول هذه الموضوعات كانت نتيجة ثانوية للمبادئ التي وضعها في صورة نظرية في المعرفة. حتى يومنا هذا ، من القضايا التي تثار حولها الكثير من الإشكاليات، وخاصة ، في مجتمعاتنا التي تتأرجح بين العلمانية والإسلام ، فعلى الرغم من القيمة الكبرى المترتبة على المساواة بين الرجل والمرأة ، فأنها لم تتقدم خطوة واحدة عن نضالها الماضي ، بل أن بعض المفكرين يرون ان هناك (ردة) في عالم المرأة التي تريد أن تجعل من نفسها - وبمحض اختيارها - حريماً تنزوي وراء الجدران ، والواقع أن هناك بعض القضايا إتفق عليها المفكرون وعلماء النفس ، أولها : أن المرأة لا تولد امرأة ، بل تصبح امرأة ، وهي حقيقة كشفت عنها الفلسفة الوجودية المعاصرة ، وترتب عنها قضية بالغة الأهمية ، وهي انه ليس هناك ما يسمى بطبيعة المرأة ، فهذه الطبيعة يشكلها المجتمع مثلها مثل القوانين ، والشرائع والقيم الأخلاقية ، مما يذكرنا بالنزاع القديم بين السوفسطائيين من ناحية ، وسقراط وأرسطو وأفلاطون من ناحية أخرى ، حول " الطبيعة والعرف " وهناك أيضاً ، سطوة العادات والتقاليد التي تنزاح عن العقل والمنطق ، وتتجسد في مبدأ ظالم ، ينظم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين .

Abstract:

The lock, which stimulated towards the establishment of a new philosophy is a preoccupation with traditional philosophical questions regarding the self and the world and divinity. But rather than launch towards researching these problems began accidentally knocking him most philosophers did before him, a Search human knowledge . The justification for this is that any opinions about the problems of philosophy are a style of knowledge, so before we begin the search in human knowledge

must first research in this knowledge, a tool to understand human. Luc For this reason, it is the first to look at research into the nature of human knowledge at that point that must build on them by the search of knowledge in the same topics. Thus Locke was the first author of the Study of epistemology or theory of knowledge . True, we find Luke opinions about the substance and causality, soul, world and divinity, ethics, politics, but his views on these issues were secondary to the principles set in the form of the theory of knowledge as a result. To this day, the issues raised around a lot of dilemmas, especially, in our communities, which oscillates between secularism and Islam, despite the large value of the equality between men and women, it did not make a single step from the past struggle, but that some thinkers believe that there (rose) in the world of women that want to make it themselves - and of their own volition - Harima Tenzue behind the walls, and the fact that there are some issues agreed upon intellectuals and psychologists. First, that the woman is not born a woman, but rather becomes a woman, a fact revealed by philosophy contemporary existentialism, and the consequent very important issue, which is that there is no such thing as the nature of women, this nature posed by the community, like laws, and laws and moral values, which reminds us of the old conflict between Alsovstaiien the one hand, and Socrates, Aristotle and Plato, on the other hand, about the "nature and custom "there are also, the influence of customs and traditions that drift for reason and logic, and is embodied in the principle of unjust, it regulates the existing social relations between the sexes.

مشكلة البحث :

" لقد ماتت هيباتيا بصورة مريعة-هيباتيا المعلمة الأولى - كما هو أرسطو ولقد سارت النساء تقريبا في نفس الطريق - اقصد من حاولت أن تسلك طريق النجاح ". نقلاً عن الكاتبة الفرنسية « أرمانيين لوسيل أورو» فإنها لم تتمكن من نشر مؤلفاتها حتى اتخذت لنفسها إسم رجل هو جورج صاند (1814 - 1876) الكاتبة والمؤلفة الفرنسية التي حملت اسم الرجال حتى تجد أعمالها طريقها إلى النور ، بعد أن فشلت تماماً في إقناع أصحاب الصحف ودور النشر ، أن المرأة أيضا تستطيع أن تكتب وأن لها عقل المفكر . يفكر . ويستوعب مثل الرجل⁽¹⁾ .

لقد عاشت المرأة مضطهدة ، ليس لها مجال في هذه الحياة ، إلا تربية الأطفال ، وإرضاء الرجال ، بل هي مخلوق أخط من الرجل والدليل على هذا قول بعض الفلاسفة وأهل الفكر .

قال : (بردون) الفيلسوف الاشتراكي في كتابه (آبتكار النظام) إن وجدان المرأة أضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا .

وقال الفيلسوف (روسو) إن المرأة ، لم تُخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفن ولا للسياسة ، وإنما خلقت لتكون أماً تغذي أطفالها بلبنها ، وتتعهد ضعفهم بحسن عنايتها ، وتسلمهم بعد ذلك للآب ، أو للمربي يعتني بهم على نحو ما توحى به الطبيعة ، وترجع هي للقيام بوظيفة الأمومة فتحمل ، وتضع وتُرضع ، وتتعهد لتعود أيضا لتحمل ، وتُرضع وتتعهد من جديد . وهي وأطفالها دائماً في عنق الرجل⁽²⁾ .

قالت دائرة المعارف الفرنسية عن المرأة : إن تركيبها الجسماني يقرب من تركيب الطفل ، ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً تتأثر بغاية السهولة ، بالإحساسات المختلفة كالفرح . والألم . والخوف .

وبما أن هذا المؤثرات ، تؤثر في تصورهما ، بدون أن تكون مصحوبة بتعقل ، فلذلك نراها لا تستمر لديها إلا قليلاً ؛ ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات .

هذه الأمة الفرنسية تلك الدولة المتمدنة ، ظل قانونها المدني ، إلى أمد قريب ، ينص على : ولأية الرجل على المرأة ، ويمنعها حرية التصرف بما لها إلا بإذن زوجها .

وقد قال شوبنهاور : المرأة كما النملة التي تفقد جناحها بعد تلقيح الذكر فالمرأة تفقد جمالها بعد ولد أو اثنين...إلى أن يقول كان الأجدر أن نسمي النساء بالجنس الذي لا يتذوق الفن...وإذا استعرضنا تاريخ النساء فلن نجد امرأة قدمت للعالم قيمة خالدة في أي موضوع! هل الفلسفة أيضا ضد المرأة، لِمَ الجميع ضدها !! هل المشكلة في الجميع أم في المرأة ؟

أهمية البحث:

جاءت هذه الدراسة إلى بيان نظرة جون لوك للمرأة فقد وضع العديد من الآراء الفلسفية عن المرأة ، فقد كان جون لوك أحد مؤسسي المذهب الليبرالي، ومن أعظم الفلاسفة الذين دافعوا عن حقوق الفرد، ولقد أثرت أفكاره السياسية بقوة في الثورة الأمريكية التي نشبت بعد وفاته بما يقرب من سبعين عاماً.

أما رأيه في المرأة، فيبدو أنه قد بناه متأثراً بفلسفة أرسطو، وظروف زمنه وبيئته. وقد اعترض لوك على مذهب الأفكار التي تتم بالفطرة والتلقائية، والذي كان يقول بأن الأفكار تكون جزءاً من العقل عند الميلاد ولا يتم تعلمها أو اكتسابها فيما بعد من المصادر الخارجية. ويتم تحليل مركزية لوك في الفكر الليبرالي ومفهوم العقد الاجتماعي عنده وأهمية الحرية والقانون، والاستبداد السياسي وحق المقاومة، والتسامح الديني.

المبحث الأول / جون لوك - حياته وأعماله :

أولاً : حياته :

جون لوك فيلسوف تجريبي إنجليزي ، وُلد سنة 1632 وتُوفى سنة 1704 ، وكانت هذه الفترة من أكثر عصور الاضطراب والفوضى التي شهدتها إنجلترا في تاريخها . تعلم لوك في مدرسة وستمنستر ثم في جامعة أكسفورد بكلية كنيسة المسيح. وكانت دراسته فيها تؤهله للعمل في السلك الديني ، لكنه آثر دراسة الطب والعلوم التجريبية، ومارس مهنة الطب لدى بعض الأسر الأرستقراطية الإنجليزية، وكان يلقب بالدكتور لوك، حيث كان ماهراً كطبيب وأجرى عملية جراحية ناجحة لأنتوني أشلي كوبر سنة 1668، وهو أحد النبلاء، مما مكنه من أن يصبح سكرتيراً لكوبر في الأمور السياسية والاجتماعية. ومكنه هذا المنصب من أن ينضم إلى الجمعية الملكية للعلوم. وهناك ازداد اهتمامه بالفلسفة وأسس نادياً من أصدقائه ومعارفه لمناقشة القضايا الفلسفية والدينية. وعندما حصل كوبر على لقب لورد شافتسبري

وأصبح وزيراً للعدل ترقى معه لوك إلى منصب سكرتير هيئة التجارة، وفي سنة 1675 أكمل دراسته في الطب وحصل على البكالوريوس. وقد طاف لوك بالعديد من الدول الأوروبية بحكم منصبه التجاري، فزار جنوب فرنسا وباريس بين عامي 1675 و1679، وتعرف هناك على الاتجاهات الفلسفية الأوروبية وخاصة فلسفة ديكارت وقرأ أهم مؤلفاته، وفي سنة 1683 زار هولندا وأقام بأمستردام ثم روتردام سنة 1687⁽⁵⁾. وآخر المناصب التي تقلدها لوك كان مندوب الاستئناف، وهو منصب قضائي تأهل له بحكم منصبه التجاري السابق ومؤلفاته السياسية التي جذبت الانتباه.

ومن هنا نرى كيف أن خبرات لوك كانت متعددة للغاية، إذ بدأ بدراسة اللاهوت منذ صغره، وانتقل إلى دراسة الطب والعلوم التجريبية، ومنها إلى الفلسفة وأخيراً القانون والسياسة. وهذا هو السبب في تعدد الموضوعات التي كتب فيها.

ثانياً : مؤلفاته في الفلسفة:

1. «مقال في الفهم البشري» (1690).
2. «رسالتان عن الحكومة المدنية» (1689).
3. «أفكار في التربية» (1693).
4. «مقال في التسامح» (1689 - 1692). كما أهدته دراسته للطب والعلوم التجريبية لأن يكون صاحب مذهب تجريبي في الفلسفة.

وهكذا لم يكن لوك مقتصرًا على الكتب والبحث النظري في الحصول على خبرته وأفكاره كمفكر، بل كان رجلاً عملياً إلى أقصى حد، أثرت رحلاته ومناصبه المختلفة التي تقلدها، من طبية إلى تجارية إلى قضائية في فلسفته. وعلى الرغم من أن شئون الاقتصاد والسياسة كانت من صميم عمله، إلا أنها لم تمنعه من أن يصبح فيلسوفاً محترفاً. وقد اتصف لوك كفيلسوف بكل ما كان يتصف به المفكر في ذلك العصر، إذ لم يكن كبار فلاسفة القرن السابع عشر منتمين إلى السلك الأكاديمي، فلم يتقلد لوك أي منصب جامعي ولم يُدرّس في أي جامعة⁽⁶⁾، وكانت الفلسفة لديه هواية يمارسها في أوقات فراغه من عمله الاقتصادي والسياسي والقضائي، لكنه رغماً عن ذلك أصبح من أشهر الفلاسفة الإنجليز، ويقدم لنا لوك مثلاً براقاً على فيلسوف محترف لم يتول تدريس الفلسفة في الجامعة بل كانت الهواية التي تحولت بعد إتقانها إلى احتراف. وهذا هو ما يميز لوك وفلاسفة القرن السابع عشر، أما بعد عصر لوك ابتداءً من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين فقد ظهر الفيلسوف المتخصص في الفلسفة والمحترف المرتبط بالأكاديمية والذي لا ينتج نسقاً فلسفياً إلا بالتفرغ التام لها، باستثناء ديفيد هيوم بالطبع الذي

تتشابه سيرته الذاتية مع سيرة لوك، وبذلك رأينا فلاسفة ارتبطوا بالأكاديمية وكانت هدفهم الوحيد، مثل كريستيان فولف، وكانط، وهيغل، ومعظم فلاسفة القرن التاسع عشر والعشرين⁽⁷⁾.

ظهرت فلسفة لوك في عصر الحرب الأهلية الإنجليزية، بين الملك والبرلمان، وكان الملك يمثل الطبقة الأرستقراطية التي كانت تهدف المحافظة على مكتسباتها الوراثية ووضعها المتميز داخل المجتمع والدولة والبرلمان يمثل البرجوازية الصاعدة، أي طبقة التجار ورجال المال والأعمال والصناعة. انتهت هذه الحرب بانتصار البرلمان، وبتقييد سلطات الملك حتى أصبح يملك وحسب ولا يحكم. وقد اتصف ذلك العصر بالاضطراب والفوضى في كل النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية، وما يميز كل مرحلة انتقالية بين نظام قديم ونظام جديد. أراد لوك أن يحافظ على ثبات واستقرار المجتمع الإنجليزي، وأراد كذلك المحافظة على النتائج التي أسفرت عنها الثورة، أي الجمع بين النظام الملكي والنظام البرلماني في نفس الوقت⁽⁸⁾، والمحافظة على التوازن بينهما، وبالتالي التوازن بين الأرستقراطية والبرجوازية.

ولذلك اشتهر لوك بنظريته السياسية التي تجمع في نفس الوقت بين حق الملكية الذي يحافظ على الحقوق المتوارثة للأرستقراطية والحقوق المكتسبة حديثاً للبرجوازية، وبين مفهوم الحكومة المدنية التي تعتمد على توازن القوى وتوزيع السلطات. والحق أن هذا كان مفهوم الإنجليز عن الاستقرار، فهو توازن ومحافظة على أملاك كل الطبقات.

ومن الناحية الفكرية أراد لوك مواجهة الحماس الزائد الذي يصل إلى حد التهور والملازم لصعود أي طبقة جديدة. وكان يمكن أن تؤدي مواجهة البرجوازية للسلطات الكهنوتية للكنيسة أن تعصف بالدين، ولذلك أراد لوك أن يحافظ على الإيمان وفي نفس الوقت يعبر عن نظرة البرجوازية الفكرية والمتمثلة في اعتماد العقل حكماً في كل شؤون الحياة والخبرة التجريبية التي وضعها أساساً لفلسفته. وكان يمكن لتجريبية لوك أن تذهب به إلى حد الإطاحة بالأديان من جراء عداة كل مذهب تجريبي للأفكار المسبقة واعتماده على الخبرة التجريبية التي تكبح جماح العاطفة، وأولها العاطفة الإيمانية؛ لكن تتميز تجريبية لوك بأنها جمعت بين عمل العقل والتجربة من جهة، وعلى الإيمان والوحي من جهة أخرى. وهذا هو جوهر الفرق بينه وبين هيوم، الذي سار على المنهج التجريبي إلى نهاياته المنطقية حيث وضع الإيمان والوحي والمعجزات تحت محكمة العقل ورفض الميتافيزيقا وقيد من سعى العقل المستمر نحو تجاوز الخبرة التجريبية في اتجاه المثاليات. وهكذا ظهرت فلسفة لوك على أنها تضع للعقل حدوداً مزدوجة، من الخبرة التجريبية ومن الإيمان والوحي⁽⁹⁾.

المبحث الثاني / آراء جون لوك الفلسفية :

لقد كان عصر جون لوك هو عصر الأصوليات المتعصبة وكان إتباع البابا أي الكاثوليك يكرهون جدا أبناء المذهب المسيحي الآخر، أي المذهب البروتستانتي الذي ينتمي إليه هو شخصيا كمعظم الإنجليز وكانوا يتهمونهم بالهرطقة والزندقة ولكن لسوء حظ الكاثوليك فإن عدد البروتستانتين في إنجلترا كان أكبر منهم بكثير، وذلك على عكس فرنسا وقد درس جون لوك في طفولته اللغة اليونانية واللاتينية لأنهما كانتا لغتي العلم والفلسفة في ذلك الزمان كما درس فلسفة أرسطو في مدرسة ويستمنستر بين عامي 1646 - 1652، ثم أصبح محاميا في مدينة أكسفورد ومعلوم أنه كانت توجد آنذاك منافسة كبيرة بين كمبردج وأكسفورد وكلتاها مدينتان جامعتان من أعلى طراز، فالأولى كان يسيطر عليها إتباع أفلاطون والثانية إتباع أرسطو وكان الصراع بين الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأرسطوطاليسية اخترق تاريخ الفلسفة من أوله إلى آخره سواء في العالم الأوروبي أو في العالم العربي الإسلامي، فالأفلاطونية كانت مثالية أو روحانية جدا وأما الأرسطوطاليسية فكانت واقعية أو مادية عموما، وقد انعكس ذلك على الفلسفة العربية الإسلامية ذاتها فإين رشد مثلا كان واقعيا من إتباع أرسطو وابن سينا كان مثاليا أستاذة أفلاطون⁽¹⁰⁾.

أولاً : نظرية جون لوك في العقل والحس :

لا ينشغل لوك بفحص الذهن البشري ذاته من حيث تركيبه العضوي أو من حيث العمليات العقلية التي يقوم بها بل ينطلق مباشرة نحو فحص عناصر المعرفة في الذهن البشري من إحساسات وإدراكات وأفكار وكلمات، وهو يذهب إلى أن لكل الأفكار أصلها في الحواس باعتبارها المصدر الأول لتلقى الانطباعات والإدراكات والأفكار عنده هي ما يشكل كل المعرفة الإنسانية، ولذلك ينطلق نحو البحث في (كيفية حضورها للذهن) ولا يجد سبيلاً تأتي به الأفكار إلى الذهن البشري إلا عبر الإدراكات التي مصدرها الحواس، ولأن لوك قد رفض نظرية الأفكار الفطرية فقد ذهب إلى أن كل أفكارنا ترجع إلى الخبرة التجريبية، وعلى الرغم من ذلك فقد تمسك بمعنى واحد فقط للفطرية فليست الأفكار هي الفطرية عنده بل ملكات الذهن من تذكر وتخيل ودمج بين الأفكار وبعضها وكذلك الرغبة والإرادة⁽¹¹⁾.

تتقسم الأفكار البسيطة عند جون لوك إلى أفكار تأتي من حاسة واحدة مثل الألوان التي تأتي من حاسة البصر والسخونة والبرودة والنعومة والخشونة التي تأتي من حاسة اللمس، والروائح التي تأتي من حاسة الشم والأصوات التي تأتي من حاسة السمع، والأفكار تأتي من أكثر من حاسة واحدة مثل المكان والامتداد والشكل والسكون والحركة، ذلك لأننا ندرك المكان من حاستي البصر واللمس بأفكار تأتي من الانعكاس على العمليات الذهنية (reflection) وهو تفكير العقل في أفكاره التي حصل عليها من الإدراك

الحسي، فعندما يتأمل العقل في الكيفية التي يتعامل بها مع الأفكار يدرك أنه يقوم إما بإدراك حسي أو استدلال أو حكم أو تمييز وتفريق ومقارنة أو تذكر .

1. أما الأفكار التي تأتي من الإحساس والانعكاس معاً فهي اللذة والألم لأنهما يبدأان بإدراك حسي معين يتبعه شعور بالارتياح أو عدم الارتياح يأتي من الانعكاس على ما تلقته الحواس، وكذلك القوة إذ بعد أن يلاحظ العقل تأثير جسم ما على أجسام أخرى يدرك أن فيه قوة على هذا التأثير والتتابع أيضاً (succession) لأن العقل بعد أن يستقبل إحساسات معينة يلاحظ ما بينهما من علاقة تتابع أي أنها تتبع بعضها البعض ويكون بعضها قبل بعض أو بعد بعض.

2. ويذهب لوك إلى أن الأفكار البسيطة في العقل تقابلها صفات في الأجسام بمعنى أن العقل يستقبل من الأجسام صفاتها التي تتحول فيه إلى أفكار، وهو يقر بأن لكل من الأفكار وصفات الأجسام طبيعة مختلفة، فالأفكار من طبيعتها أن تكون ذهنية ومجردة والصفات من طبيعتها أن تكون حسية لكن الأفكار البسيطة هي في النهاية انعكاس ذهني لصفات الأشياء كما لو أن العقل الإنساني مرآة تنعكس عليها صفات الأشياء

3. في الفهم الإنساني : يبدأ لوك كتابه الذي نشره في العام 1690 بتوضيح الهدف من تأليفه ويذهب إلى أن الفهم هو الملكة التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية، ولذلك فإن البحث فيها له الأولوية القصوى ذلك لأنه كما أن العين هي وسيلة الإنسان لرؤية الأشياء، فإن الفهم هو وسيلته في الإدراك والمعرفة وقيل أن ينشغل الفيلسوف بإنتاج أي نوع من المعرفة، فإن الأولى هو البحث في الفهم الذي هو أداة المعرفة وهكذا يفتح لوك مجالاً جديداً للبحث الفلسفي يختلف عن مجالات الفلسفة التقليدية، إذ كان كل مذهب فلسفي سابق يبدأ مباشرة بالبحث في قضايا الوجود وطبيعة الإنسان ومفهوم الحقيقة وواقعية العالم الخارجي ، ينقسم كتاب المقال إلى أربعة أجزاء: الأول عن الأفكار الفطرية، والثاني عن الأفكار، والثالث عن الكلمات، والرابع عن المعرفة الجزء الأول ينتقد لوك الرأي القائل بالأفكار الفطرية بناء على أن الخبرات البشرية متعددة وأن ما هو فطري بالنسبة للبعض ليس كذلك بالنسبة للبعض الآخر وأن أجناساً بشرية مختلفة تعتقد أفكاراً مختلفة وتعتقد في أنها فطرية وأن البشرية كلها ليست مجتمعة على القول بأفكار فطرية واحدة هناك شعوب لا تعتقد في وجود هذه الأفكار في الأصل، وهذا دليل على أنه ليس هناك إجماع بشري عام على أفكار فطرية واحدة إذ لو كانت هذه الأفكار الفطرية موجودة لكانت كل البشرية تعتقد فيها (12).

يقسم لوك العمليات الذهنية إلى أنواع عديدة تبعاً لنظريته حول الأفكار البسيطة والأفكار المركبة فهناك عمليات ذهنية مرتبطة بالأفكار البسيطة :

1. الإدراك الحسى: وهو أول مرحلة في التفكير وعلى الرغم من أن الإدراك الحسى (perception) عملية ذهنية تتضمن التفكير إلا أنه ليس تفكيراً بالمعنى الحرفي للكلمة إذ لا ينطوي على الفاعلية والنشاط بل يتضمن السلبية والتفائية، أي أن الإدراك الحسى هو التفكير السلبي الذى يقتصر على تلقى الإحساسات، كما هي دون أن يتعامل معها بالربط بينها ودون أن يكتشف فيها أي علاقات .

2. الاستبقاء (retension) : وهى الاحتفاظ بالأفكار البسيطة التي تلقاها العقل من الإحساس ويتم هذا الاحتفاظ بطريقتين: الانتباه إلى هذه الأفكار ذاتها كما هي موجودة في العقل (contemplation) والذاكرة (memory) أي الاحتفاظ بالأفكار البسيطة في الذاكرة بعد أن تكون الإحساسات التي أنتجتها قد غابت عن أعضاء الإحساس والذاكرة هي القوة التي نستطيع بها إحياء الأفكار في الذهن بعد أن غابت إحساساتها ويطلق لوك على الذاكرة إسم (مخزن أفكارنا) .

3. المقارنة والدمج والتسمية (comparing / compounding / naming) : عن طريق المقارنة يميز العقل الامتداد والدرجات فهو يدرك الأطول والأقصر عن طريق المقارنة على أساس الامتداد ويدرك درجات اللون الواحد على أساس المقارنة بين الألوان عن طريق الدرجات اللونية ويدرك الترتيب بين السابق واللاحق عن طريق المقارنة على أساس الزمان أو المدة، ويدرك العلاقات المكانية عن طريق مقارنة الأشياء بعضها ببعض حسب المكان.

4. التجريد (abstraction) وهي آخر عملية ذهنية يشرحها لوك تحت ملكة الإدراك الحسى وهى إدراك العام والمشارك بين أشياء متشابهة في صفة ما، ووضع إسم عام لها مثل إدراك البياض الذى هو صفة تجمع الأشياء البيضاء وإدراك الشكل الكروي الذى يجمع أشياء تتصف بهذا الشكل مثل الشمس والقمر وكرة القدم، ومن الملاحظ أن التجريد هو أعلى العمليات الذهنية التي تقع في نطاق الإدراك الحسى فبدون التجريد لن يصبح الإدراك الحسى كاملاً ودقيقاً لكن التجريد هو في نفس الوقت أول عملية ذهنية تنتمى لملكة الفهم ومعنى، هذا أن التجريد هو الصفة الحقيقية التي ينتقل بها الذهن من الإدراك الحسى إلى الفهم، وهو أيضا أول عملية يستطيع بها الفهم الوصول إلى الأفكار المركبة ذلك لأن الأسماء العامة والتصورات والمفاهيم المجردة أفكار مركبة، لكن يصير لوك على اعتبار أن التجريد عملية ذهنية تعمل في نطاق الإدراك الحسى والفهم معاً فهو قوة إدراك وقوة فهم في نفس الوقت .

وهكذا كان لوك هو أول واضع لمبحث (الإبستمولوجيا) أو نظرية المعرفة بدأ لوك بتناول عناصر الفهم الإنساني مباشرة من إدراكات حسية وأفكار وإحساسات وتصورات دون أن يشغل نفسه كثيراً بالبحث في فسيولوجيا الذهن ذات الطابع السيكلوجي أو في الطبيعة العضوية للإدراك الحسي، وكان كل ما يهيمه في المعرفة الإنسانية هو كيفية حدوث المعرفة للفهم البشري لا الطبيعة العضوية للتفكير والتي توقع دائماً في إشكالية الارتباط بين النفس والجسم..

ثانياً : نظرية جون لوك في كتابه (رسالة في التسامح) :

التي نشرها في العام (1689) أي بعد عام انتصار الثورة والتي بلور فيها هذا الفيلسوف الإنجليزي النظرية الليبرالية لدولة الحق والقانون. ودافع فيها عن حق الملكية والحرية الفردية وعندئذ خرج بالقانون : (إن حريتي تنتهي عندما تبتدئ حرية الآخرين) وبالتالي فإذا كان هو فيلسوف الليبرالية أي الحرية فإن ذلك لا يعني أنه مع الفوضى فالمجتمع الليبرالي هو ذلك المجتمع الذي يحترم فيه كل شخص حرية الآخرين ولا يعتدي عليها وعلى هذا النحو تنتظم أمور المجتمع⁽¹³⁾.

كان هدف لوك في ذلك التأكيد على (أنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية وأن فن الحكم ينبغي أن لا يحمل في طياته أية معرفة عن الدين الحق) وهو يعني بذلك أن التسامح الديني يستلزم أن لا يكون للدولة دين لأن (خلاص النفوس من شأن الله وحده ثم أن الله لم يفرض أحداً في أن يفرض على أي إنسان ديناً معيناً... وأن قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل، أي كامنة في باطن الإنسان) وبسبب هذه الأفكار العقلانية هوجم لوك فألف رسالة ثانية في التسامح عام 1690 ثم رسالة ثالثة عام 1792 ..

ويمكن تلخيص دعوة جون لوك في رسالته في التسامح بقوله (ليس لأي إنسان سلطة في أن يفرض على إنسان آخر ما يجب عليه ان يؤمن به أو ان يفعله لأجل نجاة نفسه هو، لأن هذه المسألة شأن خاص ولا تعني أي إنسان آخر. ان الله لم يمنح مثل هذه السلطة لأي إنسان ولا لأية جماعة ولا يمكن لأي إنسان أن يمنحها لأنسان آخر فوqe اطلاقاً). وقال جون لوك إن الحرية لا تعني الإباحية وإنما المسؤولية فالله زودنا بالعقل والحرية لكي نستخدمهما بشكل صحيح لا بشكل خاطئ والقانون الطبيعي الذي يحكم البشر قائم على العقل وهو ذو أصل إلهي. ثم قال جون لوك : في المجتمع الليبرالي الحديث فإن للإنسان الحق في الحياة والحق في الحرية والحق في الاستمتاع بأملكه الشخصية وكل مجتمع يضمن لأفراده هذه الحقوق الأساسية يمكن القول بأنه مجتمع ليبرالي عقلائي كما أن لكل فرد الحق في الإيمان بدينه أو مذهبه بشرط ألا يفرض ذلك بالقوة على الآخرين وهنا أسس التسامح بين المذاهب والأديان بل ووصل الأمر به عام 1689 إلى حد الدفاع عن المسلمين واليهود وما عداهما من غير

المسيحيين العائشين في المجتمع الإنجليزي قائلًا: لا ينبغي إطلاقاً حرمانهم من الحقوق المدنية أو نبذهم من المجتمع لأسباب دينية أو طائفية⁽¹⁴⁾.

ثالثاً: نتائج فكر جون لوك في الثورة الانجليزية 1688:

كان من ثمار المنجزات الفكرية والثورية لجون لوك انتصار الديمقراطيين على السلطة الملكية متمثلة بجيمس الثاني وريث شارل الثاني فيما عرف بالثورة المجيدة عام 1688 وتغير نظام الحكم من ملكي مستبد إلى نظام ملكي مقيد بقوانين يشرعها البرلمان حيث: أنشأ مجلسين هما العموم واللوردات وأعطيت الصلاحيات الأوسع للعموم - ظهور الانتخابات والمجالس والتمثيل النيابي - تقييد الملك والحد من صلاحياته⁽¹⁵⁾.

رابعاً: وثيقة إعلان الحقوق 1689 التي أصدرها البرلمان:

1- قسم جون لوك سلطات الدولة إلى ثلاث السلطات التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة الإتحادية وأكد على ضرورة الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية بحيث تتولى كل منها هيئة مستقلة عن الأخرى.

2- حق الملك بالتاج مستمد من الشعب وليس الله .

3- لا يقوم أي ملك بالانتقاص من حقوق الشعب .

4- ليس لملك إصدار قوانين جديدة أو الغاؤها دون العودة للبرلمان .

5- حرية الرأي والتعبير في البرلمان مصانة .

المبحث الثالث: المرأة في فلسفة جون لوك:

أولاً: زواج المرأة وتكوين الأسرة:

يتحدث جون لوك عن المرأة ضمن علاقة الزواج، ورابطة الأسرة، يقول: بأن الزواج لابد أن يدوم بين الرجل والمرأة بعد عملية الإنجاب، بقدر ما تدعو الضرورة وتتطلب الحاجة إلى رعاية الإبناء وإطعامهم. ذلك هو أساس واجب الوالدين الذي يترتب عليهما نتيجة الزواج.

ويقدم جون لوك تصنيفاً لأنواع الحيوانات المختلفة والفترة اللازمة لدوام الاقتران ومرافقة الزوج للزوجة لرعاية صغارهما:

1- الحيوانات من آكلة العشب، وكذلك الحيوانات التي تلد أطفالها مكتملة النمو، لا يدوم الاقتران بين الذكر والأنثى سوى بمقدار دوام فعل الجماع بينهما. لأن ضرع الأم كاف لتغذية صغيرها حتى يصبح قادراً على أن يقتات العشب بالنسبة للمجموعة الأولى من الحيوانات. فالذكر هنا ينجب لكنه لا يآبه للأنثى أو لصغارها، لأنه عاجز عن إمدادها بأي عون.

2- الحيوانات المفترسة، يدوم الاقتران زمنا أطول، لأن الأنثى لا تقوى على البقاء، وتغذية صغارها الكثيرة مما تقتريسه بمفردها - وتلك سبيل من سبل العيش أشق وأخطر من طرق آكلات العشب. لذلك كانت مساعدة الذكر ضرورية لبقاء النوع والأسرة المشتركة التي لا يتسنى لأفرادها البقاء حتى يصبحوا قادرين على الافتراس إلا بتعهد الذكر والأنثى ورعايتهما.

3- عند جميع الطيور، باستثناء بعض الدواجن التي توفر كثرة الغذاء على الذكر مئونة تغذية الفراخ أو العناية بها - يكون الأمر متشابه ، أم إذا كانت أفرانها تحتاج إلى الغذاء وهي في العش، فإن الذكر والأنثى يبقيان قريبين، حتى تصبح صغارها قادرة على الطيران، وعلى جمع القوت بمفردها، والعناية بنفسها.

وهنا يبين لوك رآيه: السبب الرئيسي، أو لعله السبب الوحيد، لاقتران المرأة والرجل أو الذكر والأنثى من البشر، اقترانا يربو أمداه على اقتران جميع المخلوقات الأخرى. هو كون الأنثى قادرة على الحمل من جديد، كما هي الحال في أغلب الأحيان، ثم تضع مولودا جديداً ، قبل أن يستغني المولود الأول عن مساعدة والديه في ما يقيم أوده، أو يصبح قادرا على طلب العيش بنفسه، فيجب، لهذا السبب، أن يحيطه والداه بجميع ضروب الرعاية والعناية. ومن هنا فان الرجل الذي يلزمه واجب الزوجية برعاية صغاره عليه أن يبقى ولازم المنى نجب، محافظا على علاقته الزوجية مع المرأة ذاتها زمنا أطول، دون سائر المخلوقات التي تصبح صغارها قادرة على طلب العيش بنفسها، قبل حلول أو ان ولادة المولود الثاني فتحل رابطة الزواج من تلقاء نفسها.

وعلى الرغم من أن جون لوك يعتقد أن الزواج ضرورة تفرضها الطبيعة، أو إرادة السماء، وعلى الرغم أيضا من أنه يعتقد أن الزوج والزوجة يشتركان على قدم المساواة في أمور تربية الصغار وتثنتهم حتى يبلغوا سن الرشد، ومن ثم فليس لهما سوى هم مشترك -رغم ذلك كله فإنه يعتقد أنهما مختلفان من حيث (الفهم والإدراك) ، وهي نفس نظرة أرسطو القديمة التي ترى أن هناك تمايزا بين قدرات الزوج والزوجة - بالتضاد أحيانا. ولابد أن تكون لهما، في بعض الأحيان، إرادتان مختلفتان، ومن ثم كان من الضروري أن يكون القرار الأخير - الحكم - منوطا بشخص ما، ولذلك كان من الطبيعي أن يصبح هذا الشخص هو الرجل، وأن يكون الحسم من نصيبه مادام هو الأقدر والأقوى. وبالتالي يقترب جون لوك كثيرا مما كان يقوله المعلم الأول من أنه: من الطبيعي أن يأمر الزوج، وأن تطيع الزوجة، لأن جنس الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى، ومن ثم فتسلط الرجال على النساء مسألة طبيعية جدا.

وعندما يناقش جون لوك دور النساء فإنه يقرر بوضوح أنهن خُلِقن ليكن مرافقات للرجال تابعات لهم وكما أنهن عاجزات عن إنجاب الأطفال بدون الرجال، فإنهن كذلك عاجزات عن تربيتهم بدون مساعدة الرجال

أيضا، أو على الأقل حتى يصبح الأطفال قادرين على الاعتماد على أنفسهم. ولهذا كان المصير الطبيعي للمرأة، في رأيه، أن تتزوج أولاً: لقدرتها على الإنجاب فهي الأداة التي تحقق بها الطبيعة استمرار النوع، وثانياً: لخضوعها لسيطرة الرجل أو الزوج، وذلك بسبب اعتمادها عليه في تربية النشء. وهكذا افترض لوك أن الأسرة وبنيتها الخاصة بما فيها من سيطرة الرجل على المرأة أو تسلط الزوج على الزوجة، هما تداعيات طبيعية، أو ارتباط طبيعي تم خلقه في حالة الطبيعة⁽¹⁶⁾.

ثانياً: السلطة في الأسرة:

وهي سلطة الرجل أو الزوج، وهي سلطة طبيعية، تعتمد أساساً على تفوق الرجل على المرأة، وهو تفوق يضرب بجذوره في الاختلاف الطبيعي بينهم بسبب دور المرأة في عملية الإنجاب⁽¹⁷⁾.

يبدأ (لوك) في مناقشته لنشأة الدولة بتبني فكرة (أرسطو) التي تقول أن الأسرة هي التجمع الطبيعي الأول فهي أول صورة من صور التجمع البشري، وهي تجمع طبيعي لتحقيق إشباع الحاجات الطبيعية الملحة ومن مجموعة الأسر يظهر الشكل الثاني للمجتمع الذي منه يظهر التجمع النهائي الكامل وهو الدولة.

ومن الطبيعي، فيرى (لوك) أن تكون الدولة السياسية قد بدأت تحت حكم وإدارة رجل واحد هو الأب في الأعم الأغلب. وكانت، وهي تجمع لمجموعة من الأسر من الضخامة بحيث تكفي نفسها بنفسها فحافظت على وحدتها، ولم تختلط بغيرها من العائلات كما يحدث غالباً عندما تكثر الأرض ويندر البشر. وكان للأب، بناء على قانون الطبيعة، الصلاحية نفسها التي كانت لكل حاكم آخر، أي الحق بأن ينزل العقاب على كل من يرتكب جريمة أيا كان نوعها، وعلى كل من يخرق القانون، حتى أنه يحق له أن يعاقب أبناء الذين ينتهكون القانون، وأبناء الجانحين إلى أن يصبحوا ناضجين، ويخرجوا عن طور الوصاية. وكان من الطبيعي أن يتقبل الأبناء عقاب الأب عن رضا بل أن يساعده على تنفيذ أحكامه وقراراته التي يوقعها بأية جريمة أو مخالفة للقانون الطبيعي الذي هو قانون العقل، حتى أصبح الأب هو بالفعل الحاكم والمشرع والمنفذ للقانون على كل أفراد. وكان اعتيادهم على طاعته أثناء حدائهم قد جعل الخضوع لأوامره أيسر من الخضوع لأوامر أي فرد سواه.

ذلك كله مقبول، ومسلم به، في نظر (لوك) لأنه كان يهاجم الأبوية البطريركية. لكن كان لابد له أن يعترف، رغم ذلك، بأميرين الأول: الواقعة التاريخية التي تقول أن معظم الحكومات كانت قد بدأت على صورة القوة، أو السلطة الأبوية، وأنها من ثم كانت حكومات بطريركية أبوية. والثاني أن العلاقة الزوجية أو سلطة الزوج، إذا كانت في الماضي قد قامت على القوة، مثل السلطة السياسية، فلا بد أن تقوم العلاقة على التراضي أيضاً وعلى المساواة التامة، مثلها مثل السلطة السابقة. لكنه أهتم أساساً أن لا تقوم

الحكومة الشرعية على السيطرة الطبيعية التي كانت للرجل في الأسرة بمعنى أن سيادة الزوج وسيطرته على زوجته ليست هي الأساس في قيام الحكومة⁽¹⁸⁾.

ثالثاً : حال المرأة عند جون لوك في حالة الطبيعة المفترضة والتي تسبق نشأة المجتمع المدني :

من الطبيعي جداً أن النساء كن في حالة الطبيعة في ظروف سيئة غير مؤاتية، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون الرجال أكثر تفوقاً عليهم، فالأسرة تنشأ كمؤسسة طبيعية تقوم على أساس الاختلافات الطبيعية بين الجنسين، ومن ثم فكل ما يقوله (جون لوك) عن المساواة في حالة الطبيعة يختص بالرجال فحسب. فمن الطبيعي أن يكون الرجال، والرجال وحدهم، أحراراً، فقد تخلصوا من سيطرة شخص على شخص آخر. وعلى الرغم من أن ذلك يتسق مع إيمانه، بأن بعض النساء قادرات، إلى حد ما، على السيطرة على حياتهن وممتلكاتهن، فإنه كان يعتقد أن الغالبية العظمى من النساء هن، بالفعل، تحت سيطرة الرجال فرادى، لأنهن كن (بالطبيعة) الأضعف والأقل قدرة، فهن يشتركن في الظروف الصعبة العامة التي تخضع لها جميع النساء، وليس لديهن القدرات التي تعوضهن عن وضعهن السيئ. وبالتالي تضعهن في وضع يكن فيه قادرات على رفض إرادة الرجال وسيطرتهم. ومن هنا كانت الحالة الافتراضية التي افترضها (لوك) وهي حالة الطبيعة مليئة بالمزاعم والافتراضات المسبقة عن الطبائع المختلفة للإنجاب والعلاقات بين الجنسين⁽¹⁹⁾.

يبرز (جون لوك) دور المرأة (الأم) في تحمل مسؤولية تربية النشء .

رابعاً : الملكية والمرأة :

من الواضح أن هناك مبدئين رئيسيين يحكمان نظرية لوك عن الملكية والمرأة هما:

الأول: ضعف بنية المرأة ، فالرجل بما له من قوة بدنية هو لأرقى والأقدر.

الثاني: أن المرأة أقل من الرجل من حيث الفهم والإدراك. فإذا كان أساس الملكية الخاص هو الجهد والكد والتعب، الأمر الذي لا تطيقه المرأة ولا تقدر عليه، وإذا كانت ملكية الأرض وفلاحتها هو الأساس في باقي أنواع الملكية، وهو ما يحتاج إلى جهد وتعب وقوة عضلية لا تملكها المرأة. لهذه الأسباب كلها كانت الملكية أساساً هي ملكية الرجل، ومن هنا كان عمل الرجل هو أساس انعدام المساواة في الملكية بين الرجل والمرأة.

خامساً : الميراث والمرأة:

إن فكرة التأكد من الأبوة حتى يتم نقل الملكية الشرعية من الأب المالك إلى الأبناء الورثة الشرعيين من صلب الرجل هي فكرة بالغة الأهمية. كما ترتبط فكرة (الزى) أساساً بفكرة الملكية، ولهذا يحاول الرجل

إبعاد امرأته عن شتى المؤثرات والمغريات التي قد توقعها في الرذيلة فيتلوث النسل. ومن هنا يحرص على تعقيم النسل حتى يأتي أولاده من صلبه ليرثوا ما يملك.

أن لوك أراد إضفاء الشرعية على حق الذكر وحده في السيطرة على ثروة الأسرة والتصرف فيها وفق إرادته التعسفية بشرط أن يضمن الأبناء من صلبه حتى يضمن أحقيتهم في الميراث⁽²⁰⁾.

إن نظرية لوك في التحليل النهائي تجعل هدفها الوحيد ضمان الحق الضروري للرجل في الاقتناء والملكية، والتصرف في الثروة في المستقبل، وتوريث الأبناء.

ومن الواضح أن النظرية التي تسعى إلى تحقيق هذا الهدف هي في صميمها تقوم على التفرقة والتمييز بين الجنسين، لأن هدفها الرئيسي لا يمكن أن يتحقق إلا بالإبقاء على النساء في وضع أدنى من الرجال بحيث تظل المرأة على الدوام تابعة للرجل.

سادساً : ملكية الزوجة:

يعطي جون لوك للزوج سلطة شبه مطلقة على زوجته لأنه الأقدر والأقوى، فضلا عن أنه المسيطر على وسائل العيش ومصادر الثروة. أما بالنسبة لملكية الزوجة، فهي في الواقع لا تملك شيئا، وليس لها حق التصرف في شيء:

1. إذا كانت الزوجة تملك شيئا ورثته فيما سبق عن أسرتها قبل الزواج ونقلت إلى أسرتها هذه

الممتلكات، فلا يجوز لها أن تتصرف في شيء من هذه الممتلكات خلال حياتها الزوجية إلا بموافقة الزوج ورضاه.

2. عند انحلال عقد الزواج لا تحصل الزوجة إلا على ما كانت تملكه قبل الزواج فحسب، أي ما جاءت به عند بداية تكوين الأسرة.

3. حتى هذه الممتلكات الخاصة التي جاءت بها عند بداية تكوين الأسرة لا تستطيع الزوجة أن تحصل عليها عند انحلال الزواج⁽²¹⁾.

سابعاً : معركة المرأة مع المفكرين :

ربما أسوأ جريمة ارتكبتها البشرية على مدار تاريخها كانت بحق المرأة، حيث بدأ الظلم التاريخي منذ أن بدأ الرجل في التفكير، عندما بحث عن الأساس الفلسفي لشقائه في هذه الدنيا، وكعادة الظالمين وجد ضحيته في المرأة، فجاء الفلاسفة بدءاً من أفلاطون الذي اعتبرها من العبيد، حتى مفكرو العقد الاجتماعي، وأكثر ما توصل له جون لوك هو إعطاء المرأة دوراً داخل العائلة من خلال إطلاق مصطلح "مملكة المرأة" ومنع الرجل من التدخل في المجال التربوي في المنزل، وهكذا يبقى الرجل يمثل العائلة في الفعل السياسي، أما جون جاك روسو فقد حدد دور المرأة في كتابه "Emilius" بأن المرأة تعيش في عالم

آخر يمثل إمبراطورية النعومة، وأن عنوانها الشكوى وأوامرها ناعمة وتهديدها لا يعبر إلا عن اندفاعات عاطفية، وأكثر من ذلك فقد حَرَمَ المرأة من حق تعليم أبنائها، واعتبر الإبن الحسن هو لدى الأب الحسن والزوج الحسن هو المواطن الحسن.

وفي كتابه "the social contract" اعتبر أن علاقة الرجل بالمرأة علاقة غير مسيطر عليها لأن المرأة مشكّلة بطريقة خاصة فقط لإمتاع الرجل، حيث عنفها يعكس إغواءها، وتواضعها يشكل قناعها، ورغباتها ليست لها حدود⁽²²⁾.

أما هوبس فقد اعتبر أن الفكر السياسي ليس من وظيفة المرأة، ولذلك يجب أن تكفي بتعليم سطحي فقط والتعليم اعتبره روسو ليس مهمًا لها. أما آدم سميث فاعتبر أن تعليم المرأة هو من باب الترف الذي لا فائدة منه.

ثامناً : حركات مساواة المرأة :

منذ نهاية القرن الثامن عشر؛ بدأ الحديث عن ضرورة إعطاء المرأة وظائف تتناسب مع التغيير البيولوجي لها عن الرجل، وهكذا ناضلت المرأة ضد المؤسسة الرجولية لأكثر من قرن، والتي وصلت قمتها بتحقيق حق الانتخاب لها، والذي كان حقاً اسمياً يخلو من أي جوهر يرتبط بالفعالية السياسية.

بالمقارنة مع الأساس الفلسفي للدولة الحديثة الناشئ عن العقد الاجتماعي نجد أن جميع ما حصلت عليه المرأة من حقوق ليس له أساس فلسفي؛ بل نتيجة متغيرات ظرفية، وفي بعض الأحيان كانت حاجة الرجل لخروج المرأة للعمل هو الذي أعطاها حق العمل على إثر الثورة الصناعية وزيادة متطلبات سوق الخدمات والحاجة لقوى عاملة أكثر، وحتى هذه الحاجة وضعت المرأة تحت رحمة صاحب العمل.

كما أن حق الانتخاب الذي حصلت عليه نهاية القرن الـ 19 كان بداية في نيوزيلندا وفنلندا، وهي دول ليست من دول المركز الأوروبي ولا من عواصم الفكر، بل منعزلة في الأطراف، إن لم تكن أطراف العالم، وكذلك الإكوادور في أمريكا الجنوبية؛ ففي أغلب الأحيان حازت المرأة على حق الانتخاب لظروف محلية ارتبطت بتشجيع نساء مستوطنات في القارة الأمريكية أو تغيير فجائي في النخبة السياسية وليس كحق مجرد نابع من فكر فلسفي أو بقرار من مجتمع رجولي، ناهيك عن حقوقها في العمل التي حصلت عليها نتيجة متطلبات أطفالهن كمرضعات أو حوامل وليس لأجلهن هن ولأجل كرامتهن كذوات أنثوية أو كنصف البشرية.

باختصار كلما كان هناك حاجة للمرأة في مكان ما كانت تتقدم بنفسها لتسد ثغرات لم يتمكن من ملئها الرجل أو من أجل منافع استهلاكية وليس بسبب ما تُقدم للمجتمع كامرأة وكأنتى، كما أنه ليس كحاجة

لإكرام نصف المجتمع الذي تمثله؛ ولذلك كان دورها يقع في مزاحمة الرجل والاحتكاك به في مكان عمله⁽²³⁾.

الخاتمة:

هكذا نأتي إلى نهاية بحثنا هذا عن المرأة في الفلسفة الحديثة وما جاء به جون لوك بخصوص المرأة وأبرز آرائه الفلسفية، وأبرز المنظرين فيه بما في ذلك طرح نظرياتهم في هذا المجال، التي ظهرت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا الغربية لاسيما في كل من إنجلترا وفرنسا. فضلاً عن ذلك التركيز على الجهود التي بذلها أصحاب هذه النظريات التي كانت قياساً إلى العصر الذي عاشه كل منهم جهوداً جبارة حملت معها مخاطر شديدة. إن هذه النظريات كانت محفزاً وملهماً لكثير من الأفكار والنظريات الفلسفية والسياسية التي ظهرت بعد انتشارها؛ فقد كانت مصدر إلهام للثورتين الأمريكية سنة 1776 والفرنسية 1789 مثلما كانت مصدر إلهام للأحزاب التي ظهرت بعد أحداث الثورة الفرنسية وكانت مؤشراً على بداية النهاية لحكومات المطلقة التي ظلت تهيمن على مقاليد الأمور في أوروبا. طيلة قرون إما بإسناد من الكنيسة أو بقوة طغيانها المدني وحده.

إن العالم الحديث وحركات التحرر مدينة بصورة مباشرة وغير مباشرة التي نبهت الشعوب إلى أن لها دوراً في حياة أفرادها والكلمة الفاصلة يجب أن تقولها الشعوب لا الحكومات؛ ناقشت هذه النظريات لأول مرة الحق الإلهي الذي استند إليه الملوك والأباطرة في حكمهم شعوب العالم؛ ولأول مرة تجرأت هذه النظريات بالقول (لا أحد يملك الحق الإلهي على حياة الآخرين وإن الله لم يفوض أحداً لكي يتحكم بمصائر ملايين البشر ويسوقهم وفق رغباته وأهوائه).

الهوامش:

- 1) كتاب تاريخ التربية .الأستاذ عبد الله المشنوق (1904 - 1988) ، بيروت - 1976 م .
- 2) مجلة العربي . عدد : 220 . صفحة 116 .
- 3) W. R. Sorley, A History of English Philosophy , PP. 101 - 111.
- 4) Roger Woolhouse: "Lock's Theory of Knowledge , PP. 146 - 147
- 5) عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، الجزء الثاني ، مادة جون لوك ، ص 373 - 377 .
- 6) Vere Chappell, The Cambridge Companion to Locke : Cambridge, PP. 18 - 24
- 7) الموسوعة الفلسفية، ترجمة سميري كرم، ص ص 132 - 133 .
- 8) المصدر السابق ، ص 136 .
- 9) توشبار، تاريخ الفكر السياسي، ص 22 .
- 10) الموسوعة العربية الميسرة، ص ص 142 - 154 .
- 11) المصدر السابق ، ص 157 .
- 12) الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، ص ص 172 - 174 .

- (13) المصدر السابق ، ص 176 .
- (14) الموسوعة الفلسفية العربية، ص ص 96 – 99 .
- (15) المصدر السابق ، ص 101 .
- 16) Vere Chappell, *The Cambridge Companion to Locke* : Cambridge , PP. 16–197
- 17) Ibid: PP. 184 – 186
- (18) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ص ص 23 – 25 .
- (19) عبد الرحمن شهاب ، مدير مركز أطلس للدراسات ، الناشر عين للدراسات والبحوث الانسانية ، (القاهرة ، 1997) ، ص ص 12-15 .
- 20) Pomeroy , Sarah , B . " Woman in Antiquity " . p 10 – 14
- 21) Ibid: PP. 16 – 197
- (22) ارنست باركر ، نظرية التربية ، ص ص 17 ، 24 .
- (23) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ص ص 28 – 32 .
- المصادر والمراجع:**
- 1) Pomeroy , Sarah , B . " **Woman in Antiquity** " Schocken Books , N . Y . 1975 . p 10 – 14 .
- 2) Roger Woolhouse: "**Lock's Theory of Knowledge**", in: Chappell (ed.), Op. Cit.
- 3) Vere Chappell, **The Cambridge Companion to Locke** : Cambridge : Cambridge University Press .
- 4) W. R. Sorley, **A History of English Philosophy**, Cambridge at the University Press, 1937 .
- (5) ارنست باركر ، نظرية التربية ، ترجمة لويس اسكندر – مراجعة د . محمد سليم سالم ، مؤسسة سجل العرب ، 1966 م .
- (6) أنظر : فيرا مورزوفيا ؛ مقدمة شارحة لبؤس الفلسفة ، منشور في أعمال ماركس وإنجلز الكاملة ، المجلد السادس ، دار الناشرين العالمية
- (7) توشبار، جان، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة الدكتور علي مقلد، الدار العالمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1981 م .
- (8) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، 1986 م .
- (9) الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد 1991 م .
- (10) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني ، مادة جون لوك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ،بيروت، 1984.
- (11) الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1965 م .
- (12) الموسوعة الفلسفية، ترجمة سميري كرم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ، 1980 م .
- (13) الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى ، 1988 م .

مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي

أ.د. عبد الرزاق عبد الله زيدان م. أنوار فاروق شاكر

كلية التربية للعلوم الأساسية - جامعة ديالي - العراق

ملخص البحث

أصبح التفكير مشكلة مهمة من مشكلات البحث العلمية في عدد كبير من الدول ، وتزايد الإهتمام بموضوع التفكير وبالإبداع والمبدعين إذ لا يقتصر على الدول المتقدمة فحسب ، ولا على مجتمع دون آخر، وبعد التعليم الجامعي في العراق واحد من الموضوعات المهمة الذي يحتاج إلى الإهتمام الكبير خاصة في الجانب العقلي والإبداعي والمستويات المرتبطة بها ، من خلال استعمال الطرائق والبرامج العلمية الحديثة في تطويرها ، لذا حدد الباحثان مشكلة بحثهما في التعرف على مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي وقد هدف البحث إلى :

التعرف على مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي من طريق الإجابة عن السؤال الآتي:

ما مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي؟

واتبع الباحثان المنهج الوصفي لملاءمته لطبيعة هذا البحث وتألفت عينة البحث من طلبة المرحلة الثانية للعام الدراسي 2014-2015 (لكلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالي) ، وكان المجموع الكلي للعينة (300) طالب وطالبة ، ولتحقيق مرمى البحث تم بناء اختبارا لقياس مستوى التفكير الترابطي لعينة البحث من قبل الباحثان ، وقد توصل البحث إلى ان طلبة الجامعة لديهم تفكير ترابطي لأن الفرق بين متوسطهم الحسابي والمتوسط النظري دال إحصائيا".

ويوصي الباحثان بعدة توصيات منها:-

1. الإهتمام بأعداد برامج اثرائية لطلبة الجامعات تعمل على تنمية التفكير الترابطي لديهم.
2. اعتماد أسلوب التفكير الترابطي لطلبة المرحلة الثانية - كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة ديالي ، لرفع المستوى الثقافي والدراسي وتحسين الاتجاه نحو أساليب الدراسة الحديثة في التعليم.

الكلمة المفتاح:- التفكير الترابطي Thinking buzz

Abstract :

Thinking has become an important problem of scientific research in a large number of countries, and increasing interest in the subject of thinking, creativity and innovators, not only the developed countries, but not the society without another. The university education in Iraq is one of the important topics that needs great attention, Mental and creative aspects and levels associated with them, through the use of modern scientific methods and programs in their development. The researchers identified the problem of their research in identifying the level of associative thinking

among the students of Diyala University.

Identify the level of associative thinking among the students of Diyala University by answering the following question: What is the level of associative thinking among the students of Diyala University?

The study sample consisted of students from the second phase of the academic year 2014-2015 (for the Faculty of Education for Human Sciences - Diyala University).

The total number of the sample was 300 students. To achieve the goal of the research, a test was constructed to measure the level of associative thinking For the sample of the research by the researchers, and the research found that the students of the university have a coherent thinking because the difference between the average arithmetic and the theoretical average D statistically.

The researchers recommend several recommendations, including:

- 1- Interest in the preparation of enrichment programs for university students working to develop their thinking interdependence.
- 2- Adopting the method of associative thinking for students of the second stage - Faculty of Education for Human Sciences - University of Diyala, to raise the cultural and academic level and improve the trend of modern methods of study in education.

مشكلة البحث:

إن التقدم العلمي الحاصل وزيادة الزخم المعرفي وضعف قدرة الطالب على تخزين كل المعلومات في ذاكرته لذلك سعت التربية المعاصرة على تعليمه كيف يتعلم؟ وكيف يفكر؟ زيادة على اكتسابه القدرة على التفكير الذاتي، ومواكبة التغيرات المعرفية إذ أنه إذا أريد من الطالب أن يكون مفكراً "جيداً" لابد من تعليمه مهارات التفكير باعتماد مجموعة خطوات واضحة ثلاث مراحل نمو وقدراته على الفهم (Eider&paul.2006).

وقد ألفت الثورة العلمية والتقنية بظلالها على مجمل النشاط الإنساني الجسدي والذهني وأصبحت الأعمال الروتينية من اختصاص الآلة ، وبذلك باتت الحاجة ملحة للنشاط الإبداعي الخلاق ، وأن الاستمرار في تحقيق التقدم العلمي والتقني لا يمكن أن يتحقق من دون تطوير القدرات الإبداعية لدى الإنسان سيما طلبة الجامعة ، وفي خضم الكم الهائل من المشاكل التي بدأت تفرض نفسها نتيجة الانفجار المعرفي الهائل في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية والرياضية وغيرها من المجالات ، أصبح التفكير والإبداع ضرورة حتمية للتمكن من التغلب على حل المشكلات التي أصبحت أحد الملامح الرئيسة للألفية الثالثة. (طراد، 2012، ص227).

إذ أن التفكير مألوف بين الناس يمارسه الكثير منهم ومع ذلك فهو من أصعب المفاهيم تأليفاً، إذ يسعى الإنسان مهما كان عمره ، ومهما كان الزمان أو المكان الذي يعيش فيه إلى أن تكون حياته مليئة بالإبداع ، والتطور ، والنجاح المتواصل في شتى مجالات الحياة وخاصة العلمية ، ولذا يحاول جاهداً أن

يطور عقله وتفكيره، وإن مما يمكن الإنسان من الوصول إلى مراده أن يقوم بباديء الأمر بتحسين مستوياته الفكرية وذلك بتبني منهج فكري سليم، وأن يدرّب قدراته الفكرية ويختبرها ، حتى لا تضيق جهوده سدا ولكي يسعى دائما في سبيل تحقيق ما يصبو إليه من أهداف في حياته. (الرقيب، 2008 ص2).

وقد لاحظ الباحثان ومن خلال العمل الوظيفي وتدريب الطلبة أن من الضروري إعطاء فكرة لطلبتنا على أهمية التفكير بشكل عام والتفكير الترابطي بشكل خاص وذلك من خلال الأسئلة الغربية المنوعة التي تجذب انتباههم وتخرجهم من روتين الدراسة والتي من شأنها تنمية أفكارهم الإبداعية من خلال ترك حرية الاختيار للطالب أو الطالبة للبحث عن الحلول الممكنة للمواقف المعروضة عليهم وتشجيعهم على الابتكار ، لذا كان من الضروري بناء مواقف تعليمية وأنشطة متعددة يمكن من خلالها تنمية الثقة بالنفس وحب الاستطلاع وحرية النشاط العلمي.

لذا ولأهمية التفكير الترابطي وأثره الواضح في التعلم أراد الباحثان البحث في هذا الموضوع عسى أن يعتبرا منه في فهم طلابهما، وأوجه تفكيرهم التوجيه السليم وسيطرق الباحثان في بحثهما هذا لمفهومه وصوره ومهارته على وجه الخصوص مع الإشارة إلى التفكير من المنظور الإسلامي .

- ومن هنا تبرز مشكلة البحث الحالي

مستوى التفكير الترابطي وأهميته لدى طلبة جامعة ديالى.

أهمية البحث:

كرم الله الإنسان وفضله بنعمة العقل والتفكير: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (سورة الروم، الآية 8).

إذ أن التفكير ضرورة حيوية للإيمان ، واكتشاف نواميس الكون فقد دعانا القرآن الكريم دعوة صريحة للنظر العقلي، والتأمل، والفحص، وتقليب الأمور للوصول إلى إدراك حقيقي.

وإن الله سبحانه وتعالى خلق البشر، وأوجد فيهم قدرات التفكير والإبداع، ودعاهم إلى التفكير والتدبر والبحث عن العلم والمعرفة، ومع ذلك فنحن نجهل الكثير عن التفكير وتطبيقاته.

والفكرة هي كل ما يخطر في العقل البشري من أشياء أو حلول أو اقتراحات مستحدثة أو تحليلات للوقائع والأحداث ، فالفكرة هي نتاج التفكير، فالذكاء فطري والتفكير مكتسب، وهو مهارة لا بد من تمتيتها، والبشر لا يولدون ولديهم القدرة على القيام بأمور ذكية بل ينمون هذه المهارة مع مرور الوقت فالذكاء موهبة نولد معها أما التفكير فهو مهارات يمكن أن نتعلمها. (علي، 2008، ص26).

ويمكن للمرء أن يصبح أذكى فأذكى من خلال فهم كيفية استخدام المعرفة لحل المشاكل ويمكن تطوير عادات أكثر ذكاء لتعلم المزيد عن طريقة عمل العالم ووصف المشاكل بفعالية، والعديد من الحلول للمشاكل الصعبة تأتي نتيجة للمقاربات والدروس التي نتعلمها.

إذا التفكير مهارة التشغيل التي يتولى بها الذكاء معالجة معطيات الخبرة، وقد شبه دي بونو الذكاء والتفكير بالسيارة والسائق ، فالسيارة هي قدرات وقيادتها مهارة، فالسائق الماهر يقود السيارة بفعالية عالية والسائق غير الماهر قد يدمر أعلى السيارات قدرة ، فالعلاقة بين التفكير والذكاء كعلاقة قيادة السيارة بالسيارة نفسها. فالتفكير هو الذي يقود الذكاء ويوجهه للوصول إلى الهدف. (الحبابي، 2015، ص8).

وعلى الرغم من أن التفكير عملية طبيعية يقوم بها الإنسان إلا أنها مهارة تحتاج إلى التطوير والتعلم وحالياً إزداد الإهتمام بالتفكير وصوره وكيفية تنمية مهارات التفكير وكثرت البرامج التي تعنى بتعليم التفكير وإن ذكرها هنا على سبيل المثال : برنامج الكورت وبرنامج القبعات الست إلا إننا نبتعد أحياناً كثيرة عن أنواعه وأساليبه ، ومن إحدى هذه الأساليب هي التباعد أو التقارب بالحلول والأفكار بين الجانب الأيمن والأيسر للمخ وهذا ما يسمى التفكير الترابطي. (فودة، 2015، ص12) .

إذ تؤكد الاتجاهات الحديثة في التعليم والتعلم باستمرار على مساعدة الطلبة على أن يتعلموا كيف يتعلمون، وعلى أن يصبحوا مستقلين في تعلمهم وأن يفكروا لأنفسهم، ولعل من أهم الوسائل الفعالة في تنمية هذه المبادئ أن يصبحوا الطلبة مستقلين في تعلمهم عليهم أن يتعلموا كيف يطرحون الأسئلة وكيف يحصلون على المعلومات من مصادرها الأصلية، وهم يتخذون من الأستاذ نموذجاً لهم في ذلك، ولكي يكون التعليم فعالاً يجب أن يوفر الأستاذ جميع الظروف الملائمة لتعلم الطلبة وأن يعمل على استمرار نشاطهم التعليمي ويوجههم نحو تحقيق الأهداف الموضوعية، كذلك لا بد أن يكون المعلم قادراً على تقدير وتشخيص نمو طلبته كأفراد. (الحيلة، 2002، ص 139).

وقد شعرنا بأهمية التفكير يحكم عملنا كأساتذة جامعيين ومن خلال اللقاء المحاضرات ان للتفكير الترابطي دور في خدمة المسيرة التعليمية لأنه يرفع من مستوى الطلاب أولاً ويساعدهم على تحسين مستوى تفكيرهم ثانياً .

ويسلط البحث على طلبة الجامعة وأهمية التفكير الترابطي ووظيفته في إعداد أجيال مؤهلة ومدرّبه على التفكير ووضع الحلول الناجحة وفق أساليب حديثة وفعالة ترفع من مستواهم الدراسي.

(بركات، 2007، ص4).

ومن هنا تتضح أهمية البحث الحالي والتي يمكن ان نوجزها بما يأتي:

- يسهم البحث الحالي بإعطاء تصور عن مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة الجامعة.

- يتوقع أن يفاد الباحثين من إجراءات البحث ونتائجه لإجراء دراسات أخرى مماثلة مع إجراء تغيير في متغيرات البحث الحالي.

أهداف البحث:

- بناء مقياس لقياس التفكير الترابطي لدى طلبة الجامعة.
- تعرف مستوى التفكير الترابطي لدى طلبة جامعة ديالي.
فرضية البحث :- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) لمستوى التفكير الترابطي لدى طلبة الجامعة.

حدود البحث :- يتحدد هذا البحث بطلبة جامعة ديالي- كلية التربية للعلوم الإنسانية- المرحلة الثانية.، قسمي التاريخ واللغة العربية.

تحديد المصطلحات:-

أ- المستوى: هو تلك العملية التي تستدعي منهجية مختلفة وجوانب تأكيدية متبعة في تقييم أي أداء أو مهمة يقوم بها المعلم أو المتعلم ، لها تقديرات مرتبطة بمحكات معينة. (الحدابي، 2009،ص63).

ب- التفكير: ويعرفه جرجس على أنه "التفكير الذي يبتكر ويخلق الصور والأفكار الجديدة المعبرة عن تطلعات الإنسان وأحلامه وطموحاته، ويتسم بالجدية، والأصالة والإحساس بالواقع الذي يعيشه الإنسان في كل زمان ومكان. (جرجس،2005، ص213).

- التفكير الترابطي: هو نوع من أنواع التداعي وفيه يستخرج المفحوص أكبر قدر من المعلومات خلال التعليمات التي يتلقاها مع تأكيد تباعديه الحل. (عامر، 1989، ص 14).

- عرف (هو تنظيم الأفكار وارتباطها بالمشير وإيجاد الحلول بشكل أفضل وأسرع)
(شعبان، 2015، ص6).

- التعريف الإجرائي: هو قدرة العقل البشري على حل المشكلات التي تعترض حياته وحتى لو كانت ذات صعوبة، ويتم ذلك من خلال تنظيم الأفكار وإيجاد الحلول المناسبة.

د- طلبة الجامعات : هم نموذج من الطلبة أصحاب الفكر الواعي والمنقذين الذين يكونون مكانه رفيعة في المجتمع والذين يستطيعون اتخاذ القرارات لأنهم عنصر فعال في الجهاز التربوي والمتخصصين في مواضيعهم التربوية. (عبد الرحمن، احمد، 2013، ص238).

- التعريف الإجرائي: هم الطلبة الذين يدرسون في التعليم العالي ويتخصصون في مجالاً يؤهلهم للعمل في أحد ميادين العمل.

الفصل الثاني/ جوانب نظرية ودراسات سابقة:

- التفكير من منظور إسلامي:

التفكير فريضة إسلامية تدعو المسلم إلى التأمل والتفكير في كل ما يقع عليه البصر ،وتدركه البصيرة والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ،ويميز بين الأمور ويتبصر ويتدبر ويسهم في تحقيق الأبداع الإداري والتقدم الحضاري .

- وفيما يلي بعض خصائص العقل كما جاء في القرآن الكريم :

1- العقل الوازع : ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي والسلوك الراقي ، ومنه ما يخاطب العقل وينطوي على العقل الوازع ، كقوله تعالى في سورة الملك : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُكِّنَّا سَمْعَ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك ، الآية 10) وهذا عدا الآيات الكثيرة التي تنبئ بالزجر وتنتهي إلى التذكير بالعقل ،لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الإنسان ، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة ، الآية 44)

2- العقل المدرك : ملكة يناط بها التصور والفهم.من أمثلة خطاب الله تعالى للعقل المدرك الذي أطلق عليه لفظ اللب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ ءَكُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران ، الآية 7) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة يوسف ، الآية 111).

3- العقل المفكر : ملكة يناط بها التأمل والموازنة للحكم على المعاني والأشياء قَالَ تَعَالَى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يونس ، الآية 5) ، والذي يقول: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة ، الآية 242) ،

ويقول أيضا: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة ، الآية 219) .

3- العقل الرشيد : ملكة يناط بها النضج والتميز بميزة الرشاد، والرشد هو أعلى خصائص العقل الإنساني.قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِبْتُمْ بِهِ وَإِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (سورة النحل ، الآية 126)، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى ، الآية 40) ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ (سورة المائدة ، الآية 45) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل.

وهكذا فإننا نرى أن العقل المسلم هو عقل متفتح مبدع يأخذ من الفكر الإنساني الراقي فيطوره ويضيف إليه ويفكر ويتأمل ويصحح ويعدل ، ولذلك كان المسلمون الأوائل صناع حضارة ونجوم يهتدي بها الناس وكان شعارهم "الإبداع اتجاه وليس مكان نحاول الوصول إليه".

- اتجاهات التفكير الإبداعي:

تعددت الاتجاهات التي تناولت التفكير من حيث التحليل والتفسير ويمكن تلخيص أهم هذه الاتجاهات فيما يلي (سعادة، 2003، ص ص 261-263) و(أبو جادو، 2007، ص ص 32-37) و(هيجان، 1999، ص ص 128-142):

1. الاتجاه الترابطي: وكان بزعامة ثورندايك Thorndike الذي أشار إلى أن التفكير الإبداعي هو تفكير ترابطي ينتج عن العلاقة التي تربط بين المثير والاستجابة، وتحدد قيمة التفكير الإبداعي بمدى نوعية الرابطة التي إذا ما كانت قوية فإنها تتكرر وتقوى، وأما إذا كانت ضعيفة فإنها تزول أو تتلاشى وهذا ما سنتناوله ببحثنا عن التفكير الترابطي.

2. الاتجاه السلوكي: تبناه سكنر Skinner الذي ذهب إلى أن التفكير الإبداعي هو ذلك النوع من التفكير الذي إذ ما لقي التعزيز أو الإثابة ، فانه يؤدي إلى امكانية استمراره، أما إذ لم يلاقي التعزيز المطلوب فإنه يصبح تفكيراً غير مرغوب فيه، ويأخذ في التضاؤل ثم الزوال.

3. الاتجاه الجشطالتي الإستبصاري: وقد اظهر هذا الاتجاه محاولة جديدة مغايرة للنظرة التي كانت سائدة من قبل حول التفكير الإبداعي ، وكان ذلك على يد كل من كوفكا Kofka وكوهلر Kohler وفيرتيمر Fertheimer، وقد تبنى تفسير الإبداع بين هؤلاء العلماء الثلاثة العالم فيرتيمر، الذي افترض بأن التفكير الإبداعي هو تفكير استبصاري وتفكير حدسي ، معتبراً ان الفكرة الإبداعية هي تلك الفكرة التي تتم فيها صياغة الموقف أو المشكلة الذي يصل فيه الفرد إلى الحل فجأة بفعل عمليات ذهنية فاعلة، ينشط فيها ذهن المبدع نشاطاً غير عادي ويعالج فيها الموقف معالجة جديدة لم يكن قد عرفها من قبل.

4. الاتجاه التحليلي: ربط هذا الاتجاه أكثر من غيره من الاتجاهات بالأدب والفن، الذي أعطى التفكير غير الواعي، الدور الفاعل للتفكير الإبداعي. ويفترض كوبيه Kubie في هذا الصدد أن الإبداع يتطلب حرية مؤقتة لما قبل الوعي والشعور، وذلك لأن اللاوعي يحرض الذهن ويحثه على التفكير ويبرر ذلك كله بما ذهب إليه من أن اللعب الحر للعمليات التصورية يسبق الكلمات التي تملك الحد الأدنى من عملية التواصل.

5-الاتجاه الإنساني: ورادّ هذا الاتجاه الجديد كل من ماسلو وروجرز Rogers & Maslo وتبنته بعد ذلك باربرا كلارك B.Clark. وقد ذهب هؤلاء إلى أن كل فرد يولد مبدعاً وينبغي أن تتوفر له الظروف والخبرات والمواقف التربوية كي يصل إلى أقصى نمو ممكن ويؤدي إلى أفضل أداء متوقع، وافترضت كلارك بأن التعلم الأمثل هو ذلك النوع من التعلم الذي يمكن أن يوصل المتعلم إلى حالة التفكير الإبداعي.

6. الاتجاه المعرفي: ويركز هذا الاتجاه على أن التفكير الإبداعي يمثل عملية ذهنية تسيّر وفق سلسلة من العمليات التي يتم من خلالها معالجة الموضوع وربطه بعدد كبير من الخبرات التي تم تخزينها في البنية المعرفية للمتعلم، ويعمل على إدخالها ضمن الذات ثم يقوم بدمجها في بنائه المعرفي، حتى يصل في النهاية إلى حلول جديدة وأصيلة، ويمكن أن تظهر هذه النتائج على صورة أداءات ومعالجات وبنى معرفية، ومن روادها أجن Egggn وكاوجاك Kauchak.

- النظريات التي تفسر التفكير الإبداعي :

هناك نظريات عديدة اتبعتها بعض المفكرين للنظر إلى عملية التفكير الإبداعي وفيما يلي عرض لتلك النظريات :

أ. نظرية التحليل النفسي : يرى "فرويد" Freud أن الإبداع ينشأ نتيجة صراع نفسي في بداية حياة الفرد (كحيلة دفاعية) لمواجهة الطاقة اللبيدية التي لا يقبل المجتمع التعبير عنها ، وفي الإبداع يبتعد المبدع عن الواقع ليعيش في حياة وهمية ، ويكون الإبداع استمرار للعب الإيهامي الذي بدأه المبدع عندما كان طفلاً صغيراً . (حجازي ، 2001 ، ص 26).

ب. النظرية الارتباطية : ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن العملية الإبداعية تتمثل في القدرة على تكوين عناصر ارتباطية بطريقة تركيبية جديدة أو مبتكرة ، من أجل مقابلة متطلبات معينة ، ومن أجل تحقيق فائدة ما متوقعة ، وتُعرف نظرية الارتباطات عملية الإبداع على أنها " تجميع العناصر المترابطة في تشكيلات معينة لمقابلة الحاجات، أو لتحقيق بعض الفائدة . وكلما كانت عناصر التشكيلة الجديدة متنافرة وغير متجانسة أزداد مستوى القدرة على التفكير الإبداعي". (عيسى ، 1994 ، ص 166).

ويعتقد "ميدنيك" Mednick أن العملية الإبداعية تتأثر بعدة عوامل ، منها : (نقلاً عن : Starko, A,

1995 : 95)

- أن يحصل الأفراد على العناصر الذين هم في حاجة إليها في بيئتهم .
- أن يحصل الأفراد على شبكة معقدة من الارتباطات مع المثيرات، فالأفراد الذين حصلوا على تجارب مع مثير متفق عليه في إطار مألوف هم أقل الأفراد القادرين على عمل ارتباطات بعيدة مع المثيرات ، لأن أنماط الاستجابة لديهم تصبح معروفة .

كما أن هناك ثلاثة أساليب لكيفية حدوث هذه الارتباطات. (حجازي ، 2001 : 28) وهي :

-**المصادفة السعيدة** : وذلك عندما تستثار العناصر الارتباطية مقترنة مع بعضها البعض بواسطة مثيرات بيئية تحدث مصادفة ، فتظهر ارتباطات جديدة بين عناصر لم يسبق لها أن ارتبطت ، ومن أمثلة ذلك اكتشاف أشعة أكس ، البنسلين ، قاعدة أرخميدس .

- **التشابه** : ومعناها أنه قد تستثار العناصر الارتباطية مقترنة مع بعضها البعض نتيجة للتشابه بين هذه العناصر أو بين المثيرات التي تستثيرها ، ويبدو هذا الأسلوب في مجال الكتابة الإبداعية ، والشعر والتأليف الموسيقي، والرسم ، إذ يعتمد على التشابه بين الوحدات المكونة للإنتاج ، كالألفاظ مثلاً . ويمكن إرجاع حدوث الاقتران بين هذه العناصر إلى "تعميم المثير" .

- **الوسيط** : قد تستثار العناصر الارتباطية المطلوبة مقترنة بعضها ببعض زمنياً عن طريق توسط عناصر أخرى مألوفة ، وهذا شائع في الميادين التي تعتمد على استخدام الرموز ، مثل الرياضيات والكيمياء ، ... الخ .

بينما يرى "سكينر" Skinner أن أفعال الأفراد يقرها تاريخ التعزيزات ، فإن تلي الأفعال نتائج مبهجة فإنها تتكرر ، أما إذا كانت غير سارة فإن الشخص لن يحاول مثل هذه الأفعال مرة أخرى ، وقد وضع افتراضاً لو أن شخص آخر مر بخبرات حياة شكسبير Shakespeare لن يكون له أي خيار إلا أن ينتج نفس مسرحياته. (Starko,A.,1995:35).

وتلخيصاً لما سبق يتضح أن النظرية الارتباطية تؤكد على تكوين ارتباطات بين المثير والاستجابة وعلى أهمية التعزيز في حدوث وتقوية الارتباطات ، وبالتالي وفقاً لهذه النظرية فإنه يمكن تنمية التفكير الإبداعي من خلال التعزيزات ، فأصحاب هذه النظرية يروا أن الطفل قد يصل إلى استجابات مبدعة بالارتباط مع نوع التعزيز الذي يعزز به السلوك .

ولكننا نجد أن هذه النظرية أسقطت من اعتبارها الفرد كعنصر مهم في العملية الإبداعية ، فهي جعلت الإنسان على مستوى الآلة التي يستجيب آلياً للمثير، وتدفعها محركات فسيولوجية مجردة من التلقائية والإبداع والحيوية ، وبالتالي ظهرت بمظهر سلبي غير فعال .

ج . النظرية الجشطالتيّة : تُفسر وجهة نظر الجشطلت في قضية الإبداع من خلال المجال الإدراكي للشخص المبدع ، والقدرة على النظر إلى مكونات المجال ، وإدراك العلاقات التي لا يمكن تبنيها بالنظرة العابرة ، ثم حدوث الإستبصار الذي يأتي فجأة كحل للمشكلة. (رمضان الفذافي ، 2000 ، ص 87).

د . النظرية الإنسانية : إن أصحاب هذه النظرية تجد أن المذهب الإنساني يختلف عن المدرستين السابقتين ، فقد رفضت هذه النظرية آراء النظرية (السلوكية ، الجشطالتيّة) في تفسير نشاط الإنسان وركزت على الطبيعة الإنسانية ، إذ يشتق الدافع الإبداعي من الصحة النفسية السليمة والجوهرية للإنسان فالإبداع يمثل محصلة التطور العقلي الكامل .

هـ . النظرية العاملية : وتمثل آراء ووجهات نظر "جيلفورد" Guliford أهم النقاط التي جاءت بها النظرية العاملة في مجال التفكير الإبداعي ، إذ يرى أن التفكير الإبداعي في صحيحة تفكير تباعدي ، والعكس غير صحيح ، أي أن التفكير التباعدي ليس بالضرورة تفكيراً إبداعياً ، ومعنى هذا أن الطلاقة ، والمرونة والأصالة كعمليات تباعدية تلعب دوراً رئيساً في التفكير الإبداعي ، ويقصد بالطلاقة إصدار تيار من الإستجابات المرتبطة ، وتحدد كمياً في ضوء عدد هذه الإستجابات أو سرعة صدورها ، وتحدد المرونة كيفياً وتعتمد على تنوع هذه الإستجابات ، أما الأصالة فتحدد كيفياً أيضاً في ضوء ندرة الإستجابات ، أو عدم شيوعها ، وعدم مألوفيتها. (صادق و أبو حطب ، 1994 ، ص 629).

- مهارات التفكير الإبداعي:

1.الطلاقة: قدرة الفرد على إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار في موضوع ما في فترة زمنية معينة والسرعة أو السهولة في صدور الأفكار أو الحلول للمشكلات بما يتناسب مع متطلبات البيئة الواقعية إذ لا تكون الأفكار عشوائية وصادرة عن عدم معرفة وجهل، وقائمة على افتراض خاطئ وغير مقبولة كالخرافات وتقاس الطلاقة بالقدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار في وقت محدد، وتمثل الطلاقة الجانب الكمي من الإبتكار.

- أنواع الطلاقة:

- أ. الطلاقة اللفظية : قدرة الفرد على إنتاج أكبر عدد من الكلمات تبدأ أو تنتهي بحرف معين .مثال: أذكر أكبر عدد من الكلمات يبدأ بالحرف نون خلال دقيقتين.
- ب. الطلاقة الفكرية : قدرة الفرد على إنتاج أكبر عدد من التعبيرات تنتمي إلى نوع معين من الأفكار .
- ج. طلاقة الأشكال : قدرة الفرد على تصميم ورسم عدد من الأشكال الجديدة والمتعددة مثال (اختبار تورانس للتفكير الإبداعي).
- د. الطلاقة الترابطية : قدرة الفرد على التفكير السريع في الكلمات المرتبطة بموقف معين. مثال : أذكر أكبر عدد ممكن من المترادفات أو المتضادات لكلمة (الأمن).

هـ. الطلاقة التعبيرية : قدرة الفرد على صياغة التراكيب اللغوية بشكل سليم .مثال:

اكتب أكبر عدد من الجمل المفيدة مستخدماً الكلمات التالية :طاولة- كرسي-مدرسة.

(الحياي،2015، ص15).

2- مهارة المرونة : القدرة على توليد أفكار متنوعة ليست من نوع الأفكار المتوقعة عادة ، وتوجيه مسار التفكير أو تحويله مع تغير المثير ، أو متطلبات الموقف ، بمعنى انه إذا طلب من شخص أن يذكر أكبر عدد من الاستعمالات المختلفة لشيء ما فهو ينتقل في تفكيره من استخدام إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى. (جروان، 1999، ص82).

3- مهارة الأصالة : القدرة على إنتاج أفكار ، أو أشكال ، أو صور جديدة ومتميزة وفريدة ، فكل أسلوب جديد ومناسب ويحقق الغرض هو في الحقيقة سلوك أبداعي أصيل ، والفكرة تكون جديدة إذا لم تكن موجودة من قبل ، أي أن أحد لم يفكر فيها قبل صاحبها، وفي ضوء ذلك يتبين لنا إن الأصالة تقاس بمدى قدرة الفرد على إنتاج أفكار غير مألوفة سابقا ، وكلما قلت درجة شيوع الفكرة زادت درجة أصالتها. (جودت، 2003، ص260).

- أنواع التفكير :

- 1- التفكير الحدسي :- يرى (بويج) أن الحدس يدرك لا شعورياً وهو الإدراك اللاشعوري المباشر للإمكانات والاحتمالات الكافية في الأشياء التي ننتبه لها سواء خارجية أو داخلية، وهي عملية كلية ويرى (برونر) أن الحدس أسلوب عقلي للوصول إلى صيغ مبدئية ولكن مقبولة.
- 2- التفكير التقاربي والتباعدي (المخ الأيمن / والمخ الأيسر) :-عبر أيضاً عن تلك الأساليب المختلفة من المعالجة على أنها تفكير (المخ الأيسر) وتباعدي (المخ الأيمن)، إذ يميل التفكير التقاربي إلى التقارب والتجمع حول حل منفرد صائب، مثلما يحدث عندما نكون بصدد إيجاد حل للغز له حل معروف

بينما يقوم التفكير التباعدي بالكشف عن الاحتمالات ولا يقبل بأول حل قريب أو مريح، وإنما يكون متأهباً للإبتعاد في أي اتجاه من أجل الوصول إلى حل أو جواب أفضل، كما أن التفكير التباعدي أو تفكير المخ الأيمن يسمى أيضاً بالتفكير الجانبي أو المنحرف عن المسار، وذلك حينما يتم مقارنته بالتفكير العمودي للمخ الأيسر، ويكمن الفارق الرئيس الآخر بين النصفين الكرويين المكونين للمخ في أن الجانب الأيسر يرتبط بالتفكير الواعي، في حين أن الجانب الأيمن يرتبط أكثر بالتفكير غير الواعي أو بذلك النوع من التفكير الذي ليس لدينا دائماً المقدرة على السيطرة عليه، كالمشاعر مثلاً، وهذا النوع من التفكير قد نعهده حالتنا الذهنية، والتي نعلم أن لها تأثيراً كبيراً على كل أداؤنا، تعد اللغة هي الأداة التي يستخدمها المخ الأيسر للتعبير عما يدور في الوعي، فمن خلال الكلمات والرموز الأخرى، كالأرقام مثلاً، يمكننا التعبير عن الأفكار والمفاهيم وتحليلها، فمن الصعب تصوير ما يدور في التفكير الواعي بدون استخدام اللغة أو بعض من مجموعات الرموز الأخرى، بينما على الجانب الآخر نجد أنه من الصعب أن نتخيل عالماً بلا أحلام نوم، وأحلام يقظة، وخيالات ذهنية، وبدون تلك المتعة الناشئة عن منح العقل مطلق الحرية للتجول في العالم الحقيقي من حولنا، وتعد هذه الأساليب المختلفة من التفكير مألوفة لنا جميعاً، لذا فليس من الصعب تخمين أي جانب من المخ سنفضي إلى استخدامه من أجل أنواع مختلفة من التفكير مثل الهجاء وضرب الأرقام الحسابية، أو الحلم بسيارة جديدة أو بيوم عطلة جديد، إذ إنه ليس من الشائع إلى حد بعيد أن تستخدم مثل هذه المعرفة لتحسين مهارات التفكير للعمل على رفع مستوي أداؤنا على نحو إيجابي، كي نستفيد ظاهرياً مما قد تفعله عقولنا بطريقة طبيعية باطنياً، إن الأداء الراقي يدور حول الاستفادة من جانب أكبر من عقلك، وتدريبه، واستخدامه بطريقة أفضل، والبدائية تكمن في معرفة كل من جانبي عقلك، ثم الثقة بهما والعمل وفق الجانب غير الواعي والذي ينتج عنه مزيد من الرؤى والإبداع.

(العبيدي، سالم، 2012، ص6)

3- التفكير الاستدلالي: يتطلب استخدام أكبر قدر من المعلومات بهدف الوصول إلى حلول تقاربية مثل الاستقرائي والاستنباطي، ويعرف التفكير الاستدلالي بأنه: بأنه إحدى عمليات التفكير التي تنطوي على التخريج واستخلاص النتائج وتشمل حل المشكلات بواسطة المبادئ العامة وتطبيقها على القضايا والواقع. وعرف كذلك على أنه: تفكير منطقي قياسي يقوم على الانتقال من القضايا الكلية إلى القضايا الجزئية.

4- التفكير الاستقرائي: وهو الأداء المعرفي العقلي الذي ينتقل التفكير فيه من أحكام جزئية أو حالات فردية خاصة على قاعدة عامة تصدق على جميع الحالات المماثلة أو المشابهة، وقد يكون الاستقراء تام أو ناقص، ويكون تاماً إذا تم الوصول إلى القاعدة الكلية مع استعراض جميع الحالات الفردية التي

يمكن أن تصدق عليها قاعدة واحدة، والناقص: يكون عند دراسة بعض الحالات أو الأفراد أو الأحكام الجزئية ونصل بها إلى قاعدة عامة نعممها على الحالات المماثلة.

5- **التفكير الاستنتاجي:** وهو الأداء المعرفي الذي ينتقل فيه التفكير من المعلوم إلى المجهول فيتوصل على نتائج ليست داخله في المقدمات ولكنها حقائق جديدة مرتبطة بالحقائق الأولية من مسلمات ونظريات وبديهيات. (عامر, 1989, ص50).

6- أ- التفكير الارتباطي المقيد:

هو نوع من أنواع التداعي وفيه يستخرج المفحوص أكبر قدر من المعلومات خلال التعليمات التي يتلقاها مع تأكيد تباعدية الحل.

ب- التفكير الارتباطي الحر:

وهو ما يسمى بالتداعي الحر وفيه تكون الاستجابة تباعدية تحت ظروف قلة المعلومات وقد شاع هذا النمط من التفكير في المؤلفات الخاصة بالإبتكار تحت مسمى (الطلاقة). (حطب, 1987, ص26).

7- **التفكير الناقد:** عملية تقويمية يتمثل فيها الجانب الحاسم والختامي في عملية التفكير وتحدده خاصية أنه عملية معيارية.

8- **التفكير الابتكاري:** لقد تطورت البشرية بتقديم الاختراعات التي هي نتاج للتفكير البشري، وقد تمكن الإنسان بعلمه واختراعاته من استغلال البيئة والسيطرة عليها ، ولا يقف تفكير الإنسان عند حد في ذلك لهذا يهمننا إلى جانب معرفة خطوات التفكير أن تعرف كيف يفكر العلماء حين توصلوا إلى اختراعاتهم.

وقد حلل (ولاس) التفكير الابتكاري إلى :

أ- الإعداد.

ب- الحضانة.

ت- الإلهام.

ث- التحقيق . (الحيزان , 2002)

ويعد الخيال الابتكاري الذي يقوم به الفنانون والشعراء نوعاً من التفكير الابتكاري، ذلك أن الفنانين يعطونا معاني فيها خلق وابتكار، وتشبه العمليات الفكرية التي يمر بها الفنان العمليات الفكرية التي يمر بها العالم، وإن هذا النوع من التفكير يختلف عن غيره من أنواع التفكير من حيث الدرجة فقط، وهذا الاختلاف يرجع إلى تأهب المفحوص وإعداده حينما يتطلب شروط الجودة في الإنتاج. (مطوع, 1986 ص13).

- أخطاء في التفكير:
- العجز عن التفصيل
- وهم الحياد الكامل
- الخلط بين النظام المفتوح والنظام المغلق
- اللجوء إلى الحل الوسط
- الإهتمام بالصغير المباشر
- الفكر يشوه الواقع
- الصواب الوحيد
- ضعف حساسية العقل نحو النسبية
- الفكر المتصلب
- الفرار من مواجهة الحقائق
- التفكير السلبي
- العجز عن تقديم تفسيرات متعددة
- تفكير المسار الواحد
- شدة التمسك بالتقديم
- مجاوزة التفكير في الواقع إلى التفكير النظري
- الوثوقية الزائدة
- التفكير الانتقائي
- التهويل
- الاعتزاز بالإمكانات الشخصية
- التفكير التبريري
- التعميم
- التفكير المبسط
- الإهتمام الاستثنائي
- التفكير العجول
- رؤية الأشياء من وجهة نظر خاصة
- الانخداع بالصدق الشكلي

- ضعف القدرة على التجريد

- اللغة والانفعالات. (بكار, 2002, ص 22).

- النظرية الترابطية والتفكير الترابطي:

يعد إدوارد لي ثورندايك (1874 - 1949) (Edward Lee Thorndike) أول من استخدم مصطلح الترابط connection ليصف به الارتباطات المكونة بين المثبرات والإستجابات، ويمكن تعريفها (الترابطية) بوصفها نظرية العقل تفترض مجموعة كبيرة من الوحدات البسيطة المترابطة داخل شبكة توزيعية متوازنة.

إن العمليات العقلية كالذكر، والإدراك، والتفكير وغيرها يفترض أنها موزعة خلال شبكة عصبية شديدة التعقيد تعمل على التوازن ، وتقوم النظرية على افتراض مؤداه ان الوحدات تستثير أو تكف كل منها الآخر خلال النظام وفي نفس الوقت أو على التوازي (ولكن هناك في المقابل نظرية المعالجة المتتابعة).

تنبأ وليم جيمس خمسون سنة قبل ظهور النظريات الترابطية قائلاً: (أنه عندما تنشط عمليتان ذهنيتان أساسيتان معا" أو في تتابع متقارب جدا" فقد يؤدي إعادة حدوث واحدة إلى انتقال تأثيرها مباشرة إلى الأخرى.

ويعرف هذه العملية بأنها: الطريقة التي تتحرك بها سلسلة التصورات العقلية واحدة تلو الأخرى خلال تفكيرنا، ان الاندفاع المتواصل لفكرة قبل الأخرى ، عبارة عن الانتقادات التي يقوم بها العقل بين الأشياء لا رباط بينها (سونسو, 2000, ص21).

أما في فكر (Jean Piaget) (1896 - 1980) فقد اخذ مفهوم الترابطية حيزا مهما" ، فقد أطلق عليه طريقة التحليل الترابطي للمتغيرات، إذ يعتقد بياجي ان أهم سمة أو خاصية تميز تفكير الفرد تتعلق بالواقع وعلاقته بالممكن، في هذه المرحلة يحاول الفرد حل مشكلاته من خلال الكشف أولا على العلاقات الممكنة أو المحتملة التي تنطبق على البيانات الموجودة لديه ، ثم يحاول بعد ذلك أن يجمع بين أساليب التجريب والتحليل المنطقي ليصل إلى معرفة أي من تلك العلاقات الممكنة تنطبق على الموقف الحالي. (فتحي, الزيات, 2006).

بالنسبة لتصور سميراري وآخرون (2003) فإنه لا يختلف عما سبقه من فكر، وقد اعد الترابط بين المتغيرات هي القدرة على ربط علاقة من مختلف الأجزاء المنفصلة للعقل، إلى جانب هذه العلاقة فقد أضاف العلاقة الترابطية بين مختلف أجزاء العقل والسلوك، وقد أعدت هذه العلاقة ميزة مهمة في طريقة التفكير ما وراء المعرفي بالنسبة للمصابين بالوسواس القهري . (فماز, 2001, ص234).

- دراسات سابقة : بعض الدراسات التي تناولت أساليب التفكير:

1. دراسة محمد نوفل، وفريال أبو عواد، (2012)، بعنوان: "أساليب التفكير الشائعة في ضوء نظرية حكومة الذات العقلية لدى طلبة الجامعات الأردنية" هدفت الدراسة الحالية إلى استقصاء أساليب التفكير الشائعة في ضوء نظرية حكومة الذات العقلية لدى طلبة الجامعات الأردنية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام قائمة أساليب التفكير المطورة من قبل كل من ستيرنبرغ وواجر Wagner & Sternberg بصورتها المطولة بعد التأكد من خصائصها السيكومترية، وتكونت عينة الدراسة من 1174 طالباً وطالبة منهم 402 يمثلون الكليات العلمية، و772 يمثلون الكليات الإنسانية، وكان من أبرز نتائج الدراسة شيوع الأسلوب المحافظ، فالأسلوب المحلي، ثم الملكي، في حين كانت أقل الأساليب شيوعاً هي: الأسلوب التشريعي، فالهرمي، فالخارجي، وظهرت فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات الطلبة على الأسلوب القضائي والملكي والأقلي والخارجي تعزى لمتغير الجنس، لصالح الذكور على كل من الأسلوب القضائي والأقلي والخارجي، ولصالح الإناث على الأسلوب الملكي، ووجدت فروق بين متوسطات درجات الطلبة على الأسلوب القضائي والمحلي والتقدمي والهرمي والأقلي تعزى لمتغير التخصص الدراسي، لصالح طلبة الكليات العلمية على الأسلوب الأقلي، ولصالح طلبة الكليات الإنسانية على الأساليب الأخرى، وظهرت علاقة ارتباطية ضعيفة بين المعدل التراكمي وبعض أساليب التفكير، وقد انتهت الدراسة بعدد من التوصيات أبرزها: تقنين مقياس أساليب التفكير لستيرنبرغ وواجر على البيئة الأردنية، واستقصاء القيمة التنبؤية لمقياس أساليب التفكير لستيرنبرغ وواجر مع متغيرات أخرى.

2- دراسة (خميس، شيماء علي ، 2014)، التفكير الإبداعي وعلاقته بدافعية التعلم لدى طالبات بعض كليات جامعة بابل ، اشتملت عينة البحث على طالبات المرحلة الرابعة لأربع كليات تم اختيارها عشوائياً بطريقة القرعة من باقي كليات جامعة بابل وبواقع (206) طالبة ، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي هدف البحث فقد تضمن التعرف على مستوى التفكير الإبداعي ودافعية التعلم للطالبات والعلاقة بين المتغيرين لدى طالبات بعض كليات جامعة بابل استنتجت الباحثة وجود علاقة موجبة بين التفكير الإبداعي ودافعية التعلم لدى الطالبات، لذا فقد أوصت الباحثة بضرورة الإهتمام بتوفير الأجواء الإبداعية للطالبات من خلال النشاطات الفنية والرياضية الترويحية التي من شأنها إن تطور الحالة النفسية لهن .

3- دراسة حسين ، صاحب (2010). بشرى حسين علي، ووجدان عناد صاحب ، بعنوان: " أساليب التفكير وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طالبات قسم رياض الأطفال كلية التربية الأساسية" هدف البحث

قياس أساليب التفكير لدى طالبات رياض الأطفال في كلية التربية الأساسية ، وقياس مستوى الطموح لدى طالبات رياض الأطفال في كلية التربية الأساسية، ومعرفة دلالة الفروق في أساليب التفكير على وفق متغير المرحلة، ومعرفة دلالة الفروق في مستوى الطموح على وفق متغير المرحلة ، ومعرفة العلاقة بين أساليب التفكير ومستوى الطموح لدى طالبات رياض الأطفال في كلية التربية الأساسية، ومعرفة دلالة الفروق للعلاقة بين أساليب التفكير ومستوى الطموح لدى طالبات رياض الأطفال في كلية التربية الأساسية على وفق متغير المرحلة . وتم تطبيق البحث على طالبات رياض الأطفال في كلية التربية الأساسية في المرحلة الأولى والرابعة للعام الدراسي (2008 – 2009) وللدراسة الصباحية وبلغت عينة الدراسة (115) طالبة وقد تبنت الباحثتان مقياس أساليب التفكير ومستوى الطموح وتم التحقق من صدقهما وثباتهما ، وتحليل النتائج تم استخدام الاختبار التائي لعينة واحدة والاختبار التائي لعينتين مستقلتين ومعادلة سبيرمان براون ومعامل ارتباط بيرسون وتوصلت الدراسة إلى أن طالبات رياض الأطفال يتمتعن بأساليب تفكير عالية ، وأن طالبات رياض الأطفال لديهن مستوى من الطموح ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب التفكير وفق متغير المرحلة ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الطموح وفق متغير المرحلة ، وتوجد علاقة ارتباطية بين أساليب التفكير ومستوى الطموح لدى طالبات رياض الأطفال ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية للعلاقة بين أساليب التفكير ومستوى الطموح لدى طالبات رياض الأطفال وفق متغير المرحلة .

4- دراسة أبو هاشم (2007) بعنوان: "الخصائص السكومترية لقائمة أساليب التفكير في ضوء نظرية ستيرنبرج لدى طلبة الجامعة، والتي هدفت إلى التعرف على طبيعة الخصائص السكومترية لقائمة أساليب التفكير في ضوء نظرية ستيرنبرج (Sternberg) لدى طلبة الجامعة، وتكونت العينة من (537) طالباً من مختلف كليات جامعة الملك سعود، طبق عليهم قائمة أساليب التفكير لستيرنبرج، وباستخدام التحليل العاملي استكشافي والتحليل العاملي التوكيدي، أظهرت النتائج تشبع قائمة أساليب التفكير في ضوء نظرية ستيرنبرج على خمسة عوامل تفسر معا (75%) من التباين الكلي للمصفوفة، وتتوفر لقائمة ستيرنبرج في ضوء نظرية ستيرنبرج درجة مقبولة من الثبات ودرجة مقبولة من الصدق في البيئة السعودية، كما تتوافر معايير مناسبة لقائمة أساليب التفكير في ضوء نظرية ستيرنبرج.

5- دراسة وقاد (2007)، بعنوان: "أساليب التفكير وعلاقتها بأساليب التعلم وتوجهات الهدف لدى طالبات المرحلة الجامعية بمدينة مكة المكرمة" هدف إلى بحث استقصاء أساليب التفكير وعلاقتها بأساليب التعلم وتوجهات الهدف لدى طالبات المرحلة الجامعية بمدينة مكة المكرمة، وتألفت عينة الدراسة من

(1760) طالبة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، شملت جميع الكليات والتخصصات والمستويات الدراسية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام قائمة أساليب التفكير المعدة من قبل ستيرنبرج ، ومقياس توجهات أهداف الإنجاز، وأظهرت نتائج الدراسة اختلاف طالبات عينة الدراسة في قوة تفضلهن لأساليب التفكير، وكانت أكثر الأساليب شيوعاً الأسلوب العالمي، ووجدت علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين أساليب التفكير وأساليب التعلم، ووجدت فروق دالة إحصائياً في أساليب التفكير (الفضائي، والأقلي، والهرمي والمحلي) لصالح التخصصات العلمية، وأساليب التفكير (الملكي والمحافظ) لصالح التخصصات الأدبية.

- الفصل الثالث / إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث وعينته

ضم مجتمع البحث من طلبة جامعة ديالي- كلية التربية للعلوم الإنسانية، للعام الدراسي 2015/2014 .

ثانياً: عينة البحث :

وقد تكونت عينة البحث من (300) طالب وطالبة من قسم اللغة العربية وقسم التاريخ – المرحلة الثانية كما مبين بالجدول رقم (1) يوضح ذلك.

جدول (1) عينة البحث:

المجموع الكلي	عدد الطالبات	عدد الطلبة	الكلية
185	90	95	قسم اللغة العربية
115	45	70	قسم التاريخ
300	135	165	المجموع الكلي

ثانياً:- أدوات البحث:

أ- بناء الأداة:

تم إعداد مقياس مستوى التفكير الترابطي، بصيغته النهائية من 21 فقرة لكل منها أربعة بدائل ، وقد تم استخراج الخصائص السيكومترية للاختبار، كما يأتي:

لغرض التأكد من صلاحية فقرات اختبار مستوى التفكير الترابطي وتوافر الخصائص المناسبة لفقراته وبدائلها من حيث الشكل والمضمون، عرضت على (11) خبيراً من المتخصصين في العلوم التربوية

والنفسية ولتحليل آراء الخبراء فـي فقرات الاختبار فقد تم استعمال اختبار (كا²) (الصوفي ، 1985 ص 46) وعدت كل فقرة صالحة عندما تكون قيمة مربع كأي المحسوبة دالة عند مستوى (0.05) ولصالح الموافقين وقد عدت جميع فقرات الاختبار صالحة لقياس ما وضعت من أجل قياسه وكما مبين في جدول (2).

جدول (2) آراء الخبراء في فقرات اختبار مستوى التفكير الترابطي وقيم كأي² المحسوبة

ت	أرقام الفقرات	عدد الموافقين	عدد غير الموافقين	قيمة كاي ² المحسوبة	مستوى الدلالة
1	14,13,12,10,9,7,5,4, 1	13	-	13	0.05
2	18 16, 11, 6, 21, ,19, 3 , 2	12	1	9.307	0.05
3	20 , 17 , 15 , 8,	11	2	6.230	0.05

- قيمة كاي الجدولية عند مستوى دلالة (0 , 05) = 3 , 84

- الصدق:

يعد الصدق من الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتوفر في الأداة، وتكون الأداة صادقة إذا قاست فعلا ما وضعت لقياسه. (الزويبي و آخرون، 1981، ص30).

وللتأكد من صدق اختبار مستوى التفكير الترابطي استخرج الباحثان مؤشرين للصدق هما: الصدق الظاهري، وصدق البناء وأكد (أبيل Ebel) على أن أحسن وسيلة للتحقق من الصدق الظاهري هي قيام عدد من المختصين لتقرير مدى تحقيق الصفة المراد قياسها. (Ebel,1972, p555).

وقد تحقق ذلك كما تم وصفه بالخطوة السابقة ، ويقصد بصدق البناء الدرجة التي يقيس فيها الاختبار بناء نظريا أو خاصية معينة ويرى عدد كبير من المتخصصين فـي القياس التربوي والنفسي أن صدق البناء يتفق أكثر من غيره مع جوهر مفهوم أبيل Ebel للصدق في أن الصدق هو تشبع الاختبار بالمعنى وترى انستازي Anastasi أن معامل الاتساق الداخلي هو معامل الارتباط بين كل وحدة من وحدات الاختبار والاختبار كله ويستخدم لقياس مدى صلاحية وحدات الاختبار. (Anastasi, 1988, p 211) ولتحقيق ذلك تم اختيار (200) استمارة وباستخدام معامل ارتباط بيرسون بين درجات الطلبة على كل فقرة ودرجاتهم الكلية على المقياس اتضح أن جميع قيم معامل الارتباط المحسوبة دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (198) وكما مبين في جدول (3).

جدول (3) قيم معاملات ارتباط فقرات اختبار مستوى التفكير الترابطي بالدرجة الكلية للاختبار.

ت	معامل ارتباطها بالدرجة الكلية	ت	معامل الارتباط بالدرجة الكلية	ت	معامل الارتباط بالدرجة الكلية
1	0.47	8	0.40	15	0.39
2	0.34	9	0.48	16	0.36
3	0.65	10	0.47	17	0.52
4	0.61	11	0.56	18	0.42
5	0.42	12	0.51	19	0.49
6	0.59	13	0.56	20	0.44
7	0.37	14	0.44	21	0.36

- الثبات:

يعد الثبات من الأسس الضرورية والمهمة في بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية لكونه يشير إلى الاتساق في النتائج (Marshall, 1972, p.104). بمعنى يعطي الاختبار النتائج نفسها إذا ما أعيد على الأفراد أنفسهم في الظروف نفسها والاختبار الثابت هو الذي يمكن الاعتماد على نتائجه. وللتأكد من مؤشرات ثبات الاختبار استخدم الباحثان طريقة إعادة الاختبار (Test-Retest)، إذ تشير هذه الطريقة إلى الاستقرار في النتائج بوجود فاصل زمني. (احمد، 1981، ص242) ووفقا لذلك طبق الاختبار مرة ثانية بعد مرور عشرة أيام على التطبيق الأول على عينة عشوائية مؤلفة من (40) طالبا وطالبة تم اختيارهم من الجامعة، إذ تشير الأدبيات إلى أن المدة بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني تمتد بين أسبوع إلى أسبوعين وبحسب طبيعة الظاهرة، وتمت معالجة النتائج إحصائيا باستخدام معامل ارتباط (بيرسون Pearson Correlation) ليجاد العلاقة بين درجات التطبيق الأول ودرجات التطبيق الثاني إذ بلغ معامل الثبات (0,84)، ويعد معامل الثبات هذا جيدا مقارنة بالدراسات السابقة.

- الصيغة النهائية للاختبار:

بعد التأكد من مؤشرات صدق الاختبار وثباته أصبح اختبار مستوى التفكير الترابطي يتألف بصيغته النهائية من (21) فقرة وكل فقرة لها أربعة بدائل أحداها هو البديل الصحيح وفي حالة إجابة الطالب أو الطالبة على الاختيار الصحيح يعطى الدرجة واحد وبخلافه لا يعطى أية درجة وبذلك تكون أعلى درجة للمقياس هي (21) وأدناها صفر والمتوسط النظري للمقياس هو (10,5) درجة .

- الوسائل الإحصائية المتبعة بالبحث:

- 1- لتحليل آراء الخبراء فـي فقرات الاختبار فقد تم استخدام اختبار (كا²) لعينة واحدة.
- 2- استخدام معامل ارتباط بيرسون لاستخراج ثبات الاختبار.
- 3- الاختبار التائي لعينة واحدة لمعرفة مستوى التفكير لدى الطلبة.

الفصل الرابع/ نتائج البحث:

عرض النتائج:

قد استعمل الباحثان الاختبار التائي لعينة واحدة لبيان الفروق بين المتوسط المحسوب للعينة والمتوسط الفرضي للمقياس واتضح أن هنالك فروق ذات دلالة إحصائية إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (11.390) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (299) وباتجاه المتوسط المحسوب ،وكما مبين في جدول (4) بمعنى أنه يمكن القول إن طلبة الجامعة يمتلكون قدرة جيدة على التفكير الترابطي ، وتعد هذه النتيجة منطقية كون الجامعة بما تمتلكه من كفاءات وبرامج ومناهج دراسية تسهم كثيرا في إكساب طلبتها القدرة على التفكير وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (خميس, 2014)، إذ أن ليس هنالك تمايزا في خصوصية الجامعة لاسيما وأن الجامعات العراقية تكاد تتطابق مناهجها وبرامجها كل حسب اختصاصها.

جدول (4) نتائج الاختبار التائي لعينة واحدة بين المتوسط الحسابي للعينة والمتوسط النظرية على اختبار مستوى التفكير الترابطي.

عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	المتوسط الفرضي	الانحراف المعياري	قيمة t		مستوى الدلالة
				الجدولية	المحسوبة	
300	13.696	10.5	4.86	1.96	11.390	0.05

إن النظر إلى الجدول أعلاه يمكن تفسيره إلى أن الطلبة لديهم مستوى تفكير ترابطي ولديهم القدرة على الإجابة عن الأسئلة المطروحة باختبار التفكير بشكل جيد.

- الاستنتاجات:

- 1- إن التفكير الترابطي كان واضح لدى طلبة جامعة ديالي- كلية التربية للعلوم الإنسانية لأن الفرق بين المتوسط الحسابي والمتوسط النظري دال إحصائياً.
- 2- إن طلبة الجامعة على ما يبدو يمتلكون قدرات من التفكير الترابطي تعد مقبولة، وينبغي تنميتها عن طريق البرامج التنقيفية.
- 3- وجود تأثيراً للمراحل السابقة في نمو التفكير الترابطي.

- التوصيات :

- لما أظهرته هذه الدراسة من فائدة التفكير الترابطي واحتمالية وجوده عند طلبتنا لذا يوصي الباحثان:
- 1- قيام تدريسي العلوم التربوية والنفسية بتشجيع استخدام أساليب التفكير الترابطي في التدريس وذلك من خلال عمل دورات تدريبية لمدرسي الجامعات، وأوضح أهميته في كشف امكانية الطلبة الإبداعية في التفكير .
 - 2- قيام تدريسي الجامعة بتوجيه الطلبة نحو ممارسة العادات الإيجابية التي تنمي التفكير الترابطي.

- المقترحات:

- استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثان إجراء دراسات مماثلة للدراسة تتناول:
- 1- دراسة التفكير الترابطي في مراحل دراسية مختلفة ومستويات تعليمية مختلفة.
 - 2- التفكير الترابطي وعلاقته في تحسين أساليب التدريس .

- المصادر

1. احمد ، محمد عبد السلام . (1981) . التقويم النفسي والتربوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
2. العبيدي، علي محمد عبود وسالم، امير سوادى، 2012، اثر إستراتيجية العصف الذهني عند تدريس التعبير في تنمية التفكير التباعدي لدى طلاب الصف الرابع الادبي، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية' العدد(200)..
3. أبو هاشم السيد ، (2007)، الخصائص السكومترية لقائمة أساليب التفكير في ضوء نظرية ستيرنبرج لدى طلبة الجامعة، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
4. أبو جادو، صالح محمد علي، (2007)، تطبيقات عملية في تنمية التفكير الإبداعي باستخدام نظرية الحل الابتكاري للمشكلات، دار الشروق، عمان- الأردن .
5. بركات، منال محمد حسن، 2015، امتلاك طالبات الجامعات السعودية لمسار الموهبة والتفوق للتفكير الإبداعي حسب نظرية ميدنيك، التربية الرياضية، جامعة جدة، المجلة الدولية للتربية، مجلد5، العدد3، السعودية.

6. الحيلة، محمد محمود (2002) "مهارات التدريس الصفي"، ، عمان، دار المسيرة .
7. الحبابي ، لما (2015)، تنمية مهارات التفكير، مقرر دراسي في التعليم الموازي ، وزارة التعليم العالي، جامعة سلمان بن عبد العزيز. المملكة العربية السعودية.
8. الحدابي، داود عبد الملك و الملاقي، محمد علي محمد،(2009)، مستوى اتقان طلبة المستوى الرابع بكلية التربية للمهارات المختبرية اللازمة لتدريس الفيزياء بالمرحلة الإعدادية، المجلة العربية لضمان جودة التعليم، العدد4، صنعاء.
9. الزويبي ، عبد الجليل وآخرون.(1981):الاختبارات والمقاييس النفسية،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة الموصل ، العراق
10. الزيات ، فتحي مصطفى (1995)، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات ، دار الوفاء، المنصورة : مصر .
11. بركات، زياد،2007، طبيعة توزيع عينة من الطلاب الجامعيين على نمط التفكير المجرد، العياني وعلاقة ذلك بالتحصيل الأكاديمي والتفكير الإبداعي، دراسة منشورة، جامعة القدس المفتوحة، منطقة طولكرم التعليمية، فلسطين.
12. جرجس، ميشال، (200) ، معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان.
13. جروان، فتحي عبد الرحمان، (1999)، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، عمان، الطبعة الأولى.
14. الحيزان، عبد الإله إبراهيم، 2002، لمحات عامة في التفكير الإبداعي، جامعة الملك سعود .
15. حسين ، صاحب وآخرون (2010)، أساليب التفكير وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طالبات قسم رياض الأطفال كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثالث والستون.
16. رزق، محمد عبد السميع (2003) مدى فاعلية برنامج التنوير الانفعالي في تنمية الذكاء الانفعالي للطالبات بكلية التربية الطائف، جامعة ام القرى ، مجلة ام القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني ، يوليو .
17. سعادة، جودت أحمد، 2003، تدريس مهارات التفكير، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، غزة.
18. شعبان، منال محمد حسين،2015، مدى امتلاك طالبات الجامعات السعودية لمسار الموهبة والتفوق للتفكير الإبداعي ، كلية التربية، جدة، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، مجلد4، العدد3،
19. خميس ، شيماء علي ، 2014 ، التفكير الإبداعي وعلاقته بدافعية التعلم لدى طالبات بعض كليات جامعة بابل ، بحث منشور، مجلة التربية الرياضية، مجلد 7، العدد2،
20. الصوفي، عبد المجيد رشيد، 1985، اختبار (كا2) واستخداماته في التحليل الاحصائي، ط1، بيروت، دار النضال للطباعة والنشر .
21. طراد، حيدر عبد الرضا ،2012، 0 أثر برنامج (كوستا وكاليك) في تنمية التفكير الإبداعي باستخدام عادات العقل لدى طلبة المرحلة الثالثة في كلية التربية الرياضية . مجلة علوم التربية الرياضية، العدد1، مجلد5، العراق، بابل.
22. عبد الرحمن، مهند و احمد، رشا عدنان،(2013)، اثر استخدام التحسين المستمر على كفاءة الخدمة الجامعية، مجلة جامعة بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد36، العراق.
23. عامر ، أحمد محمد، (1986)، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام ، ط1، دار الشروق

24. بكار، عبد الكريم، 2002 ، خطوة نحو التفكير القويم (ثلاثون ملحا في أخطاء التفكير وعيوبه) ، ط1، دار الإعلام.
25. علي ، إسماعيل إبراهيم، 2008، التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق، المكتبة الوطنية، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
26. فودة، أحمد حمزة إبراهيم، (2015)، التفكير و أنواعه، بحث تربوي، وزارة التربية والتعليم، مدرسة الفلاح الابتدائية، بمكة المكرمة،
27. فماز، فريدة ، 2011، التفكير وراء معرفي وتفسير السلوك المرضي، عدد(6) جوان، مجلة جامعة فرحات عباس، سطيف.
28. مطاوع، إبراهيم عصمت، 1986، قراءات في التربية وعلم النفس، مكتبة الطالب الجامعي، ط1.
29. نوفل ، محمد و أبو عواد ، فريال ، 2012، أساليب التفكير الشائعة في ضوء نظرية حكومة الذات العقلية لدى طلبة الجامعات الأردنية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث – العلوم الإنسانية – المجلد 26، الإصدار 5.
30. هيجان ، عبد الرحمن أحمد، 1999، المدخل الإبداعي لحل المشكلات، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
31. هيثم عبد السلام علي. طرق إحصائية، جامعة البصرة: كلية الزراعة، 2002، ص58 .
32. وقاد، محمد ،(2007). أساليب التفكير وعلاقتها بأساليب التعلم وتوجهات الهدف لدى طالبات المرحلة الجامعية بمدينة مكة المكرمة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- i-Elder, L. & Paul. R. *The Miniature Guide to the Art of Asking Essential Questions*, Foundation for.
33. Ebel, R ,L.(1972):Essentials of Educational Measurement . New Jersey Hall Englewood ,Cliffs.
34. Anastasi ,A (1988): **Psychological Testing**,6th Ed ,New York ;Mac Millan
35. Edwards, a(1957). Techniques of attitude scale, construction, n. y. crofts
36. Santrock , johnw . (2003) . Psychology, 7 th , Boston : mc grow hill
37. Marshall, J.C(1972): **Essentials testing**. Addison, wesbey publishing Company,California
38. Starko, A : .Creativity In The Classroom, –Schools Of Curious Delight, Eastern Michigan State University, Longman, Publishers, U.S.A, 1995

الملحق:

مقياس مستوى التفكير الترابطي

عزيزي الطالب - عزيزتي الطالبة: الجامعة:
 نهديكم أطيّب تحياتنا الكلية:
 المرحلة:
 الجنس:

بين يديك مقياس مستوى التفكير الترابطي وهو من نوع الاختبار من متعدد، نرجو منكم قراءة تعليمات الاختبار والالتزام بها.

التعليمات:

- 1- تكون الإجابة على ورقة الأسئلة.
 - 2- يرجى اختيار واحد فقط من بين الاختبارات الواردة في كل فقرة اختباريه.
 - 3- يرجى تثبيت القسم والمرحلة فقط دون ذكر الاسم.
 - 4- إذا تعذر عليك فهم أي فقرة من فقرات الاختبار فلا تتردد بسؤال الأستاذ المراقب .
 - 5- لا تتردد مطلقاً بالإجابة بنتائج الاختبار تستعمل لإغراض البحث العلمي فقط.
- واجه رواد الفضاء صعوبة في الكتابة نظراً لانعدام الجاذبية وعدم نزول الحبر إلى رأس القلم ، للتغلب على هذه المشكلة ماذا باعتقادك فعلوا ؟

- أ- لم يستعملوا القلم ب- وضعوا فيه حبر خاص ج- استعملوا قلم رصاص د- كتبوا بقلم سحري
- 1- حاول أن تضع نفسك في هذا الموقف وفكر كيف تتصرف، وهو عندما ينقل لك أحد زملائك أن زميلاً آخر قام بالإساءة إليك، وانتقص من قدرك في غيابك، في أحد المجالس أو إحدى المناسبات.
- أ- تلزم الصمت ب- تهرب ج- تسامح د- ترد الإساءة بالإساءة
- 2- كان لرجل صندوق فيه مال اخذ نصف ما فيه ووضع دينارا واحد ، ثم أتى رجل ثان وحذا حذوه وتبعه ثمانية رجال فعلوا نفس الشيء بعد الانتهاء بقي في الصندوق ديناران ما عدد الدينارين التي كانت في الصندوق في البداية؟

أ- 3 ب- 4 ج- 2 د- 5

3- ما حل هذه المسألة:- $2+2+2-2 \times 0=???$

أ- 6 ب- 12 ج- 8 د- 4

4- حدثت جريمة قتل فوجدت الجثة مصابة بانطلاقات نار من الجهة اليسرى للجسم وبعد التحقيقات وجدوا مسدس في يد المقتول موضوع في يده اليسرى ، السؤال كيف عرف المحقق ان القتل فعل فاعل وليس انتحار؟

أ- المسدس يعود للمقتول ب- الرصاصة في الجهة اليسرى للجسم

ب- لم يعرف السبب ج- لان الرصاصة أصابت كتفه

5- ما هو البيت الذي ليس له أبواب ولا نوافذ؟

أ- القبر ب- بيت الشعر ج- الغرفة د- الصندوق

6- شيء تأكله قبل ان يولد وبعد ان يموت ما هو؟

أ- الدجاج ب- البسكويت ج- السمك د- البيض

7- أحد الأشخاص عمره 4 سنين وأخته عمرها نص عمره صار عمر الولد 100 سنة كم عمر أخته؟

أ- 25 سنة ب- 50 سنة ج- 55 سنة د- 52

8- شخص جالس أمام التلفاز ويتابع فلم ، وبهذا الوقت رن جرس الباب وبالوقت نفسه دق الهاتف النقال ماذا يفعل برأيك؟

أ- بقي يتابع الفلم ب- فتح الباب ج- أجاب على المبايل د- ذهب للنوم

9- قطار كهربائي يسير على السكة متجه من الجنوب إلى الشمال، إلى أية جهة يطير الدخان إلى اليمين أو إلى اليسار؟

أ- لا يتطاير منه دخان ب- اليمين ج- اليسار د- جميع الاتجاهات

10- عائلة مؤلفة من 6 بنات وأخ لكل منهن، فكم عدد أفراد العائلة؟

أ- 13 ب- 7 ج- 1 د- 12

11- ابن أمك و ابن أبيك، و ليس بأختك و لا بأخيك فمن يكون؟

أ- أنت ب- أخيك ج- ابن إلام د- ابن الأب

12- رقم إذا ضرب في الرقم الذي يليه كان حاصل الضرب يساوي ناتج جمعها + 11؟

أ- 9 ب- 4 ج- 2 د- 5

13- من الذي مات ولم يولد؟

أ- آدم (عليه السلام) ب- عيسى (عليه السلام) ج- هابيل د- إبراهيم الخليل (عليه السلام)

14- ما هي الشجرة التي ليس لها ظل وليس لها ثمار؟

أ- شجرة الدنيا ب- شجرة العائلة ج- شجرة الزيتون د- شجرة عيد ميلاد

15- ما هو الشيء الذي لك ويستخدمه الناس من دون إذنك!

أ- قلمك ب- صوتك ج- اسمك د- شكلك

- 16- إذا علمت أن جد سالم توفي سنة 1872 م ، وأن سالم توفي بعد ميلاد جده بمقدار 131 سنة ، وإن مجموع عمري سالم وجده 105 سنوات ، ففي أي سنة ولد سالم
- أ- 1898 ب-1899 ج-1879 د-1789
- 17- ما هو الشيء الذي لا تحب ان تلبسه وإذا لبسته لا تراه؟
- أ- الهواء ب- الكفن ج- الكذب د- الخيانة
- 18- ما هي الحالة التي يصاب بها الإنسان بالسهر وعدم النوم؟
- أ- الارق ب- الإرهاق ج- الكسل د- الإقضة
- 19- ما المقصود بالبيت التالي (ومولود لا روح فيها وانها لتقبل تضع الروح بعد حضنها)؟
- أ- السمك ب- البيضة ج- الأرنب د- السلحفاة
- 20- له أوراق وما هو بنبات، له جلد وما هو بحيوان، وعالم وما هو بإنسان من هو؟
- أ- القلم ب- السبورة ج- الكتاب د- المدرسة

الانزياحات الدلالية للهوية الثقافية في الفضاءات الافتراضية

أ.شايب نبيل جامعة يحي فارس المدينة (الجزائر)

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أبعاد العولمة الإعلامية والاتصالية على الهوية الثقافية للشباب الجزائري بمختلف شرائحه العمرية خاصة أن هذه الأخيرة تمثل الكيان الشخصي والروحي للفرد بالموازاة مع العولمة الثقافية التي تتميز باحتكار المعلومات في ظل الشبكة العنكبوتية للمعلومات التي أصبحت وسيلة هامة لها لتلقي و تمرير الدوال الثقافية بما تحمله من معلومات وأفلام وصور وأفكار ثقافية تطيح بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب والأفراد خاصة تلك الثقافة المادية التي تسيطر على شبكة الانترنت و الإطاحة بالأخلاق الفاضلة إضافة إلى الدعاية السياسية التي من شأنها قلب الوضع الثقافي والسياسي للبلدان ، من هنا أصبحت لهذه الهوية الثقافية دلالات ومعاني يمكن استنتاجها أو بالأحرى قراءتها سيميائيا باعتبار أن العولمة أدت إلى تطبيق ثقافة جديدة بأنساق ثقافية مختلفة مفادها أن للفرد الحرية في اختيار أي الثقافات التي يراها مناسبة بهدف إبراز طاقاته واستثمارها .

الكلمات الدالة : الهوية ، الرموز ، الأنساق الثقافية ، المحتوى الثقافي ، العولمة ، الاتصال

Abstract :

Cette présentation vise à mettre en évidence les dimensions de la mondialisation et de la communication des médias sur l'identité culturelle des jeunes algérien de divers segments d'âge , ce dernier représentant l'entité habitant personnelle et spirituelle en parallèle avec la mondialisation culturelle, qui se caractérise par un monopole de l'information à la lumière de la World Wide Web pour obtenir des informations qui est devenu une importante sa façon de recevoir et de passer des fonctions culturel, y compris à l'égard de l'information et des films et des photos et des idées de la culture renverser , en particulier ceux de la culture matérielle, qui contrôle l'Internet et renverser la moralité des individus ainsi que la propagande politique que influence le cœur de la situation culturelle et politique du pays, à partir d'ici est devenu ces connotations et les significations d'identité culturelles peuvent considérer que la mondialisation a conduit à l'application d'un nouvel effet culturelle donc même ces jeunes algériens peuvent choisir les cultures qu'il juge appropriées afin de faire ressortir ses énergies et ses investissements .

Mots clés : mondialisation , communication ,contenu culturel, identité

المحور الأول : مفهوم الهوية الثقافية من منظور سيميائي اتصالي :

إن الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الإعراف والقبول والتقدير للإنسان، ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية ، وعلى كل كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن

الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور وليس معطى جاهز ونهائي وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار وهي تغني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى.

من هنا يمكن القول، أن الهوية الثقافية والحضارية لأمة ما، هي القدر الثابت والجوهري والمشارك التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى.

و من الناحية الاتصالية يمكن الحديث عن الخصوصية الثقافية التي ترافق الشعوب والأمم والجماعات البشرية والتي تعني في جوهرها استلاب الأمة أو الدولة من خصوصيتها الثقافية وهذا ما نراه من تأثيرات العولمة الإعلامية والاتصالية ومحاولة الغرب التأثير على ثقافات إلى الآخرين خاصة وهي أمام مجتمعات تستهلك في المجال الثقافي أكثر مما تنتج.

وتعتبر تجليات العولمة الثقافية من التحديات الكبرى التي تهدد خصوصيتها الثقافية فالإحساس الذي لا زال متنامي لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتي لأفرادها بوصفهم ينتمون إلى الأمة كونية لحضارات متعددة هذا الوعي أخذ يولي مسألة الثقافة اهتماماً يتعاضم تدريجياً فالثقافة تعتبر المكون الأساسي لوجدان أي مجتمع وتعبير عن العمق التاريخي والمتراكم في المجتمع فالثقافة تعبر عن الهوية والانتماء الوطني وبالتالي فالضرورة ملحة على التواصل الثقافي.¹

المحور الثاني : الهوية الثقافية الجزائرية .. بين الماضي والحاضر:

بعد استعراضنا لأهم المفاهيم المفتاحية أو المركزية للموضوع، فإنه لا بد من ربط هذه المفاهيم بمفهوم قد لا يقل شأناً عن المفاهيم الأخرى وهو محددات الهوية الجزائرية، فالمجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، وبالتالي فإن الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها.

هذه الهوية الواضحة اجتماعياً والتي تحظى بالقبول النسبي من طرف جميع أفراد المجتمع وكذا مختلف الفاعلين السياسيين داخل المجتمع الجزائري بالإضافة إلى عوامل أخرى مادية أساساً مرتبطة بمستوى التقدم الاقتصادي والحضاري الذي يبلغه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل التاريخ غير أن هناك عدة عوامل تاريخية محلية وكونية ساهمت في بلورة ثوابت معينة للهوية الجزائرية تتمثل في ثلاث محددات:

¹ محمد حسن برغشي، الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لأراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007

1-الدين الإسلامي.

2-اللغة العربية.

3- الأصل الأمازيغي.¹

وإذا أقررنا من حيث المبدأ أن لكل مجتمع خصوصيته الثقافية التي تشكل هويته الذاتية ويسعى جاهدا للمحافظة عليها وصيانتها من الإندثار تحت وطأة وهيمنة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الأخرى فإن للمجتمع الجزائري خصوصية ثقافية قد تميزه عن باقي المجتمعات العربية الإسلامية، فالخصوصية الثقافية تعني أنها "عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة".

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي، أمازيغي متوسطي، إفريقي عالمي يجمع بين المعريين والمفرنسين، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والتارقية غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تحيي داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام.²

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن العولمة الثقافية قياسا بالعولمة الاقتصادية والسياسية... إلخ تعني ترسيخ هيمنة هوية ثقافية معينة ليس هذه الهوية إلا الهوية الثقافية الأمريكية بكل أبعادها المادية ولاسيما المعنوية منها.

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية التي تعاني بدورها خطر العولمة الثقافية فالمسألة الثقافية في المجتمع الجزائري تبدو شائكة لبعض الدارسين نظرا لتعدد الثقافي الموجودة فيه . فالمتتبع لواقع الهوية الثقافية الجزائرية يلاحظ كما ذكرنا سابقا أنها متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، نلاحظ غلبة التوجه الفرنسي فيها على سبيل المثال لا سبيل الحصر ولهذا يحتدم الصراع بين المعريين والمفرنسين وبالتالي نحن في مواجهة أزمة لغوية وثقافية في الجزائر فعلى الرغم من تنوعه الثقافي إلا أنه قائم في إطار وحدة ثقافية وطنية واحدة " فالقبائلية والشاوية والمزابية والتارقية ... ليست ثقافات منغلقة ومعيقة للتحديث والوحدة والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية ولا يحق لأي جهة احتكارها هذه الأخيرة التي تبدو في صور عدة منها الهوية المستمرة وهي الخطوط الكبرى التي تنتقل جيلا بعد جيلا ويكون المجتمع بواسطتها هو ذاته لا الآخر، أما الهوية المتحولة فتتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها ولكن تتحول عموما داخل الاستمرار ذاته.

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003، ص75

² عباس الجراري، مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب، السلسلة الجديدة، 1988، ص12

ولعل هنا يطرح التساؤل التالي ما هو الثابت والمتغير في الهوية ويمكن القول بأن الهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير، ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة داخل هويتنا الثقافية دون إلغاء اللهجات الأخرى بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله الخارجي. ولعل هذا ما سعت إليه الجزائر حيث جعلت من الثقافة قضية تنموية معتبرة اللغة بمثابة أساس الهوية الثقافية فبدأت بتعريب المدرسة الأساسية والجامعة وتعريب الإدارة وقطاع العدالة والاقتصاد... إلخ، رغم بعض الصراعات التي شهدتها بعض القطاعات بين المؤيدين والرافضين للفكرة، فرغم التحولات السريعة التي عرفها المجتمع الجزائري إلا أن الجهود متآزرة على المستوى الداخلي من أجل تحقيق تنمية لا تذهب بالخصوصية التاريخية والحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري بل تدعمها من خلال تفعيل اللغة العربية لغة القرآن وبالتالي الحفاظ على ديننا بكل قيمه وأصالتنا وتراثنا الثقافي وبكل ما تحمله هذه الهوية الثقافية الجزائرية من تنوع متعدد.¹

المحور الثالث : دلالات العولمة الثقافية وأبعادها الرمزية في البيئة التكنولوجية البصرية:

المقصود بالعولمة الثقافية بالطبع هو التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها، وصهرها جميعاً في بوتقة ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة واحدة.

ولاشك أن آليات تحقيق هذا التقارب قد زادت في السنوات العشرين الماضية لدرجة أصبح الإنسان معها في أي مكان في العالم المترامي الأطراف خاضعاً لتلقي كل أو على الأقل معظم ثقافات الشعوب المختلفة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وعبر كل تلك المخترعات التي سهلت له الاطلاع على فكر الشعوب المختلفة وعاداتها وتقاليدها وديانها وعلى كل ما تنتجه قرائح هذه الشعوب في اللحظة نفسها التي تنتجها فيها أو بعد ذلك بقليل.

ما يتبادر إلى الإذهان عند قول عولمة ثقافية، هو وجود خصائص ثقافية عالمية تصلح لكل المجتمعات على اختلافها، و يمكنها أن تتبناها و إنما الأصح في ذلك هو أن العولمة تهدف لهيمنة الثقافة الغربية أوروبية على ثقافات العالم، من خلال هيمنتها على وسائل الإعلام بحيث تقولها في قالب واحد، لتصبح ثقافة واحدة.²

إن تعريف العولمة ثقافياً، يعني أن ينتقل اهتمام الفرد من ثقافته المحلية إلى الثقافة العالمية دون أن يهمل هويته الوطنية.

¹ محمد العربي ولد خليفة ، مرجع سبق ذكره ، ص 45

² محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي و الخطاب الأدبيولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22 ص 76

و هي أيضا انتقال تركيز و اهتمام الإنسان من المحلية إلى العالمية، بمعنى أن يزداد الوعي بعالمية العالم ووحدة البشرية و بروز مفهومات جديدة للهوية والمواطنة العالمية التي قد تحل محل المفهومات المحلية لها.

فالثقافة هي بطاقة هوية كل بلد و كل مجتمع، تحمل نسقا مركبا من التراث و التاريخ و اللغة والمعتقدات والتقاليد والقيم، والتي بها تتمايز المجتمعات .ونظام العولمة هذا يسعى إلى وضع نظام عالمي موحد ونموذجي ، عكس ما تتميز به الهوية الثقافية من خصائص التفرد و التعدد.¹

إن المسألة هنا لا تأخذ مسارها بشكل مادي بمجرد الخضوع لإتفاقات معينة أو لقوانين معينة، بل هي مرهونة بالافتتاح الذاتي للفرد ومرهونة بالتالي بإرادة شعب ما التخلي عن ثقافته القومية والتنازل عنها لصالح تلك الثقافة الجديدة الوافدة. وإذا ما أدركنا أن معظم عناصر تلك الثقافة المعولمة أو التي يراد لها ذلك عناصر غربية وحاملة للقيم الغربية المادية المتطرفة في ماديتها .

عموما، تسعى العولمة إلى الوحدة والنمطية مقابل التنوع والتعدد الذي تقربه الهوية كما تهدف العولمة إلى القضاء على خصوصيات المجتمعات بينما تعترف الهوية بالاختلافات فيما تنتقل الهوية من العام إلى الخاص و من الشامل إلى المحدود، تنتقل العولمة من العام والشامل إلى اللامحدود واللاتجانس. هذه العلاقة كما هو واضح يشوبها صراع و تصادم بين المفهومين؛ حيث تطارد العولمة الهوية الثقافية للشعوب مطاردة مستميتة، يبقى أن نعلم إن كانت هذه الأخيرة.²

في خضم الصراع المحتدم بين مؤيدي العولمة الثقافية و معارضيها، اقترحت أطراف من النخبة العالمية ممثلة في منظمة " اليونسكو " وثيقة عمل و تأمل تمثل موقف وسط بين دعاة عولمة بلا حدود و على رأسها الو.م.أ و بين ممثلي بلدان الجنوب المعرضة للاكتساح، تحمل هذه الوثيقة أطروحة " التنوع الثقافي، وفيها دعوة للمجتمعات للت و فيق بين المطلب المزدوج للوحدة والتنوع :الوحدة باعتبارها شرط التماسك الجمعي، والتنوع باعتباره حقيقة حتمية و عامل ثراء للثقافات. كذلك تعميق الحوار ما بين الثقافات وفي إطاره الحوار ما بين الديانات، لخلق وحدة الحضارات، وهذا ما تحمله منظمة " اليونسكو " و منظمة الأمم المتحدة على السواء من شعارات ، لتفادي صراع الحضارات الناجم عن العولمة الثقافية

¹ محمد حسين أبو العلا ،ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف،مكتبة مدبولي ،ط01،القااهرة،2004،ص22

² محمد حسين أبو العلا ،مرجع سبق ذكره ،ص88

إنّ أفضل طريقة لمعالجة تحدي العولمة لحماية الشباب ، من سلبياتها وتهديداتها، أن ينخرط كل المجتمع بهيئاته المختلفة ومؤسساته سواء الحكومية أو مؤسسات التربية: المدرسة والأسرة، في مفاهيمها، بأن يفهمها الفهم الصحيح، حتى لا يبقى معزولاً.¹

المحور الرابع : تمثلات المحتويات الثقافية الرقمية في الفضاءات الافتراضية:

ظهرت مع القرن الجديد ثورة معرفية و تكنولوجية هائلة ، جعلت الكتابة الرقمية من أحد أساليب الحياة المعاصرة و وسيلتها في الاتصال والإنتاج والخطاب والتأثير ، و في هذه النقطة بالذات، اتسع حقل الاستغلال الفني لمعطيات الثورة المعرفية والتكنولوجية من خلال توظيف جماليات تكنولوجيات المعلومات على الخطاب اللغوي و البصري ، كون أن الانترنت تعتبر وسيلة اتصال ومكتبة افتراضية متنوعة تؤمن سبل الوصول إلى مصادر المعلومات .

ويقدم الخطاب الرقمي التفاعلي معايير جمالية جديدة وخصائص لم تكن متاحة من قبل في النص الورقي كخاصية تعدد المبدع والتأليف الجماعي للنص الرقمي وتعدد الروابط التي تؤدي بدورها إلى تعدد النصوص حسب اختيارات المتلقين ، هذا ما أشار إليه جاكوب نيلسون jakob nielsen عندما أكد في أحد مؤلفاته أن المحتوى الرقمي يمنح للمتلقى سلطة تصور عالم أو كون سردي داخل العالم الافتراضي الذي يهتم بتحويل الممارسة السردية إلى سلطة من التطبيقات النصية حيث يصبح القارئ أو المسرود له في وضع المستكشف لتلك العوالم النصية. في هذا السياق ، لا بد أن نشير إلى بعض النصوص الرقمية المرفوقة بالصور المتحركة التي تلجأ في بنائها الجمالي إلى عناصر سيميائية مختلفة مثل الموسيقى الإلقاء الصوتي إلى جانب العلامات اللغوية التي لم تعد حركتها تنمو في شكل خطي تسلسلي ولكنها أصبحت متحركة تنمو بصورة تشعبية في اتجاهات مختلفة.²

من هنا توالى انشغالات علمية و أبحاث جديدة، أسفرت عن بزوغ مفاهيم جديدة في المحتوى الرقمي تمخضت بدورها عن التناول المكثف لمسألة التفاعلية بين القارئ و النص ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الهوية الثقافية في الانترنت هو الخصوصية الذاتية والتفرد بصفات وخصائص معينة تعكس هذه الخصوصية وتميز هذه المجتمعات عن بعضها ففي ظل التوجه إلى العالمية نجد أن هناك توجهاً جديداً نحو تحديد الهوية فعند تحول الفرد إلى العالمية يحاول أن يؤكد هويته وشخصيته المميزة فالهوية تظهر في كل مكان وتؤكد على محورها في كل المجتمعات التي أصبحت مقسمة إلى مجموعات

¹ Peter Dahlgren, *l'espace public et l'internet : structure, espace et communication, réseaux*, volume 18, 2010, p66

² محمد عابد الجابري ، *العولمة والهوية الثقافية* ، أطروحات دار المستقبل العربي، العدد 02-228، بيروت، 1998، ص55

متعددة وسط كل هذا فهناك دول تختفي في الوقت الذي نجد فيه دولا تؤكد على هويتها وتزدهر على المستوى العالمي.¹

إن التحول الذي أصاب المجتمعات العربية بصفة عامة و المجتمع الجزائري هو الانتقال من وحدة التعدد الذي أصبح الهدف العالمي فقد أصبح الاختلاف المعترف به الوحدة التي يعترف بها من خلال النظر إلى الاختلافات ومن خلال وضع التمييزيات في الاعتبار.

وباعتبار الهوية الثقافية القومية هي الهوية المشتركة لجميع إبناء المغرب العربي لا يعني هذا إلغاء وإقصاء الهويات الوطنية ولا يعني أيضا فرض نمط ثقافي معين من الأنماط الثقافية المتعددة الأخرى فالوظيفة التاريخية لهذه الثقافة هي وظيفة التوحد المعنوي والروحي والعقلي والارتفاع بالوطن وإيجاد أسباب الانفتاح على الثقافة والهوية الخارجية فكل التحولات والتغيرات تتركز في البنى الاجتماعية التي تعيش في أطر إقليمية محددة، وبالتالي يكون التساؤل عن كيفية حدوث هذا التغير في الهوية والبنى الاجتماعية.

ولهذا فإن التمسك بالهوية القومية هو وصف المخزون النفسي المتراكم من الموروث وتفاعله مع الواقع فانتقال المجتمع من مرحلة إلى أخرى لا يعني أنه أحدث قطيعة أو انفصال عن الماضي، بل يعني استمرار الحضارة، ولكن على أساس احتياجات هذا العصر، وبالتالي فإن قضية الحفاظ على الهوية قضية كفيلة بإظهار وجودنا الثقافي في المعترك الحياتي واكتشاف جذورنا والتمسك بهويتنا.

إذن فتبني العولمة يؤدي إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية والترويج للقيم الاستهلاكية ويمكن تلخيص ما سبق من آثار الثقافة المعولمة على هويتنا الثقافية فيما يلي:

1- التبادل اللامتكافئ بين العناصر الثقافية إذ يكون التبادل أحادي الاتجاه مما يخلق مشكل الخصوصية في ظل شمولية الاتصال.

2- الغزو الثقافي والذي يظهر استمرار آليات التي تحقق السيطرة وامتداد فعاليتها في شكل قوة تغلغل في مجتمعاتنا التي تقف موقف الجمود أمام التغيرات التي تحدث داخلها، الأمر الذي ينمي الإحساس بالتهميش والاستلاب من الثقافة الأصلية وتنامي الإحساس بفقدان هويتنا الوطنية القومية.

3- التبعية الثقافية من خلال اعتماد ثقافاتنا على ثقافات الأخرى في إنتاج وتطوير ثقافاتنا وتتمثل هذه التبعية في عدة مظاهر منها إحلال قيم وعادات وأنماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات حيث تظهر التبعية في المجتمع التابع كمجتمع مهشم ومتناقض يسوده التفكك وعدم الأصالة.

¹ فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع، ط01، الأردن، 2002، ص76

4- الإمبريالية الثقافية والتي تشير إلى الثقافة المسيطرة من خلال ما تمارسه الثقافة المتقدمة من هيمن على الثقافات المتخلفة والتابعة فتحتل هذه الهيمنة كانت إعلامية أم تكنولوجية مواقع أساسية في ثقافتنا من خلال فرض قيمها وأنماطها السلوكية.¹

المحور الخامس: الهوية الثقافية ... بين جدلية الخصوصية و قيم الحداثة

تقوم الهوية على مجموعة من الركائز منها اللغة والدين والمذهب والفكر والعقيدة والعقلية وحديثاً أصبحت الإيديولوجيا من ضمنها أيضاً، بالإضافة لما يملكه الفرد والمجتمع من الهوية الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وما يتضمن من الموروثات التاريخية وتفرضه عليه جغرافية الشكل والنوع المعين من الهوية. في حالات يمكن أن تطغي بعض منها على الأخر وتختلف من بقعة لأخرى ناهيك عن الاختلاف الواسع مع الدول المتقدمة، وكلما كانت الظروف الاقتصادية مسيطرة على الفرد، وهو يهتم بها أكثر من المجالات الأخرى- أي الإهتمام بالهوية الخاصة- يمكن أن تخفف الحداثة من سمك وتقل هوية الفرد سوى كانت اجتماعية أم ثقافية خاصة به، أي تقرب الأفراد رغم الاختلافات الكثيرة في كافة الجوانب من شكل وجوهر الهوية الخاصة بهم، في المجتمعات المتخلفة تبرز الاختلافات الخاصة بالهوية بين مكونات الشعب، وهناك من العوامل المؤثرة على التشدد في الالتزام بالهويات الخاصة ومنها الفقر والبطالة والتخلف في ظل أنظمة قمعية، وهذا ما يؤدي إلى مجابهة كل القيم الحديثة.²

اختلف المفكرون في تأثير قيم الحداثة على الهوية، وتعددت آراء واتجاهات الباحثين في المجتمعات العربية الإسلامية حول الهوية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التحولات السوسيوثقافية لهذه المجتمعات هناك من يرى الحداثة أمر مفروض ولا بد لنا أن نبحث عن تأصيل لهذه القيم الحديثة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وآخرون يدعون إلى اعتزال كل ما جاءت به الحداثة من قيم وآخرون يقولون بالتعامل مع الحداثة وما جاءت به من قيم لكن بحذر.

هذا وتعد الهوية في نظر بعض الباحثين والمفكرين من جهة أخرى عائقاً ينبغي إزالته للإضمام إلى مسيرة الحداثة، أما بعضهم الآخر يرى أنها الحصن الدفاعي الذي يحمي الثقافة القومية من وحشية القيم الحديثة التي تعتبر دخيلة عن القيم الأصيلة للمجتمع، وبين هذا وذاك يوجد من دعا لهوية منفتحة ومتجددة، توازن بين الأصيل من القيم والمعاصر منها حسب الضرورة والاحتياج.³

¹ سليمان إبراهيم العسكري، الثقافة والإنسان العربي، إطلالة على المشهد الراهن، مجلة العربي، العدد 509، الكويت، 2001.

² Jean-Noël Anderruthy, *web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet*, EMI édition, France, janvier 2007,p25

³ عباس الحراري، مرجع سبق ذكره، ص75

ولكن اليوم تأتي العودة القوية لثوابت الهوية الثقافية في الجزائر كما في دول العالم العربي الإسلامي نتيجة لإخفاق الإيديولوجيات التمدنية الغربية، في بناء هوية منزوعة الصلة بالعمق الثقافي والتاريخي لهذه المجتمعات، وفشل قيم الحداثة وشعاراتها البراقة في أحداث التنمية والرفاهية المأمولة.¹

غير أنه يوجد من ينتزع عن الهوية سمتها الاجتماعية الثقافية، فيراها سياسية لها علاقة بالمواطنة، حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي، مبني على فكرة التجانس الاجتماعي، وهو افتراض غير مبرر، ورأي آخر يرى في الحداثة أنها مسئولة عن الربط بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا وهذا ربط لا يكون حقيقياً إلا عندما تعبر الهوية السياسية عن الهوية الثقافية التي ينظر إليها على أنها فعل مرتبط بالماضي والمستقبل، بينما الهوية السياسية فعل يقوم في الغالب على معطيات الحاضر.²

ولكن بحثنا عن أصالة قيم هويتنا لا تعني إهمال ثقافة الآخر وعدم الاطلاع عليها والإفادة منها كما لا تعني ثقافة دينية بالمعنى الكهنوتي، وأيضاً ليست نشر العلوم الشرعية التخصصية التي تدرس في المعاهد كما هي عليه، بل تعني العودة إلى الأصالة منهجاً وقيماً ومصدراً في تنمية ثقافة المجتمع أياً كان اتجاهها سياسياً أو أدبياً أو فكرياً أو فناً .

فالمجتمعات العربية والإسلامية عامة و المجتمع الجزائري على الصعيد الثقافي لا تبدأ من العدم بل هي تستند إلى إرث ثقافي غني بالقيم البناءة، هذه المجتمعات تستطيع أن تقدر القيم الأصيلة لديها والموجودة في تراثها ودورها في تكويننا النفسي والاجتماعي.

ونأخذ منه ما تقتضيه حاجتنا اليوم، وأن نقبل على الثقافة المعاصرة فنقتبس من ثقافات الآخرين ما تحتاج إليه ثقافتنا لتحقيق معاصرتها ومواكبة الثقافات الأخرى، ولا سيما في ميدان العلوم والتقانة والتقنية والعلوم المستحدثة في السنوات الخمسين الأخيرة، فالمواءمة بين الموروث والجديد يحفظ للأمة هويتها ويجدد طاقتها على النماء والتطور.³

في الأخير يمكن أن نؤكد على ما قاله الجابري فالهوية الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة .

¹ بدران بن لحسن، العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007، ص55

² فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة: محمد دبس، بيروت، دار أكاديميا للنشر و التوزيع، 1998، ص65

³ ابن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة تحليلية نظام تمظهر العقل العربي قراءة في نصوص ميشال فوكو، ط1، دار الاختلاف

، الجزائر، 2009، ص77

الوطن: بوصفه "الأرض أو الجغرافية والتاريخ وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن.
 الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تتسجه الثقافة المشتركة قوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها
 الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن.

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية
 مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب.¹

المحور السادس : أنماط الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة الاتصالية:

في الحديث عن إستراتيجية الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة يمكن أن نقول كيفية التعامل مع
 العولمة الثقافية وتتبع ضرورات التعامل والمواجهة الإعلامية لظاهرة العولمة بالأساس من الحاجة إلى
 حماية الهوية الثقافية الجزائرية وصيانة خصوصيتها الذاتية ويتم ذلك من خلال التوجه إلى التطور
 الحضاري الإنساني ودعم التفاعل الحضاري الثقافي بين الأمم والشعوب ولا بد لهذه الإستراتيجيات أن
 تكون ممكنة يمكن تطبيقها في ضوء الفرص المتاحة وان تتسم بالنظرة الشاملة وذلك بتحليل مختلف
 المتغيرات ومدى تأثيرها بعضا ببعض ويتم الحفاظ على الهوية من خلال مستويين يتمثلان في:

على المستوى الدولي:

لعل أهم نقطة للبدء في المحافظة على الهوية الثقافية أمام الآخر يمكن إطار التعامل مع قوى العولمة
 الثقافية وبناء النموذج الثقافي الوطني في المجتمعات العربية، من خلال إجراء حوار عام يسفر عن
 إجماع وطني حول المشروع الثقافي الوطني والدعوة إلى الاندماج في الهوية الوطنية العربية، مع الحفاظ
 على خصوصياتها وهي النقط المحورية التي تسعى من خلالها إلى قوى العولمة إلى تحطيم وحدة البلدان
 العربية.²

إلى جانب ذلك لا بد من إجراء حوار في إطار مفهوم "التقريب" في الوقت الذي يصعب الحديث عن
 تعامل فعال مع العولمة الثقافية، لأنه لا زالت هناك الكثير من التضاربات الثقافية في الوطن العربي
 إضافة إلى هذا لا بد من التوصل إلى إستراتيجية ثقافية مشتركة بين البلدان العربية والغربية، ويمكن ذلك
 من خلال حوار الحضارات العالمية، فالعوامة تدفع في اتجاه فرض القيم الغربية ومواجهة القيم غير
 الغربية.

¹ بدران بن لحسن، العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007، ص85

² Emmanuelle Border, Pascal Vaillant .Le statut du signe iconique entre iconicité et intertextualité.

Paris.2006,p15

على المستوى المحلي:

إذا تحدثنا عن الإستراتيجية على المستوى المحلي فتعتبر الإستراتيجية النواة لفرض وجودنا الثقافي وإثبات خصوصيتنا الثقافية والهوية الوطنية القومية داخل المجتمع الجزائري ورفع هذه الهوية أمام الآخر وتكمن محاور ونقاط هذه الإستراتيجية في:

- محاولة المزوجة بين المجتمع الحديث والحياة الشعبية التي خلفها الأجداد ويقصد هنا بالمزوجة هو عدم الانفصام بين النواحي الحياتية والتجارب الموروثة التي لا بد أن تحضر وتحلل وتقدم في ثوب جديد مع الحفاظ على الإبداعية فلكل ثقافة محلية خصوصية، ولكن تجتمع كلها في صفات مشتركة تكون السمة الغالبة للهوية الثقافية.

- تحديث ثقافتنا وتطويرها من خلال تبيان وضعية المتحول من الثابت فيها وذلك بإثبات هويتنا في وجه تيارات العولمة الثقافية حتى نتمكن من المحافظة على قوميتنا

- ايجاد رؤية تصور العالم على أنه مجموعة واحدة تتبادل المنافع دون إسقاط الخصوصية التي تميز كل جماعة في موروثها الثقافي.

- رفض العزلة والهيمنة في الوقت نفسه ومحاولة وضع وجودنا الثقافي في المعترك الحياتي، من خلال تطويع الثقافة الجديدة مع ثقافتنا حتى تصبح مزيجا من الأصالة والمعاصرة، وهنا يمكن المحافظة على هويتنا ومواكبة الآخر.¹

خاتمة :

لا يخفى على أحد أن المعارك الثقافية هي أعمق تجربة يمكن لمجتمع أن يخوضها من أجل تجاوز روااسب الماضي وأطر التقليد وآليات الاستلاب الفكري والهيمنة الإيديولوجية كما إنها إرادة إحلال هيمنة محل هيمنة أخرى، لكن على أرضية التحرر. وهذا تنشده كل هوية ثقافية فاعلة ومتفاعلة مع الخاص والعام ، فالبعد الثقافي هو معيار أولي لتحديد طبيعة مجتمع ما. وبغياب هوية ثقافية نقدية يكون المجتمع قد كرس ذاتيا الاستلاب واللافاعلية. وإذا كان المنظور الثقافي يدافع عن الثقافة كمنطلق وهدف وزاوية نظر، فإنه يغفل تداخل مجموعة عوامل في تدمير ثقافة ما أو نهوض بهوية ثقافية.

وعليه فإن الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة لدى الشباب ليست وليدة اليوم، وإنما مرتبطة بعمليات الانفتاح الثقافي حتى قبل ظهور وسائل الإعلام والاتصال، حين كانت الدول والأمم في الماضي تفتتح على ثقافة أمة أخرى فتتهل منها ما يعجبها أو العكس، ويتحقق ذلك بفعل عملية التأثير والتأثر. أما في

¹ حسن لطيف كاظم الزبيدي، العولمة والمستقبل الدور الاقتصادي للدولة في العالم الثالث، دار الكتاب الجامعي، ط1، المغرب

وقتنا المعاصر فازداد مشكل الهوية أكثر حدة، ليس فقط لأن مبتكري وسائل الإعلام والاتصال يصدرون ثقافتهم لشعوب الدول النامية. بمعنى أن العلاقة بين الهوية المحلية وهوية العولمة ليست علاقة وحيدة الاتجاه، وإنما أصبحت الهوية تركيب بين معطيات العالم الواقعي والعالم الافتراضي أو ما يسمى بالرقمي ، الذي يشكل جزءا كبيرا من العالم الواقعي، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى انقسام على صعيد الهوية. ومن المحاور السابقة يمكن القول أن الهوية الثقافية روح تنبض وتاريخ يبني وعنوان للذات ،فلكل مجتمع هوية تلخص تجارب الذات الفردية والجماعية المشكلة له في نضالها المستمر والمتواصل لشق الطريق للتقدم والرقى في بيئة تكنولوجية بصرية تحمل انساق ثقافية ذات أبعاد دلالية مختلفة .

الهوامش

1. محمد حسن برغثي: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسولوجية لآراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007 .
2. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003 .
3. عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم ، السلسلة الجديدة، 1988 .
4. محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي و الخطاب الادبيولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22.
5. محمد حسين أبو العلا ،ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف،مكتبة مدبولي ،ط01،القاهرة،2004.
6. Peter Dahlgren, l'espace public et l'internet : structure, espace et communication, réseaux, volume18, 2010.
7. محمد عابد الجابري ، "العولمة والهوية الثقافية" أطروحات دار المستقبل العربي، العدد 02-228،بيروت،1998.ص55
8. فلاح كاظم المحنة ،العولمة والجدل الدائر حولها ،مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع ،ط01،الأردن،2002.
9. سليمان إبراهيم العسكري ،الثقافة والإنسان العربي ، إطلالة على المشهد الراهن ،مجلةالعربي،العدد509،الكويت،2001.
10. Jean-Noël Anderruthy, web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet , EMI édition, France, janvier 2007.
11. بدران بن لحسن: العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007 .
12. فريدريك معنوق: معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة: محمد دبس، بيروت، دار أكاديميا للنشر و التوزيع، 1998 .
13. إبن دأود عبد النور: المدخل الفلسفي للحدثة تحليلية نظام تمظهر العقل العربي قراءة في نصوص ميشال فوكو، الجزائر، دار الاختلاف، 2009.
14. بدران بن لحسن: العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007 .
15. Emmanuelle Border, Pascal Vaillant .Le statut du signe iconique entre iconicité et intertextualité. Paris.2006.
16. حسن لطيف كاظم الزبيدي ،العولمة والمستقبل الدور الاقتصادي للدولة في العالم الثالث ،دار الكتاب الجامعي ،ط1، المغرب 2002.

دور الخطاب الديني في تحقيق الأمن الفكري ومكافحة التطرف

أ / خطير نعيمة - جامعة الجزائر 03 - الجزائر

ملخص :

تعاني منطقة الساحل وشمال إفريقيا من استفحال ظاهرة العنف والتطرف داخل مجتمعاتها والمعالجة الجذرية والشاملة لهذه الظاهرة ، لا تكون إلا بالقضاء على العوامل الدافعة والكامنة لتكوّن الفكر المتطرف المؤدي إلى العنف والإرهاب ، أو بمعنى آخر تحقيق الوقاية من هذه الظاهرة ، عن طريق تحصين وتأمين فكر الفرد من الانحراف والتطرف ، أو ما يعرف حاليا بالأمن الفكري .

وتبعاً لذلك تسعى الورقة البحثية إلى رصد وتحليل دور الخطاب الديني الإسلامي في تحقيق وحماية الأمن الفكري ، والكشف عن مضامينه ووسائله في نشر الوسطية ومكافحة العنف والتطرف وكذا البحث عن سبل التعاون بين دول شمال وغرب إفريقيا ذات المرجعية الدينية الواحدة في تعزيز الأمن الفكري ، والقضاء على مختلف أشكال الإنحراف التي تهدد استقرار المنطقة .

الكلمات المفتاحية : الأمن الفكري ، الخطاب الديني ، التطرف ، الشريعة الإسلامية ، الوسطية.

Résumé :

Sahel et l'Afrique du Nord souffrent du phénomène croissant de la violence et de l'extrémisme au sein de leurs sociétés et le traitement radical et global de ce phénomène est fait par l'élimination des facteurs d'extrémisme menant à la violence et le terrorisme, ou en d'autres termes, pour atteindre la prévention de ce phénomène, en fortifiant et sécurisant la pensée de l'individu de la déviation et l'extrémisme, ou ce qui est maintenant connu sous le nom de la sécurité intellectuelle.

Par conséquent, le document vise à surveiller et analyser le rôle du discours religieux islamique dans la réalisation et la protection de la sécurité intellectuelle, et la divulgation de son contenu et ses méthodes dans la propagation de la modération et à combattre la violence et l'extrémisme, ainsi que la recherche de moyens de coopération entre les pays de l'Afrique du Nord et de l'Ouest - qui ont la même référence religieuse - dans la promotion de la sécurité intellectuelle, et l'élimination des diverses formes de déviation qui menacent la stabilité de la région.

Mots clés : sécurité intellectuelle, discours religieux, l'extrémisme, la loi islamique, la modération.

مقدمة :

تشهد منطقة الساحل وشمال إفريقيا تحديات حقيقية للأمن الفكري ، تسببت في زعزعة استقرارها وبت العنف والفوضى والإرهاب داخل مجتمعاتها ، وقد أرجع الكثير من الباحثين المتخصصين في ظاهرة الإرهاب، أن هذا الأخير يعود بصفة عامة إلى وجود انحراف فكري لدى من يقوم بهذه الأعمال اشتركت عدة عوامل في تَكُونه وتَحَوُّله من إطاره الفكري إلى عمل مادي مذهبي ، وما زاد في حدة هذه الظاهرة عدم وجود إستراتيجية إقليمية واضحة المعالم للتعامل مع المشكلة ، مما يؤكد الحاجة الملحة لهذه الدول لإعادة التفكير في سبل مكافحة العنف والتطرف ، وأن الوقاية تبدأ من تجديد الخطاب الديني المتضمن لكل أبعاد الأمن الفكري الذي بتعزيزه يتحقق الأمن بجميع صورته لما يمثله أمن الفكر من حماية لسلوك الفرد وتحصيناً له ضد أي مؤثر .

وانطلاقاً مما سبق يمكن طرح السؤال المركزي التالي : **كيف يمكن توظيف الخطاب الديني في تأمين**

الفكر من الانحراف والتطرف ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي ، التساؤلات الفرعية الآتية :

➤ **الأسئلة الفرعية :**

- ما المقصود بالأمن الفكري ؟ وما هي ضوابطه ؟
 - كيف يمكن للخطاب الديني تحقيقه ؟ وما هي وسائله في حمايته ؟
 - ما هي أهميته في مجابهة التطرف والإرهاب ؟
 - كيف يمكن لدول الساحل وشمال إفريقيا أن تتعاون لتأمين فكر أفرادها من الانحراف والتطرف ؟
- لمعالجة الإشكالية ومجموعة الأسئلة المطروحة ، ارتأينا تقسيم الدراسة إلى المحاور التالية :

➤ **هيكل الورقة البحثية :**✓ **أولاً : التأصيل المفاهيمي للأمن الفكري**

1. في تعريف الأمن الفكري

2. أهميته وضوابطه

3. التطرف كمهدد للأمن الفكري

✓ **ثانياً : مضامين الأمن الفكري في الخطاب الديني الإسلامي**

1. مفهوم الخطاب الديني.

2. أسس الخطاب الديني الإسلامي.

3. خصائص الخطاب الديني الإسلامي.

✓ **ثالثاً :** سبل تفعيل الخطاب الديني لتعزيز الأمن الفكري في منطقة الساحل وشمال إفريقيا

1. آليات حماية الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية.

2. نحو تحقيق الأمن الفكري في منطقة الساحل وشمال إفريقيا : الأسس والمتطلبات.

▪ **خاتمة :** نتائج وتوصيات.

❖ **أولاً :** التأصيل المفاهيمي للأمن الفكري

1. **في تعريف الأمن الفكري :**

يعتبر الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة نسبياً، وقد بدأت تزداد أهميته خاصة مع هذا التطور الكبير، الذي يعرفه مجال تكنولوجيا المعلوماتية، ووسائل الاتصال و المواصلات وهو ما يسهل انتقال الثقافات، وتأثر بعضها ببعض، والأمن الفكري كما يدل عليه المصطلح، مرتبط بالفكر أي بالعقل الذي يعد منطقة الإدراك الهادف والواعي، ومناطق المسؤولية والتكليف، وبه يكون الفرد صالحاً فيحقق الأمن الوطني والإقليمي والدولي أو العكس، والعقل لن ينجح في التمييز والإختيار إلا إذا خلت المعطيات التي استقبلها من أي صورة من صور الإنحراف والخلل.

والأمن لغةً : يعني ضد الخوف أي الإطمئنان والأمان وسكون القلب . (المنجد في اللغة والأدب والعلوم. 1960. ص : 18).

أما اصطلاحاً فيعني : "تأمين كيان الدولة والمجتمع، ضد الأخطار التي تهددها داخليا وخارجيا وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة إقتصاديا واجتماعيا لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع".

أما **الفكر**، فلغةً يعني : إعمال الخاطر بالتأمل والتدبير بطلب المعاني . (المنجد في اللغة والأدب والعلوم. 1960. ص : 591).

واصطلاحاً : "جملة النشاط والعمل الذهني من تحليل وتركيب وتنسيق" .

أما مصطلح الأمن الفكري فيعرف بأنه : " تأمين العقل البشري ضد أي نوع من الإنحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهم الكثير من الأمور " ، كما يعرف بأنه " حماية عقل الإنسان وفكره ومبتكراته ومعارفه ومنتجاته ووجهات نظره وحرية رأيه من أي مؤثر من قبل الشخص نفسه أو من قبل الغير " .

أو هو "سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والإستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والإقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني " .

2. أهمية الأمن الفكري وضوابطه :

أ. أهمية الأمن الفكري : تكمن أهميته في ارتباطه بأمرين مهمين هما : الأمن والفكر ، فالأمن مطلب تسعى جميع المجتمعات إلى تحقيقه ، ولا يهنأ العيش إلا به ، والفكر هو القلب الذي تنبض به الحضارات فكلما كان الفكر الذي يحمله المجتمع سليما واعيا كلما أنتج وأبدع . وكلا الأمرين الأمن والفكر لا يستقران دون تحقق الأمن الفكري لدى أفراد المجتمع ، فتحقق الأمن الفكري لدى الفرد يؤمن تحقفا تلقائيا للأمن في الجوانب الأخرى كافة والاختلال أو فقدان الأمن الفكري يؤدي إلى الإنجذاب وراء التيارات الفكرية المنحرفة.

ويمكن تلخيص أهمية الأمن الفكري في النقاط التالية: (محمد نور أمل عبد الله. 2007. ص : 48 - 49).

- حماية الكيان الفكري والعقدي للمجتمع من الأفكار الدخيلة عليه فهو أحد جوانب الأمن القومي بل وأهمها ، فهو يتقدم على الأمن الاجتماعي والأمن العسكري والسياسي والأمن الاقتصادي باعتباره يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشخصية.
 - توفير الأمن والاستقرار ، والرد على التيارات الفكرية المنحرفة.
 - يعتبر الأمن الفكري أساس تنطلق منه أوجه النشاط المختلفة في الدولة ، لأن سلامة فكر الأمة يؤدي إلى الاستقرار والحماية لها من أي نشاط هدام يستهدف النيل من بنيتها الأساسية أو دستورها أو مؤسساتها.
 - يعمل الأمن الفكري على غرس المبادئ الأخلاقية والسلوكية التي تعمل بدورها على حفظ الشخصية وحريتها وعدم ذوبانها في غيرها.
 - الأمن الفكري هو السبيل لايجاد أساليب وإجراءات تعين على مواجهة الغزو الفكري للأمة الإسلامية والوعي بأساليبه وأشكاله.
 - عن طريق الأمن الفكري يمكن الكشف عن أوجه القصور لدى الأفراد والهيئات والمؤسسات التربوية وذلك من خلال تقويم إنتاجهم.
 - بالأمن الفكري يمكن تنمية الفكر الإنساني والارتقاء به وبالسلوك الإنساني لدى الأفراد والجماعات في المجالات الثقافية المختلفة مما يجعل أفراد المجتمع قادرين على المشاركة الفعالة في تطوير مجتمعهم في كل قطاعاته.
- ضوابط الأمن الفكري : الأمن الفكري تضبطه العديد من الضوابط والتي تتمثل في : (أحمد حسن التيجاني. 12 - 14 جويلية 2010. ص : 9).

- أن يكون الأمن الفكري هادفاً لتحقيق الوحدة للأمة وتلاحمها.
 - أن يحافظ علي ثقافة الأمة ومكونات أصالتها وقيمها.
 - أن ينجح في تحديد هوية الأمة ويحقق لها ذاتيتها ، وأن يبرز لها شخصيتها.
 - أن يكون الأمن الفكري منبثقاً من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الحديثة الراسخة.
 - أن يحقق مفاهيم الوسطية والاعتدال.
 - أن تكون مصادره صحيحة.
 - أن يحقق أعلي درجات السمو في العفة والطهر والنبل بالفرد والمجتمع.
 - أن يحافظ علي ثقافة الأمة وأصالتها وقيمها.
 - أن يكون القائمين علي أمره والحامون له من ولاة الأمر المخلصين.
 - أن يكون واحداً من أهداف تحقيق منظومة الأمن الشامل.
- أن يكون حاوياً لكل الأفكار التي تدعو للتطور الإنساني وتؤمن فكره من الإنحراف ، وأن يكون حاوياً ومتأسلاً علي مفهوم التعاون والفضيلة والحسني... يقول الله تعالى في ذلك : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.....﴾ (سورة الحجرات : الآية 13).
- أن يكون أكثر مرونة لتحقيق الحرية والعدل والحق والمساواة والحوار ومد الجسور مع الحضارات الأخرى الإنسانية والإمام بشتى المعارف الأخرى.

3. التطرف كمهدد للأمن الفكري :

أ. معنى التطرف أو الإنحراف الفكري :

التطرف في اللغة معناه : الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط . (حسين عبد الحميد أحمد رشوان. 2002. ص : 16)

أما اصطلاحاً فيختلف معنى التطرف أو الإنحراف الفكري باختلاف الزاوية، أو التخصص الذي من خلاله يُعرف الإنحراف.

فعلماء النفس يعرفونه بأنه إشباع لغريزة الإنسان بطريق شاذ، لا يسلكه الإنسان العادي حيث يشبع الغريزة نفسها، وذلك لأن أحوال نفسية شاذة إنتابت مرتكب الجريمة لحظة ارتكابها، فهم يركزون على أعماق نفس المنحرف فكرياً بإعتباره مريضاً.

أما علماء الاجتماع فيعرفونه بـ أنه " السلوك المخالف للقيم والأعراف المعتادة والمقبولة والذي يشكل مضايقات أو خطراً اجتماعياً أو تهديداً للمستقبل " . (سليمان تميم بن عبد الله سليمان. 2006. ص : 38 ، 46) .

لكن رغم هذا الاختلاف في التعاريف، إلا أنها تتجه أغلبها إلى اعتبار الانحراف الفكري خروج عن الوسطية والإعتدال في فهم نسق القيم الذي ارتضاه المجتمع .

ب. أسباب التطرف: إن تشكل الفكر المتطرف لدى الأفراد ينطلق من ثلاث مراحل أساسية هي نتاج لخلل في وسائط التنشئة الاجتماعية هذه المراحل الثلاث الضرورية لتشكل الفكر المنحرف تنطلق

من : (عبد الله بن عبد العزيز اليوسف. د.ت. ط. ص : 11 - 13).

- أصحاب الأفكار المتطرفة لديهم رغبة جامحة في إقصاء الآخر فهم الوحيدون القادرون حسب رؤيتهم على فهم الحقائق والأمور .

- أصحاب الأفكار المتطرفة لديهم أحادية في النظر فالحقائق لديهم ليس لها إلا وجه واحد وطريق الحياة ليس له إلا مسار واحد في رؤيتهم.

- أصحاب الفكر المتطرف يحملون توجهات عقديّة وفكرية تؤكد ما لديهم من قناعات ولا يرغبون في التنازل عنها كما أنهم غير مستعدين للتخلي عنها أو مناقشة الآخرين فيها.

ت. خصائص المتطرفين : هناك خصائص مشتركة تجمع هؤلاء الشباب الذين يحملون الفكر المتطرف والمتسم بروح التدمير والتخريب وهذه الخصائص يمكن التحدث عنها على النحو الآتي : (عبد الله بن عبد العزيز اليوسف. د.ت. ط. ص : 13).

- القابلية للإيحاء فالملحوظ من إعتراقاتهم أنهم استقوا الكثير من المعلومات من بعض الرموز الدينية خارج الوطن دون مناقشة أو تمحيص وإنما أخذوها مسلمات غير قابلة للنقاش.
- هذه القابلية للإيحاء ضرورية لتشكيل إرادة السلوك الإجرامي لدى الأشخاص على مستوى الممارسة.
- حداثة السن حيث يلحظ من غالبيتهم أنهم صغار في السن ومن المعلوم أن صغار السن هم أكثر رغبة في المغامرة وأكثر استعداداً للخروج عن نواميس المجتمع من كبار السن.
- المرور بالتجربة الأفغانية الغالبية العظمى منهم ذكروا أنهم كان لهم مشاركة أو تجربة في الحروب في أفغانستان.
- التدريب العسكري المكثف عن طريق المعسكرات التي كانت توجد في أفغانستان وغيرها وهذه النقطة تتعلق بالمقدرة على ممارسة السلوك الإجرامي.
- المرور بدروس إيديولوجية ذات محتويات معنوية تهدف إلى إقصاء الآخرين وتكفيرهم وقد لاحظنا أن الغالبية منهم اعترفوا بأنهم يتلقون دروساً من رموز دينية خارج الوطن تتميز بالرغبة في العنف والتدمير.

■ التطرف على المستويات الثلاثة :

أ. المستوى العقلي أو المعرفي والمتمثل في انعدام القدرة على التأمل والتفكير.

ب. المستوى الوجداني والمتمثل بالاندفاعية في السلوك.

ج. المستوى السلوكي والمتمثل في ممارسة العنف ضد الآخرين.

ويمكن القول بشكل مبدئي إن السلوك المنحرف والمخالف للأعراف ونواميس المجتمع من الممكن

أن يتحول إلى سلوك تدميري عند توافر مقومات السلوك العنيف وهذه المقومات تنطلق من خمس زوايا :

1- إيديولوجية فكرية تبرز أنماط السلوك التدميري المخالف لأعراف المجتمع.

2- قابلية للأذى لتقبل الأفكار وتنفيذها على أرض الواقع.

3- تدريب عسكري يساعد على مواجهة الآخرين وتنفيذ الإرادة الإجرامية.

4- الفرصة السانحة لتحويل المشاعر السالبة إلى أنماط سلوكية على أرض الواقع.

5- التطرف على المستويات الثلاثة.

❖ ثانيا : مضامين الأمن الفكري في الخطاب الديني الإسلامي

إن الشريعة الإسلامية بما تتضمنه من مفاهيم وأهداف ، وما تستند عليه من مصادر ، قادرة على أن

تربي نشأ مؤمنا بعقيدته صالحا مصلحا ، بعيدا عن الانحراف والتطرف ، وهو ما سنوضحه في ما يلي :

1. تعريف الخطاب الديني :

هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث ، وأول من أطلقه الغرب ، ولم يُعرف هذا الاصطلاح

من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات

الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج

فالخطاب لغةً : جاء في لسان العرب أنه "مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا...

والمخاطبة مفاعلة من الخطاب) .

وجاءت مادة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَوَعَّائِينَهُ

الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (سورة ص الآية 20)، وقال جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 63)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ

بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (سورة هود، الآية 37).

أما الخطاب اصطلاحاً : وعرف بأنه "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها". (أشرف أبو عطايا ويحيى عبد الهادي أبو زينة. 2 و3 أبريل 2007. ص : 686 - 687) .
وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار .

وقد أطلق الغرب هذا المصطلح ، ويقصد به خطاب الإسلام ، وعليه فالخطاب الإسلامي هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سموات عن طريق الوحي ، لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخطاب هو الذي يحدد المصلحة من المفسدة ، والصالح من الطالح ، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر، والصواب من الخطأ، ويقرر السلم من الحرب، وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنة أو النار، هذا هو الخطاب .

1. أسس الخطاب الديني :

يقوم خطاب الإسلام على أساسين بينهما ارتباط وثيق وامتزاج وتلازم إلى حد عدم الانفصال ، وهما مجتمعان يشكلان الخطاب الإسلامي : (أشرف أبو عطايا ويحيى عبد الهادي أبو زينة. 2 و3 أبريل 2007. ص : 688 - 690).

✓ **الوحي** : وهو المتمثل بنصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية ، وما ارشد إليه من إجماع صحابة وقياس ، وهي المصادر الأربعة التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وينتج عنها كل فكر إسلامي ، وأول هذه المصادر :

1- **الكتاب الكريم**: وهو القرآن المنزل علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمصدر الأول للتشريع.

2- **السنة النبوية** : وهي كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

والسنة هي المصدر الثاني للتشريع والاستدلال بها كالأستدلال بالقران تماما لا فرق بينهما من

ناحية الاحتجاج، قال الله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ**

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ (سورة النساء، الآية 59).

3- **الإجماع** : وهو إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، وهو حجة باتفاق لأنه قامت الأدلة القطعية

على حجبيته والخلاف وقع في حجة إجماع من بعدهم وهو الإجماع الوحيد الذي لم يختلف فيه

الأصوليون وهو يكشف عن دليل لم يصل إلينا .

4- **القياس** : وهو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت . هذه

هي المصادر المنطق عليها عند جمهور العلماء ، وهي مجموعها تشكل الأساس الأول الذي يقوم

عليه الخطاب الإسلامي ، وهناك مصادر أخرى مختلف عليها بين العلماء، مثل المصالح المرسله، والاستحسان، وسد الذرائع، ومذهب الصحابي، وهذه تبقى شبه أدلة وما تفرع عنها بصحيح النظر يعتبر من الثقافة الإسلامية أيضا ويندرج تحت الخطاب الإسلامي .

✓ اللغة العربية :

وهي لغة الإسلام ووعاء أفكاره ومعارفه، وهي جزء جوهري في إعجاز القرآن، والقرآن لا يكون قرآنا إلا بها، ونحن متعبدون بلفظه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الزخرف الآية 3) ولا يمكن الاجتهاد إلا بها ، وهي شرط أساسي من شروط الاجتهاد ، لأن النصوص الشرعية جاءت من عند الله بلفظها، ولهذا كان من الواجب أن تكون اللغة العربية هي التي يقوم عليها الخطاب الديني، ويجب مزجه باللغة العربية، لأنه بخصائصهما المشتركة تتولد طاقة عظيمة كفيلة بإنهاض المسلمين، فالله سبحانه وتعالى اختار اللغة العربية وعاء للدين لما في اللغة العربية من مزايا وخصائص تمتاز بها عن اللغات الأخرى، وجاء التحدي للعالمين جميعا، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء، الآية 88)، ونحن نعلم يقينا أن الإعجاز في القرآن في كيفية صياغة هذا الفكر الراقى بهذه اللغة العربية الراقية بنحو راق لا يرقى إليه ولا إلى شيء منه بشر ولا كل البشر، لذلك كانت اللغة العربية هي الأساس الثاني للخطاب الإسلامي، ولا يمكن أن يفهم هذا الخطاب إلا بلغته .

2. خصائص الخطاب الديني الإسلامي :

يتميز الخطاب الإسلامي عن غيره من الخطابات الدينية والوضعية ، بخصائصه هي : (تقي الدين النبهاني. ب.ت.ط. ص : 5).

أنه خطاب عالمي : بمعنى انه جاء يخاطب البشرية جمعاء بقطع النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم، لذا خاطبهم القرآن بـ (يا بني آدم) و(يا أيها الناس)، فالإسلام دين عالمي جاء للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة سبأ، الآية 28) وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية 107).

أنه خطاب شمولي : وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى ، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبغيره وفيه الخطاب العقائدي ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدُؤَارِبِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية 21).

وفيه الخطاب السياسي، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة المائدة الآية 49)، وفيه الخطاب الاقتصادي قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (سورة البقرة الآية 275)، ويشتمل على الخطاب الاجتماعي

الذي يعالج مشاكل الأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ (سورة النور الآية 33)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء الآية 32).

يحقق الطمأنينة والسعادة والاستقرار والأمن في الحياة الإنسانية: قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا ۚ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْتَبَتَّ كُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۗ﴾ (سورة طه الآية 123، 124)، وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۗ﴾ (سورة النور الآية 55).

وهو خطاب نهضوي: أي انه جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة ويميزه عن غيره من المخلوقات والإسلام أعطى المفاهيم والتصورات عن لغز الوجود والحياة وحل العقدة الكبرى عند الإنسان حلا صحيحا بواسطة الفكر المستنير وهو الحل الوحيد الذي يوافق فطرة الإنسان، ويملاً العقل قناعة والقلب طمأنينة. والإنسان بغير هذه المفاهيم الراقية يبقى أسير الهوى والضلال والتخلف والعبودية للعباد والانحطاط الحيواني قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۗ﴾ (سورة الأعراف الآية 179)، وخطاب الإسلام يحقق النهضة للفرد والمجتمع والدولة.

أنه خطاب مؤثر: لأنه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة، ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه في نفس اللحظة التي يستثير فيها عقله، وهو مؤثر أيضا في نفوس المؤمنين، فهو يلامس شغاف قلوبهم ويشحذ همهم ويثير الحماسة في قلوبهم ويوجل قلوب المؤمنين وتلين منه جلودهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۗ﴾ (سورة الأنفال الآية 2)، ولا أدل على ذلك من عظم التضحيات التي يقدمها المؤمنون لنصرة هذا الدين والموت في سبيله لإعلاء كلمته، فالخطاب الإسلامي يمدهم بالطاقة الروحية التي تجعل من الضعيف قويا، ومن المهزوم منتصرا، وهذا لغز انتصار المسلمين مع قلة عددهم وضعف إمكانياتهم على عدوهم رغم كثرة أعدادهم وقوة عدتهم .

لذلك يجب على الخطباء أن يقربوا أفكار الإسلام ومفاهيمه للناس كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام بأن جعل الأفكار الإسلامية محركة لسلوك الناس، وليس مجرد معلومات يتلقاها دون أن تتحول

إلى مفاهيم مسيرة للسلوك ، وأنها أفكار تعالج الواقع ، يتلقاها المسلم ليغير بها الواقع ، وليس مجرد مواظ وإرشادات فقط.

وهو خطاب ثابت لا يتغير بتغير الأمكنة والأزمنة : والمقصود بالخطاب الثابت هو الأحكام الشرعية فإذا عالج الحكم الشرعي قضية ما تبقى القضية تأخذ نفس الحكم ، فإذا كان هناك واقع جديد فإنه لا يحتاج إلى حكم آخر ، أما الأساليب والوسائل فإنها تتغير وتتبدل ، وقد أعطي لكل مسألة حكماً خاصاً بها وفيه من السعة والشمول ، بحيث لا يستجد شيء إلا وأعطاه حكماً من الشرع ، وهو الدين الوحيد الذي أعطى كل الحوادث الماضية والحاضرة وحتى في المستقبل أحكاماً شرعية ، فهو يفرض على الواقع التغير حسب مقتضياته ، ولا يرضى بأنصاف الحلول مهما كان ولا تتغير أحكامه مطلقاً ، وهي صالحة لكل زمان ومكان ، والغاية لا تبرر الوسيلة هي من أسس الخطاب الديني ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا كَانَ مِنْكُمْ قَوْمٌ مَارِءٌ لَا يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ طَبَعَ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمُ اللَّعْنَةُ وَمَا يُصِفُونَ ﴾ (سورة الشورى الآية 15) ، وقال جل في علاه : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾

(سورة الإسراء الآية 74).

أنه خطاب وحدوي : يقوم على صهر الناس من خلال المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام ، وهو لا يقبل الارتباط بغير العقيدة الإسلامية ، واعتبر الروابط الأخرى من أمر الجاهلية ، وأنها لا تصلح لأن تربط بني الإنسان ببعضهم ، لأنها روابط منحطة لا تليق بالإنسان قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات الآية 10) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة المؤمنون الآية 52) ، فرابطة العقيدة لا تنقطع باختلاف النسب ، ورابطة النسب تنقطع باختلاف العقيدة. إن هذه الخصائص الفريدة والتي جعلت من التربية الإسلامية تربية متميزة في أسسها ومنطلقاتها ، تجعل من الفرد والمجتمع يسير بخطى واثقة ومنتزعة باتجاه ايجاد مجتمع متكامل بنائياً ومتساند وظيفياً بكل مكوناته.

❖ ثالثاً : سبل تفعيل الخطاب الديني لتعزيز الأمن الفكري في منطقة الساحل وشمال إفريقيا

1. آليات تحقيق الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية :

إن أساس الأمن الفكري هو الخطاب الإسلامي أو الثقافة الإسلامية ، ويقصد بها إعداد العقل إعداداً سليماً وشاملاً ومتكاملاً في ضوء القرآن والسنة النبوية الشريفة ، فهما المصدران الأساسيان لبناء تفكير الإنسان ، وهما دستور الثقافة للمسلمين ، ويجب الإهتمام به في كافة مراحل التكوين العقلي للإنسان حتى يتحقق الأمن الفكري .

وتتعدد منابر الخطاب الديني أو ما يسميه البعض بوسائل الضبط الاجتماعي المساهمة في حفظ وترقية الأمن الفكري ، نقسمها إلى : (أحمد حسن التيجاني. 12 - 14 جويلية 2010. ص : 13 - 16).

■ الأسرة :

وهي التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 74).

والأسرة التي تقر بالإسلام ديناً تُعد من أفضل المدارس ، وهي أقوى حصن تربوي منيع يتم فيه تلقين الأولاد أو الإبناء بصورة عامة علي التحلي بالقيم الأخلاقية والإستقامة الفاضلة والمراقبة من الإنحراف الفكري... ولكن الذرية الطيبة من أكثر نعم الله علي الإنسان... وهكذا تكثر الدعوات من الناس حين يلد الأب مولوداً أن يجعله الله إبناً صالحاً وأن يجعله مستقيماً مطمئناً... وهنا تكمن مهمة الأبوين الكبيرة في التربية لهؤلاء الإبناء وتقع عليهم مسئولية المراقبة والمتابعة للصيقة لكل ما يأتونه هؤلاء الأبناء من سلوك وأفكار جديدة عليهم ومراجعتها وتنقيحها بما فيها صلاحهم وحذف ما يدعو فيها لإنحراف أفكارهم عن القيم والأخلاقيات والهوية خاصتهم ...

وهي مهمة كبيرة تقع علي عاتق الأبوين مسئولية الرعاية هذه وهي حمايتهم من الضلال والإنحراف خاصة وأن الأبناء يولدون علي الفطرة... يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه..." ، والأبوين باعتبارهما الركنتين الأساسيين بالأسرة تتمثل مهمتها في أن يغرسا العقيدة الصافية والفكر السليم والشعور والإحساس بالخوف من الله تعالى في نفوس أولادهم وتعودهم علي أداء العبادات ورعايتهم في الثقافة النافعة لهم وسلوكهم وكل ما يخص حياتهم النفسية.

■ المسجد :

لا يقتصر دور المسجد فقط في أداء الصلوات والعبادات ، بل يتعداه إلى تعليم المصلين مفاهيم الدين الإسلامي وأخلاقياته والسلوك الحميد الذي يدعو له الدين إضافة إلى دوره في التنشئة الاجتماعية ورسم الخطط الواضحة الحقة والإيمانية ونبذ روح العداة والإرهاب والتخويف والإنحراف الفكري دونما الخلق الإسلامي القويم .

فالمسجد هو مركز تربوي يربي الناس على الفضيلة وحب العلم والوعي الإجتماعي وتبصرهم بحقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية... كما أنه ينمي في نفوس الناس الشعور بالمجتمع المسلم والإعتزاز بالجماعة الإسلامية.

■ المدرسة :

تهدف المدرسة إلى التشكيل الصحيح المتزن للشخصية لتصبح سليمة جادة مستقيمة تسير وفق ما هو مخطط لها من قبل المجتمع الذي تكون فيه من سماحة العادات والتقاليد والأعراف التي لا تخالف الشرع وترمي إلى الذود عن البلد ومكتسباته وبث روح الوطنية الحققة... وحماية عقول الناشئة من التلوث الفكري.

فالوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام تنمية عقلية النشء وصونها من الإنحراف والزلل وهي وصية نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

■ المكتبات ودور النشر :

ليس المقصود المكتبات في حد ذاتها إنما ما يلحق بها من كتب ثقافية ونشر يكون ضاراً بطبقة المتقنين من الإبناء الذين ربما تمرر عبر الإصدارات الواردة فيها من أجندة تفسد فكر الشباب بما يبثونه من ثقافة منحرفة لا علاقة لها بالدين ، عبر ما يورد لها من اصدارات ثقافية كمجلات وصحف وكتب ... والسيطرة على هذه المكتبات والنشر يتم عبر الجهات الرقابية المكلفة بهذه المهمة... وتلعب هذه المكتبات دوراً كبيراً في تعزيز الأمن الفكري ، وإذا أسئى استخدامها فلن تخدم الغرض الأساسي منها... لذا تأتي أهمية هذه الوسيلة الضابطة فكرياً في أن تستخدم في حفظ تراث الأمة وثقافتها وأدبها والموروث الحضاري لها من كل دخیل ثقافياً هداماً... وسهل جداً أن يُدس السم الفكري عبر كل هذه الإصدارات التي ترد للمكتبات ودور النشر من إنحراف للأفكار الإسلامية والعقائد الثابتة... وهذا الذي يحدث في هذه الدور ويوضح ببساطة الغزو الثقافي المركز ضد إبناء المسلمين وأجيالهم.

■ وسائل الإعلام :

للإعلام دور جد مؤثر وفَعَال بالنظر إلى تعدد وسائل تمثله الوسائل السمعية والبصرية والمقروءة ... ولانتشاره الواسع والمؤثر في تنشئة الأفراد أطفالاً وشباباً وشيوخاً وذلك لما يتمتع به الإعلام من قوة وسرعة الإنتشار في البيوت والمكاتب والمدارس بل بالشارع العام ووسائل النقل المختلفة...

ويعتبر الإعلام محبب وجذاب لذا يجد القبول وتسهل مهمته في بث ما يريد ، ولكن لابد من الدقة المتناهية والأمانة والإخلاص من المختصين الذين يقع عليهم عبء مكافحة الأفكار الصدئة ، من خلال صياغة البرامج في إطار الثقافة السائدة وأن يتخبروا ما يلائم ويتجانس مع عقيدتنا وشريعتنا وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة... حتى يكون الإعلام وسيلة مهمة لرقابة الفكر الإسلامي الصحيح وتحصينه من الانحراف والانفلاتات المرعبة فكريا ، وتحقيق مفردة دعم الأمن الفكري ولا يتحول إلى سلاح فتاك يضر بعملية الأمن الفكري الذي نبتغيه ونعمل له في كافة الميادين والحقول العلمية والعملية .

■ الدولة :

يجب أن تكون القوانين والقرارات والسياسات والمبادئ وما في حكم ذلك والتي تحكم وتضبط الحياة المدنية للأفراد مطابقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية وبصفة خاصة ما يخص التعليم والإعلام حتى نحمي المجتمع من المنحرفين والمفسدين في الأرض . (حسين حسين شحاتة. موقع إلكتروني).

فإذا حُفظَ فكر الفرد على مستوى البيت وعلى مستوى المدرسة وعلى مستوى الدولة بحيث لا ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحققت الحياة الآمنة الكريمة ، وعندئذ لا يضل الإنسان ولا يشقى .

❖ ثالثا : نحو تحقيق الأمن الفكري في منطقة الساحل وشمال إفريقيا : الأسس والمتطلبات

تعاني دول منطقة الساحل وشمال إفريقيا من حالة عدم استقرار سببها الرئيسي راجع إلى غياب الأمن الفكري واستفحال ظاهرة التطرف داخل مجتمعاتها ، وفي سبيل محاربة هذه الظاهرة الخطيرة وحماية فكر أفرادها من مسببات ومظاهر التطرف ، ينبغي التعاون في ما بينها لتحقيق أهدافها المشتركة ، خاصة وأن التطرف والإرهاب عابر للحدود ولا دين له . (عبد الجبار شعبي. أبريل 2008. ص 03).

► سياسيا :

على دول المنطقة أن تبدي رغبة أكيدة وتوفير إرادة سياسية من أجل تحقيق تعاون متكامل يخدم كل الأطراف ، وإن أول أهمية تظهر من الناحية السياسية والدبلوماسية، تتمثل في ضرورة إيجاد تعريف موحد للأمن الفكري والتطرف والإرهاب ، فالملاحظ أنه لا يوجد إتفاق سواء بين المتخصصين من جهة ، واختلاف مواقف الدول من جهة ثانية، فما يعتبره مجتمع تطرف وإرهاب هو في نظر الأخر عمل مشروع ودفاع شرعي ورد عدوان، لهذا فالمصطلح يثير إشكالية حقيقية نتيجة للمفهوم الديناميكي، وتباين أنماطه وأشكاله، واختلاف إيديولوجية الدول في تفسير المعنى ومضمونه ، وهو ما

أدى إلى غياب الموضوعية والحياد في التحليل البنوي للظاهرة . (أحمد فلاح العموش . 1990 . ص : 25).

► إقتصاديا :

للظروف الإقتصادية دور كبير في تنشئة الفرد، فتفاقم المشكلات الإقتصادية في المجتمعات وانتشار البطالة والفقر وارتفاع الأسعار وما يقابله من ضعف في القدرة الشرائية والتضخم الإقتصادي يؤدي إلى الشعور بحالة من اليأس والعداء والنقمة تجاه السلطة، لأنه يعتبرها هي المسؤولة عن هذه الوضعية بسبب تخاذلها وسوء تسييرها وفسادها، لينتقل هذا العداء إلى الدول الغنية باعتبارها المحرك الأساسي للإقتصاد العالمي، وهي السبب في الركود الإقتصادي للدولة، التي يحمل جنسيتها، وعلى هذا الصعيد يمكن لهذه الدول أن تقوم بما يلي :

- إقامة شراكة إقتصادية فعلية بين دول المنطقة وخاصة تعجيل إنشاء منطقة التبادل الحر لضمان تنقل رؤوس الأموال، وإزالة كل العوائق التي لامبرر لها من وجه تبادل المنتوجات، والاستثمارات وهذا من أجل خلق فرص عمل والقضاء على البطالة .
- التعاون من أجل التنمية وتحسين البنية التحتية وضمان نقل التكنولوجيا وخاصة المعلوماتية وتحديث الاتصالات ، بتوحيد القدرات والتعاون في مجال البحث العلمي وتأهيل العاملين .

► ثقافيا وتربويا :

يمكن للمؤسسات التعليمية في دول المنطقة، أن تقدم الكثير لتحقيق الأمن الفكري، وخاصة المؤسسات الجامعية وذلك عن طريق :

- ✓ الإهتمام بتوسيع دائرة نطاق تعامل الطالب مع العلاقات الإنسانية، والتفاعل مع الفئات الإجتماعية المختلفة، وهذا سيعوده على تقبل قيم والتقاليد وأفكار المجتمعات الأخرى حتى وإن كانت مناقضة ومختلفة عن قيمه وأفكاره، مع ضرورة تقديمها للنشء بصورة مبسطة لأغراض التربية المدنية.
- ✓ تفعيل دور البحث العلمي خاصة في الجامعات في مجال تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب ولدى أفراد المجتمع، والتركيز على البحوث التطبيقية، بإنشاء بحوث فرق عمل يشترك فيها عدد من الباحثين من جامعات متوسطة مختلفة لدراسة الواقع الإجتماعي، والوصول إلى حلول لمشكلات معينة في مجالات متنوعة.
- ✓ رفع مستوى ثقافة الطلاب الدينية المتمسمة بالإعتدال والوسطية، وتعريفهم بأنواع الديانات والمجتمعات الدينية ونشر ثقافة الحوار وتقبل النقد السلبي، ونحن في هذا الصدد نؤكد على تدعيم مادة التربية

الإسلامية من مناهج التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، لأن الدين الإسلامي هو المحرك الأساسي لهذه المجتمعات ، فلو أنشئنا شاباً ضعيف من ناحية معلوماته بدينه ، فقد يبحث عنها في غير موضعها أو قد يجد تفسيرات لأسئلته عند أفراد وجماعات تتسم بالتطرف والانحراف.

✓ تشجيع التبادلات بين وحدات المجتمع المدني : الأحزاب ، النقابات، الجمعيات ، الشركات الخاصة والعامة .

✓ تشجيع وتدعيم الحوار بين الثقافات والحضارات خاصة في المجالات التالية: التراث الثقافي، الترجمات ، الإنتاج المشترك (المسرح، السينما) .

► إعلاميا :

إن الإعلام يمكنه أن يقوم بدورين مختلفين، فقد يكون وسيلة لنشر التطرف والفكر المنحرف، وقد يكون وسيلة فعالة في منع ذلك، لذا يتوجب على دول المنطقة أن تبادر لوضع ضوابط تحكم هذا المجال والتي تتلخص في :

✓ التكامل فيما يخص الخطط الإعلامية، عن طريق إعادة النظر في صياغة الرسالة الإعلامية حتى تكون أكثر فاعلية، عن طريق وضع ضوابط تضمن عدم مساعدتها، على تشكيل الانحراف الفكري وذلك بتبني سياسة إعلامية انطلاقاً من التزامات تتفق عليها الدول.

✓ الانفتاح الإعلامي المرشد، بإتاحة الفرصة لابرار دعاة الوسطية والاعتدال، ودعمهم بكل السبل لتقديم أحسن صورة للطرف الآخر.

✓ تشديد الرقابة على المصداقية الإعلامية، ونشر الحقائق خاصة على القنوات الفضائية الخاصة والتدخل لمنع كل ما من شأنه المساس بعقيدة أو قيم الطرف الآخر، حتى لا يحدث أي استفزاز للمشاعر.

► قضائيا :

كذلك يظهر المجال القضائي كمجال خصب لتعاون دول منطقة البحر المتوسط، وخاصة في مجال إعادة تأهيل المتهمين في قضايا الإرهاب ، فالإرهابي هو شخصية ليس لديها توازن في العنصر المعنوي والفكري القائم على فهم غير صحيح لبعض الأفكار والقيم، سواء في العقيدة الدينية أو في أفكار إيديولوجية أو سياسية، ومن ثم تظهر أهمية التعاون في إعادة تأهيل والإصلاح، حتى يرجع الفرد إلى المجتمع بشخصية متوازنة معنوياً وفكرياً دون تطرف أو انحراف.

■ خاتمة : النتائج والتوصيات :

من خلال العرض السابق نخلص إلى النتائج التالية :

1. أن للأمن أهمية كبرى في الإسلام، وآثاراً عظيمة في حياة الفرد والمجتمع المسلم، ويستبين ذلك من خلال العديد من النصوص والآثار والتطبيقات الدالة عليه، والتي من خلالها يتأكد لنا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي رعى الأمن وشرعه، وأكدّه، وحضّ عليه، وجعله لازماً من لوازم الحياة لاغنى لأحد عنه.
2. تحكيم الإسلام شريعة ومنهاجاً في حياة المسلمين ، أفراداً ، ومجتمعات ، وأمة..
3. أن الإسلام هو دين الله الذي فطر الناس عليه جميعاً، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام..
4. أن الإسلام هو علاج الإرهاب ودواؤه الناجح، بعقيدته المرتكزة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبشريعته الشمولية الكاملة التي حفظت للإنسان حقوقه مسلماً كان أو غير مسلم.

وفي ضوء ما اشتملت عليه الدراسة من محاور، وما تم استخلاصه من نتائج؛ نخرج بالتوصيات التالية :

- ❖ نشر الوعي الديني والثقافة الشرعية بين عامة المسلمين وخاصتهم عن طريق الوسائل المتاحة كلها وربط المسلمين بدينهم، ولتحقيق التحصين الثقافي ضد الفكر الغازي.
- ❖ لا بد من تضمين المناهج الدراسية في مراحل التعليم المختلفة موضوعات عن الأمن وأهميته وفوائده للفرد والأسرة والمجتمع ومخاطر التهاون في ذلك.
- ❖ التنسيق والتعاون بين المؤسسات التربوية المختلفة في المجتمع من أسرة ومدرسة ووسائل إعلام ونوادي رياضية وأدبية ودفعهم للاهتمام بالتربية المتكاملة والتركيز على ما يعزز الأمن الفكري لدى الناشئة.
- ❖ تفعيل وسائل الإعلام المختلفة وإعداد برامج شيقة هدفها تحقيق الأمن الفكري لدى الناشئة فنحن بحاجة إلى تصنيع مادة إعلامية نابغة من قيما ومفاهيمنا الإسلامية.
- ❖ عقد الندوات والمؤتمرات والمنتديات العلمية والإعلامية المعدة إعداداً متقناً لمناقشة موضوع الأمن الفكري والخطاب الديني .
- ❖ إعداد التربويين من معلمين وأولياء أمور وغيرهم، للتعامل التربوي الراقى مع ما يستجد في المجتمع من قضايا ومشكلات يجب توعية الناشئة لمخاطرها وكيفية التعامل معها.

❖ قائمة المراجع :

1. أبو عطايا، أشرف و أبو زينة، يحيى عبد الهادي. (2 و 3 أبريل 2007). تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة ، بحث مقدم إلى مؤتمر : "الإسلام والتحديات المعاصرة" ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية، ص : 687 - 686 .
2. أحمد، حسن التيجاني. (12 - 14 جويلية 2010). واقع الأمن العربي (البعد الفكري والتقني) ، ورقة علمية مقدمة في الملتقى العلمي حول : "الأمن الشامل : الواقع والمأمول" عمان، ص : 9 .
3. العموش، أحمد فلاح.(1990). أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب ، أعمال ندوة مكافحة الإرهاب ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص : 25 .
4. المنجد في اللغة والأدب والعلوم. (1960). المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص : 18 .
5. النبهاني، تقي الدين. (ب.ت.ط). نظام الإسلام ، ط 6، منشورات حزب التحرير، ص : 5.
6. اليوسف، عبد الله بن عبد العزيز. (د.ت.ط). دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، ص : 11 - 13.
7. حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الإرهاب والتطرف ، الإسكندرية / مصر، مؤسسة شباب الجامعة ، 2002 ، ص : 16 .
8. سليمان، تميم بن عبد الله. (2006). التدابير الواقية من الانحراف الفكري، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص ص : 38 ، 46 .
9. شحاتة، حسين حسين ، الأمن الفكري (حفظ العقل) من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، سلسلة بحوث ومقالات في الفكر الاقتصادي الإسلامي ، على موقع الدكتور حسين شحاتة : WWW.DARELMASHORA.COM
10. شعبي، عبد الجبار. (أفريل 2008). نحو بناء تعاون أمني متوسطي لتحقيق الأمن الفكري لمواجهة الإرهاب ، مداخلة للمشاركة في الملتقى الدولي حول : "الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق" ، قسم العلوم السياسية ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة .
11. محمد نور، أمل محمد أحمد عبد الله. (2007). مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص : 48 - 49 .

واقع استخدام التكنولوجيا لتطوير البحث العلمي - جامعة الأغواط أنموذجا -

أ/عامري خديجة - جامعة الأغواط

أ/سالمي فطيمة - جامعة الأغواط

الملخص:

إن موضوع البحث العلمي أصبح موضوع الساعة ، حيث يمثل الركيزة الأساسية لضرورة مواكبة التطورات التكنولوجية الحاصلة في مختلف الميادين سواء الاجتماعية أو الاقتصادية ، لذا يعتبر الأستاذ الجامعي أهم مورد بشري في الجامعة، إذ يعد حجر الزاوية فيها لذلك أولته الجامعة أهمية كبيرة من خلال تطوير هذا المورد البشري والاستثمار فيه ، من خلال تكوينه داخل الوطن وخارجه ، وإنشاء مخابر للبحث العلمي من أجل مزاولة نشاطاته البحثية داخل الجامعة و خارجها، و تزويده بالوسائل التكنولوجية التي يحتاجها من أجل تسهيل مهامه ووظائفه.

حيث تواجه مؤسسات التعليم العالي تحديات وصعوبات كثيرة يتعلق أهمها في تحسين مستوى التكوين والبحوث والخدمات لذا تسعى في مواكبة التطورات بتوفير التكنولوجيات المتطورة للمساهمة الفعالة في تطوير البحث العلمي والرقي إلى مصاف الدول المتقدمة، وفي هذا الصدد نقدم هذه الورقة البحثية لتبيين مساهمة هذه التكنولوجيا في تطوير البحث العلمي ، وقد جاء البحث حول مجموعة من الأساتذة في جامعة الأغواط.

Summary :

The scientific reaserch subject has become the main topic nowadays, As it is the The essential foundation to keep pace with technological developments in various fields whether social or economic.therefore, the university professor is the most important human resource ,Whereas he's considered as the corner stone in the university where he's given the importance through developing this human resource and investing in it, through formating him inside the coutry and out, and establishing research laboratories in order to carry out his research activities inside the university and outand providing him the needed technological means to facilitate its tasks and functions.

Whereas the institutions of higher education, are facing many challenges and difficulties that most of them are about improving training and research level and services. therefore they are seeking to keep pace with the developments, by providing cutting-edge technologies to contribute effectively to the development of scientific research,and advancing to the ranks of developed nations.

In this regard, we offer this paper to show this technologies contribution in the development of scientific research where the research is about a group pf professors at the university of Laghouat.

مقدمة :

تسعى جميع الدول مهما كان حجمها أو شكلها إلى تحقيق التقدم ومواكبة التطورات، ولا يكون لها هذا إلا بالإهتمام بمجال الأبحاث العلمية على اختلاف أنواعها فالقوة والسيطرة لا تكون في مجال القوة والأسلحة بقدر ما تكون في القبضة القوية على مجال العلم والمعرفة ، ومنه أصبح تطوير البحث العلمي من أساسيات التقدم وهذا ما تسعى الجزائر للوصول إليه.

والجامعة الجزائرية باعتبارها صرح من صروح البحث العلمي تسعى جاهدة لتطوير البحث العلمي من خلال مجموعة من التدابير والقوانين من أجل مواكبة التطورات والرقى بالباحث الجزائري.

أولا : الإشكالية والفرضيات

لقد تنبتهت الجامعة الجزائرية في الأونة الأخيرة إلى أهمية البحث العلمي من أجل مواكبة التطورات في البلدان المتقدمة وأصبحت تهتم بالتخطيط والتنظيم لبرامج تطوير قدرات الموارد البشرية وتكوينهم وتوفير التكنولوجيا من وسائل وانترنت وكذا إنشاء مخابر للبحث العلمي المجهزة بأرقى الإمكانيات من أجل التفتات هذا المورد البشري للبحث وتثمين أعماله وابتكاراته وتوقعاته.

وفي ظل هذه الثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يجب على هيئة التدريس من استمرارية تجديد معلوماتهم وإلا تخلفوا عن ركب التطور، لذلك اعتمدت الجامعة الجزائرية في رفع وتجديد معارف الأستاذ الجامعي على التكنولوجيا من أنترنت ووسائل تقنية حديثة، حيث نجد أنها تسعى جاهدة للاهتمام بالبحث العلمي والتعليم الجامعي بصفة عامة، من خلال الإصلاحات التي عرفتها الجامعة منذ الاستقلال، فتفعيل البحث العلمي يتوقف على حجم ونوعية الخدمات المقدمة للأستاذ داخل مقر لتوفير الجو الملائم لتطوير مهمته البحثية، وفي هذا الصدد نطرح الأشكال التالي:

تتوقف فاعلية البحث العلمي على نوعية الوسائل المادية (التكنولوجية) التي يستفيد منها الأستاذ الباحث الكفيلة بالرفع من قدراته الإنجازية ، فما هو حال هذه المسألة في واقع جامعة الأغواط ؟
أو بالأحرى ما هي الإسهامات المادية في مجال التكنولوجيا التي تقدمها جامعة الأغواط للباحث من أجل الرقي ببحثه وتطوير انجازاته؟

في مقابل هذا الإشكال اقترحنا الفرضية التالية :

- تساهم الوسائل التكنولوجية المقدمة للأستاذ الجامعي بجامعة الأغواط في إنجاح عملية تطوير البحث العلمي.

ثانيا : تحديد المفاهيم

1- الجامعة :

أ- مفهوم الجامعة : هي نظام يتألف من العناصر المعقدة التي تتفاعل فيما بينها بتبادل مستمر من المدخلات والعمليات والمخرجات، وتعني المدخلات : كافة الإمكانيات والطاقات البشرية والمادية والمعنوية التي تدخل إلى الجامعة من قبل المجتمع الذي تعمل فيه أو من العالم الخارجي المحيط بها . وكلما كانت هذه المدخلات تتميز بوفرته الكمية، وجودتها النوعية كلما تهيأت للنظام الذي تدخل فيه فرصاً أفضل للأداء و الإنجاز. (حافظ فوج أحمد ، 1987 ، ص15)

وهي مؤسسة أو مجموعة أشخاص يجمعهم نظام ونسق خاصين تستعمل وسائل و تنسق بين مهام مختلفة للوصول بطريقة ما إلى معرفة ما. (عجال مسعودة ، 2009-2010 ، ص72)

مؤسسة علمية مركبة ومعقدة، وظيفتها الرئيسية إنماء المعرفة بشتى أشكالها والمحافظة على الحضارة وبالتالي المحافظة على الشعوب والأمم وإغناء وإثراء لمجتمع البشري. (ماهر صالح بنات، 2002، ص35)

ب- وظائف الجامعة : للجامعة ثلاث وظائف أساسية والتي لها مكانتها و دورها في سير المجتمع وعمله وتتمثل في نشر المعارف، دمج قسم من الشباب في الإطار العام للمجتمع وإنتاج المعرفة من خلال البحث العلمي.

ج- أهداف الجامعة: تشمل ما يلي:

- ✓ تطوير البحث العلمي و تشجيع إجراءه داخل الجامعة و خارجها.
- ✓ الإسهام في تعديل و تطوير الاتجاهات في المجتمع المحيط نحو الأفضل.
- ✓ نشر المعرفة و الثقافة و إشاعتها.
- ✓ سد حاجة المجتمع من الكوادر المتخصصة والكفاءات الوطنية المدربة وإعدادها لمختلف مجالات الحياة.
- ✓ دراسة مشكلات المجتمع المحيط و فهمها وتحليلها، والبحث عن حلول مناسبة لها.
- ✓ مواكبة الانفجار المعرفي وثورة المعلوماتية الحادثة في العالم، واستثمار معطياتها لصالح المواطن والمجتمع.
- ✓ تدعيم القيم الروحية لدى الشباب حتى لا تنقطع صلاتهم بتراثهم الأصيل.
- ✓ مواكبة التغيير الحادث من حول الجامعة، والإسهام في تكييف المجتمع له بل ومحاولة استشراف مستقبله والإعداد له.

- ✓ الإسهام في تنوير المجتمع من حولها بالتيارات الفكرية المختلفة وتنفيذها وتوضيحها والرد عليها.
- ✓ تدريب وإعادة تدريب أصحاب الكفاءات لمواكبة الجديد والمستحدث في مجالات تخصصاتهم.(السيد سلامة الخميسي، 2003، ص ص 25-26)

2- الأستاذ الجامعي: هو أحد الأعضاء القائمين بشؤون التدريس والإشراف على التعليم الجامعي من حملة درجة ماجستير أو دكتوراه على حسب الترتيب التالي : أستاذ- أستاذ محاضر صنف- أستاذ مساعد - معيد وأستاذ مهندس، وهو مركز الدائرة والطاقة المحركة للجامعة بمنهجه واقتداره العلمي.(عمار حامد، 1990، ص 121)

الأستاذ هو المصدر الأساسي للمعرفة باعتباره صاحب رسالة ومطالب بتوفير معلومات وخبرات ومهارات ضرورية كافية للنجاح في رسالته.

- يقوم الأستاذ الجامعي بأدوار كثيرة و متعددة فهو قائد و موجه لكافة عناصر العملية التربوية.
- و يعتبر الأستاذ الجامعي كما هو متعارف عليه المحرك الأساسي للوظائف الثلاث التدريس، البحث العلمي، و خدمة المجتمع و بالتالي أصبح من غير الممكن النظر إلى وظيفة الجامعة منفصلة عن وظيفة هيئة التدريس، ولا مجال أن تتميز الجامعة أو كلية أو قسم أكاديمي في مهامه من غير تميز أعضاء هيئة التدريس بالوفاء بمهامهم و تحقيق الأهداف المرجوة.(عبد الرحمان عزي، 2000، ص 31)
- ولن يتم ذلك على نحو جيد إذا لم يكن الأستاذ الجامعي متمكنا في مجال تخصصه وواسع المعرفة والثقافة والاطلاع. كذلك فإن إنجاز البحوث العلمية والأكاديمية من أجل المساهمة في تقدم العلم وترقيته و تطور البحث العلمي، يستوجب على الأستاذ الجامعي الاطلاع على المعارف السابقة من خلال المعلومات المنشورة في الأوعية الفكرية المختلفة، ذلك أن التوثيق أصبح عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه كما أن العصر الذي نعيشه يشهد ازديادا في المعرفة العلمية و تشعبها إلى اختصاصات متعددة و دقيقة و قد نتج عن هذا ازديادا كبيرا في حجم الوثائق والبحوث العلمية من مجلات و كتب ودوريات التي تحمل نتائج هذه المعرفة، مما يتعين على الأستاذ الجامعي متابعة كل ما هو جديد حتى يحارب الضعف في المعلومات ويواكب كل جديد وكل تطور يعنيه في مهنة ومهامه من أجل تسليح طلابه بالجديد والمستحدث في المجال المعرفي، ومن أجل البحث العلمي والإبداع الفكري والانتاج المعرفي... إلخ.(منية حواس، 2004-2005، ص ص 59-60)

وتبرز أهمية الأستاذ الجامعي من خلال المهام المسندة إليه والأدوار التي يؤديها، إذ يعتبر الوسيلة التي تكاد تكون الوحيدة التي تحمل على عاتقها مسؤولية بناء العقول و إعداد الكفاءات البشرية للمجتمع في مختلف التخصصات فهم حجر الزاوية في البناء الجامعي ومفتاح التنمية والتطوير المجتمعي، حيث

يؤدي وظيفته التدريسية التي تمكنه من نشر المعارف و الحفاظ عليها و البحث عن الجديد فيها، كما أنه دائم النشاط في مجال البحث العلمي الذي يعتبر أهم ما تسعى الجامعة إلى تحقيقه.

3-البحث العلمي : هو المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إل حلول للمشكلات التي تواجه البشرية وتحيرها.

وكذلك البحث العلمي هو استعمال إجراءات وطرق منظمة متقنة سعياً وراء الحصول على المعرفة.

وهو استقصاء منظم يهدف إلى اكتساب معارف جديدة وموثقة بعد الاختبار العلمي لها.

وهو التحري والاستقصاء المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقاتها بعضها ببعض

وذلك من أجل تطوير الواقع لها فعلاً أو تعديله. (دلال القاضي ومحمود البياتي، 2008، ص ص 25-26)

يعتبر البحث العلمي ركناً أساسياً من أركان الجامعة. وتستطيع الجامعة أن توفر المناخ العلمي

للبحث وما يستلزمه من معدات وأجهزة وكتب ومراجع وغيرها من مصادر علمية، وتوفر استخدام كل ذلك

بالنسبة للأساتذة والطلاب على السواء. وبهذا تعمل الجامعة على التنمية الذاتية والتدريب الذاتي لأعضاء

هيئة التدريس والطلاب والباحثين الذين تعدهم الجامعة. (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2006، ص 161)

البحث العلمي هو عملية استقصاء و تنقيب و تحري من أجل إثراء المعرفة و تطويرها، بالإضافة

إليها، وإغنائها ، وزيادتها. من خلال التحليل والنقد، والاستنتاج بالشكل الذي يسهم بتحقيق إضافة جديدة

إلى المعرفة.(فليح حسن خلف، 2007، ص 117)، والبحث العلمي يعتبر النواة الأصلية للتطور وخلق

التقنيات الحديثة.(مبروكة عمر محيريق ، 1996 ، ص 17).

4- التكنولوجيا كآلية لتطوير المورد البشري:

أ- مفهوم التكنولوجيا : قد اهتمت كافة الدول المتقدمة بضرورة تنظيم التعليم الجامعي في ضوء الثورة

المعرفية والمعلوماتية، حيث بدأت الإصلاحات الجديدة تدعو إلى تغيير التعليم التقليدي القائم على نقل

المعلومات إلى تعليم جديد يرتبط إلى حد كبير بالتدريب والتطبيق التكنولوجي ويركز على المهارات

اللازمة لحدوث التقدم.

كذلك تعرف بأنها فن الإنتاج ، أي العمليات المادية اللازمة له تطلق على المبادئ العملية والمخترعات

التي يستفيد منها الإنسان في تطوير المجهود الصناعي، فتشمل مصادر القوة و العمليات الصناعية، ما

يمكن أن يطرأ عليها من تحسين وسائل الإنتاج.(إبراهيم مذكور ، 1975 ، ص 176)

عرفتها الموسوعة العلمية لمبادئ علم الاجتماع الصادرة في 1992 بأنها: "مثل المكون التنظيمي للمعرفة

التي يتم تطويرها للاستفادة منها في معرفة كيفية إنتاج سلعة مادية نافعة وأن التغيير التقني يمكن توجيهه

من أجل تحقيق غايات معينة و أن التحكم الواعي للتقنية يمكن استخدامه كأدوات في تشكيل الاتجاه

المستقبلي فخلال القرن العشرين تم تحديد مفهوم التقنية بأنه الوسائل و الفعاليات التي يستخدمها الإنسان في تطوير بيئته و كل ما يتعلق به". (علي محمد منصور، 1999، ص282)

- التكنولوجيا تتناول التطبيقات العلمية للمعرفة العلمية في مختلف الفنون الصناعية ذات الفائدة المباشرة في حياة الأفراد والمجتمعات. (فاطمة عوض صابر، 2002، ص18)

- وهناك من يعرفها بأنها فرع من المعرفة يتعامل مع العلم و الهندسة أو تطبيقاتها في المجال الصناعي فهي تطبيق العلم. (عبد الحميد بهجت فايد، 1997، ص80)

ب- أنواع التكنولوجيا : صنفت التكنولوجيا على عدة أسس نذكر منها ما يلي :

على أساس درجة التحكم :

التكنولوجيا الأساسية : وهي تكنولوجيا مشاعة تقريبا، وتمتلكها المؤسسات الصناعية ومعظم المؤسسات والمسلم به أن درجة التحكم فيها كبيرة جدا.

تكنولوجيا التمايز : وهي عكس النوع السابق، حيث تمتلكها مؤسسة واحدة أو عدد محدود من المؤسسات وهي التكنولوجيا التي تتميز بها عن بقية منافسيها المباشرين.

على أساس موضوعها :

تكنولوجيا المنتج : وهي التكنولوجيا المحتواة في المنتج النهائي والمكونة له.

تكنولوجيا أسلوب الإنتاج : وهي تلك المستخدمة في عمليات الصنع، وعمليات التركيب والمراقبة.

تكنولوجيا التسيير : وهي المستخدمة في معالجة مشاكل التصميم و التنظيم، وتسيير تدفقات الموارد، ومن أمثلتها البرامج و التطبيقات التسييرية.

تكنولوجيا التصميم : وهي التي تستخدم في نشاطات التصميم في المؤسسة، كالتصميم بمساعدة الحاسوب.

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات : وهي التي تستخدم في معالجة المعلومات والمعطيات و نقلها تتزايد أهميتها باستمرار نظرا للدور الذي تلعبه في جزء من عملية التسيير، الذي يعتمد على جمع ومعالجة وبيث المعلومات.

على أساس أطوار حياتها : تكنولوجيا وليدة، تكنولوجيا في مرحلة النمو ، تكنولوجيا في مرحلة النضج

على أساس محل استخدامها :

تكنولوجيا مستخدمة داخل المؤسسة : وتكون درجة التحكم فيها ذات مستوى عال من الكفاءة والخبرة وبفضلها تكون المؤسسة مستقلة عن المحيط الخارجي.

تكنولوجيا مستخدمة خارج المؤسسة : وعدم توفر هذه التكنولوجيا داخل المؤسسة لأسباب أو أخرى يجعلها ترتبط بالتبعية للمحيط الخارجي، من موردي أو مقدمي تراخيص استغلالها.

على أساس كثافة رأس المال :

التكنولوجيا المكثفة للعمل : وهي تلك التي تؤدي إلى تخفيض نسبة رأس مال الوحدة من الإنتاج، فيما يتطلب زيادة في عدد وحدات العمل اللازمة لإنتاج الوحدة، ويفضل تطبيقها في الدول ذات الكثافة السكانية والفقيرة في الموارد ورؤوس الأموال.

التكنولوجيا المكثفة لرأس المال : وهي التي تزيد من رأس المال اللازم لإنتاج وحدة من الإنتاج مقابل تخفيض وحدة عمل، وهي تناسب في الغالب مع الدول التي تتوفر على رؤوس أموال كبيرة.

التكنولوجيا المحايدة : هي تكنولوجيا تتغير فيها معامل رأس المال والعمل بنسبة واحدة، لذلك فإنها تبقى على المعامل في أغلب الأحيان بنسبة واحدة.

على أساس درجة التعقيد :

التكنولوجيا ذات الدرجة العالية : وهي التكنولوجيا شديدة التعقيد، والتي من الصعب على المؤسسات الوطنية في الدول النامية تحقيق استغلالها إلا بطلب المعونة من صاحب البراءة.

التكنولوجيا العادية : وهي أقل تعقيدا من سابقتها، ويمكن للفنيين والمختصين المحليين في الدول النامية استيعابها إلا أنها تتميز أيضا بسخامة تكاليف الاستثمار، والصعوبات التي تصادف الدول النامية في الحصول على براءتها مع المعرفة الفنية. (عبد الرحمان القروي، 2006-2007، ص ص 10-11)

5- علاقة تكنولوجيا المعلومات بالبحث العلمي:

وتظهر علاقة تكنولوجيا المعلومات بالبحث العلمي في دواعي استخدام المعلومات الإلكترونية، مما يترتب عليه اللجوء إلى استعمال مصادر البحث الإلكتروني، حيث أصبح استعمال و استخدام المعلومات الإلكترونية في العصر الحاضر، ضرورة ذات حيوية للأسباب الآتية :

✓ مشاكل النشر التقليدي الورقي والمتمثلة في زيادة تكاليف إنتاج وصناعة الورق، قلة المواد الأولية في صناعة الورق وآثارها السلبية على البيئة والمشاكل التخزينية والمكانية للورق، والقابلية للتلف والتمزق.

✓ متطلبات الباحث المعاصر في سرعة الحصول على المعلومات، بغرض إنجاز أعماله البحثية التي لم تعد تحتل التأخير.

✓ تقلل مصادر المعلومات المحسوبة من الجهود المبذولة من قبل الباحثين ومن قبل الأشخاص الذين يهيئون لهم المعلومات المطلوبة حيث أن الوصول إلى المصادر التقليدية، وللمعلومات الموجودة

في المصادر التقليدية، يحتاج إلى الكثير من الجهود والإجراءات بعكس المصادر المحسوبة التي تختصر كثيرا من مثل تلك الجهود والمعاناة.

✓ تساعد الحواسيب والأجهزة والمعدات الملحقة بها، على السيطرة على الكم الهائل والمتزايدة من المعلومات وتخزينها ومعالجتها بشكل يسهل استرجاعها.

✓ الدقة المتناهية في الحصول على المعلومات المحسوبة ، حيث أن الحواسيب لا تعاني من الإرهاق والتعب عند استخدامها لفترات طويلة ومكررة ، مقارنة بالإرهاق الذي يعانيه الإنسان الذي يفتش ويبحث عن المعلومات.(عامر قندلجي، 2007، ص ص 315.317)

ثالثا : الدراسة الميدانية:

1- المنهج والأدوات المستخدمة ومجتمع البحث:

أ- المنهج: اعتمدت دراستنا على المنهج الوصفي" الذي يسعى هذا المنهج إلى وصف الظواهر أو الأحداث المعاصرة أو الزاهنة ، وتقديم بيانات عن خصائص معينة في الواقع".(سعيد التل، 2006، ص109)

ب- تقنية البحث: حيث يعتبر الاستبيان أو الاستمارة البحثية التقنية الأكثر شيوعا للتقصي العلمي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ يركز التحقيق بواسطة الاستمارة على طرح سلسلة من أسئلة مفتوحة أو أسئلة مغلقة وفي بحثنا هذا قمنا بوضع استمارة.

ج- اختيار العينة : عند اختيارنا لمفردات البحث قمنا باختيار المبحوثين بطريقة حصصية (هي نوع من أنواع العينات التي تركز على تقسيم المجتمع الأصلي للبحث إلى شرائح و فئات بحيث يتناسب حجم عدد أفراد العينة المختارة مع الحجم و التعداد الأصلي لكل شريحة داخل المجتمع)(عامر إبراهيم قندلجي، 2007، ص142). وكان السحب عن طريق الحصص بحيث أخذنا من كل كلية حصة تناسبها وخصصنا الكليات التي تتوفر بها مخابر البحث لكي يتسنى قياس مدى توفر الوسائل التكنولوجية داخل المخابر وكذا من ناحية تطورها وتقدمها وبالتالي فقد وصل العدد الإجمالي للمبحوثين 50 مفردة.

2- المجال الزماني والمكاني:

أجريت هذه الدراسة في جامعة عمار تليجي بالأغواط، التي تعتبر إحدى جامعات الجزائر العمومية، حيث تتواجد هذه الهياكل الجامعية في موقع يتربع على مساحة تقدر ب:31 هكتار موزعة على مقرين قديمين ومقر جديد (القطب التكنولوجي)

أما المجال الزماني فقد كان خلال النصف الثلاثي الأخير من لسنة 2016.

3- تحليل نتائج البحث:

بعد تقسيم الاستمارة على الأساتذة المبحوثين قمنا بتفريغ البيانات وتحليلها على النحو التالي:

جدول رقم (01) : الاستفادة من الوسائل التكنولوجية حسب المؤهل العلمي

المجموع	المؤهل العلمي			هل تستفيد من الوسائل التكنولوجية في بحثك العلمي؟	
	أخرى	دكتوراه	ماجستير	التكرار	النسبة
27	1	13	13	التكرار	نعم
%54	%2	%26	%26	النسبة	
23	1	7	15	التكرار	لا
%46	%2	%14	%30	النسبة	
50	2	20	28	التكرار	المجموع
%100	%4	%40	%56	النسبة	

نلاحظ من الجدول أعلاه الذي يبين مدى استفادة المبحوثين من الوسائل التكنولوجية حسب متغير المؤهل العلمي بحيث تقدر الاستفادة من هذه الوسائل التكنولوجية المتوفرة بـ : %54 من بينهم %26 ماجستير و%26 دكتوراه ، أما عدم الاستفادة من الوسائل التكنولوجية فتقدر بـ : %46 من بينهم %30 ماجستير و%14 دكتوراه.

نجد أن معظم الأساتذة يستفيدون من الوسائل التكنولوجية التي توفرها الجامعة على مستوى أقسامهم أو على مستوى مخابر البحث وذلك راجع إلى التقدم التكنولوجي الذي يحدث على المستوى الاجتماعي والانفتاح الدولي والعولمة كلها مظاهر جعلت من الأستاذ يواكب هذه التطورات والتغيرات الحاصلة لكي لا تكن هنالك فهوة بين ما هو كائن وما يجب عليه أن يكون وما يجب أن يتبعه. ولكي لا يحدث له تخلف ثقافي على حد تعبير "وليم أو جبران" : أنه غالبا ما يترتب على التقدم التكنولوجي تلك العملية الثقافية التي يطلق عليها الهوة أو التخلف الثقافي ، والتي تحدث عندما لا تتزامن تماما التغيرات التكنولوجية مع التغيرات الاجتماعية التي تحدث غب العادات و التقاليد و أساليب التفكير في المجتمع. وفي غالبية الحالات نجد أن الثقافة غير المادية تتخلف بالنسبة للثقافة المادية، مما يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية متعددة داخل المجتمع". (طلعت إبراهيم لطفى، 2007، ص244) أما بالنسبة للأساتذة الذين لا يستعينون بالوسائل التكنولوجية وأغلبهم من فئة الدكاترة وذلك راجع في أن معظم إن لم نقل كل الدكاترة

لهم مناصب إدارية وهم رؤساء مخابر البحث ولهم ساعات تدريسية ، لذلك لا يكون هنالك وقت لاستعمال تلك الوسائل التكنولوجية فهم مرتبطون بالوظيفة الإدارية التي تستنزف طاقتهم بالإضافة إلى الوظيفة التدريسية، لذلك لا يتسنى لهم استعمال الوسائل التكنولوجية وبالتالي يهمل دوره كباحث بطريقة تلقائية، وهذا ما أكده ميرتون بقوله : "يجب أن يكون هنالك تكامل بين الأدوار الأربعة التي تشكل الشخصية الاجتماعية للفرد المدرس الإداري المنظم و الضابط و دور الباحث الذي يرتبط به ، وتطور المعرفة العلمية هو دور أساسي فهو من حيث مركزيته الوظيفية ترتبط به الأدوار الثلاثة الأخرى بشكل عام ، ولا يغمس في أحد الدوار مهملا الأدوار الأخرى وخصوصا دوره كباحث".

جدول رقم (02): يوضح مدى قيام الجامعة بتدريب للمبجوثين على الوسائل التكنولوجية

هل تقوم الجامعة بتدريب المبجوثين على الوسائل التكنولوجية	التكرار	النسبة
نعم	14	28%
لا	36	72%
المجموع	50	100%

يمثل الجدول أعلاه في مدى قيام الجامعة بتدريب و تكوين للوسائل التكنولوجية التي توفرها ، فكانت النسبة الأكبر في أن الجامعة لا تقوم بتدريب على الوسائل التكنولوجية بنسبة تقدر بـ : 72% ، أما المبجوثين الذين يعتقدون بأن الجامعة تقوم بتدريب فكانت نسبتهم تقدر بـ : 28%. و هذا يرجع بأن الجامعة تقوم بتوفير الوسائل التكنولوجية حسب طلبات الأساتذة سواء على مستوى الأقسام أو المنتمين إلى المخابر البحثية ، وبما أن الأستاذ هو الذي يطالب بهذه الوسائل فيجب أن يكون على دراية تامة باستخدامها ، وبالنسبة للأساتذة الذين ينتمون إلى المخابر وهم أعضاء مخابر البحث فيحتمل أنهم يحتاجون إلى تدريب على الوسائل التكنولوجية المتوفرة على مستوى هذه المخابر البحثية وبالتالي الجامعة مسؤولة على تدريب الباحثين الذين هم بحاجة إلى تدريب ، فما فائدة الوسيلة التكنولوجية حتى وإن كانت متطورة دون معرفة كيفية استعمالها؟

جدول رقم (03) : يوضح مدى مساهمة التدريب على الوسائل في تطوير البحث العلمي

هل ترى أن التدريب على الوسائل يساهم في تطوير البحث العلمي	التكرار	النسبة
نعم	39	78%
لا	11	22%
المجموع	50	100%

نلاحظ من الجدول أعلاه أن أكبر نسبة هي 78% والتي يرى فيها المبحوثون أن التدريب على الوسائل التكنولوجية يساهم في تطوير البحث العلمي ، أما النسبة الثانية فهي 22% والتي يرى فيها المبحوثين أن التدريب على الوسائل التكنولوجية يساهم في تطوير البحث العلمي. ويرجع رأي المبحوثين في أن للتدريب على الوسائل التكنولوجية خاصة للشعب العلمية التي توفرها الجامعة على مستوى الأقسام والكليات أو على مستوى المخابر البحثية في أن الأستاذ ومن خلال القيام بتدريب على هذه الوسائل التكنولوجية سيتخطى فكرة فهم هذه التقنية ويتسنى له الوقت للقيام ببحوثه وإظهار مهاراته العلمية والبحثية ، ولكي لا يحدث له اغتراب ويتأقلم ويتكيف مع هذه الوسائل التكنولوجية وبدلاً من أن تكون معرقله تكون مساعدة وبشكل كبير في تفعيل وتطوير البحث العلمي.

جدول رقم (04) : يوضح العلاقة بين الوسيلة المعتمدة في البحث العلمي والسن.

المجموع	مجال التخصص				التكرار	النسبة
	أقل من 30 سنة	من 30 إلى 39 سنة	من 40 إلى 49 سنة	من 50 فما فوق		
الوسائل التكنولوجية	2	14	5	-	21	42%
الوسائل الكلاسيكية (الكتب)	2	5	8	1	16	32%
الأثنين معا	-	8	5	-	13	26%
المجموع	4	27	18	1	50	100%
	8%	54%	36%	2%		

يبين لنا الجدول نوعية الوسائل التي يعتمد عليها الأساتذة في بحوثهم حسب متغير الجنس ، وكانت أكبر نسبة هي 42% والتي تمثل الأساتذة الذين يعتمدون على الوسائل التكنولوجية في بحوثهم من بينهم 28% والتي تمثل أعمار الأساتذة ما بين 30 و 39 سنة أما النسبة الأقل فهي 4% والتي تمثل أعمار الأساتذة الذين هم أقل من 30 سنة ، والنسبة الثانية فهي 32% والتي تمثل الأساتذة الذين يستعينون بالكتب التقليدية في بحوثهم العلمية، وأغلب هذه النسبة يمثلها الأساتذة الذين تتراوح أعمارهم من 40 إلى 49 سنة ، أما أقل نسبة فهي 13% والتي تمثل الأساتذة الذين يستعينون بالكتب التقليدية والوسائل التكنولوجية في بحوثهم العلمية .

من خلال الجدول نرى أن معظم الأساتذة ذوي الأعمار الشابة يستعينون بالوسائل التكنولوجية في بحوثهم العلمية وذلك راجع إلى لما أصبح لهذه الوسائل التكنولوجية دور كبير في نقل ونشر المعلومات والبحث عن المعلومات بطريقة سهلة وسريعة وبأقل تكلفة إذ نجد أن الكتب التقليدية قد أصبحت تكلفتها أكثر من الكتب الرقمية التي أصبحت تتداول في المكتبات الرقمية وفي المواقع العالمية والمنديات وعن طريق تحميلها ببطاقة الذاكرة أو لفلاش ديسك. أما بالنسبة للذين يستعينون بالكتب التقليدية فهم الأساتذة الأكبر سنا وذلك راجع في أن الأستاذ وفي هذا السن قد اعتمد ومازال يعتمد على الكتب التقليدية في بحوثه وذلك لأنه قد اعتاد على استعمالها في تلقين و نقل المعارف إلى الطلبة أو في مقالات أو منشورات علمية.

جدول رقم (05) : يوضح مدى حداثة الوسائل التكنولوجية مقارنة بجامعات أخرى.

النسبة	التكرار	ما درجة حداثة الوسائل التكنولوجية مقارنة بجامعات أخرى
14%	7	حديثة جدا
78%	39	حديثة نوعا ما
8%	4	غير حديثة
100%	50	المجموع

نلاحظ من الجدول أعلاه الذي يمثل درجة حداثة الوسائل التكنولوجية مقارنة بالجامعات الأخرى على مستوى الوطن في أن أكبر نسبة هي 78% والتي يرى فيها المبحوثين أن الوسائل التكنولوجية حديثة نوعا ما ، أما النسبة الثانية فهي 14% والتي يرى فيها المبحوثين أن الوسائل التكنولوجية حديثة جدا، أما أقل نسبة فهي 8% والتي يرى فيها المبحوثين أن الوسائل غير حديثة. ويرجع ذلك في أن جامعة الأغواط ما تزال حديثة إن شئنا القول ونقصد بذلك أنها حديثة في إعادة هيكلتها التي تضمنت تغييرا على مستوى

الكليات والأقسام وفي تجهيز مخابر بحث علمية جديدة وكذا قطب جامعي، بالإضافة إلى إنشاء مركز البحوث في العلوم الإسلامية والحضارة ووحدة البحث في النباتات الطبية، حيث أصبحت جامعة الأغواط من الجامعات الكبرى على مستوى الجنوب التي تتوفر على جميع التخصصات تقريبا وعلى المدرسة العليا للأساتذة، وهذا ما جعل من الدولة الجزائرية تهتم بها لأنها تساهم في ترقية الجنوب وفي التخفيف العبء على جامعات الشمال وبالتالي فإن وسائلها حديثة مقارنة بالجامعات الأخرى.

جدول رقم (06): يوضح مدى مواكبة الوسائل التكنولوجية بالتطورات الحاصلة .

النسبة	التكرار	ما مدى مواكبة الوسائل التكنولوجية للتطورات الحاصلة في العالم
6%	3	مواكبة للتطورات التكنولوجية
74%	37	مواكبة نوعا ما
20%	10	غير مواكبة بالمرة
100%	50	المجموع

يبين لنا الجدول مدى مواكبة الجامعة للتطورات الحاصلة في العالم بحث كانت أكبر نسبة 74% والتي يرى فيها الباحثين أن الوسائل التكنولوجية مواكبة نوعا ما، أما أقل نسبة فهي 6% والتي يرى فيها الباحثين أن الوسائل التكنولوجية مواكبة للتطورات التكنولوجية، ويرجع ذلك في أن التغييرات التكنولوجية تحدث ببطء مواكبة بذلك التغييرات الاجتماعية لكي يكون هنالك تكيف وتأقلم مع مقتضيات هذا التغيير وهذا ما أكده " وليم أو جبران" في : " أنه عندما يتعرض المجتمع لتغيير نتيجة التقدم التكنولوجي ، تزداد حدة المشكلات الاجتماعية، وتظهر فيه مظاهر مختلفة لسوء التكيف الاجتماعي. فقد يضطرب أعضاء المجتمع نتيجة التغيير المفاجئ في أحوالهم، والاختلاف بين الأحوال الاجتماعية الملائمة للنظام الآلي الحديث وبين الأحوال الاجتماعية التي ألفوها والملائمة للنظم القديمة."

جدول رقم (07) : يوضح مدى مساهمة الوسائل التكنولوجية في تفعيل البحث العلمي

النسبة	التكرار	مساهمة الجامعة من خلال الوسائل التكنولوجية في تفعيل البحث العلمي
90%	45	نعم
10%	5	لا
100%	50	المجموع

نلاحظ من الجدول أعلاه أن أكبر نسبة هي 90% والتي تمثل مدى مساهمة الوسائل التكنولوجية في تفعيل البحث العلمي ، والنسبة الأقل هي 10% والتي تمثل عدم مساهمة الوسائل التكنولوجية في تفعيل

البحث العلمي. وترجع أهمية الوسائل التكنولوجية في أنها تزيد من تفعيل البحث العلمي فهي تختصر الوقت وتعطي نتائج أكثر دقة وبأقل تكلفة وتساعد بمعرفة التطورات الحاصلة في العالم عن طريق الاتصال بالشبكة العنكبوتية التي تعطي للأستاذ فكرة عامة لما هو حاصل في المجتمع الدولي من تطورات تكنولوجية وعلمية.

جدول رقم(08):يوضح العلاقة بين تسخير الجامعة للوسائل التكنولوجية ورتبة الوظيفة .

المجموع	رتبة الوظيفة					هل هناك وسائل تكنولوجية تسخرها الجامعة للأساتذة على مستوى قسمكم؟	
	أستاذ التعليم العالي	أستاذ محاضر (أ)	أستاذ محاضر (ب)	أستاذ مساعد (أ)	أستاذ مساعد (ب)	التكرار	النسبة
19	1	4	4	8	3	التكرار	نعم
%39.58	%2.08	%8.33	%8.33	%16.67	%6.25	النسبة	
29	-	1	5	16	6	التكرار	لا
%60.42	-	%2.08	%10.42	%33.34	%12.5	النسبة	
48	50	5	9	24	9	التكرار	المجموع
%100	%100	%14	%18	%38	%30	النسبة	

يبين لنا الجدول أعلاه العلاقة بين تسخير الجامعة للوسائل التكنولوجية ورتبة وظيفة الباحثين أكبر نسبة هي 60.42% والتي تمثل عدم تسخير الجامعة للوسائل التكنولوجية لجميع الأساتذة من بينهم 33.34% في رتبة الأستاذ مساعد (أ) ، و 12.5% في رتبة أستاذ مساعد (ب) و 10.42% في رتبة أستاذ محاضر (ب) و 2.08% في رتبة أستاذ محاضر (أ) ، بينما الأقل نسبة هي 39.58% والتي تمثل مدى تسخير الجامعة للوسائل التكنولوجية لجميع الأساتذة من بينهم 16.67% في رتبة أستاذ مساعد (أ) و 6.25% في رتبة أستاذ مساعد (ب) و 8.33% لكل من رتبة أستاذ محاضر (أ) و (ب) وأخيرا نسبة 2.08% في رتبة أستاذ التعليم العالي.

جدول رقم (09) : يوضح اقتراحات المبحوثين للوسائل التكنولوجية بالتخصص.

المجموع	مجال التخصص				ما هي اقتراحاتك في الوسائل التكنولوجية التي تساعدك في تفعيل البحث العلمي؟	
	كلية العلوم الإقتصادية و التجارية	كلية الآداب واللغات	كلية التكنولوجيا	كلية العلوم		
14	1	5	5	3	التكرار	تطوير تدفق الانترنت
%28	%2	%10	%10	%6	النسبة	
11	1	2	4	4	التكرار	توفير التكنولوجيا لجميع الأساتذة
%22	%2	%4	%8	%8	النسبة	
10	-	-	6	4	التكرار	اقتناء أجهزة بناء على طلبات الأساتذة
%20	-	-	%12	%8	النسبة	
6	-	1	3	2	التكرار	اقتناء المكتبات الرقمية العالمية في جميع التخصصات
%12	-	%2	%6	%4	النسبة	
9	5	1	1	2	التكرار	أخرى
%18	%10	%2	%2	%4	النسبة	
50	7	9	19	15	التكرار	المجموع
%100	%14	%18	%38	%30	النسبة	

يبين لنا الجدول اقتراحات المبحوثين في الوسائل التكنولوجية التي تساعد في تفعيل البحث العلمي وكانت أكبر نسبة هي 28% والتي تمثل اقتراحات المبحوثين في أن يكون هنالك تدفق جيد للإنترنت ومعظم هؤلاء الأساتذة متخصصين في كلية التكنولوجيا وكلية الآداب واللغات الأجنبية ، أما النسبة الثانية فهي 22% والتي تمثل اقتراحات المبحوثين في توفير التكنولوجيا لجميع الأساتذة و معظم هؤلاء الأساتذة متخصصين في كلية العلوم وكلية التكنولوجيا ، أما النسبة الثالثة فهي 20% والتي تمثل اقتراحات المبحوثين في اقتناء الأجهزة التكنولوجية بناء على طلبات الأساتذة وهم من تخصص العلوم والتكنولوجيا

أما النسبة الرابعة فهي 18% والتي تمثل اقتراحات أخرى للمبجوثين أي كل حسب مقترحه وكان معظمهم من كلية العلوم الإقتصادية والتجارية، فمنهم من يقترح تسهيل إجراء الاقتناء ومنهم من يقترح أن تتماشى الوسائل التكنولوجية مع طبيعة البحوث المعتمدة من طرف المخبر ومنهم من يقترح توفير مقرات لمخابر البحث وتجهيزها بوسائل الاتصالات الحديثة، أما أقل نسبة فهي 12% والتي يقترح فيها المبجوثين اقتناء المكتبات الرقمية العالمية في جميع التخصصات و معظمهم من كلية التكنولوجيا.

من الملاحظ أنه توجد فروق بين التخصصات في اقتناء الوسائل التكنولوجية بحيث أن كلية التكنولوجيا وكلية العلوم تتوفر على أحسن الوسائل التكنولوجية وذلك نظرا لطبيعة تخصصهم الذي يجب أن تتوفر فيه كل الوسائل التكنولوجية المساهمة في البحث بعكس تخصص الآداب واللغات أو تخصص العلوم الإقتصادية والتجارية وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الذي يكفي أن تتوفر أجهزة إعلام آلي وشبكة إنترنت ومكتبات رقمية لتسهيل مهمة البحث العلمي، وكذلك راجع لقدم هذه التخصصات على مستوى الجامعة وإحتوائها على عدد معتبر من الأساتذة ذات مؤهلات علمية عالية وبالتالي فهم يتواجدون في وظائف عليا على مستوى الجامعة ويساهمون في فتح مخابر البحث وبالتالي فإنهم يوفرون لهذه المخابر أحسن الوسائل التكنولوجية التي تساهم في تطوير البحث العلمي.

رابعا : الاستنتاج العام

من خلال النتائج المتحصل عليها نستنتج أن :

- أن الجامعة توفر الوسائل التكنولوجية حسب طلب الأساتذة والباحثين ورؤساء الفرق البحثية ، فمثلا نجد في كلية التكنولوجيا تتوفر بها مخابر بحثية مجهزة بكل الوسائل اللازمة لسير عملية البحث ، أما كلية العلوم فتتوفر بها المواد الأساسية والوسائل التكنولوجية الضرورية للبحث . أما عن أجهزة الإعلام الآلي وتقنية الانترنت فهي متوفرة على مستوى جميع الكليات وعلى جميع المخابر البحث العلمية.
- أغلب الأساتذة بالجامعة يستفيدون من الوسائل التكنولوجية التي توفرها الجامعة وخصوصا الأساتذة بمؤهل الدكتوراه وذلك في أن معظم إن لم نقل كلهم لهم مناصب وظيفية على مستوى الجامعة ، وهذا ما تنص عليه المادة 10 من المرسوم التنفيذي رقم 08-130 مؤرخ في 27 ربيع الثاني عام 1429 الموافق لـ 3 ماي 2008 يتضمن القانون الأساسي الخاص بالأستاذ الباحث والذي ينص على : " أنه يمكن دعوة الأساتذة لشغل مناصب عليا هيكلية أو وظيفية لدى المؤسسات المذكورة في المادة رقم 02 من هذا المرسوم". و بالتالي فإنه تتوفر على مستوى وظائفهم وسائل تكنولوجية المتمثلة في أجهزة الإعلام الآلي والانترنت والفاكس .. إلخ.

- كذلك من النتائج أن الجامعة توفر الوسائل التكنولوجية دون أن تقوم بتدريب الأساتذة على استعمالها وخصوصا المتوفرة على مستوى المخابر البحثية ويرجع هذا يرجع إلى أن هذه الوسائل مطلوبة من قبل الأساتذة أنفسهم.

- أغلب الأساتذة يستعينون بالوسائل التكنولوجية في بحوثهم وخصوصا فئة الشباب وذلك لمتعة هذه الوسائل التكنولوجية بمميزات لا تتوفر في الوسائل الكلاسيكية. دون إهمال الوسائل التقليدية كالكتب.

- يرى معظم الأساتذة بأن للوسائل التكنولوجية دور في تفعيل البحث العلمي وذلك بتسخيرها للأساتذة على مستوى أقسامهم ومخابريهم وكلياتهم ، وقد اقترح معظم الأساتذة فيما يخص التكنولوجيا بأن يكون تدفق جيد للإنترنت و يكون اقتناء الأجهزة التكنولوجية والوسائل المتطورة بناء على طلب الأساتذة لأنهم أدري بمتطلبات البحث العلمي خاصة للشعب العلمية، وأن يكون هناك تسهيل في إجراءات الاقتناء لهذه الوسائل.

نستنتج أنه تتوفر وسائل تكنولوجية على مستوى جامعة الأغواط، وذلك من أجل تفعيل البحث العلمي وأن معظم الأساتذة يستفيدون من هذه الوسائل التكنولوجية في بحوثهم العلمية وإثراء رصيدهم المعرفي ، وأكثر فئة استعمالا لهذه الوسائل هي فئة الشباب.

خاتمة :

إن ثورة التطور التي يشهدها العالم يستلزم على الباحث بالدرجة الأولى السير بنفس وتيرة هذا التقدم من أجل النهوض بالبلد إلى مصاف الدول المتقدمة ، مما يستلزم على الجامعة مواكبة هذه التكنولوجيات الحديثة بتوفير كل ما هو جديد في هذا الجانب، ليتسنى للأستاذ القيام بمهامه كباحث. وتساهم الآليات التي تعتمدها الجامعة في تطوير الأداء البحثي للأستاذ ، لكن بصورة جزئية يرجع هذا إلى الأدوار التي يمارسها الأستاذ التي تتمحور بالأساس في المهام البيداغوجية مهملا بذلك دوره كباحث حتى وإن كانت هناك مساهمات إلا أنها محتشمة، حيث تسخر الجامعة الوسائل التكنولوجية كما توفر المعلومات اللازمة أو حتى التقنية الملائمة للبحث من أجل النهوض بهذا الأخير، إلا أنها يجب عليها توفير تدريبات للأساتذة على التكنولوجيات المتطورة ليتسنى لهم استعمالها، فوجود التقنية والتكنولوجية لا يكفي وحده في تطوير البحث العلمي فهذا تستدعي يد مؤهلة لإستعمال هذه التكنولوجيات للرفي بالبحث العلمي.

قائمة المراجع

1. إبراهيم مذكور ،معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1975.
2. حافظ فورج أحمد، التعليم الجامعي، ب ط، الخدمات الجامعية للطباعة، القاهرة، 1987 .
3. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والعلم من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
4. دلال القاضي ومحمود البياتي ، منهجية وأساليب البحث العلمي ، ط1 ، دار حامد للنشر والتوزيع ، عمان، 2008.
5. سعيد التل، مناهج البحث العلمي، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
6. السيد سلامة الخميسي، المعلم العربي : بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2003.
7. طلعت إبراهيم لطفي ، علم اجتماع التنظيم ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.
8. عامر إبراهيم قنديلجي ،البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.
9. عبد الحميد بهجتفايد، إدارة الإنتاج، مكتبة عين الشمس، مصر، 1997.
10. عبد الرحمن القروي ،تكنولوجيا المعلومات و الاتصال و أثرها على إدارة الموارد البشرية، رسالة ماجستير في العلوم التجارية إدارة أعمال ، جامعة المسيلة، 2006/2007.
11. عبد الرحمن عزى ،دراسة إستراتيجية في تكنولوجيا الاتصال ،مجلة المستقبل العربي، الإسكندرية، أوت 2000.
12. عجال مسعودة، القيم التنظيمية وعلاقتها بجودة التعليم العالي،رسالة ماجستير في علم النفس العمل والسلوك التنظيمي ،جامعة قسنطينة، 2009/2010.
13. علي محمد منصور ،مبادئ الإدارة أسس و مفاهيم، ط1،مجموعة النيل العربية، القاهرة، 1999.
14. عمار حامد، في التوظيف المستقبلي التربوي، ط2،مركز التنمية البشرية والمعلومات ، القاهرة، 1990 .
15. فاطمة عوض صابر،ميرفت علي خواجه، أسس و مبادئ البحث العلمي، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 2002.
16. فليح حسن خلف، اقتصاد المعرفة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007.
17. ماهر صالح بنات، الفعالية التنظيمية للجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير في أصول التربية، جامعة غزة، 2002.
18. مبروكة عمر محيريق، دراسات في المعلومات و البحث العلمي ،عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.
19. منية حواس، الأستاذ الجامعي والقراءة، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005/2004.

- مخاطر انحراف اليتامى واللُّقطاء ومجهولي النسب على المجتمع

د/ سعد عبد السلام

جامعة زيان عاشور - الجلفة - الجزائر

الملخص:

تعد ظاهرة تشرد الأطفال من الظواهر الاجتماعية المهددة لاستقرار المجتمعات المعاصرة، بما تؤدي إليه من الجنوح نحو الانحراف وتشكيل عصابات السطو والجريمة، ويزداد حجم انتشار هذه الظاهرة بصورة متفائلة في الدول الفقيرة، خاصة وأن العالم يشهد الآن مشكلة كبيرة ذات عواقب مأساوية خطيرة، فهناك الملايين ممن يسمون: "أطفال الشوارع" يعيشون منعزلين مشردين، ويعيش أغلبهم على السرقة والتسول وممارسة العنف والاندماج في عصابات الرذيلة والمخدرات. ومن ثمة تستهدف هذه الدراسة تشخيص ظاهرة انحراف الأطفال، للوقوف على بعض أسبابها الذاتية والموضوعية، وسبر أغواره والولوج إلى أعماقه، بغرض البحث عن إمكانيات العلاج، وتقديم بعض الحلول والآراء ومنها الحل الإسلامي، لفتح آفاق مستقبلية مشجعة لإعادة إدماج هذه الفئة، ووضع برامج عناية ورعاية لهذه الفئة المحترقة والمهانة.

كلمات مفتاحية:

الأطفال اليتامى، مجهولي النسب، اللقطاء، تشرد الأطفال، أطفال الشوارع، ظاهرة انحراف الأطفال.

Le risque de la délinquance les orphelins et de parents inconnus sur la société**Résumé:**

Le vagabondage des enfants est considéré parmi les phénomènes sociaux qui menacent la stabilité des sociétés contemporaines, car elle conduit à la délinquance et la formation des gangs de vol qualifié et de la criminalité. Ce phénomène se propage de plus en plus dans les pays pauvres, d'autant plus que le monde connaît aujourd'hui un gros problème avec des conséquences tragiques qu'on ne peut pas prédire les risques, il y a des millions des soi-disant « enfants des rues » isolés sans-abri et qui vivent sur le vol, la mendicité et la pratique de la violence et de l'intégration dans les gangs de la pègre et la drogue. Par conséquent, cette étude vise à diagnostiquer le phénomène de la délinquance juvénile, de trouver les causes subjectives et objectives, et l'accès à ses profondeurs, dans le but de chercher des possibilités de traitement, et de fournir des solutions et des opinions, y compris la solution islamique, pour ouvrir des perspectives d'avenir encourageantes pour la réintégration de cette catégorie, et l'élaboration de programmes de soins pour cette catégorie bafouée.

Mots-clés:

vagabondage – délinquance – criminalité – violence - enfants des rues .

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمي وآله وصحب. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فإن موضوع هذا البحث هو: مخاطر انحراف اليتامى ومجهولي النسب على المجتمع وتهدف هذه الدراسة

بالتحليل والمناقشة، تشخيص ظاهرة انحراف الأطفال، للوقوف على بعض أسبابها الذاتية والموضوعية وتمحيص ما ورد في هذا الموضوع، وسير أغواره والولوج إلى أعماقه، بغرض البحث عن إمكانيات العلاج، وتقديم بعض الحلول والآراء وأنجح الأفكار، والسعي الحثيث لفتح آفاق مستقبلية مشجعة لإعادة إدماج هذه الفئة، ووضع برامج عناية ورعاية لهذه الفئة المحترقة والمهانة.

ولعل من أسباب اختيار هذا الموضوع، تزايد عدد الأطفال اليتامى ومجهولي النسب والذين هم في وضعية صعبة ويحتاجون إلى رعاية خاصة.

إذ يشهد العالم الآن مشكلة كبيرة ذات عواقب مأساوية لا يمكن التنبؤ بمخاطرها، فهناك الملايين ممن يسمون: "أطفال الشوارع" يعيشون منعزلين مشردين، يعانون من سوء التغذية، ويفتقدون العطف والتعليم والمساعدة، ويعيش أغلبهم على السرقة والتسول وممارسة العنف والاندماج في عصابات الرذيلة والمخدرات. ومع نمو المدن الكبيرة يتكاثر عدد أطفال الشوارع، ويصبح الشارع رمزا لمحنتهم وإحنتهم ويكبر معهم الحرمان الذي يولد الإحباط ومن ثمة العنف ويكون تصرفهم بالتالي مروّعا.

وتعد ظاهرة تشرد الأطفال من الظواهر الاجتماعية المهددة لاستقرار المجتمعات المعاصرة، بما تؤدي إليه من الجنوح نحو الانحراف وتشكيل عصابات السطو والجريمة، ويزداد حجم انتشار هذه الظاهرة بصورة متفاقمة في الدول الفقيرة، التي يعاني معظم أطفالها الإهمال والتهميش والتشرد نتيجة مشكلات معقدة وعديدة، منها: الإقتصادية والاجتماعية وغيرها، والتي لم تستطع هذه الدول أن تجد لها حولا مناسبة لشحّ الإمكانيات المتاحة من جهة، ولضعف مردودية البرامج التعليمية والثقافية من جهة أخرى. وتشير أغلب الدراسات التي عالجت هذا الموضوع، إلى أن سن هؤلاء المهملين يتراوح بين الرابعة والثامنة عشر، وأن أغلبهم من جنس الذكور، وأن الخاصية المميزة لهم أنهم دائمو التسكع والترحال، لا يستقرون في مكان واحد، مما يجعل ضبط عددهم صعبا، كما أنهم يحملون غالبا أسماء مستعارة. وأما بالنسبة للجزائر، فإن الظاهرة حديثة نسبيا على الأقل بشكلها الملفت للنظر، حيث أننا لا نتوفر على إحصاءات شاملة ودقيقة حولها، لكونها من الظواهر المسكوت عنها، ولم يتمّ الاعتراف بها كظاهرة بالغة الخطورة إلا إلى عهد قريب جدا. ورغم قلة الإحصائيات الشاملة والدقيقة يمكن تقديم بعض البيانات التي يجوز أخذها مأخذ الجد، للفت انتباه الرأي العام إلى خطورة هذه الظاهرة وإلى عواقبها الوخيمة، وقد أثبتت بعض الدراسات المخاطر الكثيرة التي يتعرض لها الأطفال في الشارع مثل صعوبة العيش والضرب وسوء المعاملة والاعتداء الجنسي، فضلا عن سوء التغذية والتعرض للأمراض والسقوط في براثن المخدرات ومختلف أشكال الانحراف، مما يعني أن النتيجة الحتمية لطفل الشارع وأي كان سبب تشرده، هو أن يتحول إلى شخص منحرف فاسد مفسد، ضال مضل.

لذلك فإن كل المبررات لإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث ضرورية لازية ولازمة في هذا الموضوع خصوصا تلك التي تحاول اكتشاف القواعد التي يجب مراعاتها في الرعاية البديلة للطفولة، ووضع الأسس لحلول عاجلة ناجعة، سامقة باسقة، وبخاصة تلك المستوحاة من روح الشريعة الإسلامية. ومن جهة أخرى فإن مما يسترعي الإهتمام، بل ومما تقشعر له جلود وقلوب من كان له قلب أو ألقى السمع، تلك المظاهر السلبية من المسؤولين القائمين على رعاية هذه الفئة، والذين لا يولون العناية اللازمة في أساليب الرعاية المؤسسية للأطفال اليتامى ومجهولي النسب، فهم فارغو العقول والقلوب من المشاعر ومن الأفكار أيضا والله المستعان.

أولاً: تعريف اليتيم في اللغة والاصطلاح الشرعي:

- اليتيم هو مَنْ فقد أباه، واليتيم: فقدان الأب، ويكون اليتيم في البهائم من قِبَل الأم، لأنَّ اللبن منها. ولليتيم تعريفات اصطلاحية منها: أن اليتيم هو: الصغير الذي فقد أباه وهو دون سن البلوغ، فإذا بَلَغَ يزول عنه اسم اليتيم حقيقة. وقد عرّفه ابن تيمية بأنه: "الصغير الذي فقد أباه." وقال النسفي: "اليتيم هو مَنْ لا أب له، ولم يبلغ الحلم."

وتزول صفة اليتيم عن اليتيم بالبلوغ، لِمَا رُوِيَ عن علي رضي الله عنه، قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يُتَمُّ بعد احتلام." (1)

والملاحظ على هذه التعريفات أنها تدور في إطار واحد، وهو أنها تقصر صفة اليتيم على مَنْ فقد أباه وهو ما يزال في سن الطفولة لم يبلغ الحُلْمَ بعد؛ لأنَّ الأب هو المعيل والمنفق. فالصغير الذي فقد أباه وما يزال دون سن البلوغ والحُلْم هو اليتيم. لذلك لم يعتبر الشَّرْعُ مَنْ فقد أمه يتيماً؛ إنما قصر صفة اليتيم على مَنْ فقد أباه فقط؛ لأنَّ الأب هو الذي يَعُولُ الصغير ويرعى شؤونه ويقوم بتأديبه وتعليمه، وكثيراً ما يجد الولد في عطف أبيه ورعايته المالية ما يسدُّ حُلَّتَه، ويجد اليتيم في عطف أمه وحنانها وأمومتها وتربيته ما يسدُّ دَوْرَ الأب في ذلك.

ويُعتبر اليتيم مصيبة كبرى، بل ومن أهم العوامل الأساسية في انحراف الصغار وهم في زهرة العمر ومقتبل الحياة، فإذا لم يجد اليتيم اليد التي تحنو عليه، والقلب الرَّحِيم الذي يعطف عليه، والرعاية الكاملة والإهتمام الكبير والمعونة التامة التي تسدُّ حاجاته المادية والعاطفية والنفسية، فلا شكَّ أنه سيَنحرف

¹ - ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة" (291/6) أبو السعادات الجزري: "النهاية في غريب الحديث" (646/5) محمد

الرازي: "مختار الصحاح" (ص. 745)، الأصفهاني: "معجم مفردات ألفاظ القرآن" (ص 610) سعدي أبو جيب: "القاموس

الفقهية" (ص. 392)، ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (108/1)

ويخطو شيئاً فشيئاً نحو الإجماع. لهذا حرص الإسلام على رعاية الأطفال الأيتام وحث على كفالتهم والإحسان إليهم، كما أمر مَنْ أشرف على تربية هؤلاء الصغار الأيتام أن يحسن معاملتهم وتأديبهم وتوجيههم؛ وليجدوا في ظل من يرعاهم العطف والمحبة تعويضاً لهم عن كل ما افتقدوه من محبة وعطف وحنان بموت والدهم؛ ولا تعتبر صفة اليتيم عيباً ولا تهمة، فلا ينبغي لليتيم أن يشعر بالدونية والنقص بسبب يتمه؛ فهو شخصٌ تام في إنسانيته، كاملٌ في شخصيته من الناحية الشرعية.

ثانياً: أنواع اليتيم:

مفهوم واليتيم لغة واصطلاحاً: من مات أبوه وما يزال تحت سن البلوغ، وهذا ما اصطحح العلماء على تسميته باليتيم الحقيقي، لكن العلماء ألقوا به أنواعاً أخرى وحالات لأطفال فقدوا آباءهم بغير الموت فاليتيم نوعان:

أولاً: اليتيم الحقيقي:

يطلق على كل مَنْ مات أبوه، ذكرًا كان أو أنثى وهو دون سن البلوغ، ويبقى يتيمًا حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم.

ثانياً: اليتيم الحكمي:

الطفل اليتيم هو الذي فقد مُعيله وحاميه وراعيه، ويمكن أن يُقاس عليه الأطفال الذين لهم آباء ليسوا بميتين لكنهم في حكم الأموات، ويمكن اعتبار أولادهم في حكم الأيتام؛ وفي المجتمع نماذج كثيرة من هذه الأصناف، فهم في حكم الأيتام من الناحية الفعلية، من هنا جاءت تسمية اليتيم الحكمي، وهم بحاجة إلى الحنان والرعاية والنفقة كالأيتام الحقيقيين، بل قد تستوجب حالات الكثير منهم إلى الرعاية والحنان والنفقة أشد ما يحتاج إليها اليتيم الحقيقي، وهم نماذج متكررة في كل المجتمعات بشكل (1).

ومن أهم الأصناف التي تدخل تحت مُسمى اليتيم الحكمي:

- 1- أولاد المساجين - الأسرى - ذوي الأحكام طويلة المدة: حيث يُحرم إبتاؤهم من زيارتهم ورؤيتهم ويُحبسون في أماكن انفرادية، فيترتب إبتاؤهم بعيداً عن رعايتهم، ويعيشون عيشة الأيتام الحقيقيين.
- 2- اللقطاء: وهم أطفال ألقى بهم أحد والديهم في الطريق، إمّا هرباً من تحمّل مسؤولية الإنفاق عليه وكفالتهم وتربيته، أو إخفاءً لجريمة زناً كان ذلك اللقيط ثمرته، فاللقيط هو: الطفل المنبوذ؛ وهو كل صبي ضائع لا كافل له.

¹ - عبد الله ناصح علوان: "تربية الأولاد في الإسلام" (143/1-144)

3- مجهولو النسب: ومنهم أبناء الزنا، ومجهولو النسب في حُكم اليتيم بسبب فقدهم لوالديهم، بل هم أشدّ حاجة للعناية والرعاية من معروفى النسب، لعدم معرفة قريب يلجأون إليه عند الضرورة، لذلك فإن من يكفل طفلاً مجهول النسب، يدخل في الأجر المترتب على كفالة اليتيم؛ لعموم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً ". (1)

4- أبناء المعاقين: لأن آباءهم عاجزون عن رعاية أنفسهم، فهم عاجزون عن رعاية أبنائهم والعناية بهم من باب أولى.

5- أيتام الأم: الذين فقدوا عطف الأم وحنانها ورعايتها، سواء بموتها حقيقة أو بطلاقها وزواجها من رجل آخر غير والد أبنائها، وانشغالها بزواجها الجديد عن أبنائها وإهمالها لهم.

6- أبناء المطلقين الذين فقدوا العناية والرعاية لانشغال والديهم عنهم: واهتمام كل منهما بحياته الخاصة، خاصة إذا تزوجا وأصبح لكل منهما أسرة جديدة وحياة مستقلة، عندها يهمل الأبناء فينتشرد الأولاد ويصبحون عرضة للضياع والانحراف.

7- الأطفال المشردون المهملون -أطفال الشوارع-: أبناء الشوارع الذين لا مأوى لهم ولا مُعيل.

8- أبناء المغتربين: الذين يقضون عمرهم بعيداً عن زوجاتهم وأولادهم من أجل العمل، والكسب المادي متناسين مدى حاجة أطفالهم للرعاية والعطف والحنان والتوجيه.

9- أبناء المفقودين الذين انقطعت أخبارهم: فلا يُعرف موتهم من حياتهم، فالرجل الذي يغيب ولا يُعرف له موضع، ولا يُعلم أحيّ هو أم ميّت هو المفقود.

فهؤلاء الأطفال حُرّموا حرماناً عاماً وحاجتهم إلى الرعاية والعناية شديدة جداً بصفتهم أيتاماً، فكلمة يتيم لا تقتصر على مَنْ فقد أباه بالموت فقط، بل تتعداه إلى هذه الفئات، لذلك يمكن أن نعتبر هذه الفئات في حُكم اليتامى، فينبغي أن يتّسع مفهوم كفالة اليتيم ورعايته ليشمل هؤلاء الأيتام الحكميين، وحتى لا تبقى هذه الفئات عرضة لأعاصير الحياة العاتية، وموردًا خصبًا لتجمّع الرذائل والموبقات وفريسة للشهوات وبذلك تفقد الأمة الإسلامية أبناء، ويخسر المجتمع أفرادًا كانت الاستفادة منهم حتمية لو وجدوا يد المحبة والعطف والرعاية والعناية ممدودة إليهم، وأما إهمال هذه الفئات فإنه يساوي إهمال المجتمع بأسره وهدم كيانه. لذلك اعتنى الإسلام بهذه الفئات البريئة التي شاءت الحكمة الإلهية أن يفقدوا العاطفة الأبوية، وحث على ضرورة العناية بهم والترغيب في الإحسان إليهم، والعطف والحنان عليهم وإمدادهم بالحب لنلا يصيروا فريسة لشهوات مَنْ لم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً.

¹ - البخاري: "الجامع الصحيح" (2032/5).

كما يمكننا أن نضيف إلى لفظ ومصطلح اليتيم كل من:

ولد من أبوين مجهولين، أو ولد من أب مجهول وأم معلومة تخلت عنه بمحض إرادتها، وكل من عجز أبواه عن رعايته وليست له وسائل مشروعة للعيش، وكل من كان أبواه منحرفين ولا يقومان بواجبهما في رعايته وتوجيهه من أجل اكتساب سلوك حسن، كما في حالة سقوط الولاية الشرعية، أو كان أحد أبويه الذي يتولى رعايته بعد فقد الآخر أو عجزه عن رعايته منحرفاً ولا يقوم بواجبه، فبالتالي يمكن ان نعتبر يتيماً مهملاً أي طفل لم يبلغ سن البلوغ، إذا وجد في إحدى الحالات السابقة الذكر.⁽¹⁾

نتيجة:

نخلص من ذلك إلى أنّ هذه الفئات تعتبر في حكم اليتيم من الناحية اللغوية والشرعية، بل والقانونية والاجتماعية والنفسية والعاطفية. وينبغي علينا أن نوليها عناية خاصة، وأن نשלها بالمحبة والعطف والرّحمة، حتى نساهم في مواساتهم لفقدهم العناية والعطف والإهتمام اللازم، وللتخفيف من جروحهم وآلامهم، ولتنشئتهم على الفضائل والأخلاق الحميدة، فيكونوا عناصر إيجابية في المجتمع المسلم.

الفرق بين اليتيم الحقيقي واليتيم الحُمي:

اليتيم الحقيقي هو: الصغير الذي فقد أباه بالموت وهو دون سنّ البلوغ، أمّا اليتيم الحُمي فهو: مَنْ فقد أباه بغير الموت، فيأخذ حُكم اليتيم في وجوب العناية به، وضرورة رعايته والعطف عليه.

الفرق بين اليتيم الحقيقي واللقيط:

لقد ميّزت الشريعة الإسلامية بينهما تمييزاً واضحاً في الأحكام المتعلقة بهما، بدليل أن الفقهاء المسلمين أفردوا باباً مستقلاً في كتب الفقه أسموه: باب اللقيط، ودعوا إلى الرّفق به وإنقاذه من الهلاك، بوصفه لا ذنب له في جريمة والديه، سواء كان هذا اللقيط مجهول النسب أم معلوم النسب.

وأهم الفروق الواضحة بين اليتيم الحقيقي واللقيط على سبيل الذكر لا الحصر هي :

- اليتيم معلوم النسب وإن فقد والده، أمّا اللقيط فهو في الغالب مجهول النسب وغالباً ما يكون من زنا. لهذا لا تجوز نسبة اللقيط إلى حاضنه من ذكر أو أنثى، فهو من المحرمات وكبائر الذنوب، وما يحصل من تسجيل بعض حاضني مجهولي النسب لهم في دفاتر أسرهم، خطأ محض وتزوير صرف وتجاوز لحدود الله، وكذب على الدولة بما هو على خلاف الواقع، ولا يثبت بهذا التسجيل والإلحاق نسب ولا إرث ممن نسبه إليه، ومن فعله فعليه التوبة إلى الله تعالى وتصحيح ذلك التسجيل بالإلغاء. وإن كان لا بأس بتزويد مجهولي النسب ببطاقة يجعل له فيها اسم له واسم أب، وكتابة الصلة بينهما بلفظ (ابن) وشهرة

¹- محمد عقلة: "نظام الأسرة في الإسلام" (2/ 374).

كالنسبة إلى البلدة التي وجد فيها؛ لما في ذلك من الجبر لنفوسهم. كما يجب أن يعرف حاضن مجهول النسب أن المحضون بعد بلوغه سن الرشد، يصبح أجنبياً عنه كبقية الناس؛ من حيث النظر والخلوة والحجاب بين الرجال والنساء، وغيرها من أحكام الشرع الإسلامي، كما لا يجوز للحاضن أن يخفي على مجهول النسب حاله، بل الواجب إخباره بذلك، وتخفيف مصيبته بأنه ليس الأول ولا الأخير في مثل حالته، وأن ذلك لا يضره شرعاً إذا استقام على دين الله عز وجل.

- اليتيم يرث والديه، أما اللقيط فلا يرث مَنْ قام بتربيته بعد وفاته، لأنَّ الإرث يثبت بسبب البنوة الصحيحة، أي للمولود على فراش زواج صحيح.

- اليتيم يكون غالباً موضع الرِّحمة والشفقة من المجتمع، لعدم وجود مَنْ يُنفق عليه ومَنْ يرعاه ويحنو عليه، فمن المألوف أن يحترم الناس اليتيم ويكرموه لأجل والده لا لذاته، بينما اللقيط غالباً ما يوجد شعور داخلي باحتقاره وإهماله عند بعض الناس، لجهل نسبه وكونه ابن زنا.

- اليتيم تجب نفقته من ماله إن كان له مال وإلا فتجب نفقته على وليه الذي يتولى أموره ويشرف عليه أما اللقيط فتجب نفقته من ماله إن كان له مال، وإلا فلا تجب نفقته على أحد، إلا إذا كان متبرعاً، أو قد يوضع في مراكز خاصة لدى الدولة، التي تقوم برعاية شؤون الأيتام واللقطاء.

- يعتبر اللقيط أجنبياً بالنسبة لملتقطه، فلا يحلُّ لملتقطه أن ينظر إلى عورته إذا كبر، ولا يحلُّ للقيط أن ينظر إلى عورة أحد من الأسرة التي يعيش فيها، لأنَّ اللقيط يجوز له أن يُصاهر هذه الأسرة ويتزوج من بناتها ونسائها، بينما اليتيم هو أحد أبناء العائلة التي تربى في كنفها.

- لا يمكن للقيط الاطلاع على ما تحرص الأسرة على ستره على الأجنب؛ لأنه أجنبي بالنسبة للأسرة التي كفلته، بينما اليتيم الذي رعاه أحد أقاربه غالباً بإمكانه أن يطلع على كل أسرار الأسرة.

- يجب أن يُفصل بين اللقيط وبين أولاد الكافل له، المختلفين عن جنسه في المضجع الذي ينامون فيه إذا قارب البلوغ؛ لأن الفصل بين الذكور والإناث واجب منذ بلوغهم العاشرة ولو كانوا إخوة.

وليس بالضرورة أن يكون اللقيط ابناً غير شرعي كما يعتقد الكثيرون، لأنه من الممكن أن يكون أحد هذه الحالات الآتية :

1- قد يكون مسروقاً من أهله وهو رضيع في المهد.

2- إذا عجزت الأم عن إثباته فنتخلص منه خشية الفضيحة والعار، فقد يكون ثمرة زواج غير صحيح كالزواج المدني. والزواج المدني: هو الزواج الذي يتم وفقاً لما حدّدته دولة ما في تشريعاتها القانونية بعد أن أفضت أي شرط ديني أو أي تدخل ديني في الزواج، لا من حيث صلاحية إبرامه فقط، بل من حيث شروطه وأركانها ومواصفاته الأخرى.

3- وقد يكون ولدًا لأم مريضة مرضًا مزمنًا في عائلة فقيرة كثيرة الأطفال، فيترك في المستشفى.

4- وقد يكون صغيرًا فقدّه أهله بسبب الحروب والكوارث.

أو قد يترك الطفل لأي سبب آخر، والأسباب كثيرة وغامضة لا تعدّ ولا تحصى، والأمثلة لهذه الأسباب

التي لا حصر لها. فليس من الضرورة أن يكون اللقطاء أبناء غير شرعيين كما يعتقد الكثيرون.⁽¹⁾

ثانيًا: الفرق بين اليتيم الحقيقي والفئات الأخرى التي تأخذ حكم اليتيم غير اللقيط، كأبناء الأسرى ذوي الأحكام العالية، وأبناء المعاقين، وأبناء المفقودين، وأبناء المغتربين ومجهولي النسب، والذين يولدون لأبوين غير معروفين أو سفاحًا، وغيرهم من الفئات التي ذكرتها سابقًا.

الحقيقة أنه لا توجد فروقات بين هذه الفئات وبين اليتيم الحقيقي، سوى أن اليتيم هو الصغير الذي فقد أباه بالموت وهو دون سن البلوغ، أما هذه الفئات فقدت والدها لأسباب أخرى عارضة غير الموت: كالسجن طويل الأمد والإغتراب والإعاقة وغيرها.

كفالة ورعاية الطفل اللقيط في الإسلام ومدى مساواته باليتيم في الأجر:

كثيرا ما يطرح هذا السؤال الفقهي: هل "مجهولو النسب" لهم حكم الأيتام؟ وهل يدخل الطفل مجهول الأب في مسمى اليتيم؟ وهل تعدل كفالة اللقيط ومجهول النسب وتربيته نفس أجر كفالة اليتيم التي حثّ عليها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ حيث يتردد الكثيرون في الإحسان إليه خوفاً من أنهم لا ينطبق عليهم الأجر المترتب على تربية اليتيم الذي حث عليه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

أولاً: اليتيم هو: فقد الأب قبل البلوغ، والإحسان إلى اليتيم وكفالاته والعناية به من شعب الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (سورة البقرة، الآية: 177).

¹ رائد عبد الله بدير: "مسميات الزواج المعاصرة بين الفقه والواقع والتطبيق القضائي" ص 223) حسن شلقامي: "رأي الشريعة في قضايا المرأة المعاصرة"، (ص 210-211).

وكفالة اليتيم من أسباب دخول العبد الجنة، بل والقرب من النبي صلى الله عليه وسلم. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا." (رواه البخاري (4998)).

وكفالة اليتيم من أعظم الطاعات والأعمال التي فيها صلاح المجتمعات، ولذا لم تكن كفالة اليتيم القيام على مصالحه الدنيوية من طعام وشراب وكساء فقط، بل وكذا القيام على مصالحه الدينية في التوجيه والتربية والتعليم. وكفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن.

ومجهولو النسب لهم أحكام اليتامى، بل هم أولى بالعناية لعدم وجود أحد من والديهم وأهلهم، واليتيم قد تكون أمه بجانبه، وقد يزوره خاله وعمه وخالته وعمته، أما مجهول النسب: فإنه منقطع عن كل أحد، ولذا كانت العناية به أوجب من اليتيم معروف النسب. ومجهولو النسب في حكم اليتيم؛ لفقدهم والديهم، بل هم أشد حاجة للعناية والرعاية من معروف النسب؛ لعدم معرفة قريب لهم يلجئون إليه عند الضرورة، وعلى ذلك: فإن من يكفل طفلاً من مجهولي النسب فإنه يدخل في الأجر المترتب على كفالة اليتيم؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا).

ويجب على من كفل مثل هؤلاء الأطفال أن لا ينسبهم إليه أو يضيفهم معه في دفتر العائلة؛ لما يترتب على ذلك من ضياع الأنساب والحقوق، ولارتكاب ما حرم الله.

ومن أبواب الإحسان في شريعة الإسلام حضانة اللقيط مجهول النسب والإحسان إليه، بكفالاته وتربيته تربية إسلامية صالحة، وتعليمه فرائض الدين وآداب الشرع وأحكامه، وفي هذا أجر عظيم وثواب جليل ويدخل في الأجر المترتب على كفالة اليتيم؛ لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً.»⁽¹⁾

كما أن اليتيم هو الصغير الفاقد للأب، واللقيط هو ولدٌ حديثُ الولادة نَبَذَهُ أَهْلُهُ خَوْفًا مِنْ مَسْئُولِيَةِ إِعَالَتِهِ أَوْ فِرَارًا مِنْ تَهْمَةِ الزُّنَا، أَوْ ضَلَّ الطَّرِيقَ فَلَا يُعْرَفُ أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ، أَوْ لَسِبَ آخِرًا، وَلَا كَافِلَ لَهُ مَعْلُومٌ، وَالتَّقَاطُ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَهُوَ فَرَضٌ عَلَى الْكَفَايَةِ إِلَّا إِذَا خَافَ هَلَاكَهُ فَفَرَضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ؛ بَلِ الْيَتِيمِ

¹ - أخرجه أحمد في: "المسند" (333/5)(375/2) والبخاري في: "الجامع الصحيح" (178/6)(76/7) ومسلم في: "الجامع الصحيح" (2287/4).

واللقيطُ ومجهولُ النَّسَبِ يدخلون في معنى إحياء النفس بالرعاية الصَّحِيَّة من الإنفاق والعناية التربوية والتعليمية، وإن كانوا يختلفون من جهة الولاية والإنفاق، فالولاية على اللقيط في ماله ونفسه للسلطان أو نائبه، وكذلك الإنفاق من بيت المال، لحديث: «السُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ»⁽¹⁾.

أما الملتقطُ فليس له إلاَّ حقُّ التربية والحفظ لكونه منفعةً محضةً في حقِّه، وبهذا السبب لا تثبت له الولاية، وعلى كلِّ فإنَّ الملتقطَ يستحقُّ أجزاً ومثوبةً كافلِ اليتيم لحديث: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا...» لأنه في معناه، ولم يختلف العلماء في أنَّ الرجل إذا ضمَّ إليه يتيماً أو لقيطاً في أنه محمود في دين الله تعالى، كما لم يختلفوا في تحريم تبني اللقطاء والأطفال مجهولي النسب بحجة الرحمة والعطف أو لكون المرأة عاقراً أو الرجل عقيماً، فهذه الأسباب لا تبيح التبني ولا تجعله حلالاً، بل يبقى على حرمة ولا تترتب عليه أحكام البُؤة الحقيقية، فهؤلاء إن كانوا مجهولي الأباء الحقيقيين فإنَّ الأخوة في الدين والموالاتة فيه عوضٌ لهم عما فاتهم من النَّسَبِ لقوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْمُوا أَبَاءَهُمْ فَاَحْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (سورة الأحزاب: الآية 5).

إضافة إلى أن الإسلام دعا إلى التكافل الاجتماعي، وحث على العناية باليتيم ورعايته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَصَلِّمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (سورة الإنسان، الآية 9)، كما اهتم أيضاً باللقيط. فالطفل مجهول النسب، أو ما يعبر عنه باللقيط أي الذي لا يُعرف له أب ولا أم، لم تحرّمه شريعة الإسلام من عنايتها ورعايتها، فمعاملته نفس المعاملة التي يعامل بها معلوم النسب، ووفرت له كل الضمانات للعيش الكريم، فقررت أن اللقيط يكون لمن التقطه، وألزمته نفقته إن كان قادراً على النفقة، فإن لم يكن قادراً عليها فنفقة هذا اللقيط من بيت مال المسلمين؛ وقد روي أن رجلاً جاء لعمر بن الخطاب وقد التقط لقيطاً، فقال له عمر: خذه، لك ولاؤه وعليك نفقته. فهذا الشخص الذي يلتقط اللقيط، لا ينسبه إلى نفسه ولا يدّعيه ولا يتبناه، لأنَّ التبني محرّم في الإسلام، وإنما تكون له عليه الولاية، ويبقى عنده إلى أن يتنازل عنه، فيُضمُّ إلى ملجأ من ملاجئ الأيتام، ويُنفقُ عليه من بيت مال المسلمين، أو تختل الشروط الواجبة في الشخص الملتقط - بكسر القاف - كأن يردّ عن الإسلام أو تظهر سوء أخلاقه، مما يخشى

¹ - أخرجه الحاكم برقم: (2706) وأحمد، برقم: (23851) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصحّحه ابن الملقن في:

« البدر المنير » (553/7) والألباني في: « الإرواء » برقم: (1840)

منه على مستقبل هذا الطفل، فتسقط ولايته على هذا الطفل، وينتزع منه شرعا، ويُعهد به إلى من يطمأن على الطفل عنده. ومن واجب هذا اللقيط على من التقطه، تعليمه وتهذيبه وتدريبه على حرفة أو عمل ما ليصبح عضوا نافعا صالحا في المجتمع. والطفل كما يكون مجهول الأبوين، يكون مجهول الأب، وقد يكون معلوم الأبوين لكنه ولد بطريقة غير شرعية، هذا النوع من الأطفال بشقيه أيضا لم تهمله الشريعة واعتنت به عناية كبيرة، فإذا كان الطفل مجهول الأب معلوم الأم، فحقوقه مترتبة في ذمة أمه: على أمه نفقته وحضانتها وتربيته والعناية به ويتوارث معها، ويكون أخواله أولياءه، فإن لم يكن له أخوال فالقاضي ولي من لا ولي له.

والمهم في جميع الأحوال أننا لا نجد فرصة تضيع فيها حقوق الطفل في حضن شريعة الإسلام. وكذلك الطفل معلوم الوالدين، والمولود بطريقة غير شرعية أي ابن زنى، هذا الطفل إذا كان لا يُعرف أبوه بل ينسب إلى أمه، وهي المكلفة بنفقته وحضانتها وولايته، فله حق على الدولة، ومن اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم باللقيط ما ورد عن عمر أنه كان إذا جيء له بلقيط، فرَضَ له من بيت مال المسلمين، وجعل له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحُه، ثم ينقله من سنة إلى سنة، و كان يوصي بهم خيرا، ويجعل رضاعتهم ونفقتهم من بيت المال، وهذا علي يقول للأشتر النخعي: "وتعهد أهل اليتيم وذا الرقة في السن ممن لا حيلة له." فاليتيم بحاجة إلى رعاية وحماية كغيره من الأطفال وإلا نشأ على الفساد، ودرج شيئا فشيئا نحو الانحراف والإجرام، ليصبح أداة هدم وتخريب في المجتمع، لهذا فإن المنهج التربوي في الإسلام اشتمل على جملة من الأفكار والتوجيهات التي تحفظ على اليتيم كرامته وحقه. قال تعالى: "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح." وما ينبغي تأكيده أن الإسلام أوصى بالمحافظة على اليتيم بأنواعه التي تحدثنا عنها سابقا، ومعاملته معاملة حسنة، حتى لا يشعر بالفرق بينه وبين سائر الأطفال، وطبيعي أن تربية مثل هذه، ستكون ضامنة من الانحراف، وأن طفلا كهذا لا يصاب بعقدة الحقارة والذلة، فينمو بصورة طبيعية، فتشبع رغباته بشكل صحيح متوازن؛ وقد أثبت علم النفس والتربية أن اليتيم أحد العوامل المؤدية للتشرد والتخلف الاجتماعي بل والإجرام أيضا.

لكن تجب الإشارة هنا، التنويه إلى أنه لا تجوز نسبة مجهول النسب إلى شخص أو قبيلة أو أسرة ما؛ لأن في ذلك من الكذب والأبهام والتلبيس على الناس، وما ينتج عنه من اختلاط الأنساب. كما لا يجوز تبني مجهولي النسب كالمولود سفاحا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وقوله عز شأنه ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْمُواْءَ آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾

لهذا لا تجوز نسبة اللقيط إلى حاضنه من ذكر أو أنثى، فهو من المحرمات وكبائر الذنوب، وما يحصل من تسجيل بعض حاضني مجهولي النسب لهم، في دفاتر وبطاقات عوائلهم خطأ محض، وتزوير صرف وتجاوز لحدود الله، وكذب على المسؤولين في الدولة، ولا يثبت بهذا التسجيل والإلحاق نسب ولا إرث ممن نسبته إليه، ومن فعل ذلك فعليه التوبة إلى الله تعالى وتصحيح ذلك التسجيل بالإلغاء.

لكن لا بأس بتزويد مجهولي النسب ببطاقة يُجعل له فيها اسم ثلاثي، أو اسم أب وكتابة الصلة بينهما بلفظ (ابن) وشهرة، كالنسبة إلى البلدة التي وجد فيها؛ لما في ذلك من الجبر لنفوسهم.

لذا فمن قام بحضانه أكثر من طفل مجهول النسب فلا يجوز توحيد الإسم التالي لأسمائهم، لأيهام الأختوة بينهما في النسب، وفي ذلك من المحاذير الشرعية من التلبيس على الناس، والآثار في النسب والمواريث ما يعظم ضرره ويكثر خطره. ويجب أن يعرف حاضن مجهول النسب أن المحضون بعد بلوغه سن الرشد أجنبي عنه كبقية الناس؛ من حيث النظر والخلوة والحجاب بين الرجال والنساء، وسائر الأحكام. وإذا وجد رضاع محرّم شرعا للمحضون، فإنه يكون محرما لمن أرضعته ولبناتها وأخواتها ونحو ذلك مما يحرم بالنسب؛ كما لا يجوز للحاضن أن يخفي على من حضنه من مجهولي النسب حاله، بل الواجب إخباره بذلك، وتخفيف مصيبتة، بقوله مثلا أنه ليس الأول ولا الآخر، وأن ذلك الأمر لا يضره شرعا إذا استقام على دين الله سبحانه وتعالى.

ظاهرة انحراف وتشرّد الأحداث: المشكلات السلوكية لدى الأطفال المحرومين

يعيش الطفل في كنف أسرته وينعم بالحياة الأسرية الهانئة: الجسمية والنفسية معاً لكن حرمان الطفل من ثدي أمه هو حرمان له من لذة الحياة بمعناها، وفي حالة انفصال الوالدين أو وفاتهم، فإنه لا يمكن أن يحل مكانهما أي أحد، سواء كان من أحد أقاربهم أو والديهم بالوصاية.

لذلك يرى علماء النفس أن السنين الأولى من عمر الطفل تمثل مرحلة مصيرية تحدد آفاق المستقبل للإنسان، وأكثر الأطفال الذين نعموا في سني حياتهم الأولى، بلغوا فيما بعد درجات عليا في الحياة وعلى النقيض منهم، فالذين لم يتشبعوا بالمحبة في هذه المرحلة أخذوا يشعرون في السنين التالية من أعمارهم بالوحدة والانعزال، وأن أكثر محبة يتقبلها الطفل هي محبة والديه، وانعدامها يؤذيه ويؤلمه.

كما توضح الدراسات أثر الحرمان البيئي الشديد، حيث توصلت دراسة أجريت على مؤسسات ذات مستوى منخفض من التنبيه والإثارة على الأطفال إلى أن بلغ متوسط أعمارهم 18 شهراً، ثم تم تحويل بعضهم من دار حضانه لا تتوافر فيها الرعاية والإهتمام، لينقلوا إلى بيوت ذات رعاية واهتمام، وعند تتبع هذه المجموعة بعد مرور 25 عاماً؛ تبين أن هذه المجموعة المحوّلة إلى دار الحضانه أصبحت سوية، بينما

المجموعة الأخرى التي ظلت بالمؤسسة ظل أصحابها من المتأخرين، وشغل بعضهم أعمالاً ذات مستوى منخفض جداً.

كما اهتمت بعض الدراسات بطبيعة العلاقة بين الأم وطفلها، ومنها دراسة حول معرفة أثر نمو الطفل على العلاقة المتبادلة بين الأم والطفل، وكانت عينة الأطفال تتراوح أعمارهم بين ستة وثمانية أشهر إلى اثني عشر شهراً؛ وقد أظهرت الدراسة أن العلاقة الإرتباطية تظهر في التفاعل الاجتماعي بين الطفل والأم في مواقف مثل: الإبتسام واللمس والكلام، كما أظهرت وجود علاقة إرتباطية دالة بين علاقة الأم بطفلها وبين نموه النفسي والعاطفي خلال السنة الأولى من عمره. أما الطفل الذي حُرِمَ من أن يحب ويحب في باكورة حياته، نتيجة لعزله بعيداً عن والديه، يتأخر نموه البدني والعقلي واللغوي والاجتماع، وقد تصاب شخصيته بضرر بالغ، فإذا لم يتجاوز مدة ابتعاد الطفل عن والديه ثلاثة شهور فإنه سرعان ما يسترد قدرته على نموه الطبيعي، لكن إذا امتد الحرمان والعاطفي خمسة شهور أخرى فإن النمو العاطفي لهذا لطفل ما يلبث أن يختلف بشكل ملحوظ عن النمو العاطفي لأقرانه، ومن هم في مثل سنّه، وأما الأطفال الذين يحرمون نهائياً من أمهاتهم فإنهم يتغلبون إلى حد ما على هذا الحرمان العاطفي القاسي إذا كانت لهم بدائل للأمهات يُقْمَنَ بمثل وظائف الأمهات، ويبادلونهم حباً بحب وعطفاً بعطف، فمثل هؤلاء الأطفال قد يكونون أحسن حظاً في سرعة نموهم عن أقرانهم الذين لم يجدوا بدائل للأمهاتهم. وترى هذه الأبحاث أن غياب الطفل عن والديه لعدة شهور، يؤدي إلى توتر في نموه البدني والعقلي والعاطفي واللغوي والاجتماعي، لذا فإن الطفل المحروم يتأثر من غياب أسرته خاصة إذا كان معزولاً في مؤسسات إيوائية بشكل أكبر ويقع في المشكلات، بل إن هذا الأمر سيؤدي حتماً إلى زيادة في المشكلات السلوكية للطفل، بل وفي نوعيتها وشدتها ومدة صدورها.

ومما يجب التنويه عليه، هو أن الأم هي أبرز شخص في حياة الطفل في حياة الطفل، خاصة في المراحل الأولى من حياته، حيث أن الحرمان من الأم يتسبب في اضطراب النمو الانفعالي والعقلي والاجتماعي للطفل، نظراً لرابطة التعلق الوجداني بينهما، وهي استجابة مبرمجة بيولوجياً لدى كل من الأم والطفل، وهدفها حماية وبقاء النوع. كما أن حرمان الطفل من رعاية الأسرة، له آثار سلبية منها: تعطل نموه الجسمي والعقلي والاجتماعي. ولقد أثبتت الأبحاث أن جفاف العناية بالطفل في أسابيعه وأشهره الأولى بعد الولادة، يتسبب في مظاهر انتكاسية بنموه، فيشحب لونه ويتجمد جلده وينطفئ بريق عينيه ويقل نشاطه الحركي، ويكف عن البكاء أو يتمادى فيه ثم يتقيأ طعامه باستمرار أو يصاب بإسهال مزمن وكل هذه الأعراض تعنى في النهاية الأبطاء في النمو الجسمي والعقلي، وإذا استمرت معه أشهراً طويلة فإنها قد تؤدي إلى وفاة هذا الطفل .

وقام باحثون أمريكيون بدراسة حالات أطفال عاديين وآخرين لقطاع، وقسموهما إلى قسمين: الأول يحوي العاديين حيث يقطنون دور حضانة خاصة تشرف عليها الأمهات البيولوجيات للأطفال، ويقمن برعايتهم طوال أوقات وجودهن بالحضانة، أما القسم الثاني فيدرس فيه لقطاع لا يعرف لهم أي من الأبوين، وتقوم على خدمتهم في الملجأ ممرضات، وجاءت نتائج الأبحاث تؤكد على أن عدد الوفيات كان صفرًا في الحضانة، وبنسبة 27% في الملجأ في السنتين الأوليين بعد الولادة، كما استطاع أطفال الحضانة الوصول إلى مستويات مقبولة من النضج الجسمي، بينما بدت مظاهر التخلف أو ما سمّي: "المجاعة النفسية" على من عاش في الملجأ، ولم يكن بمقدورهم إلى نهاية العام الثاني من العمر المشي أو الاعتماد على أنفسهم في الأكل، بل وظهر عليهم جميعاً أعراض التأخر العقلي، وتبنّوا سلوكاً غير سوي وغير هادف في معظم الأحيان. لذلك فإن الطفل يقع فريسة للمرض عندما ينتاب الاتصال بينه وبين الأبوين التشويبه أو التدمير، لأن أساس ثقة الطفل بنفسه وبالعالم تتبع من والديه وبخاصة في في سني حياته الأولى، كما أن هذه الثقة تتوقف إلى حد كبير على تنوع العلاقة بين الوالدين والطفل في هذه المرحلة المبكرة من نموه، وفي بحث آخر لاحظت دراسة أجريت على مائة وثمانين طفلاً حديثي الولادة واستنتجت أن الطفل إذا حُرِم من الرضاعة الطبيعية فإنهن يتعرض لنوع من التوتر العضلي التام إذا استمر الحرمان من حنان الأم ويعانى من اضطرابات فيسيولوجية وسيكولوجية. كما أسفرت دراسة أجريت على يتامى تربوا في مؤسسة خاصة، قضوا بها ثلاث سنوات، وآخرين ممن تمتعوا بالعلاقات الإنسانية ونشأوا في أسر بالتبني، واستخدمت أربع مجموعات، وكانت النتائج: أن أطفال المؤسسة كانوا أقل من الأطفال المتبنين في كل اختبارات الذكاء، وكان تأخرهم أكثر من ناحية التعقل والتفكير المعنوي، بل وحتى الاختبارات الخاصة بتعلم الأغاني والقصص وفي تذكر الماضي وتصور المستقبل، وعلى الرغم من أن كثيرا من أطفال المؤسسة انتقلوا بعد ذلك للعيش في أسر بالتبني إلا أن استعداداتهم العقلية لم تتحسن، فاستنتج أن الحرمان من العطف والحب وقت الطفولة يؤدي حتما إلى آثار سلبية؛ إذ يتأخر الطفل في الأداء العقلي وتستمر آثاره باقية حتى ولو تغيرت ظروفهم إلى الأحسن.

ومن ثمة فإنه لا يمكن للدارس إرجاع انتشار ظاهرة الأطفال المتشردين إلى سبب معين، بل إن هذه الظاهرة ترجع إلى أسباب متعددة متداخلة ومتفاعلة، يعود بعضها إلى مجال التربية والتنشئة وإلى التعليم والسياسة والاقتصاد وإلى ظروف الحرب وعدم الاستقرار، بل وإلى مشكلات الممارسة اليومية للحياة في مجالات البيئة والثقافة والسلوك. فالبطالة والفقر والزيادة السكانية السريعة، وغياب مصالح الطفولة والأمية والدعارة والطلاق، وانعدام تطبيق القوانين وغيرها من العوامل، كلها تتسبب في بروز ظاهرة أطفال الشوارع. كما أصبح واضحا لدى جميع الباحثين الاجتماعيين والتربويين وغيرهم أن للطلاق تأثيرا مدمرا

على حالة الطفل وعلى أمنه، فهو يؤثر سلبا في نموه، فما يرافق الطلاق في العادة من صراعات وخصومات، وبالشكل العنيف الذي ينتهي به في المحاكم... تجعل الطفل على حادثة سنّه في وضعية مضطربة، حيث يفقد المحبة والشعور بالأمان والطمأنينة، كما يمكن أن نتصور إذا كان الأب مدمنا على الخمر أو المخدرات، أي نوع المشاكل التي يمكن أن تتجم عن تعامله مع زوجته وممارسته العدوانية مع أطفاله ويمكن أن يكون هذا من الأسباب الأساسية لهروبه من هذه الوضعية المزرية إلى الشارع. إضافة إلى تلك الإغراءات الوهمية الموجودة في أجهزة الإعلام كالأنترنت وغيرها، وبخاصة تلك الرسوم المتحركة الماجنة المائعة والعنيفة، التي تغرس في نفوس وعقول الأطفال كثيرا من القيم الفاسدة والتصورات المعوجة، وهذا أمر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار على أنه واحد من أهم وأبرز الأسباب المباشرة لحدوث هذه الظاهرة.

الأطفال الجانحون ضحايا العنف والاستغلال الجنسي:

يتعرض أطفال العالم لأبشع أنواع الاستغلال وسوء المعاملة، مثل بيعهم والدعارة بهم، واستخدامهم في العروض والمواد الإباحية، ومختلف الجرائم التي تلحق أكبر الأضرار بصحتهم، وتحول دون نموهم الطبيعي: جسديا وعقليا وروحيا واجتماعيا. ورغم وجود قوانين الشريعة والقوانين الوضعية التي تحرم ذلك وتجزمه، فما زلنا نلاحظ انتشار مختلف أشكال الاستغلال الجنسي للأطفال، حيث أن ممارسة بغاء الأطفال أضحت ظاهرة عالمية تتم من خلال شبكات منظمة، يعاني منها ملايين الأطفال في مختلف بلدان العالم، وقد تطورت الظاهرة مؤخرا لتصبح وسيلة من وسائل الجذب السياحي. كما ارتفع عدد الأطفال من ضحايا الاعتداءات الجنسية والجسدية، لأن بعض الأباء يحجمون عن التبليغ بسبب الخوف وتجنبًا للفضيحة، وبسبب انعدام الحماية وصغر السن وفقر العائلة أو جهلها، تبقى الفتاة عرضة لانتهاك جسدها وإهانتها.

وهذه أرقام مفرزة مرعبة مروعة عن ظاهرة استغلال الأحداث، فقد ذكرت الإحصائيات أن 100 مليون طفل يصارعون من أجل البقاء عن طريق العمل الشاق والتسول والبغاء و50 مليون طفل يعملون في مهن تتسم بالخطورة، و120 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين 6 و12 سنة لا يتمتعون بحقوقهم في التمدرس، إضافة إلى 155 مليون من أطفال دول العالم الثالث تقل أعمارهم عن خمس سنوات يعيشون تحت عتبة الفقر المطلق، وملايين الأطفال بمن فيهم أطفال الدول الغنية يعانون سوء المعاملة والإهمال بل ومن الاستغلال الجنسي والإدمان على المخدرات.

فهذا فيض من غيظ كما يقال، وكله مدعاة للانحراف بشتى أشكاله وألوانه، وعاملا في انتشار جرائم الأحداث من سرقة ومخدرات وقتل، مما نشاهده عيانا، وليس من رأى كمن سمعا، بعد أن بلغ الانحراف ذروته، وغزا حتى المدن الصغيرة والقرى التي كانت بمنأى عنه إلى وقت قريب.

الحلول المقترحة لحماية الطفولة الجانحة: أو كيف نحمي الأطفال من خطر الانحراف؟

لا ريب في أن سلامة القاعدة الدينية والأخلاقية في الأمة، هي السبيل الأمثل لأمنها واستقرارها، بل واستمرار وجودها، فهي مركز قوتها ودعامة أمنها وقيام كيانها، وإذا أردنا أن نقيم مجتمعا آمنا، فعلينا أن نقيم وترعى المؤسسات التربوية الإصلاحية، التي تستمد نهجها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما درج عليه السابقون؛ لقول مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. فإذا كان الأساس متينا حصينا ينشأ الطفل منذ طفولته على التقى والصلاح، ويظل على الكمال والاستقامة، بعيدا من الانحراف الخلقي، ومحفوظا من خطر الأفكار والآراء المضللة، وحتى إن أخطأ فإن خطأه سيكون محدودا محصورا، قابلا للإصلاح مبكرا قبل أن يستفحل الأمر وينتشر الخطر. فالبيت أول هذه القنوات الإصلاحية، فهو القاعدة الصلبة المتينة التي تتأسس عليها الطفولة المبكرة على أخلاق القرآن وآداب السنة وأفعال السلف الصالح، وأن تكون الأسرة والمجتمع بمثابة القيادة الحكيمة الموجهة، والأسوة الحسنة المثالية في أقوالها وأفعالها، ذات مراقبة قائمة دائمة على تحركات وتوجهات رعاياها: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" وأما القناة الثانية فهي دور العلم والمؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة، والتي تقوم على التهذيب وصناعة الفكر السديد والتوجيه السليم، والتربية الحقة على مكارم الأخلاق؛ بنخبة مختارة مدربة من معلمين وقياديين وإداريين يخشون الله حق خشيته ويقومون بما أنيط بهم من مسؤوليات تربوية وإدارية من خلال مناهج مدروسة تحقق لطلبة العلم رغباتهم، وتملأ عليهم فكرهم وتحفظ لهم كيانهم، وترسم لهم حياتهم بما ينفعهم في دينهم وديارهم وأخراهم. وأما القناة الإصلاحية الثالثة: فهي مراكز تعليم القرآن وحفظه وهي الحاضن والحارس القوي والحافظ لوقت الشباب، حيث ترعاهم أيدٍ أمينة مختارة قادرة على العطاء والتسديد والتوجيه والتربية. وأما قناة الإصلاح الرابعة، فهم العلماء والدعاة والتجار وأصحاب الرأي والفكر، فمن خلال اللقاءات والمحاضرات والندوات والمؤلفات؛ يتم احتضان الأطفال بمسئولية تامة كاملة، تقطع دابر الانحراف وتوصل شبابنا إلى بر الأمان والسلامة.

أما فيما يخص الحلول للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، التي تشكل مدخلا للانحراف وخطرا على المجتمع وعلى الأطفال أنفسهم، فهناك حلول مستعجلة من بينها: البحث الجدي لإيجاد آليات لإعادة الأطفال إلى أسرهم، فهذه مسألة ضرورية وأساسية لإدماجهم مجددا في أسرهم. ولا شك أن أحسن مكان

يمكن أن يعيش فيه الطفل ويتربى بشكل طبيعي هو أحضان أمه وأبيه، وتبقى المراكز والمؤسسات الخيرية ضرورية في حالة اليتامى والأطفال المهملين... كما أنه لا بد من إنشاء مؤسسات خاصة لرعاية الأطفال المشردين، ومن الضروري تشجيع الجمعيات الخيرية المهمة بهذا الموضوع.

فلا غرو أن نجد الإسلام اهتم اهتماما كبيرا بالطفولة، ووضع منها ترويا للنشء يتلاءم ومراحل عمره مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "لاعب ابنك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا تم اترك الحبل على غاربه." فبمقدار تلقي الطفل للعطف والحنان والرعاية الأسرية، سيصبح إنسانا سويا متكيفا مع محيطه، شاعرا بالانتماء إليه وبمقدار ما يلقي من قسوة وغلظة وإهمال، فإنه سيصبح إنسانا منحرفا في تفكيره وسلوكه، لا يشعر بالانتماء الحقيقي إلى المحيط من حوله ولا بالولاء له، بل تترسب في أعماق نفسه وأغوار وجدانه بذور الحقد والكراهية، فيصبح معول هدم وتدمير.

وأما الجنوح فهو الميل والانحراف، ويقصد به بوجه عام كل الأنماط المختلفة من السلوك التي حرمتها الشريعة والقانون، وهي تستلزم فرض عقوبات خاصة، لأنها تعتبر خارجة عن قيم وعقائد وتقاليده المجتمع، لكونها ضارة له ومهددة لنظامه. وقد أشارت جل الدراسات النفسية إلى أن الجانح يميل إلى الهدم والعدوان والسرقه والقتل، وينزع إلى رفض القيم الدينية والخلقية والاجتماعية. فالانحراف والجنوح قضية غريبة تتعلق وتتفق مع معطيات المجتمع الغربي، لأنه مجتمع لا يدرك مفهوم الأسرة بالمعنى الإسلامي الصحيح، فقد تعود المجتمع الغربي على إلقاء الأحداث في الشارع، أما الإسلام فقد جعل الأسرة أساس بناء الفرد، والفرد ذا انتماء إلى الأسرة، وهو بمقتضى انتمائه لأب وأم فهو تحت مسؤوليتهما، ولا يمكن أن يخرج طفل من حضانة الأسرة، فجرائم الأحداث عندنا إنما هي وباء غربي أصاب حياتنا ومجتمعنا وكيونتنا، وأساس العلة أننا قلدنا الغرب في كثير من المواقف والقيم الفاسدة.

وإذا أردنا أن يشب أطفالنا أسوياء، فعلينا الإهتمام بتربيتهم على أسس نفسية سليمة، من ذلك مثلا اعتدال الوالدين والمعلمين في معاملة الطفل، فلا يسرفون في تدليله وتلبية مطالبه، لأن الحرية المطلقة في النهاية فوضى، ومن شأن هذا النمط من التربية أن يخرج شخصية مدللة أنانية، لا تهتم إلا بإشباع حاجاتها وسيصطدم الطفل مع المجتمع الخارجي عندما يفشل في تحقيق رغباته على النحو الذي تعود عليه في المنزل، فيشعر بالفشل والإحباط والسخط والتبرم، بل إن الإسراف في القسوة ومحاصرته بالأوامر والنواهي والقيود، من شأنها أن تؤدي إلى تكوين شخصية عدوانية حاقدة، أو قد يتقمص الطفل العدوان منها لتحقيق رغباته، أو قد ينشأ خائفا مترددا غير واثق من نفسه، وقد يؤدي كثرة الضغط إلى الانفجار، فيثور ضد هذه القيود والقيم والقوانين. لذلك فإن الصواب هو الاعتدال والتوسط، فحماية الطفل والعناية به والحرص على معاملته معاملة طيبة وحازمة في ذات الوقت. ومن جميل ما قاله ابن القيم: "فوصية الله

للأباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بأبائهم، فمن أهمل تربية ولده وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الأباء وإهمالهم إياهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغاراً فلم ينفعوا أنفسهم ولا نفعوا أباءهم كباراً..."

الرعاية البديلة للطفولة المشردة:

وقد وضعت الرعاية البديلة للطفولة المشردة، والتي يراد بها كل الإجراءات والتدابير التي تتخذ لرعاية الطفل وحمايته في مؤسسة أيوائية يمولها ويديرها المجتمع، أو في أسرة بديلة لا يرتبط بها الطفل برابط القرابة أو النسب. وقد أشارت الدراسات التي تناولت موضوع رعاية الأطفال في المؤسسات الإيوائية مقارنة بنمو الأطفال الذين يعيشون وسط أسر طبيعية، فكادت نتائج هذه الدراسات أن تتفق في نتائجها حول حقيقة واحدة، وهي افتقار أطفال الرعاية البديلة إلى ضروريات الأمن النفسي، مؤكدة على أن جوانب نموهم تتأخر بشكل له دلالة إحصائية عن أقرانهم الذين يعيشون مع أهاليهم. كما إتفقت بذلك الدراسات على أن أطفال الرعاية البديلة تبدو عليهم اضطرابات في التفكير ونقص في نسبة الذكاء، إضافة إلى عدم قدرتهم على التوافق والتكيف مع البيئة المحيطة، وبأن احتمالية تعرضهم لاضطرابات نفسية كبيرة، وهذا يؤكد لنا أن الأسرة الطبيعية المتوافقة، تساهم في نشأة جيل آمن نفسياً ومتمرن عاطفياً وعقلياً. ولعله من المفيد أن أستعرض بعض أخطار الرعاية البديلة حين لا تتوفر بعض الأسس النفسية والإجراءات الواجب اتخاذها حين يتواجد الأطفال مع أسر أو مؤسسات بديلة، وعندما ينشأ الطفل بعيداً عن أسرته فإن الخطر النفسي الأول هو احتمالية إحساس هذا الطفل بأنه غير مرغوب فيه، ويكونه يشكل عبئاً على الآخرين حوله، وغالباً ما يصاحب هذا الإحساس خوف مبهم ليس بمقدور الطفل التعبير عنه، وإنما يظهر في شكل اضطرابات، وإذا لم تشمل الرعاية التي يتلقاها الأطفال بعيداً عن أسرهم العطف والحب والحنان وإشباع الرغبة في الانتماء، فإن الحاجة إلى هذا الإشباع يرتبط بشعور بالخيبة والإحباط وفقدان الهوية النفسية، وعادة ما تكون بداية لصراعات نفسية.

كما أن تواجد الأطفال في مؤسسات بديلة يؤدي بالأطفال إلى الإحساس العميق بالحاجة إلى الأمن العاطفي، وبأنهم فقدوا الدفء الأسري اللازم لحياة نفسية متوازنة والتي تعتبر الأم المصدر الطبيعي لإمداده مما يؤدي بهم إلى الاكتئاب النفسي وعدم القدرة على التفاعل مع الآخرين، ويلاحظ عليهم بوجه عام تأخر في النمو الجسمي والعقلي واللغوي والاجتماعي. وتكمن الخطورة في احتمالية اكتساب هؤلاء الأطفال لمظاهر سلوكية عدائية وظهور بعض علامات الجنوح، وقد تتأخر مطالب النمو بشكل ملحوظ بسبب الافتقار إلى العطف والانتماء والحب وعدم إشباع الحاجيات النفسية، الأمر الذي يؤثر سلباً على

نفسية الطفل فيجعله عرضة للإحساس الدائم بعدم تحقيق الذات فيكون مفهوما سلبيا نحو ذاته. ومن هنا لا مناص من تعويض الدفء الأسري لهؤلاء الأطفال بمنحهم العطف والحنان.

نتيجة:

لم أنشد من خلال هذا البحث المقتضب، الإحاطة بكافة مخاطر انحراف الأطفال اليتامى واللقطاء ومجهولي النسب: المهمشين والمشردين... لأن الموضوع يستدعي دراسات من تخصصات مختلفة لسبر أغوار كافة الأسباب والعلل التي تحرمهم من الحياة الطبيعية، وتدفعهم للجنوح والانحراف، فذلك يستدعي إرفاق البحث بأرقام واقعية. ونظرا لخصوصية المجتمع الإسلامي، فإن الحكومات والمنظمات المحلية مدعوة للتفكير في دراسات عاجلة غير أجلية، قبل تأزم الوضع وازدياده سوءاً أكثر، ويتسع الرقع على الراقع لخصوصيات ثقافتنا الإسلامية عن سائر ثقافات العالم، لأن ما يصدر من موثيق وإعلانات دولية عن حقوق الطفل، لا يمكن أن يعطي ثماره لكونه أولاً مجرد نصوص على ورق، وحروف ميتة لا حراك فيها، فلا مزية من صياغتها أصلاً؛ وثانياً لأن حلولاً ناجعة ويقينية الفعالية، متوفرة في كتب علمائنا ومفكرينا وهي مستمدة من الشريعة الإسلامية، ويجب الاعتراف بأن أوضاع الأطفال في دول العالم الإسلامي أوضاع مأساوية، لبعدها عما دعا إليه الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية. وإن الفرق بين المبدأ والواقع جليّ وواضح للعيان، وشتان ما بين التنظير والتطبيق العملي، فمعاناة الأطفال اليتامى واللقطاء ومجهولي النسب وغيرهم، لا حصر لها، تبدأ من قبل ولادتهم وتستمر مع البيئة الفاسدة والعنيفة في تعاملها معهم؛ لتنتهي إلى انخراطهم في حياة الجنوح والانحراف اللانهائي.

توصيات: إن هذا الموضوع ذو شجون، هذه الشجون لا تنتهي بل ولا يمكن أن تنتهي ما لم تنتهي معاناة ملايين الأطفال الذين يعيشون وضعية الإهمال والإقصاء، وفي أحسن الأحوال التأجيل والتهميش، لذا ليس لهذا الموضوع بكل تشعباته وتفرعاته خاتمة حسنة، إلا إذا تم الإهتمام الجاد بأوضاعهم، هذا الإهتمام الجاد للتذكير لن نجد إلا في ظل الشرع الإسلامي، ومن قال بخلافه فليشدّد بقوة، وليعظّ على بَظَر اللآت، أو ليجلب حلولاً ناجعة من سدنته الغربيين.

إن رعاية الأطفال يجب أن تنطلق من الفهم الدقيق العميق لحاجات الطفل، ومن الوعي الكامل بكيفية إشباعها بشكل متكامل وممتزن، وإن أي خلل في تقييمها، يعني خلا جوهريا في إعداد الطفل، وينجم عنه شلل في تربية هذا الطفل، بل ويكون سببا مباشرا للمشاكل الشخصية على مستوى الأطفال والأفراد وعلى مستوى المجتمع كله.

وإن من ضمن أهداف هذا البحث بيان بعض النقاط ومنها:

- ضرورة إثارة انتباه الأباء والأمهات الذين قد تفيدهم هذه المعلومات في تجنب المشاكل العائلية والمحافظة على تماسك الأسرة حدّ الاستطاعة، حرصا منهم على عدم حرمان الأطفال وحماية لهم.
- لزوم استدعاء واسترعاء انتباه المسؤولين والمجتمع المدني عموما، إلى الأهمية التي تمثلها الأسرة في حياة الطفل وفي بناء المجتمع، وبالتالي العمل على دعم الأسرة ومساعدتها على تأدية أهم وظائفها المقدسة، وهو تربية الطفل وضرورة رعايته، حتى لا تكون عرضة للتفكك والانهييار، مما يترتب عنه حرمان الطفل من الحياة الأسرية الطبيعية.
- التنبيه على خطورة بعض البنود الخاصة بإعداد الوثيقة العالمية للطفولة، والتي تدعو صراحة للحرية الجنسية للمراهقين، وتدريس الثقافة الجنسية بجميع مراحل التعليم، وحتى للأطفال، وخطورة التصير التي تتبناها بعض الدول الغربية للإبناء المتخلى عنهم.
- التعريف ببعض المراكز والهيئات الحكومية وغير الحكومية، المهمة برعاية الأطفال المشردين.
- الإشادة بأسلوب الرعاية البديلة وأهميته، كأحد أهم الأساليب الإيجابية في رعاية الطفل المحروم، ذلك أن أسلوب رعاية المؤسسات المتخصصة، يظل يمثل برغم سلبياته الأمل الضروري في حالة تعذر وانعدام إيجاد أسر بديلة ترعى الأطفال المحرومين.
- إجراء دراسات ميدانية نفسية واجتماعية جادة للأحداث المنحرفين لتشخيص مكامن الداء لمعالجته.
- ضرورة الانتباه ظاهرة عنف الأطفال المتزايدة بالمؤسسات التعليمية -الحضائىة- ولن أقول التربوية.
- إنشاء دور رعاية للطفل المحروم سيان كان يتيما أو لقيطا أو مجهول النسب أو معاقا أو فقيرا.
- وجوب تأسيس برنامج إدماجي قادر على احتضان هؤلاء الأطفال، حسب حاجياتهم، والقدرة على ضمهم من الأوساط الأسرية الفقيرة، بل ومن مختلف الفئات الاجتماعية التي ينحدرون منها، وتوفير الكفاءات من المربين المتخصصين في المجال التربوي والنفسي، وكل من له معرفة بأساليب التعامل مع هذه الشرائح، ووضع برامج إعادة الإدماج، متعددة الجوانب بحسب الاحتياجات والأهداف المتوخاة.

خاتمة :

إنّ كل هذه الفئات تعتبر في حكم اليتيم من الناحية اللغوية والشرعية والقانونية والاجتماعية والنفسية والعاطفية، فقدهم العناية والعطف والإهتمام اللازم، ولأصابتهم بجروح وآلام ليس من السهل أن تتدمل في تلك السن، لذلك يتوجب أن نوليها عناية خاصة، ونشملها بمحبّة وعطف ورعاية جادة، حتى نساهم في مواساتهم والتخفيف من بعض معاناتهم، لئيشأوا بعدئذ على الفضائل والأخلاق الحميدة، فيكونوا عناصر إيجابية وعوامل بنائية في المجتمع المسلم.

ويمكنني القول بأن رعاية الطفولة إما أن تقدم في إطار الأسرة الطبيعية للطفل، أو في غيرها من الأسر والمؤسسات التي تسمى بدور الرعاية البديلة للطفل، أي أن الرعاية البديلة للطفل تعني بشكل إجرائي تقديمها للطفل من قبل أفراد أو جهات غير أسرته الطبيعية؛ والرعاية الأسرية الطبيعية للطفل لا يجب أن تتخلى عن دورها، أو أن تتصل من مسؤوليتها، وتفقد أهميتها لقيام جهات أخرى بتقديم تلك الرعاية بدلها. فلا يعني ذلك أن تُسلب الأسرة حقها في رعاية أبنائها، بل يتوجب مساعدتها للقيام بهذه الرعاية. ولعل ظاهرة تشرد الأطفال من أخطر الظواهر الاجتماعية المعاصرة، وتظهر هذه الظاهرة بجلاء في انتشار حجمها الموازي لانتشار الإنهيارات الأخلاقية والإقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها... والأدهى من ذلك أن أطفال الشوارع سيكبرون دون أن تتوفر لهم فرص لأدنى تأهيل، أو على الأقل إعادة تأهيل مما يعرضهم لاحتمالات السقوط في أيدي المجرمين الكبار من مروجي المخدرات والساهرين على الدعارة والإجرام المنظم؛ لذلك فإن مجتمعنا بجميع فئاته وفنائه أيضاً، مدعو للإهتمام الجاد بهذه الظاهرة الخطيرة، والبحث لها عن حلول مناسبة تتسجم مع حجم المشكلة وآثارها الخطيرة.

الهوامش :

- 1- ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة" (6/291)) أبو السعادات الجزري: "النهاية في غريب الحديث" (646/5) محمد الرازي: "مختار الصحاح" (ص745)، الأصفهاني: "معجم مفردات ألفاظ القرآن" (ص610) سعدي أبو جيب: "القاموس الفقهي" (ص. 392)، ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (1/108) ()
- 2 - عبد الله ناصح علوان: "تربية الأولاد في الإسلام" (144-143/1))
- 3 - البخاري: "الجامع الصحيح" (5/2032) () .
- 4 - محمد عقله: "نظام الأسرة في الإسلام" (2 / 374).
- 5 - رائد عبد الله بدير: "مسميات الزواج المعاصرة بين الفقه والواقع والتطبيق القضائي" (ص.223) حسن شلقامي: "رأي الشريعة في قضايا المرأة المعاصرة"، (ص.210-211).
- 6 - أخرجه أحمد في: "المسند" (333/5)(375/2) والبخاري في: "الجامع الصحيح" (178/6)(76/7) ومسلم في: "الجامع الصحيح" (2287/4).
- 7 - أخرجه الحاكم برقم: (2706) وأحمد، برقم: (23851) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن الملقن في: « البدر المنير » (553/7) والألباني في: «الإرواء»: برقم: (1840)

مسرد المصادر والمراجع:

- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة" تحقيق: محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية بيروت، 1979م
- ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان .
- الأصفهاني: "معجم مفردات ألفاظ القرآن" دار الكتب العلمية. بيروت
- الجزري أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث، دار صادر. بيروت

- حسن شلقامي: " رأي الشريعة في قضايا المرأة المعاصرة " دار التيسير للطباعة مصر 2005م.
- رائد عبد الله بدير: " مسميات الزواج المعاصرة بين الفقه والواقع والتطبيق القضائي " المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر، القدس 2005م.
- سعدي أبو جيب: " القاموس الفقهي " دار الفكر، دمشق، 1998م.
- عبد الله ناصح علوان: " تربية الأولاد في الإسلام " دار السلام دمشق، 1996 م .
- محمد بن أبي بكر الرازي: " مختار الصحاح " تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م.
- محمد عقلة: " نظام الأسرة في الإسلام " مكتبة الرسالة، عمان، 1989 .

مشكلة بناء الإنسان في الحضارة العربية الإسلامية

(قراءة في فكر مالك بن نبي)

أ/ مولاي ناجم

جامعة عمار ثليجي (الأغواط)

- الملخص:

لقد أصبح موضوع النقد الحضاري يحتل مكانة كبرى في كتابات أغلب المفكرين المهتمين بقضايا التقدم والتطور لما للموضوع من علاقة مباشرة بصراع النماذج الإنسانية، فصدام الحضارات أو صراعها يعكس على الأقل وجود قطبين ندين لبعضهما البعض، يسعى كل منها نزع الإعتراف بالتفوق من الآخر.

وأغلب الفلاسفة يعتبرون أن التاريخ بدأ حين دخلت النماذج في دائرة الصراع، فالتاريخ حتما بدأ بشخصين؛ لكن لم يمضي زمن حتى اتسعت الشبكة الاجتماعية فانقسم إلى شعوب وقبائل متعددة الألوان والأجناس، ثم متنوعة الأفكار... الشيء الذي بالفعل أخرج الإنسان من بدائيته إلى مجال الألفة والتجمع وأبداع الحضارات.

لذا يحاول كل جيل أبداع فلسفة التفوق، وتأسيس مذاهب فلسفية وحركات وأحزاب لأجل وضع مفاهيم جديدة عن الإنسان المطلوب من معكوس ما هو عليه سعياً لإثبات وضعه الكوني، ونزع الإعتراف بالوجود من الآخر وفق مبدأ التدافع القرآني، ونظرية التمكين والاستخلاف.

ومنه نجد إن الإنسان النموذج مشكلة جوهرية تجشم البحث فيها كلا من الباحث العربي الإسلامي والباحث الغربي، باعتبار اللحم الحضاري الذي يرأود كليهما في إعادة بناء وصياغة نماذجها الراهنة للتكيف مع الوضع العالمي المتسارع.

ومنه تأتي أوراق هاته المقالة بعنوان : مشكلة بناء الإنسان في الحضارة العربية الإسلامية (قراءة في فكر مالك بن نبي) لتجيب على جملة من التساؤلات أهمها:

- ما معنى مفهوم "الإنسان"؟ وما المقصود بمصطلح "العولمة"؟
- كيف نبي أو نعيد صياغة الإنسان؟
- ولماذا الإنسان أهم عنصر في معادلة الحضارة؟ وما علاقة ذلك بالتغيير النفسي والبعث الحضاري؟

- ولما تعتبر "الفكرة الدينية" كمنهاج إسلامي مفتاح الإشكالية و أساس البناء فيها؟

Abstract:

We have become the subject of criticism of civilization that holds a special place in the major writings of most intellectuals interested in issues of progress and development for the subject of a direct relationship conflict models humanity ,Civilizations collision or struggle reflects at least two ples, one against the other. Each one seeks and shows superiority more than the other.

Most philosophers consider that history began when it entered the models in the cycle of conflict, history inevitably began with two people; but it does not go long until the network social widened to peoples and tribes, multiple colors, races, and then a variety of ideas ... the thing that gets him out of his human beginning to the field of intimacy assembly and creativity civilizations.

This is why every generation tries to set innovation philosophy of excellence, and the establishment of philosophies and movements and parties for the development of new concepts for human required of inverse of what it is seeking to prove his cosmic and derecognised by the presence of the other according to the principle stampede Quran, and the theory of empowerment and succession.

And it found that the human form was a fundamental problem that both Arab and Islamic scholar and west researcher faced , as the dream of civilization which entices both in the rebuilding and the formulation of its current models to adapt to the accelerating global situation.

This is why my intervention comes entitled: the problem of building man in the Arab Islamic civilization (read at the thought of Malik bin Nabi) in order to answer a number of questions:

- What is the meaning of the concept of "man"? What is meant by the term "civilization"?
- How do we build or rebuild man?
- And why is man the most important element in the human equation of civilization? What is its relationship with psychological change and rebirth of civilization?
- And why is "religious idea" considered as a key Islamic platform problematic and the basis of construction?

- تمهيد:

لقد أصبح موضوع النقد الحضاري يحتل مكانة كبرى في كتابات أغلب المفكرين المهتمين بقضايا التقدم والتطور لما للموضوع من علاقة مباشرة بصراع النماذج الإنسانية، فصدام الحضارات أو صراعها يعكس على الأقل وجود قطبين ندين لبعضهما البعض، يسعى كل منها نزع الإعتراف بالتفوق من الآخر. وأغلب الفلاسفة يعتبرون أن التاريخ بدأ حين دخلت النماذج في دائرة الصراع، فالتاريخ حتما بدأ بشخصين؛ لكن لم يمضي زمن حتى اتسعت الشبكة الاجتماعية فأنقسم إلى شعوب وقبائل متعددة الألوان والأجناس، ثم متنوعة الأفكار الشيء الذي بالفعل أخرج الإنسان من بدائيته إلى مجال الألفة والتجمع وأبداع الحضارات.

لذا يحاول كل جيل أبداع فلسفة التفوق، وتأسيس مذاهب فلسفية وحركات وأحزاب لأجل وضع مفاهيم جديدة عن الإنسان المطلوب من معكوس ما هو عليه سعياً لإثبات وضعه الكوني، ونزع الإعتراف بالوجود من الآخر وفق مبدأ التدافع القرآني، ونظرية التمكين والاستخلاف.

ومنه نجد إن "الإنسان النموذج" مشكلة جوهرية تجسّم البحث فيها كلاً من الباحث العربي الإسلامي والباحث الغربي، باعتبار الحُلم الحضاري الذي يراود كليهما في إعادة بناء وصياغة نماذجها الراهنة للتكيف مع الوضع العالمي المتسارع.

ومنه تأتي أوراق هاته المقال بعنوان: مشكلة بناء الإنسان في الحضارة العربية الإسلامية (قراءة في فكر مالك بن نبي) لتجيب على جملة من التساؤلات أهمها:

- ما معنى مفهوم "الإنسان"؟ وما المقصود بمصطلح "الحضارة"؟
- كيف نبي أو نعيد صناعة الإنسان؟
- ولماذا الإنسان أهم عنصر في معادلة الحضارة؟ وما علاقة ذلك بالتغيير النفسي والبعث الحضاري؟
- لما تعتبر "الفكرة الدينية" كمنهاج إسلامي مفتاح الإشكالية وأساس البناء فيها؟

1- التائيل المفاهيمي:

إذا كنا قد حددنا عنوان هذا المقال بـ: مشكلة بناء الإنسان في الحضارة العربية الإسلامية (قراءة في فكر مالك بن نبي)، فإن الاشتغال بهذا العنوان يتطلب منا أن نحدد في البداية مصطلحاته الأساسية و التي التزمنا في تحديدها بمصطلحين أساسيين لضرورة تدأولهما في مقدمة هذا البحث؛ و هما مصطلح "الإنسان" و "الحضارة".

1-1- تحديد مفهوم الإنسان:

1-1-1- لغوياً (جنياولوجيا):

أ - في المفهوم العامي: الإنسان مخلوق آدمياً، وهي نظرة ساذجة و سطحية لخلوّها من الأبعاد واقتصار النظرة على الأعراض لا الجوهر¹.

ب - في اللغة الأجنبية (الفرنسية):

بصفة عامة نستطيع تسمية "الإنسانية" (HUMANISME): كل ما يتعلق بكرامة الإنسان، والقيمة العليا، مما يجب تحفيز أكثر من الدفاع على أخلاقيات الاقتصاد، الدين، وبشكل كلي نستطيع التكلم عن "الإنسانية المسيحية" وغيرها.

¹ - عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، دار الغرب، د (ط، س)، ص 05.

بهذا المعنى "الإنسان" يتواجد في مجالات فلسفية متعددة (شخصانية ووجدانية) غير مُجدية في تاريخ المجتمعات لصراعاتها حتى اليوم، حيث ظهر مفهوم "الإنسان" بصورة تشكل خطر بإقصاء بعض الأفراد خارج المفهوم الراقى له؛ وهذا ما يتضح لنا من "الإنسانية التقليدية" التي رُفضت بشدة من طرف الفلاسفة مثل: "كارل ماركس" Karl Marx (1818-1883م) و" فريدريخ فيلهلم نيتشه" Friedrich Nietzsche (1844-1900م) بتقديمها مفهوم مختلف للإنسان، أو ما يجب أن يكون عليه الإنسان حسب رأيهما¹.

ج- في اللغة العربية:

فالإنسان أصله اللغوي إنسيان، وأصل الكلمة عند العرب القدامى تأخذ معنيين الأول: أنسيان على وزن أفعالان و تعني النسيان؛ و العلة عند مُعتقديهما ترجع إلى كون سيدنا "آدم" - عليه السلام - نسي ما عُهد إليه من قبل الله، و عليه سمي بذلك؛ والمعنى الثاني: ينطبق من الأُنس أي الألفة ويكون على وزن فعليان².

كما أن الإنسان من الإنس مثنى بصيغة المفرد (إنس - إن) فالإنسان جنس، آدم و حواء، الرجل و المرأة نوعان من جنس واحد³، و من (أنس) اشتقت إنسانية (Humanité) (كمصدر صناعي من كلمة إنسان)، وهي تعني جملة الخصائص التي تتميز بها البشرية عما سواهم من الحيوانات مثل: العقل والسيطرة على الهوى، و تقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، أو هي عطف الإنسان على أخيه الإنسان و احترامه و تقديره بقطع النظر عن وضعيته الاجتماعية و السياسية، وهي بهذا المعنى تقابل التمييز العنصري، ومنه أنسية (Humanisme) مذهب من يجعل الإنسان في صدارة القيم. أما بالنسبة إلى الحكمة الإلهية كما هو الشأن لدى المؤمنين، وإما على وجه الإطلاق كما الشأن لدى الملحدين، و منه أيضا تأنس (Sociabilité) بمعنى محبة العيش مع الجماعة و الميل إلى معايشة الآخرين بالحسنى، و يقابله التوحش⁴.

¹ - Gérard Durozoi .André Roussel. **Dictionnaire de philosophie** -Nathan. Imprime en France par I.M.E 2003 .P.P185-186.

² - المرجع الأسبق، ص 05.

³ - خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الفلسفية، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1995، ص (25، 26).

⁴ -محمود يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1973، ص (12-13).

1-1-2- أما في الاصطلاح:

سوف نتناول مفهوم الإنسان في مصطلح عديد من العلوم خصوصاً (علم المنطق- البيولوجيا- الفلسفة...)

أ- في المنطق:

الإنسان من الوجهة المنطقية جنس قريب، و عند بعض النوع (Espece)، و إذا اعتبرنا الحيوان جنس (Genre)، و قد يختلط مفهوم الإنسان مع الرجل؛ والفرق بينهما أن الإنسان جنس و الرجل نوع، و بالتالي فالإنسان يخص الذكر والأنثى.

ب- عند البيولوجيين:

كائن حي من المنظور أنه يقوم بوظائف كالتغذية، الإحساس، الحركة، التنازل، لكن هذا المفهوم للإنسان كحيوان تترتب عنه عدة فلسفات سفلت الإنسان تسفيلاً.

ت- أما في الفلسفة:

فنجد تعاريف متعددة حيث إن الفلاسفة وضعوا لمفهوم الإنسان عدة مفاهيم نذكر منها:

- الإنسان الصانع (Home -Faber) من جهة أنه يصنع نفسه، ويصنع الموجودات التي يتم بها وجوده.

- الإنسان العاقل (Home - Sapiens) من حيث كونه يفكر، و يتولد وجوده من تصوره من حيث كونه موجود لذاته (Être Pour Soit).

- الإنسان الاقتصادي (Homo - Economicus)¹.

ث- وعند فلاسفة الإسلام:

نجد "إبن سينا" (980- 1037م) يعرفه في كتابه (النجاة) برأيه ليس الإنسان إنساناً بأنه حيوان أو مائت، أو أي شيء آخر؛ بل إنه مع حيوانيته ناطق". ويضيف في كتابه (الشفاء) الإنسان جوهر له امتداد في أبعاد مادية تفرض عليه الطول والعرض والعمق، ومن جهة أخرى يمتلك نفساً بها يتغذى و يحس ويتحرك، ومع ذلك يمتلك عقلاً به يفهم الأشياء ويتعلم الصناعات و عندما يتحد كل ما سبق نحصل على ذات متحدة هي الإنسان.

¹ - عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، ص (8 - 20).

كما نجد عند "أبي نصر الفارابي" (872م - 950م) إن الإنسان منقسم إلى سر وعلن، أما علنه فهو الجسم المحسوس بأعضائه وأمشاجه، وقد وقف الحس على ظاهره و دل التشريح على باطنه أما سره فقوى بروحه.

ج- أما عند المسلمين عامة:

لا يخرج مفهوم الإنسان عن ثنائية الجسد و الروح التي هي كوحدة تمثل ماهية الإنسان و جوهره و أن الخلل إذا حدث في سير علاقتهما حدث الانتكاس، وصارت الذات نحو عالم البهيمية أو نحو الهمجية.

ح- وعلى غرار ذلك نجد الفلسفة الإلهية (The dicee): ترى أن مفهوم "الإنسان" لا يخرج عن المعنى القائم بالبدن، ولا يخص بذلك الهيكل؛ وإنما الشيء الذي يحرك البدن ولعل رأي "أبو الحسن الأشعري" (874-936م) مأخوذ من نظرته حين يرى بأن الإنسان هو هذه الجملة المصدرية، ذات الأبعاد والصور.

7- وعند الصوفية على العموم:

لا يخرج هذا المفهوم عن كونه برزخ بين الوجود والإمكان، و المرآة الجامعة بين صفات القدم والحدثان، والواسطة بين الحق الذي هو الله والخلق.

8- وعند الفلاسفة الغربيين:

نجد "الإنسان الشمولي" (Total Man) مصطلح فلسفي، ورد في نصوص "كارل ماركس" (1849, Les Manuscrits de k-markx) و يدل على العلاقة المتبادلة بين الفرد و المجتمع من جهة وصورة مثالية معينة من جهة ثانية. كما ورد عند الإناسي الفرنسي "مارسيل موس" (M. Mauss) (بحث في الوهب) في سياقه عرفه الواقعة الاجتماعية الشمولية، أو الكلية المتحققة باختيار فردي شمولي¹.
وكتعريف جامع مانع يمكن أن نقول أن الإنسان كائن حي عاقل، يأنس ويتأنس، و هو أيضا واسطة جوهرية - من الروح و البدن- بين الحق الذي هو الله و الخلق، كمفهوم نحاول أن نتقرب به إلى مفهوم "الإنسان".

1-1-3- تاريخياً (كرونولوجياً):

إن جدلية الإنسان والتاريخ تجعلنا نرتبط دوماً بفكرة "الإنسان الكامل"، أو ما يسميه البعض "الإنسان النموذج" باعتبارها فكرة تطرح نفسها عبر صيرورة التاريخ. ففي فلسفة "أفلاطون" (Platon) (429-347م)

¹- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الفلسفية، ص25.

كان "الإنسان الفاضل" نموذجاً جديداً يحاول أحداث القطيعة مع "الإنسان السفسطائي" الذي لم يعد مرغوباً فيه حتى مع "سقراط" Socrate (470-400 ق م) نفسه.

كما أن مشكل الانحطاط في عمقه الحقيقي هو الإنسان، لأن الحلول الأخرى تبقى عاجزة إذا أهمل الإنسان، وهذا ما يفسر انحطاط العالم الإسلامي و العالم الثالث بأجمعه؛ هذا و إن كان العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين ميلادي شهد حركة إصلاحية نهضوية لكنها لم تستطع تحقيق القطيعة ولا النهضة كونها اهتمت بالعقيدة، و أهملت الإنسان كمشكلة، و هذا ما يمكن أن يفسر السؤال الحاضر في الخطاب الإصلاحي باستمرار لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟¹.

فإذا كانت الحركة الإصلاحية النهضوية انطلقت من حديث الرسول (ص): «...وَتَقَرِّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»². فإن القومية كتيار ارتبط ظهورها بالتواجد التركي جعلت نموذجها المركزي "الإنسان الغربي"، فأغلب أدياء الخمسينيات امتازوا بهذه النزعة؛ و إن كان لها دعاة غربيون أمثال: فلاسفة الألمان فيخته جوهان غوتلوب "Fichte Johann-Gottlieb (1762-1814م) و"فيورباخ لودفيغ" Feuerbach "Ludwig (1804-1872م) و"نتشه" و"يدغر مارتن" Heidegger Martin (1889-1978م)، وفي تصورها هذا تنطلق من نماذج جاهلية كعمر و بن كلثوم (526-584م)، "عنترة العبسي" (525-608م) أو نماذج إسلامية ك"هارون الرشيد" (766-809م)، و "المعتصم بالله" (796-842م) و غيرهم من عظماء ونواب العرب.

فاختيار النموذج الماضي الرجوع لبعد الذات العربية عن واقعها مما لم يساهم في ايجاد حل لمشكلة الانحطاط التاريخي التي عرفها العرب عبر مرور الزمن.

وفي مرحلة متقدمة ظهرت محاولة لأحداث القطيعة مع ماضوية عصر النهضة شعارها كان علمانياً متأثر بالفكر الشيوعي الماركسي، و متخذةً من الإنسان النموذجي الماركسي أصلاً، و مثل هذا في فكر العرب كل من "حسين مروة" (1910-1987م)، "الطيب تيزيني" (1934م-) و غيرهم، و إن كان هذا النموذج لا يمت بصلة لواقعنا، وهذا واضح أيضاً عند الباحث "عبد القادر بوعرفة" في كتابه "الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي".

¹- المرجع نفسه، ص (8 - 20).

²- رواه الترمذي (2641) وحسنه ابن العربي في " أحكام القرآن " (3 / 432)، والعراقي في " تخریج الإحياء " (3 / 284)، والألباني في "صحيح الترمذي".

كما نجد أسطورة الفهم المادي للإنسان القائلة « إن الطبيعة تشكل نقطة انطلاق التطور الإنساني »¹. فالإنسان جزء من الطبيعة، وهو لذلك بحاجة إليها كشرط طبيعي لوجوده، و من هذا نستنتج إنه حتى العمل الذي يرى البعض بأنه جوهر هذا الإنسان هو في الأصل من منطلق مادي بيولوجي، و بالتالي يمكن القول عن الإنسان أنه يملك «طبيعة هي تاريخية و تاريخياً هو طبيعي»² كما قال "فريدريك أنجلز" Friedrich Engels (1820-1895م)، و المقصود هنا أن التطور التاريخي منطلقه هو الطبيعة والإنسان ليس بجوهر مختلف عنها، فتفاعلها مع بعض يساهم في تحقيق الإنسان بجوهره الكامل والفكرة نجد شرحها عند "كارل ماركس"، إذ يقول: « إن التاريخ نفسه هو جزء فعلي من تاريخ تكوين الإنسان للطبيعة »³.

و"فرانكلين" Benjamin Franklin (1706-1790م) عندما يعرف الإنسان « حيواناً يصنع الأدوات»⁴. كما هو مشار له عند "كارل ماركس"؛ عند توضيح العلاقة بين الإنسان والطبيعة والمجتمع "فكارل ماركس" يرى أن في الطبيعة شرطاً لا للوجود الفيزيائي فحسب، بل و بالدرجة الأولى للوجود الاجتماعي حتى أنه فسر علاقة الإنسان بالمرأة هي العلاقة الأكثر طبيعية للإنسان بالإنسان، إذن الطبيعة أصل الإنسان والمجتمع وعلاقة الإنسان بالإنسان⁵.

كما أن بالعمل وحده ارتقت اليد الإنسانية إلى هذا المستوى الرفيع من الكمال الذي استطاعة فيه وبقوة تكاد تكون سحرية توجد لوحة "رافائيل" وتمثال "تورفالدسين" وموسيقى "باغانيني" كما رأى "كارل ماركس"⁶.

1-2-1- مفهوم الحضارة:

1-2-1- لغوياً (جنياولوجياً):

أ- في المفهوم العام: تعني كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والأدب والعلوم⁷.

¹ - k- markx, **les manuscrits** de 1844 – Tard Botticelli – Ed .Soc .Paris. 1969. P. 61.

² - Friedrich Engels, **L'idéologies allemande** – Tard – Aiger– Ed . Soc. Paris 1968.

³ - k- markx, **les manuscrits**, Op. Sit. P.96.

⁴ - k- markx ,**Le capital** – trad. Roy. Ed. Soc. Paris. 1977. p. 138.

⁵ - راجع: عباس فيصل، **الإنسان و الفلسفة**، دار الفكر العربي، دط، بيروت، 1996.

⁶ - كارل ماركس، **مختارات**، دار التقدم، دط، موسكو، 1970، ص07 و ما بعدها.

⁷ - بدوي عبد الرحمن، **الإنسان الكامل في الإسلام**، وكالة المطبوعات الكويت . ط 2، 1976.

ب- في اللغة الأجنبية (الانجليزية): كلمة (Civilisation) في الانجليزية كانت تدل على المدينة بدلالاتها الطبيعية ثم تطورت إلى معنى الحضارة بمعناه الواسع¹. والبعض يرى في اللغة الانجليزية الحضارة ترجمت لكلمة (Civilisation) وهي بمعنى مدني، أو من معاني المدينة، أو ما يتعلق بساكن المدينة حيث تقوم الحياة الحضرية عادة في المدن².

ت- في اللغة العربية:

- هي الإقامة في الحضر (عن أبي زيد)، وكان (الأصمعي) يقول الحضارة، ورجل حضر: لا يصلح للسفر، وهم حضور أي حاضرون، والحضر والحضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم القرار فيها³.

1-2-2- في الاصطلاح:

لا يوجد هنا تعريف واحد بل تعاريف مختلفة كلاً حسب اهتماماته العلمية والفكرية، نذكر بعض التعاريف المهمة:

أ- عند الفلاسفة:

- "أندري لالاند" Lalande André (1867-1963م) لقد عرفها: «هي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية، جمالية، فنية، تقنية أو علمية، ومشاركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض، أو في عدة مجتمعات مترابطة (الحضارة الصينية، الحضارة المتوسطية...)⁴».

- أما "إبراهيم مذكور" قال: «الحضارة ضد البداوة، وتقابلها الهمجية والوحشية، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني»⁵.

- أما الباحث الجزائري "محمود يعقوبي" فقد حدده قائلاً: «هي جملة الخصائص التي تميز الظواهر الاجتماعية في مجتمع، أو عدة مجتمعات وتتناقلها الأجيال وتطبع تصرفاتهم الدينية والخلقية والفنية

¹- المرجع نفسه، ص (113 - 115).

²- ar.wikipedia.org/wiki/2012-07-31 (يوم: 2012-07-31م على الساعة: 22:47). حضارة-

³- ابن منظور، لسان العرب، تح وتصح: عبد الله عي الكبير وآخرون، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1981، ص907؛ أنظر أيضاً: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1982، ص475.

⁴- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تع: خليل أحمد خليل، تع واش، أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت باريس، 2001، ص172.

⁵- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، دط، جمهورية مصر العربية، 1983، ص73.

والعلمية والتقنية بطابع الوحدة»¹. وللتعبير عن هذا المعنى تقريباً أستعمل "ابن خلدون" (732-808هـ) كلمة "ال عمران" التي كانت ترادف كلمة "المدينة" أي العيش في المدينة.

- "مالك بن نبي" * (1905-1973م) فالحضارة عنده: «لا توضع في مقابل البداوة، كما يذهب إلى ذلك معظم المفكرين لأن في ذلك طمس للمعالم التي تمثل روافد حضارة مجتمعنا العربي الإسلامي والتي نتغنى بمحاسنها في أدبنا كقولنا: (وفي البداوة حسن غير مجلوب) وهي ليست مرادفة لكلمة المدينة كما يذهب إلى ذلك مؤلف كتاب "قصة الحضارة" "ويل ديورانت" William James Durant (1885-1981م)، فالحضارة عنده سياق حضارة للإنسان تحميه من الهمجية، كما أن الحضارة توضع في مقابل البدائية لا البداوة، وتصبح الحضارة عنده: مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه»².

1-2-3- كرونولوجيا الحضارة:

أ- عند القدماء:

لقد أستعمل لفظ الحضارة قديماً، فأن أول من أطلق على معنى قريب من معناه الحاضر هو "ابن خلدون" ففرق في مقدمته بين العمران والبدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود.

فالبداوة أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر، لأنهم يقتصرون على انتحال الزراعة والقيام على الحيوان لتحصيل ما هو ضروري لمعاشهم أما الحضر فإن انتحالهم الضائع والتجارة بجعل مكاسبهم أكثر من مكاسب أهل البدو وأحوالهم في معاشهم زائدة على الضروري منه، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة فإن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران³.

¹ - محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1998، ص38.

* مالك بن نبي: مفكر جزائري ومهندس ومهتم بالدراسات الاجتماعية، وأحد رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر كانت غالب إنتاجاته بالفرنسية، وترجمت كتبه إلى العربية من كتبه (شروط النهضة، الظاهرة القرآنية، الفكرة الأفريقية الآسيوية، القضايا الكبرى، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع....).

² - راجع: مالك بن نبي، آفاق جزائرية، للحضارة- الثقافة- للمفهومية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، دط، دس، ص (46-47)، وأيضاً: أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص 144.

³ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 476.

ب- عند المحدثين:

للحضارة عند المحدثين معاني ثلاثة: أحدها موضوعي مشخص وثانيها ذاتي مجرد، أما ثالثها

بمعنى مرادف للثقافة:

أ- المعنى الموضوعي:

فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى آخر من مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، تقول "الحضارة الصينية"، "الحضارة العربية"، "الحضارة الأوروبية"، وهي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها، ولكل حضارة نطاقها (Aire) وطبقاتها (Couches)، ولغاتها (Langues)، فنطاقها هو حدودها الجغرافية، وطبقاتها هي أثارها المترakمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد، أو في عدة مجتمعات، ولغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية والتاريخية والعلمية والفلسفية¹.

ب- وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد:

فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش، أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة، فإذا كان الفرد متصفاً بالخصال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا أنه متحضر، وكذلك الجماعات فإن تحضرها متفاوت بحسب قربها من الصورة الغائية أو بعدها عنها.

ومع أن الصورة الغائية للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان، فإن اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة، وتتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي والتقني، و انتشار أسباب الرفه المادي، وعقلانية التنظيم الاجتماعي، والميل إلى القيم الروحية، والفضائل الأخلاقية، فالكلام على الحضارة بهذا المعنى لا يخلو من التقويم والتقدير².

ت- والحضارة بمعنى ما مرادفة للثقافة:

إلا إن هذين اللفظين لا يدلان عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على "تنمية العقل والذوق"، وبعضهم يطلقه على "نتيجة هذه التنمية"؛ أي على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات، وكذلك لفظ الحضارة، فإن بعضهم يطلقه على "اكتساب الخصال الحميدة"، وبعضهم يطلقه على "نتيجة هذا الاكتساب"، أي على حالة من الرقي والتقدم في حياة المجتمع

¹- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بأكملها، وإذا كان بعض العلماء يطلق لفظ "الثقافة" على المظاهر العقلية والأدبية، فإن بعضهم الآخر يذهب إلى عكس ذلك، كما إن لفظ "الثقافة" يدل عند علماء "الأنثروبولوجيا" على مظاهر الحياة في كل مجتمع، متقدماً كان، أو يدل على مظاهر الحياة في المجتمعات المتقدمة وحدها.

وخير وسيلة لتحديد معنى كل من هذين اللفظين إطلاق لفظ "الثقافة" على مظاهر التقدم العقلي وحده، وهي ذات طابع فردي، وإطلاق لفظ "الحضارة" على مظاهر التقدم العقلي والمادي معاً، وهي ذات طابع اجتماعي¹.

* المنطلقات المرجعية لفكر "مالك بن نبي" الحضاري:

أن المفكر "مالك بن نبي" في صياغته لنظرية حول "شروط النهضة" سلك مسلك النموقرطي (من ناموس أي المعايير والقوانين الذي بلوره الجيل الأول من مدرسة الأخوان المسلمين، وخصوصاً الفقيه و القاضي "عبد القادر عودة" في كتبه (الإسلام وأوضاعنا القانونية، الإسلام وأوضاعنا السياسية، التشريع الجنائي الإسلامي)، وهو مسلك يتمحور حول مسألة الصياغة الإسلامية للتشريعات النازمة للشأن الجماعي، كما سلك أيضاً المرجعية التطورية المستقلة لدى الأديب والناقد "سيد قطب"، (1906-1966م) والذي تحول تدريجياً إلى مفهوم الحاكمية والعزلة الشعورية ورفضه الحداثة كجاهلية جديدة².

كما إننا نجد مهندس الحضارة العربي وفقهها مستلهماً في تناوله للإشكالية الحضارة العربية والإسلامية من "إبن خلدون" (1332-1406م) في عصبية المجسدة للتعاقب الحضاري، وإضافة إلى منطلقات هذه المرجعية العربية تضاف منطلقات غربية لجأ إليها "مالك بن نبي" لصياغة نظريته العالمية التي ترى إن الإسلام ليس له أي خصوصية في المبدأ، بل جميع الحضارات لها امكانية نهوض ذاتية منسجمة مع خصوصياتها العقدية والتاريخية، ومن الواضح أن "مالك بن نبي" يستند في هذه الأطروحة لآراء كلا من المفكرين (أزوالد شبنجلر "Oswald Spengler (1880-1936م)، و"أرنولد توينبي" Arnold J. Toynbee (1889-1975م) في فكرة التحدي و الاستجابة الكامنة في خلق البناء الحضاري مؤكداً في ذلك على خطوة هامة هي الموازنة بين المنهج الأفقي في شبكة العلاقات الاجتماعية المتينة التي تربط الإنسان بمجتمعه، وبين المنهج العمودي في هذه الشبكة التي تربط الإنسان بالسماء، ويمكن أن نقول في الأخير أن منهجه عقلاني نقدي باعتباره باحثاً شمولياً في مجال الحضارة والتاريخ³.

¹ - المرجع نفسه، ص 477.

² - السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، دط، بيروت، 2010، ص (135، 134).

³ - عبد الرزاق قسوم، إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994، ص (290، 291).

إذ تعتبر التجربة العميقة والعنيفة في الوقت نفسه بأبعادها الروحية والفكرية والاجتماعية هي أيضا جعلت "مالك بن نبي" يعلم علم اليقين إن الإسلام بعقيدته الموحدة وفكره المنفتح على العقل منذ بدايته وهي "إقرأ"، وروحه الاجتماعي من مساواة وتضامن وأخوة أقدر على مواجهة الحضارة الغربية، والانتصار عليها، ولكن المشكلة هي في المسلمين لا في الإسلام!؟

هذا وقد اعتبر "مالك بن نبي" حركة الإمام "عبد الحميد ابن باديس" (1889-1940م) "بداية معجزة البعث"¹، في الجزائر حيث إستيقظ المعنى الجماعي، وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب²، كما سُمي ذلك النهج الصغير الذي كان يوجَدُ به مكتب الإمام "شارع الفكر"³، وربطاً للفكرة الدينية بالعمل في الحياة نذكر إدخال "مالك بن نبي" "مجلة الشهاب" للإمام "ابن باديس" لمدينة "أفلو" 1927م التي تحمل مسؤولية الدفاع عما بقي من تلك الفضائل والقيم وإحياء ما مات منها وإصلاح ما أفسده الاستعمار، والمقصود هنا المعلومات المتعلقة بجريدة "الشهاب"⁴.

* الأسس المفاهيمية لبناء الحضارة عند "مالك بن نبي":

إذا كانت الحضارة بالنسبة "مالك بن نبي" مفهوم كوني يتجاوز الخصوصيات الدينية، ولها قانون كلي يصوغه على شكل معادلة كيميائية (الحضارة = إنسان + تراب + وقت)، ويوضح هذه المعادلة بقوله: « إن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت فلكي نقيم بناء حضاري لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها »⁵.

وهذا ما شرحه بالتفصيل في أول كتاباته الأولى التي صاغ فيها نظريته حول "شروط النهضة" في نهاية الأربعينيات، ويعتبر "مالك بن نبي" أن "العامل الديني" هو الذي يؤثر في مزج هذه العناصر في ما بينها، بيد أنه يأخذ "الدين" هنا بمعناه الأنثروبولوجي الواسع، أي العلاقة بالمقدس المؤسس « فالحضارة لا تتبعث إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها... فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق، دار الفكر، 1979، ص23.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، دار الفكر دمشق، ط2، 1984، ص106.

4- المرجع نفسه، ص 180، وأيضا راجع: محمد ناصر، الصحف العربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

1980، ص 58.

5- السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص(135، 136).

ومنهاجاً، أو هي على الأقل تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قدر للإنسان إلا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يكشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معه»¹.

حيث يشكل البناء الحضاري إعادة تركيب للمجتمع، وإعادة بناء للإنسان وذلك وفق التجديد الدقيق لمدلول الحضارة، وبناء الإنسان المقصود به الغاية التي تربط المجتمع بالإنسان والعكس صحيح، وهنا اجتماعية المجتمع كعلاقة أفقية، والغاية التي تربط الإنسان بالله كعلاقة عمودية؛ و الهدف الحقيقي هنا يجمع المجتمع والإنسان لتأكيد الحقيقة الدينية القائلة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾². وهذا مرادفاً لمقولة "مالك بن أنس" -رحمه الله-: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»³.

والبناء هنا سواء تعلق بالفرد أو بالمجتمع تسبقه عملية إخلاء، كما يقول بعض الفلاسفة؛ وذلك هو التغيير الذي ينشده المجتمع الإسلامي كما قال "مالك بن نبي": «غير نفسك تغيير التاريخ»⁴، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾⁵.

وعليه ترى النظرية الفلسفية التاريخية الدينية لـ"مالك بن نبي"، والتي جسدتها معادلته العجيبة التي تعيد إشكالية الحضارة إلى وجوب البدء بحل المشكلات الثلاثة الأنفة الذكر؛ فلكي نقيم حضارة ما يقول "مالك بن نبي": «يجب أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم»⁶. إن الإنسان في هاته المعادلة هو مفتاح الإشكالية، وهو أساس البناء فيها، وبالإضافة يحتكم "مالك بن نبي" إلى ما يسميه بمختبر التاريخ ليدلنا على المركب (Cataliseur) الذي يتدخل في تركيب العناصر الثلاثة، المتمثل في "الدين" كمركب عام لجميع أنواع الحضارات الإنسانية.

1- المرجع نفسه، ص 136.

2- القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77.

3- القاضي اسماعيل بن اسحاق الجهضمي المالكي، المبسوط، أنظر أيضاً: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - صل الله عليه وسلم - (88/2).

4- مالك بن نبي، مفكراً إصلاحياً، ص 194.

5- القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.

6- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 40.

* المقومات المعرفية لمنهج "مالك بن نبي" الحضاري:

لقد دشّن "مالك بن نبي" مسلكاً جديداً في تفسير القرآن الكريم وتأويله في كتابه (الظاهرة القرآنية) الصادر سنة 1946م، الذي قدم فيه نهج جديد للدراسات الكلامية؛ وتعد رؤيته جديدة للإعجاز القرآني خارج المناهج البيانية والأسلوبية التي هيمنت على الدراسات القرآنية القديمة، وفي مقابل الأطروحات الإستشراقية التي نفذت إلى الفكر العربي وأنها عن طريق المناهج الشكية الديكارتية مثل: (طه حسين 1889-1973م))¹.

- فما هي المقومات والمميزات المعرفية لهذا المنهج الجديد؟ وما علاقته بالمنهج الإستشراقية؟

أ- المقومات المعرفية لمنهج "مالك بن نبي":

يقوم منهج "مالك بن نبي" على المقاربة الاجتماعية بمعنى أنه "منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية" وهو منهج يحقق من الناحية العلمية هدفاً مزدوجاً هو:

- أنه يُتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناصح في الدين.
- أنه يقترح إصلاحاً مناسباً للمنهج القديم في تفسير القرآن الكريم.

كما أن المنهج يشكل محوراً أساسياً من مشروعه الإصلاحية، باعتبار أن النص القرآني هو الدعامة المرجعية لسلوك المسلم، وباستثماره يتم العمل على تغيير وجهة المجتمع المسلم والنهوض به².

ب- منهجه في نقد المستشرقين:

يعتبر "مالك بن نبي" من الأدباء والمخلصون والمؤرخون الغيورين على دينهم وحضارتهم، حيث خصص بعض جهودهم للرد العلمي على مزاعم المستشرقين وأخطائهم نجده يعتمد إلى إجراء تقييم عام لإنتاجهم مُطللاً تارة، مستشهداً ومبرهنناً تارة أخرى، منتهجاً الأسلوب المقارن أحياناً، راکناً إلى التحقيق والتجربة أحياناً أخرى، متفرساً مستطلعاً أبناء التاريخ مستخلصاً العبرة مرة أخرى، مستخرجاً نظرية يوماً مُسطراً قاعدة عامة يوماً آخر تفيد في التوقعات، أو التحذير، أو المواجهة، أو في شتى الفعاليات³.

ت- مميزات منهجه المعرفي:

امتاز هذا المنهج المعرفي بعدة خصائص جعلته يتميز بالاستقلال والإنفتاح في الوقت نفسه، ومن أهم النقاط التي تميز بها نذكر ما يلي:

- حرصه على حصانة الفكر الإسلامي و أصالته و صفائه وفعاليتته.

¹- السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص(136، 137).

²- المرجع نفسه، ص 138.

³- محمد البشير مغلي، مالك بن نبي كان أمة واحدة، مجلة الموافقات، العدد الثالث، جوان 1994، ص (287، 288).

- كان يتسم بحساسية مرهفة تجاه أحابيل العدو الذي كان يسميه بـ"الأخر" "L'AUTRE" أي المجهول الصورة، ويلومه عن بعد المؤامرات الفكرية التي يديرها.

- حرصه على المغايرة والتمييز والجدية والسلوكية في بناء الشخصية الفكرية.

- اعتماده على التحليل الرياضي والمنطقي والفلسفي، والمنهج النفسي والاجتماعي لاستجلاء مكونات القضايا الفردية والمجتمعية.

- تحليله كان تحليلاً غائياً يستهدف الوصول إلى بضاعة التفكير الإسلامي وإبداعه و قدرته على إيجاد الحلول وغرسها في إذهان شباب ما بعد الاستقلال، كما أنه لا يقف على الداء لمجرد الإمداد بالعلاج أو الوقاية، ولكنه يُلقن مع ذلك منهج الكشف ومنهج الوقاية، والتحليل والرتابة والتحقق والتصويب ومنهج تشخيص الأمراض وتبين الأغراض¹.

* المسار الحضاري الإسلامي من واقع الأزمة إلى أفق الحل:

إن الجوهر الحقيقي في مشكلات الحضارة هو "مشكلة الإنسان"، وأن حل هذه الأخيرة يكون في عناصر ثلاثة أساسية هي: توجيه الثقافة، وتوجيه العمل، وتوجيه رأس المال. وحل "مشكلة الأرض" يكون بغرس قيم العمل والعمل الإستراتيجي لإصلاح الزراعي واستخدام الموارد المتاحة وحسن استغلالها. وحل "مشكل الوقت" باستبدال زمنية العدم والتلاشي بزمنية الفعل والنشاط والتوجيه المستقبلي².

وعن الرؤية الحضارية يقول "مالك بن نبي" إن الحضارة قيم كونية، ومسار إنساني موضوعي - أي سنن إلهية لا تتغير - مفتوح لمختلف الأمم من منطلق خصوصياتها: « إن من الواجب ألا نوقفنا أخطاؤنا عن السير الحديث نحو الحضارة الأصلية توقفنا خشبة السخرية أو الكوارث، فإن الحياة تدعونا أن نسير دائما إلى أمام... حتى نرى أن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملفقة ولا مظاهر خلافة وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم جميع أسيانها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية»³.

من هذا المنظور أعتبر "مالك بن نبي" أن التعليل في التخلف والانحطاط بالمسؤولية الاستعمارية مجرد حيلة زائفة لتبرير الوضع المختل الذي أدى إلى الاستعمار، ومن هنا نتحدث عن إبداعه لمفهوم "القابلية للاستعمار" فالشعوب المستعمرة هي التي توصلت أوضاعها الاجتماعية والثقافية إلى مرحلة أصبحت فيها جاهزة للاختراق والاحتلال وتكبير الإرادة: « إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا

¹- المرجع نفسه، ص 288.

²- السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص(136، 137).

³- المرجع نفسه، ص 137.

الاجتماعية إلا أنه درس أوضاعنا النفسية العميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد كصواريخ موجهة يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبقاً يتحدث فيها وأقلاماً يكتب بها، أنه يسخرنا له بعلمه وجهنا»¹.

أ- الإنسان وأبعاد التغيير النفسي والبعث الحضاري:

إن انطلاق "مالك بن نبي" من مرجعيات الفكر الإصلاحية يجعلنا لا نستغرب اهتمامه بفكرة التغيير النفسي والاجتماعي التي جعلتها الحركة الإصلاحية شعاراً لها ومنهاجاً وهذا في دراسات مشكلات الحضارة الإنسانية تماشياً مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾².

وهذا يعني لنا باختصار أن سنة التغيير هاته تربط تغيير الأوضاع الاجتماعية بتغيير الأحوال النفسية لأن نرقي النفوس لما هو أفضل يستلزم عنه رُقي في المجتمع وتطوره المعنوي والمادي والعكس صحيح وكمثال عن التغيير نحو الأدنى هو ما يترتب عن الكفر بالنعمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ⁴.

- وعليه يمكن أن نتساءل: ما هي شروط التغيير النفسي والبعث الحضاري؟

- تتمثل شروط التغيير النفسي والبعث الحضاري في النقاط التالية:

تطهير القلوب وتطهير النفوس أصبح مطلباً حضارياً في صناعة إنسان اليوم واستخلافه على الأرض لأنه أساس التغيير نحو الأفضل والعودة من سيطرة الغرائز والعقل إلى سيطرة الروح المزين للنفس بالإيمان وحب الخير كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁴.

استقامة الإنسان مع نفسه تجعله لا يقبل إلا سلطة حاكم مستقيم مع دينه، فإذا تصورنا مجتمع جاهل لا يمكن أن يرضى بحكم عالم فالعكس صحيح.

1- المرجع نفسه، ص 137.

2- سورة الرعد، الآية 11.

3- سورة الأنفال، 52، 53.

4- سورة النور، الآية 55.

ولذلك يرى "مالك بن نبي" أن أساس التربية المدنية يحصل بتلقين كل فرد من أفراد المجتمع هذه المبادئ التي عبر عنها بقوله: «فلتغيير الدولة يجب أن تغيير نفسك»¹. وكذلك قوله أيضا: «غير نفسك تغيير التاريخ»².

وكمثال لتوضيح مسألة "التغيير النفسي" إذا رجعنا إلى مصطلح "مالك بن نبي" "قابلية الاستعمار" في علاقتها بتواجد الاستعمار في البلدان الإسلامية ما هو إلا حتمية نفسية مرضية، لذا أوصى بإنشاء "علم الاجتماع المرضي" في البلاد الإسلامية لتشخيص جميع الآفات الاجتماعية وإيجاد حلول لها وصل به الأمر إلى اقتراح "علم اجتماع الاستقلال"³.

إذا إن المسألة الجوهرية في التغيير الحضاري مرتبطة بالإنسان وهي نفسه التي بين جنبيه، وهذا ما قال عنه المولى عز وجل: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾﴾﴾**⁴. فإذا عوض الإنسان بالنفس في المعادلة الحضارية عند "مالك بن نبي" والمتكونة من جانبين هما **الفجور والتقوى** فيكون مايلي:

- **نفس = فجور / تقوى.**
- **الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت.**
- **الحضارة = (فجور / تقوى) + التراب + الوقت.**
- فإما إذا كانت نفس الإنسان "نفساً فاجرة" تصير الحضارة صفيرية:
- **ح=0 (فجور) + (تراب + وقت).**
- والعكس إذا كانت نفس الإنسان "نفساً تقية" تصير الحضارة واحدية:
- **ح=1 (تقوى) + (تراب+وقت)⁵.**

¹ - مالك بن نبي، علم الاجتماع الاستقلال، الثورة الإفريقية، 1969، وأنظر أيضا: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دط، بيروت، دمشق، 1986.

² - مالك بن نبي، علم اجتماع الاستقلال، الثورة الإفريقية، ماي 1965، المقال المنشور في كتابه: بين الرشاد والتهيه، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت دمشق، 1978.

³ - محمد سعيد مولاي، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994، ص 308.

⁴ - القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية، (7-10).

⁵ - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 32.

وبناء على هذا على هذا المنظور تتضح إشكالية التغيير والانبعاث الحضاري، وتتخلص في التوجيه الفعلي لحركة التاريخ نحو احدى الحضارات البشرية الصفرية أو الواحدية السامية واللذان توجد بينهما جميع أنواع الحضارات البشرية المتفاوتة فيما بينها بقدر اقترابها من الأولى أو دنوها من الثانية.

- فكيف يا ترى "مالك بن نبي" اقترح صناعة الإنسان ضمن البناء الحضاري الجديد؟ وما هي الميكانيزمات اللازمة لذلك؟

ب- كيفية بناء أو إعادة صناعة الإنسان في حل المشكلة الحضارية:

تبدأ عملية التغيير الفعلية بتخليص الإنسان من عقدة النقص أو الانبهار بمظاهر ما عند الغربيين كذلك بتخليصه من بقايا التوكل والخرافة، وإعادة الأُمة بينه وبين قناعاته وعقيدته وسلوكه وعمله¹. فليس المهم في بناء الإنسان الجديد أن يبذل نمط أو زي لباسه ونوعية أثاث منزله ومكتبه... ولكن المهم أن نحدد له إطاره الحضاري في مجال الثقافة، والأخلاق، والاقتصاد، وكافة المجالات، وبكلمة واحدة أن نقنع ونصفي "القابلية للإستعمار" من عالمه الداخلي حتى تنطلق طاقته لتصفية من عالمه الخارجي². وعليه فإن التغيير الحقيقي للإنسان يبدأ من النفس، وبها تتعدل شخصيته ويتم توازنها لمحاولة الدخول في مرحلة الإقلاع الحضاري القائمة على الأصالة والمعاصرة من خلال منهجها المنشود على التواصل والتفاعل وإلغاء للسلبية من حقبة التراث وإفصاح المجال أمام الفاعلية الإيجابية للتأثير والتفاعل مع وقائعه الساعية إلى أهداف مستقبلية لتجاوز التمزق والتخلف والاستبداد؛ وبالتالي فتغيير الإنسان أو نهضته الحضارية مرتبطة بشروط ضرورية لجميع عناصر الحضارة من (إنسان، تراب، وقت) وعليه يمكن أن نقول أن نظرية "مالك بن نبي" نظرية فلسفية واقعية بدليلها:

- أولاً: عن الإنسان

فبعد إقامة "مالك بن نبي" في مدينة "أفلو" وانتقاله إلى مدينة "شلغوم العيد" غير بعيداً عن مسقط رأسه "قسنطينة"، حيث كان وجوده في هذه المدن الأخيرة فرصة ليقارن بين الإنسان الجزائري فيها، أي بين الإنسان الذي فقد فضائله، أو أفقده الاستعمار فضائله، حيث كانت المدينة مركزاً كبيراً للمستعمرين وبين الإنسان الجزائري في "أفلو" الذي أحتفظ بتلك الفضائل، مما جعل "مالك بن نبي" يتأسف لأنه لا يستطيع إصدار قانون يحرم "جبل عمور" على المستعمر، كما يمنع دخول متحف وضعت فيه أشياء ثمينة³.

¹- المرجع نفسه، ص 194.

²- مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، ص 183.

³- المرجع نفسه، ص 184.

حيث نجد أن "مالك بن نبي" لما عاش في باريس تعرف من التجربة التي عاشها على الحضارة الغربية في روحها وأفكارها لا مزيلتها، إذ نجده يوصي الطلبة بقراءتها من خلال جملة من الكتب أهمها كتاب (الأسس الثقافية للحضارة الصناعية) للمفكر الأمريكي "جون نيف" (John Nef)(1931م).

- ثانياً: عن التراب

لقد لفتت ظاهرة زحف الرمال في "أفلو" نظر "مالك بن نبي" وستأخذ مستقبلاً حيزاً في فكره حيث حذر من أخطاره على الأمن الغذائي للجزائر والإنسان الجزائري، والأمة الإسلامية حتى تكون أمة منتجة وحضارتها حضارة منتجة لا حضارة شيئية مستهلكة وهذا ما تعاني منه أغلب أقطار الأمة العربية الإسلامية، وأول من أثار هذه المشكلة هو الإمام "عبد الحميد ابن باديس" عام 1928م¹.

فقد أصبح "التراب" أحد "شروط النهضة" وعنصراً هاماً أيضاً في مشروع "مالك بن نبي" لحل مشكلات الأمة الإسلامية؛ فالتراب ليس هو المفلح والزرع فحسب، بل هو كل مجال يسبح فيه "الإنسان" في حياته اليومية؛ سواء في المجال الصناعي أو الزراعي أو التجاري أو العلمي أو الأخلاقي أو الديني وما قام "مالك بن نبي" بتحليله أكثر عمقاً عندما تكلم عن محور (طنجة جاكروطة) واقتراحه حل يتجاوز هذه السلبيات بأحداث "كومونولث إسلامي" لايجاد التكامل المفقود بين شعوب هذا العالم الإسلامي، لذلك يمكن أن نؤكد على واقعية نظريته الحضارية فقد حُققت سياسياً في شكل "منظمة المؤتمر الإسلامي" واقتصادياً في شكل "منظمة الأوبيب"، وثقافياً في شكل "المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة والتربية"، كما تحققت نظريته فلاحياً في شكل "السد الأخضر" عندنا كحاجز ضد هجوم التصحر على الخصوبة السهوية². ورغم أن "السد الأخضر" في الجزائر كان تنفيذاً لفكرة "مالك بن نبي"، ولكن هذا التنفيذ اتخذ صيغة سياسية ديماغوجية، فكانت عاقبته خسراً.

- ثالثاً: عن الوقت

كَلَّفَتِ الحكومة الجزائرية في السبعينيات الشرطة بالبحث على المتغيبين عن العمل لدلالة على ضياع الوقت عندنا، والأمثلة كثيرة... الخ³.

من خلال كل ما سبق صَنَّفَ "مالك بن نبي" المجتمع بحسب الإبداع الحضاري إلى أقسام ثلاثة: الأول: مجتمع ما قبل الحضارة وهو المجتمع البدائي أو الهمجي - ومجتمع الحضارة وهو ما ينشده

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص32.

2- عبد الرزاق قسوم، إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص 298.

3- محمد سعيد مولاي، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، ص302.

"مالك بن نبي" - ومجتمع ما بعد الحضارة - وهو مجتمع السقوط والانحطاط - وعليه نستنتج أن حل مشكلة الحضارة عند "مالك بن نبي" يقوم على حل مشكلتين أساسيتين:

- المشكلة العضوية الخاصة بتشييد بناء قائم على الحقائق النفسية والاجتماعية في هذه البلاد.
- مشكلة التوجه القائم على حقائق الوضع العالمي.

كما يرى "مالك بن نبي" أنه إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ وتحليلاً لهذا الرأي المؤكد على أهمية الإنسان كعنصر من عناصر الحضارة، وتعتبر مشكلة الإنسان ذات أبعاد عالمية وإنسانية، يقف "مالك بن نبي" على ثلاثة مراحل ضرورية تم بناء أو صناعة إنسان اليوم وفقها:

- **المرحلة الأولى:** كان الإنسان في نقطة الانطلاق متمسماً بالبساطة الفطرية، فهو إنسان طبيعي (Homonatura) يحيا حياة راكدة خاوية ثم تأتي الفكرة الدينية المركب للعناصر الثلاثة (الإنسان، التراب، الوقت) فتملاً فراغه وتنزله السبيل فتندفع عجلة التاريخ وتشرع في دورتها وتكون للإنسان روح كلها إيمان وأمل وسمو نحو الغاية التي رسمتها لها الفكرة الدينية، وهذه هي المرحلة الأولى من التحضر، وسماه "مالك بن نبي" "بمرحلة الروح"، لأن الروح هنا تكون مهيمنة على الغرائز ومتحكمة في العقول في بداية التحضر، ويكون المجتمع والفرد متماسكا كلما زادت الطاقة الدينية، حيث رأى "مالك بن نبي" أن هاته المرحلة ضرورية لأي إنسان كان في أي زمان أو مكان.

- **المرحلة الثانية:** إن الإنسان وواقعه العالمي جعله يدخل في مرحلة ثانية من التحضر نتيجة الصراع الداخلي بين الغرائز والعقل، ويسمي "مالك بن نبي" هذه المرحلة "بمرحلة العقل"؛ حيث تساوى فيها أسباب السمو الروحي وجاذبية الغرائز، وتتسم المرحلة بالتوسع و انتشار الفنون والعلوم ويحل العقل محل الدين أو الروح، وهنا يرى "مالك بن نبي" أن تعاد مكانة الروح على العقل والغرائز لأن السبب الحقيقي لما يعيشه الإنسان في عصر العولمة والحدثة وما بعد الحدثة.

- **المرحلة الثالثة:** نتيجة للمرحلتين السابقتين يدخل الإنسان في منظور "مالك بن نبي" مرحلة جديدة، وأكثر ضرورة في صناعة الإنسان، حيث تسيطر الغرائز في هذه المرحلة على العقل والروح فينحط الإنسان إلى حضيض الحيوان نتيجة التدرج في السيطرة من الروح للعقل إلى الغرائز في بناء الإنسان، وتدخل نتيجة لهذا الحضارة الإنسانية في مرحلة جديدة من التخلف والتفوق - وهو حال أغلب المجتمعات العربية والإسلامية اليوم - ويكون المجتمع غير متماسك ميالا إلى الماضي والقابلية للاستعمار والأصح كما سماه "الاستعمار"، وهنا يرى "مالك بن نبي" ضرورة أن تحل "الفاعلية الإيجابية" محل هذه "القابلية" لترتبط الفكرة بالعمل، ويقوم النهوض ويخرج المجتمع من "حضارة شيئية" إلى "حضارة

إنتاجية" لإعادة "الفكرة الدينية" ووظيفتها الاجتماعية في الحياة العملية، ويخرج الإنسان من دائرة "الفجور والجهل والفقر والظلم... إلى دائرة التقوى والعلم والاكتساب ونصرة الحق فتكون إنسانية الإنسان واجتماعية المجتمع".

ومن هنا نكتشف أن "الإنسان" أهم عنصر من عناصر الحضارة، ولا يمكننا أن ننفي علاقته المباشرة "بالتراب" و"الوقت" كعنصران ضروريان لحركة الإنسان في التاريخ، وعدم إدراك هذه الحركة في علاقتها بالزمان والمكان يجعل صعوبة في تشخيص أسباب أقول الحضارة، وأيضاً في إيجاد حلول ومناهج لجهل مكانة الأمة من التطور الحضاري.

- خاتمة:

وانطلاقاً مما سبق يمكن اعتبار "الفكرة الدينية" في علاقتها بالنفس كعنصر حضاري منطلقاً لمنهج التغيير، وأساساً لبناء جديد للإنسان يتماشى مع الروح والعقل والغريزة، "فمالك بن نبي" منظر بامتياز لمشكلة الإنسان العالمي، وليس الإنسان العربي المسلم فقط، فيمكن اعتبار نظريته الفلسفية الواقعية حلاً فاصلاً بدلاً من الفلسفات المادية والعقلانية، بل حتى الفلسفات الوجودية التي تزعمت النزعة الإنسانية كما يمكن اعتبارها رداً بناءً على الفلسفات المعاصرة أمثال: ("سيغموند فرويد" Sigismund Schlomo Freud (1856-1939م)، "كارل ماركس"، "هاربرت ماركوز" Herbert Marcuse (1898-1979م)... وغيرهم)، والتي حاولت بناء الإنسان على جانباً واحد فقط سواء أكان هذا الجانب مادياً أو عقلياً أو غريزياً أو ما سواه، وحقيقة المشكلة هنا أن هؤلاء حاولوا دراسة الإنسان بمناهج لا تتماشى والطبيعة الإنسانية؛ ورغم أن البداية كانت غريبة في تجاوز هذا المشكل مع كلا من "دموند هوسرل" Jean Husserl (1859-1938م) و"كيركوكارد سورين" Soeren Kierkegaard (1813-1855م) "هيدغر" و"موريس مرلوبونتي" Maurice Merleau-Ponty (1908-1961م) و"جون بول سارتر" Jean Paul Sartre (1905-1980م)... الخ"، إلا أن التنظير كان بعيداً عن الرؤية الشمولية التي اتسمت بها الرؤية العميقة "فمالك بن نبي" فقيه الحضارتين الغربية والعربية، والمؤسس لنظريته على مناهج إسلامي أصيل أدراك من خلاله نقائص التنظير العربي والغربي في تناول أزمة الإنسان والمجتمع والأمة.

إلا أن السؤال يبقى قائماً حول علاقة هذا المنهج المؤسس على الديانة الإسلامية والدوائر العلمية والأكاديمية المتخصصة في البحوث الإنسانية والاجتماعية المبتعدة أن لم نقل المتهمه للإسلام والمؤسسة على الغرائز والعقل والموصلة إلى ما يعيشه إنسان الحداثة وما بعد الحداثة في عالمنا اليوم.

- فما هي السبل والطرق التي يمكن أن نعتم من خلال هذا المنهاج الأصيل -في حل أزمة الإنسان العالمي- المؤسس لنظرية حضارية بعيدة عن تفاؤلية "فرانسيس فوكو ياما وتشاؤمية أستاذه صامويل هنتغتون" في بناء إنسان ما بعد الحرب الباردة وسقوط جدار برلين؟

- الإحالات والهوامش:

- 1) عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، دار الغرب، د (ط، س)، ص 05.
- 2) Gérard Durozoi .André Rousset. Dictionnaire de philosophie –Nathan. Imprime en France par I.M.E 2003 .P.P185–186.
- 3) المرجع الأسبق، ص 05.
- 4) خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الفلسفية، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1995، ص (25، 26).
- 5) محمود يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1973، ص (12-13).
- 6) عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، ص (8 - 20).
- 7) خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الفلسفية، ص 25.
- 8) المرجع نفسه، ص (8 - 20).
- 9) - رواه الترمذي (2641) وحسنه ابن العربي في " أحكام القرآن " (3 / 432)، والعراقي في " تخريج الإحياء " (3 / 284)، والألباني في "صحيح الترمذي".
- 10) k- marx, les manuscrits de 1844 – Tard Botticelli – Ed .Soc .Paris. 1969. P. 61.
- 11) Friedrich Engels, L'idéologies allemande – Tard – Aiger– Ed . Soc. Paris 1968 .
- 12) -k- marx, les manuscrits, Op. Sit. P.96.
- 13) k- marx, Le capital – trad. Roy. Ed. Soc. Paris. 1977. p. 138.
- 14) راجع: عباس فيصل، الإنسان و الفلسفة، دار الفكر العربي، دط، بيروت، 1996.
- 15) كارل ماركس، مختارات، دار التقدم، دط، موسكو، 1970، ص 07 و ما بعدها.
- 16) بدوي عبد الرحمن، الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات الكويت . ط 2، 1976.
- 17) المرجع نفسه، ص (113 - 115).
- 18) - (ar.wikipedia.org/wiki/يوم:31-07-2012م على الساعة: 22:47). حضارة-
- 19) إين منظور، لسان العرب، تح وتصح: عبد الله عي الكبير وآخرون، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1981، ص 907؛ أنظر أيضا: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1982، ص 475.
- 20) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تع: خليل أحمد خليل، تع واش، أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت باريس، 2001، ص 172.

- (21) إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، دط، جمهورية مصر العربية، 1983، ص 73.
- (22) محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1998، ص38.
- a. مالك بن نبي: مفكر جزائري ومهندس ومهتم بالدراسات الاجتماعية، واحد رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر كانت غالب إنتاجاته بالفرنسية، وترجمت كتبه إلى العربية من كتبه (شروط النهضة، الظاهرة القرآنية، الفكرة الأفريقية الآسيوية، القضايا الكبرى، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع...).
- (23) راجع: مالك بن نبي، آفاق جزائرية، للحضارة- الثقافة- للمفهومية"، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، دط، دس، ص (46-47)، وأيضا: أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص 144.
- (24) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 476.
- (25) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (26) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (27) المرجع نفسه، ص 477.
- (28) السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، دط، بيروت، 2010، ص (134،135).
- (29) عبد الرزاق قسوم، إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994، ص(290، 291).
- (30) مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق، دار الفكر، 1979، ص23.
- (31) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (32) مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، دار الفكر دمشق، ط2، 1984، ص106.
- (33) المرجع نفسه، ص 180، وأيضا راجع: محمد ناصر، الصحف العربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 58.
- (34) السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص(135، 136).
- (35) المرجع نفسه، ص 136.
- (36) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77.
- (37) القاضي اسماعيل بن اسحاق الجهضمي المالكي، المبسوط، أنظر أيضا: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - صل الله عليه وسلم- (88/2).
- (38) مالك بن نبي، مفكراً إصلاحياً، ص 194.
- (39) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11. -
- (40) مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 40.
- (41) السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص(136، 137).
- (42) المرجع نفسه، ص 138.

- 43) محمد البشير مغلي، مالك بن نبي كان أمة واحدة، مجلة الموافقات، العدد الثالث، جوان 1994، ص (287، 288).
- 44) المرجع نفسه، ص 288.
- 45) السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ص (136، 137).
- 46) المرجع نفسه، ص 137.
- 47) المرجع نفسه، ص 137.
- 48) سورة الرعد، الآية 11.
- 49) سورة الأنفال، 52، 53.
- 50) سورة النور، الآية 55.
- 51) مالك بن نبي، علم الاجتماع الاستقلال، الثورة الأفريقية، 1969، وأنظر أيضا: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دط، بيروت، دمشق، 1986.
- 52) مالك بن نبي، علم اجتماع الاستقلال، الثورة الأفريقية، مأي 1965، المقال المنشور في كتابه: بين الرشاد والتيه، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت دمشق، 1978.
- 53) محمد سعيد مولأي، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994، ص 308.
- 54) القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية، (7-10).
- 55) مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 32.
- 56) المرجع نفسه، ص 194.
- 57) مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، ص 183.
- 58) المرجع نفسه، ص 184.
- 59) مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 32.
- 60) عبد الرزاق قسوم، إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص 298.
- 61) محمد سعيد مولأي، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، ص 302.

الأوضاع التجارية ببلاد السودان الغربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين خلال القرن 19

أ/ مرجاني عبد القادر

جامعة ابن خلدون تيارت - الجزائر

الملخص:

عرفت الحياة الاقتصادية في إفريقيا جنوب الصحراء ازدهارا كبيرا بعد دخولها الإسلام، واشتهرت ببلاد الذهب، حتى قيل "أن الذهب ينبت فيها كما ينبت الجزر في الحقول"، وما زاد في هذا النشاط والازدهار توافد القوافل التجارية إليها خاصة من إفريقيا الشمالية عبر العديد من المسالك والطرق، مخترقة الصحراء الكبرى ومتجاوزة كل الصعوبات الطبيعية والبشرية، محملة بمختلف المنتجات الأوربية كالأسلحة النارية العطور، المصنوعات الزجاجية والعربية كالتومر، الأقمشة الصوفية، الكتب والمخطوطات وغيرها من السلع، وفي مقابل ذلك كانت هي تصدر الذهب، الملح، العبيد، ريش النعام، العاج. ونشطت أسواقها وتوافد إليها التجار والسكان ومن أشهرها سوق جني وجأوا وتمبوكتو وكانان وتيمي ونتيجة لهذا الرخاء والازدهار ظهرت لديهم نظام المقاييس كالشبر والميل والفرسخ والذراع، وأصبحوا يتعاملون بالمكايل كالمذ، الصاع، القنطار، المودي واستخدموا الموازين (النقود) كالمقال والمقال الذهبي، والدرهم والدينار والأوقية، إلا أن هذه المنطقة ظلت غامضة لدى الأوربيين فتواجههم في القارة الإفريقية لم يتجاوز الساحل منذ بداية الكشوفات الجغرافية، ولكن رغبتهم في معرفتها والوصول إلى أسواقها ومنتجاتها كانت قوية، فأرسلوا بعثات المسكتشفين وفرق من العلماء والباحثين منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر لإزالة الغموض عنها والسيطرة عليها ومساعدة دولهم على احتلالها وتصدير سكانها فكان لهم ذلك، ومع نهاية القرن التاسع عشر أصبحت كل القارة مقسمة بين الدول الأوربية.

Summary :

The economic life of the Western Sudan knew a great development in the Islamic period, it was famous by the land of the gold, «the gold grows in it like she carrots in the fields » they said.

The commercial convoys from North Africa have increased the economic activity and prosperity, this commercial convoys infiltrated the grand desert know many tracks and roads surpassing all natural and human difficulties, loaded with various European and Arab products such as date palm, fabrics sufism, fire arms, books, fragrances, manufactures glass and others, and in return they export gold, salt, slaves, ostrich feathers, ivory.

Western Sudan markets were flocked with dealers from all the places, most popular markets were Gao, Tomboktou, Kankan and Timmy, as a result of this prosperity, they appeared to have standard measure systems as were the tilt and the league and the arm, and they dealing by the scales like the golden scale the dirham, the dinar and the ounce.

Even thow this area remains mysterious for the European who did not exceed the coast since the beginning of geographical discoveries, but their desire for knowledge and access to their markets and their products were strong, so they sent convoys of explorers, researchers and scientists since the seventeenth and eighteenth century to demystify them and help countries to colonize and christ their population, and by the end of the nineteenth century Africa became divided between European countries.

مقدمة:

السودان الغربي، غرب إفريقيا، إفريقيا جنوب الصحراء، إفريقيا الغربية الفرنسية¹، كلها مصطلحات جغرافية تطلق على منطقة واحدة، ويقصد بها تلك الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى حواشي بحيرة تشاد شرقاً فيما تمتد حدودها العمودية بين الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى شمالاً ومقدمة نطاق الغابات الإستوائية جنوباً، وبحسب الأحداثيات المعاصرة فإن بلاد السودان الغربي تنحصر بين خطي العرض 4° و 16° شمال خط الإستواء وخطي طول 13° و 17° غرب خط غرينتش²، ورغم وجود عقبات طبيعية كالصحراء الإفريقية التي تفصلها عن دول شمال القارة، فإن ذلك لم يقف عائقاً أمام التواصل البشري والتجاري بين المنطقتين، وذلك من خلال مسالك تخترق الصحراء التي تفصلهما عن بعضهما البعض.

وقد تغلغل الإسلام إلى هذه المناطق في وقت مبكر جداً مع الفتوحات الإسلامية الأولى لشمال إفريقيا عن طريق عقبة بن نافع الذي أرسل إليها بعض السرايا، ثم توسع وانتشر فيما بعد عن طريق الدعاة والتجار، فقامت بذلك ممالك إسلامية من أشهرها غانة ومالي وسنغاي، التي نسجت علاقات متعددة مع دول المغرب الإسلامي خاصة التجارية منها، وقد بلغت بلاد السودان شهرة كبيرة بسبب تجارة

1 - الدول الحالية التي تنتمي إلى هذه المنطقة هي: "الدول الداخلية: بوركينا فاسو، الرأس الأخضر، غامبيا، مالي، النيجر، السنغال، موريتانيا، والدول الساحلية بنين، ساحل العاج، غانا، غينيا بيساو، ليبيريا، نيجيريا، سيراليون، توغو، غينيا كوناكري ينظر: محمد فاضل وسعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا "تاريخ وحضارة"، 2007، ص 21.

2 - محمد فاضل وسعيد إبراهيم، المرجع نفسه، ص 19.

الذهب، ما جعل الرحالة العرب يتجهون إليها ليشاهدوا ويعاينوا ما يحكيه التجار وليسجلوا في كتاباتهم وشهاداتهم، ما اعتمد عليه الأوربيون في معرفتهم لذلك العالم ابتداء من القرن التاسع عشر ميلادي.

ومنه طرح التساؤلات التالية: ما هي أهم الطرق والمسالك التي ربطت بلاد السودان الغربي مع دول المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ميلادي؟ وما هي أشهر أسواقها التجارية؟ وفي ما تمثلت أهم صادراتها و وارداتها؟ وهل كان لها نظم تعامل تجارية خاصة بها أم مشابهة للدول المجاورة؟
أولاً: المسالك التجارية¹

تعتبر العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسودان الغربي من أقوى العلاقات التي تم التأريخ لها بين هاتين المنطقتين، والطرق والمسالك تعتبر من أهم وسائل الاتصال بينهما، وبوفيل في كتابه تجارة الذهب يفصل فيها بالشكل التالي:

1- طريق (تغازا² - تمبوكتو³): اتخذ التجار الذين يتعاملون مع إقليم السودان من كل وادي نام ومدينة أبوام طريقهم الجديد عبر مدينة أكا (Akka) التي حلت محل مدينة سجماسة، بتوفير احتياجات القوافل التي تجد طريقها بعد ذلك إلى الطريق العام القديم عبر كل من تغازا وتاودني إلى تمبوكتو، وبدلاً من أن يتجه طريق تاودني نحو ولاية صوب الغرب لشهرتها في صناعة الذهب إلا أن الطريق يتجه مباشرة نحو أراوا (Arawa) حيث يلتقي مع طريقين آخرين يسير أولهما جهة توات ومبروك وينتهي أخيراً

¹ - لمزيد من المعلومات حول المسالك والطرق التجارية الصحراوية يرجع ل:

R. Mauny , *Tableau géographique de l'ouest Africain au Moyen age d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie*, Amsterdam 1967, p 426. et ce qui suit, J.Devisse , « **Route de commerce et Echange en Afrique Occidentale en relations avec la Méditerranée** » en R .H. E. S année 1972, pp 43-73, J Heers , « **Le Sahara et le commerce méditerranée à la fin du moyen age** », en A.I.E.O, Tome XVI , Année 1958 Alger , pp 247 –255, C. Vanker , « **Géographie Economique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IX siècle au milieu du XII siècle** », en A.E.S.C , 28 ème année N° 3 mai, juin 1973, pp 659-679, M. Delafousse , « **les Relation du Maroc avec le soudan a travers les âges** », in Hes. Vol 4, 1924, pp 153-174.

² - تغازا (تغازة): بلدة تقع في جنوب المغرب، أرضها سبخة جدا ومياه آبارها عذبة، بها ملاحات ينقل منها الملح إلى بلاد السودان الغربي، ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 25.

³ - تمبوكتو: مدينة إفريقيا تقع على الحافة الجنوبية للصحراء، تأسست في القرن الخامس للهجري الحادي عشر للميلاد، قامت بدور كبير في مجال التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، كما قامت بدور ثقافي كبير عن طريق جامع سنكري، وقد قال عنها "ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن"، ينظر: البرتلي، فتح الشكور في تراجم علماء النكرو، 2002، ص 16.

عند تمبوكتو، أما الثاني فيتجه شمالا من مدينة سانساندينغ على نهر النيجر الأعلى ومنها على تمبوكتو⁽¹⁾.

2- طريق (غدامس⁽²⁾ - تمبوكتو): هذا الطريق لا يقل قدماً في استعماله عن الطريق الواصل إلى تغازا ورغم اجتياز هذا الطريق لمناطق صحراوية جرداء في الكثير من أجزاءه إلا أن استمرار التردد عليه ترك آثارا تدل على استعماله منذ أمد طويل وبحركة مكثفة، وكان جزء الطريق مابين غدامس وغات خاضعا في النصف الأول من القرن 19 لطوارق الأزجر (Azger) الأقوياء، أما الطريق بين غات وأير فإنه يجتاز طرفا من أسوأ المناطق الصحراوية في العالم ممثلا في إقليم "كل أوي" (Kel Owi) بالطريق الواصل إلى مركز توات، الذي يجتاز هضبة الهقار التي تحكمها قبائل الطوارق الذين يحملون نفس اسم الهضبة⁽³⁾.

3- طريق (فزان⁴ - بورنو⁵): كان طريق القوافل عبر فزان إلى كوار وإقليم البورنو أكثر طرق القوافل سهولة، فخلال القرن 19م كان مستعملا حسب رواية الجغرافيين العرب كما كان طريقا آمناً بحكم استمرار التردد عليه، أيام نهضة إقليم الكانم ولذا يمكن القول أنه منذ بداية القرن 7م وحتى عام 1830 كان هذا الطريق بلا منازع الطريق الأوفر حظا دون غيره من طرف قوافل الصحراء⁽⁶⁾.

1 - بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، 1988، ص387.

2 - غدامس: تقع في ليبيا على حدود أراضي طوارق الأزجر، كانت تحت الحكم العثماني 1862، وهي من أهم المدن التجارية، ضف إلى ذلك أنها مدينة عتيقة لها آثار مختلفة ومتنوعة نتيجة مرورها بمراحل تاريخية هامة منها الرومانية، أصل سكانها بربر أطلق عليهم المثلثين، عرف سكانها بصناعة الجلود، بها مساكن ودكاكين بنيت على الطراز البربري يقام بها سوق أسبوعي كل يوم جمعة، كما يوجد بها كمية كبيرة من المياه العذبة، ينظر:

Henri Duveyrier, *Les Touaregs du Nord*, pp249-266.

3 - بوفيل، المرجع السابق، ص390-391.

4 - فزان: وصفها الحسن الوزان بأنها: "منطقة كبيرة، تقوم فيها قصور ضخمة وقرى كبيرة، مأهولة كلها بأناس أغنياء، وبحدائق النخيل، وهي واقعة على تخوم أغاديس وصحراء ليبيا المتاخمة لمصر، منحها هذا الموقع الجغرافي أهمية كبرى كمركز تجاري من مراكز التجارة الواقعة على طرق القوافل الذاهبة إلى السودان، ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، 1983، ص516.

5 - بورنو: هي إحدى الممالك الإفريقية التي قامت في منطقة وسط إفريقيا مع أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وظل نفوذها ممتدا على وسط إفريقيا إلى غاية القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي، ينظر: الوزان، المصدر السابق.

6 - بوفيل، المرجع السابق، ص397.

4- طريق (ورقلة - كانو¹): وهي تسلك طريقين الأول يمر بغات ويستغرق السير لقطع هذه المسافة 73 يوما عاديا يتصارع فيها الأدلاء مع كثبان الرمل المتقلبة، والمهاجمين من الطوارق والخنافسة، الثاني ويمر من أغاديس التي تبعد عن أحير (تقع حاليا في النيجر) 7 أيام لا يصادف فيها الماء إلا مرة واحدة وأغاديس مدينة كبيرة تشبه مدينة تونس ولا يمكن للقافلة أن تتوغل في إفريقيا دون أن تدفع الضرائب لسلطانها⁽²⁾.

5- طريق (ورقلة - تمبوكتو): وتمر بمدينة القليعة⁽³⁾ والتي تبعد عن ورقلة بـ 84 ميلا تقطع في ظرف 7 أيام من السير السريع ثم تنتقل القافلة إلى عين صالح وهي أهم مدينة في واحة توات، ومنها تتفرق فيذهب فرع إلى أقبلي التي تبعد عنها بحوالي 40 ميلا تقطع في ظرف 3 أيام وبعدها ترحل القافلة إلى تمبوكتو، وبذلك تقطع أخطر مرحلة لأنها تشتمل على مسافة تقطع في صحراء قاحلة لا يمكن سيرها في أقل من 8 أيام مليئة بالكوارث التي تحدثها رياح الجنوب التي كثيرا ما تقضي على قوافل بأكملها، ومن تمبوكتو كانت القوافل تخرج في غالب الأحيان إلى مدينة الهاوسا القريبة من آخر أكواخ نهر النيجر ومنها سكوتو ونوفي، أما الفرع الثاني فيتجه نحو أحير مباشرة ومنها يمر بنفس المحطات الكائنة بين غات وكانو⁽⁴⁾.

6- طريق (توقرت - تمبوكتو): هذا الطريق يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض، ثم يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين ومنها إلى البئر الجديد وغدامس، ومن هنا ترحل القافلة إلى غات فتسير مدة 20 يوما لا تجد فيها الماء سوى مرتين، بعد ذلك تأخذ القافلة طريقين: الأول مستقيم يقودها إلى تمبوكتو بعد مسيرة تدوم 45 يوما، ليس فيه من الأخطار غير الكمائن التي تنصبها جماعة من الطوارق والخنافسة للاستيلاء على ما في الحمولة من أشياء ثمينة وعلى الأسلحة الخاصة، والثاني يتجه إلى كانو عبر أحير وهو نفس طريق ورقلة الذي سبقته الإشارة إليه⁽⁵⁾.

1 - كانو: تقع إلى الشمال من نيجيريا، وقد كانت من أهم إمارات الهوسا، ينظر: الوزان، المصدر السابق، ص 550.

2 - الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، 1972، ص 162.

3 - القليعة (المنيعة): أول من زارها من الأوروبيين هو هنري دوفيرييه في شهر سبتمبر 1859 الذي أظهر شجاعة كبيرة بقيامه بهذا، وقد دون ملاحظاته الفلكية عن موقع المدينة حيث تقع بين خطي عرض 30° و 32.12° و 47.31° شرق خط غرينيتش وتقع على ارتفاع 402 متر. القليعة تسمى أيضا المنيعنة وتاهورة والشعامة احتفظوا بالاسمين الأوليين فأطلقوا اسم المنيعنة على كل الواحة، واسم القليعة على القصر فقط، والمنيعنة (Golea) بالفرنسية معناها الممر أو شيء متواصل، أما حسب دوفيرييه فاسمها معناه الغابة الصغيرة، ينظر:

Paul Soleillet, L'Afrique Occidentale « Algérie, Mzab, Tidikelt », 1877, p229.

4 - الزبيري، المرجع السابق، ص 163.

5 - نفسه، ص ص 163-164.

7- طريق (الوادي - تمبوكتو): حيث تتجه القافلة مباشرة إلى غات على الرغم من أن مروره بغدامس يسهل كثيرا مهمة القافلة، ولكن تجار الوادي يفضلون عدم الاتصال بالغدامسيين لما بينهم من عداوة وتنافس، ومن غات تسير القافلة إلى تمبوكتو أو إلى كانو عبر نفس المحطات التي ذكرناها.

8- طريق (قسنطينة - تمبوكتو): يمر بعين مليلة وباتنة والقنطرة وبسكرة، قبل أن يصل إلى محطة الفيض، حيث تنقسم القافلة فيذهب الجزء الأول إلى غدامس ويسلك نفس طريقها إلى كانو، ويتجه الثاني إلى ورقلة⁽¹⁾ عبر تماسين ثم يأخذ مسلكها إلى تمبوكتو أو كانو⁽²⁾. تأتي القوافل التجارية عادة من المناطق المغربية إلى تمبوكتو في بداية شهر نوفمبر وتعود في ديسمبر أو جانفي، ولكنها ليست بالأهمية الكبيرة التي أعطاها لها بعض الكتاب الأوربيين الذين قالت أنها تصل إلى 10 000 جمل⁽³⁾. كما أن طريق المغرب دائما هي المهمة لبعض المنتجات الأوربية مثل الأغذية الحمراء، الأحزمة المرابا، السكاكين، التبغ، غير أن الأقمشة القطنية والحريير الخام، والحريير الأبيض يأتي من غدامس منذ وقت بعيد، وسكان غدامس هم الوسطاء الأساسيين في كل الشمال الغربي لإفريقيا للمنتجات الإنجليزية وأغلب التجار الغدامسيين لديهم وكلاء خاصين في تمبوكتو⁽⁴⁾.

9- طريق (مراكش - تمبوكتو): ويمر عبر تارودانت وتندوف ويخترق رمال أيقدي وعرق شاش، ويتجه إلى تاودني، كما يخترق الجرف شرقا مارا بأروان ليتجه إلى تمبوكتو، ولهذا الطريق فرع من تندوف يتجه إلى الجرف الأصفر وزمور والقنطرة وحاسي بوتلان ومن هناك يتجه فرع منه إلى تمبوكتو وفرع إلى قصر البرشان على شاطئ المحيط الأطلسي⁽⁵⁾.

وما يمكن ملاحظته على هذه الطرق هو انتقال أهميتها من الطريق الغربي المؤدي إلى تمبوكتو إلى الطريق الشرقي المؤدي إلى كانو، وهذا بسبب قيام سلطنتي كانم وبرنو، وانهيار سلطنة سنغاي أواخر

1 - ورقلة: هي مدينة صحراوية تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر وتبعد عن العاصمة بـ 770 كم، كانت أولى البعثات الاستكشافية إليها بعثة الرحالة الجنرال دوماس (Dumas) الذي زار المنطقة سنة 1842، حيث حدد موقعها الجغرافي ووصف المدينة والقنطرة وحدد أبوابها، كما وصف بيوتها وعدد الديار والمواد المستعملة في البناء من الطين وجذع النخل وسعفه، وأشار إلى مختلف قبائل المجتمع الورقلي ونشاطهم وإلى مختلف العملات المتداولة في الأسواق، فضلا عن ذكر عمليات التبادل التجاري الداخلي والخارجي، واهم المنتجات الصادرة والواردة، كما تطرق إلى قصر نقوسة بوصف نمطه

العمرائي، وحدد عناصر سكانه وتعدادهم وعدد ديارهم، ينظر: Paul Soleillet, Op-Cit, pp 86-87.

2 - الزبيري، المرجع السابق، ص 164.

3 - Henri Barth, Voyages Et Découvertes Dans l' Afrique Septentrionale Et central pendant les Année 1849 A 1855, T4, 1863, p104.

4 - Ibid, , p105.

5 - مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية ...، 2002، ص ص 201-207.

القرن السادس عشر ميلادي وقيام ممالك الهوسا، وهو ما نشط الطريق الشرقي وجعله أكثر أهمية وأصبحت كانوا هي المركز الرئيسي الذي تنتهي عنده الطرق التجارية بدلا من تمبوكتو، ولكن مع دخول الأوربيين إلى غرب إفريقيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نشطت تجارة الساحل أكثر وأصبحت كبديل للطرق الصحراوية مع الشمال.

ثانيا: الأسواق التجارية مواقعها وأهميتها الاقتصادية

سوق مدينة تمبوكتو (Tombouctou): كانت تمبوكتو واحدة من أكبر مدن إفريقيا السوداء، ولا يوجد لديها مصدر للثروة ماعدا التجارة في الملح، كما أن تربتها غير صالح للزراعة لذلك فإن التجارة بها نشيطة جدا، ومن بين السلع التي تباع في أسواقهم الماء والنساء هن من يقمن ببيعه، فنصف لتر منه يباع بواحد كوري، أما الحطب المستعمل في الإشعال فهو قليل جدا، وللحصول عليه يذهبون إلى كآبرا والأغنياء فقط من يحصلون عليه، أما الفقراء فإنهم يقومون بإشعال روث الجمل⁽¹⁾. وتقوم جني (Jenné) بتزويدها بالموونة الضرورية (الأرز، الذرة البيضاء، الزبدة النباتية، العسل، القطن، القماش، الأدوات الجاهزة، الشمع الصابون، الفلفل، السمك الجاف، الفستق... إلخ)⁽²⁾.

2- سوق مدينة جني (Jenné): هذا السوق به كمية كبيرة من السلع والناس، فهو يحتوي على كل ما هو ضروري للعيش، وهناك تسابق مستمر بين الأجانب وسكان المدن المجاورة من أجل شراء المواد الغذائية الملح، و سلع أخرى. و يوجد بالسوق أكثر من صف للسلع والتجار، والبعض منهم يضع سياج من أوتاد القش للاحتماء من أشعة الشمس ويضع فوقها ستار حتى يشكل خيمة، ويعرض سلعته للبيع في سلال موضوعة بشكل دائري⁽³⁾.

وبجوار السوق يوجد محلات مجهزة ومفروشة جيدا بالسلع الأوربية، حيث يبيعونها بأثمان باهظة فتجد الكثير من الأقمشة القطنية والهندية، الألبسة الأرجوانية، الخردوات، الأحجار النارية... إلخ، تقريبا كل هذه المنتجات هي ذات صنع إنجليزي، وهناك بعض البنادق الفرنسية المشهورة جدا، وتباع أيضا الأدوات الزجاجية، العنبر المزيف، المرجان، العصي كبريتية اللون، البارود وهو محلي الصنع حيث لا يصدر عليه انفجار قوي، وفي بعض الأحيان لا يصدر أي صوت⁽⁴⁾.

¹ - René Caillé, *Journal d'un Voyage a Tombouctou et A Jenné Dans L'Afrique Centrale*, T2, p312.

² - Ibid, p313.

³ - René Caillé, *Op-Cit*, p199.

⁴ - Ibid, p200.

إن انتعاش النشاط الاقتصادي بهذه المدينة وتقدمها راجع إلى تطور وازدهار مدينة تمبوكتو التي ساعدت تجارتها وارتفاع عدد القوافل التجارية الوافدة إليها من كل مناطق إفريقيا الغربية، فأصبح تجار الجنوب يأتون إلى جني ليأخذوا ما يحتاجونه من بضائع الشمال ويبيعونه لتجار العبيد كما يبادلونهم بالذهب وهكذا أصبحت جني ثالث مدينة من حيث الأهمية التجارية في السودان الغربي كله بعد كل من تمبوكتو وغاو⁽¹⁾.

أما الكولا فهي موجودة عند نهاية أطراف السوق موضوعة على صفيين أمام كل صف سلة صغيرة للبيع بالتجزئة بـ 8 إلى 10 قطع كوري (Cauris)⁽²⁾، وينخفض ثمنها بسبب كثرتها الموجودة في البلاد، ولكن قيمتها العادية من 15 إلى 20 قطعة كوري. كما يوجد أيضا بعض الجزائريين في السوق ويبيعون سلعتهم مثل ما هو في أوربا، ويوجد أيضا الكثير من السمك الطازج والجاف، القرع، الحصير، القماش المحلي الملابس الجاهزة، جوز الكولا، العسل، الزبدة النباتية والحيوانية، الحليب، الحطب، قصب الذرة، وفي كل مساء تأتي النساء الزنجيات لشراء الوقود بـ 10 كوري من أجل طهي الطعام، لأن الحطب قليل وعادة ما تباع بـ 120 كوري أي ضعفها 12 مرة⁽³⁾.

إن المور المقيمون بجني لا يبيعون في محلاتهم أبدا، بل تجدهم يوظفون تجاراً أو أشخاصاً مؤتمنين أو حتى عبيداً يبيعون بالتجزئة لحسابهم، أما المور فيجلسون على حصيرة موضوعة عند المدخل، ويضعون أكثر من قطعة ملح في انتظار الزبائن، أو من يشتري سلعتهم، كما أنهم يحتكرون أيضا تجارة العاج الذهب، الأرز، الذرة، العسل، الشمع، القماش المحلي، الأدوات المجهزة، ثم ينقلونها إلى تمبوكتو أو يبادلونها بالملح أو التبغ أو بالسلع الأوربية، كما أنهم يجلبون السلع من أدرار، تافيلالت⁽⁴⁾ توات، غدامس، طرابلس، تونس، الجزائر⁽⁵⁾.

زنوج جني هم أيضا تجار ولكن تجارتهم أقل أهمية فهم يزيفون المواد ذات القيمة الكبيرة، كما أنهم ينتجون أيضا التمر الهندي، الفلفل الحلو، البهارات، أوراق فاكهة البواباب (Boabab) و(Oseille) الفستق

1 - زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي لإفريقيا الغربية فيما وراء الصحراء، 1989م، ص106.

2 - هي صدف صغيرة فردية، من النوع الخزفي يستعملها سكان غرب إفريقيا في مكان العملة، ينظر:

René Caillé, Op-Cit, T2, p33.

3 - Ibid, p201.

4 - تافيلالت: هي سجالماسة القديمة مهد الأشرف العلويين، تقع في سهل واسع وتشتمل على عدد كبير من القرى، تحيط بها غابات النخيل وأشجار الزيتون، ويصنع فيها الجلد الفيلاي ذو الشهر العالمية ينظر: الزيري، المرجع السابق، تهميش ص176.

5 - René Caillé, Op-Cit, T2, p309.

الفاصولياء، ومجموعة من المواد الأخرى التي تستقدم إلى جنبي من المناطق المجاورة، التجار المور الذين يسكنون جنبي هم حوالي 30 إلى 40 تاجرا، يشغلون المنازل الجيدة والقريبة من السوق وهم عماد التجارة بها (1).

3- سوق مدينة جاو: تقع جاو على بعد أربع مائة ميل (2) جنوب شرق تمبوكتو، وقد تم تأسيسها قبل دخول الإسلام إليها أواخر القرن الثاني الهجري، أما الإسلام انتشر بها في القرن السادس هجري، ويوجد فيها سوق للرقيق يتوافد إليه الناس من كل الجهات، أما الأقمشة والسلع الأخرى فهي ترد إليها من المغرب وأوربا، وفي عصر ازدهار الطرق الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي كانت القوافل التجارية تصل إلى تمبوكتو ومنها تتجه إلى جاو، غير أن ذلك تغير في آخر عهد دولة سنغاي (3).

3- سوق مدينة كانكان (Kankan): يقام مرتين في الأسبوع ويأتيه الأجانب من واسولو (Ouassoulo) ومن تورون (Toron) وسانغارو (Sangaran) الذين قدموا لهذه المدينة من أجل التجارة ومعهم القماش من بلدهم العسل الشمع القطن المواشي والذهب، أما سكان "تورون" فهم يعرفون من ملابسهم التي تتكون من قميص أصفر وقصير وسروال من نفس اللون في العمق واسع جدا، وقبعة من القش وفي بعض الأحيان نعل، وسلاحهم الوحيد هو سيف وقوس وحزام به السهام، وهم يحملون رماح في أيديهم، ويعفون لحاهم مثل المسلمين ولكنهم وثنون لهم وجوه دائرية الشكل، وأنف قصير، وشفاه رقيقة، والسوق يحتوي على السلع الأوروبية الآتية من الساحل عن طريق التجار الماندينغ، التي تتمثل في البنادق والمساحيق الذخيرة القماش الهندي الملون، الأقمصة الزرقاء والبيضاء، العنبر، المرجان، العقود الزجاجية، الخردوات، وأقمشة بيضاء محلية الصنع قادمة من واسولو، القدور وكل أنواع المأكولات، المواشي، الأغنام، الدواجن الأحصنة، كما يباع أيضا الخشب للتسخين، والملح هو المادة الأساسية في المبادلات إلى جانب الذهب الذي تستبدل به أغلبية السلع (4).

كل السلع لها موازين صغيرة تصنع في البلاد وهي دقيقة، إلى جانب مكيال آخر وهو استعمال بعض الحبيبات السوداء التي تجلب من الفوتا جالون فمتقال من الذهب يساوي حبيبتان من هذه المادة ويساوي ستة فرنكات (5).

¹ - Ibid, p202.

² - الميل: يساوي 1.6 كلم، ينظر: محمد محمود محمدين، المدخل إلى علم الجغرافيا، ص426.

³ - لقد ورد ذكر هذه المدينة من طرف الجغرافي الأندلسي البكري، وصاحب كتاب الاستبصار، ينظر: عباس، الصلوات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، 2010، ص52.

⁴ - René Caillé, Op-Cit, T1, p388,391.

⁵ - Ibid, T1, p391.

4- سوق مدينة تيمي (Timé): يعقد هذا السوق مرة في الأسبوع ويمون من طرف البامبارا من المدن المجاورة، الذين يقومون ببيع الفائض من مؤنهم بالإضافة إلى السمك الجاف، أما التجار الماندينغ فيجلبون الكولا ويقومون بتغطيتها بأوراق طبيعية لحمايتها من الرطوبة ويببلونها بالماء أيضا⁽¹⁾.

ثالثا: السلع المتبادلة

عبرت الصحراء الكبرى أنواع متعددة من السلع، والتي انحصرت بصورة رئيسية في المواد التعدينية والزراعية في المنطقتين المحيطتين بالصحراء الكبرى في الشمال والجنوب، كما كانت الصحراء نفسها تنتج بعض هذه السلع التي تبوأ مكانا بارزا في الحركة التجارية، ويمكن تناول هذه السلع تحت مجموعتين سلع واردة من السودان و سلع أخرى صادرة إليه:

- السلع الواردة إلى بلاد السودان الغربي:

أ- التمور: كانت تؤخذ من أسواق الوادي وتوقرت وورقلة في الجزائر، ثم تحمل بكميات كبيرة إلى بلاد السودان، وقد كان التجار في غالب الأحيان، رغبة منهم في توفير رؤوس أموالهم واستعمالها في شؤون أخرى، يتعاقدون مع المالكين فيقدرون أسعار البضاعة دون دفعها ولكنهم يتقاسمون الأرباح معهم بالتساوي⁽²⁾.

الأقمشة الصوفية: وهي من أهم السلع التي يقوم باستيرادها السودانيون، حيث يصنعونها منها البرانس والقنادر والحنابل وغيرها من الألبسة والأغطية وتباع بكثرة في أسواق السودان، حيث تحمل إليهم غير مصنوعة.

المرجان: وهو مرجان الصناديق الذي يشتري من الغواصين الأجانب من الأعيان الذين يتلقون سنويا كمية معتبرة من الشركات المستغلة للصيد في سواحل الشرق الجزائر، ويبيع في أعماق إفريقية بأكثر من 288 فرنكا للكلغ الواحد.

الأسلحة النارية: وتشتمل الأسلحة النارية المستوردة من فرنسا وإنجلترا عن طريق السوق الحرة، أو الأسلحة المصنوعة في توقرت ووادي ميزاب، وكذلك صفائح السيوف التي تصنع في قسنطينة والواحات وتباع البندقية في بلاد السودان بواحد وعشرين فرنكا، أما ثمن الصفائح فيتراوح ما بين ثلاثة وأربعة فرنكات⁽³⁾.

¹ - Ibid, T2, p05.

² - الزبيري، المرجع السابق، ص165.

³ - المرجع نفسه، ص166. ينظر أيضا:

Mungo Park, Voyage dans l'Interieur de l'Afrique 1795-1797, 1980, p50.

الحيوانات: من بين الحيوانات المرغوب فيها بغال المغرب، والتي عرفت رواجاً كبيراً وكثيراً اقتنائها في أسواق السودان الغربي، وذلك لضخامتها وقوتها وقدرتها على الكر والفر في الحروب⁽¹⁾، أما الجياد الأصيلة فكانت تستورد من المغرب الأقصى واختص بشرائها الملوك وحاشيتهم، ذلك أن بلاد السودان لا تتوفر بها إلا الخيول القصيرة القوائم⁽²⁾.

الكتب: مثلت الكتب نوعاً من أنواع التجارة، وكانت أثمانها مرتفعة ويجني التجار منها فوائد عظيمة وكانت هذه الكتب تأتي من مصر والحجاز وخاصة من دول المغرب، ومدينة تمبوكتو تعتبر سوقاً رائجاً لها، وبذلك نشأت حرفة الوراقين وفاقت فوائدها فوائد أي تجارة أخرى، وكانت تجارة المخطوطات أيضاً من السلع المهمة، الشيء الذي يدل على قيمة الكتب والرفعة العلمية التي كان عليها الحكام وعلماء السودان الغربي⁽³⁾.

كما يستورد الإفريقيون أيضاً التبغ، القبعات القطنية، المنتجات الحديدية، المشروبات الكحولية، بعض الأغذية الواسعة، الخردوات، بعض أنواع المنتجات الهندية، المجوهرات الزجاجية، العنبر⁽⁴⁾.

- السلع الصادرة من بلاد السودان الغربي:

تعتبر تمبوكتو المخزن أو المحطة الكبرى والأساسية للسلع والتجارة بالنسبة لكل أجزاء إفريقيا، فيها يوجد الملح الذي يأتي من مناجم تأودني عبر القوافل التجارية فوق ظهور الجمال، فالمور المغاربة الذين يأتون إلى تمبوكتو يبقون بها من 6 إلى 8 أشهر من أجل التجارة في انتظار تحميل جمالهم بسلع أخرى⁽⁵⁾، إلى جانب الذهب والعبيد الذين كانا على رأس القائمة.

الذهب: كان الذهب السلعة الأولى التي جذبت إليها التجار منذ عهد الفينيقيين وقد لفتت تجارة الذهب انتباه الجغرافيين والرحالة العرب منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وجمعوا عنها معلومات كثيرة وكتبوا عنها روايات تصل أحياناً إلى درجة المبالغة فقد ذكر القزويني قائلاً: "... والذهب ينبت في رمل هذه البلاد [السودان الغربي] كما ينبت الجزر بأرضنا، وأهلها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطفون الذهب"⁽⁶⁾، وقد كان التجار المغاربة يعودون من السودان محملين بالذهب أكياساً أكياساً وهذا ما كان

1- بوعزيز، "طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى"، 1980، ص 21.

2- الوزان، المصدر السابق، ص 166-167.

3 - عباس، المرجع السابق، ص 54.

4 - مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء...، 1999، ص ص 329-330.

5 - René Caillé, Op-Cit, T2, p309.

6- القزويني، المصدر السابق، ص 18.

يدفعهم إلى تحمل مشاق السفر وقطع مسافات طويلة في الصحراء تقدر بشهرين، وقد كان الذهب الذي يحمل من السودان يؤخذ إلى المغرب وجنوب أوربا في آن واحد⁽¹⁾.

وهناك بعض الذهب يستخرج عن طريق صهر المواد التي يوجد فيها، كما أنه يستخرج من المناجم الموجودة على ضفاف نهر النيجر، وتحفر هناك حفر يوجد فيها الذهب كالحجارة والحصى، كما يجلب من أسبن في الجنوب، وقد ذكرت بعض المصادر العربية أن الملوك كانوا يحتكرون الذهب، فتقوم الرعية بجمعه لحسابهم ولا يسمح لهم بأخذ شيء منه إلا بإشراف الملك⁽²⁾.

العبيد: وهو من بين السلع كثير الطلب عليها في شمال إفريقيا فجزء كبير منها يذهب إلى أروان، ويمكن أن تقدر عدد العبيد بـ 4000 عبد أتوا فقط من السودان إلى المغرب، وما يمكن ملاحظته على تجار تمبوكتو أنهم لا يجرون أعمالهم لحسابهم الخاص ولكنهم فقط مجرد ممثلين ووكلاء لتجار غدامس والساوره وفاس، ووضعتهم لا يمكن مقارنتها مع التجار الأوربيين لأنه لا يوجد واحد منهم يملك أكثر من 10000 أوقية إسبانية في ثروته⁽³⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه إلى جانب هذا النوع من تجارة العبيد، كان هناك نوع آخر أكثر أهمية، ولو أنه أقل انتشارا نظرا للسرية التي يحاط بها الرقيق الخصيان وهي عادة خصي الشبان الأقوياء وهو ما كانت تقوم به قبائل الموسي (Mossi) وسكان إقليم البورنو، ما جعلهم يحتكرون هذا النوع من التجارة التي كانت لها أسواق رائجة في كل من مصر وتركيا وبلاد المغرب الأقصى. كما يذكر ليون الإفريقي أنه اشترى عددا من الخصيان من إحدى القبائل التي تسكن ساحل منطقة طرابلس، وهنا لا يجب أن يغيب عن البال أن هذا النوع من التجارة أقدم بكثير، فقد قام إبراهيم بن أحمد من جزيرة صقلية خلال القرن 9 م على سبيل المثال بقتل 300 منهم كانوا في حوزته⁽⁴⁾. وأغلب العبيد يجلبون من داخل إفريقيا إلى السواحل عبر القوافل، وعند وصولهم يتواجد عدد كبير من المشتريين الأوربيين وهو ما يحدد قيمتهم، فالعبد الذكر ما بين 16 و 25 سنة ذو صحة جيدة عادة ما يباع بـ 18 إلى 20 ليره استيرلينية⁽⁵⁾.

ريش النعام: لقد كان له رواج كبير في الأسواق وعليه إقبال كبير، فهو يستعمل في حشو الأرائك والوسائد، كما كانت تتخذ منه الطبقات الموسرة مرأوح للتهوية أو للزينة، لذا فقد كان التجار يجلبون منه

1 - زيادة، المرجع السابق، ص 224.

2 - مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 320.

3 - Henri Barth, Op-Cit, T4, p106.

4 - بوفيل، المرجع السابق، ص 399-400..

5 - Mungo Park, Op-Cit, p51.

مقادير هامة أثناء رجوعهم من السودان، أما بيضه فقد كان يستعمل في تركيب الأدوية، ويوضع فوق المناضد أو يعلق على حيطان القاعات للزينة، لذا كان التجار يجلبون منه ما تيسر لهم، كما كانت أثمانه مرتفعة في الأسواق⁽¹⁾.

العاج (Ivoire): كان العاج متوفرا بكميات كبيرة جعلت السكان يصنعون منه أواني الشرب ويزينون به الخيل، كما أنه من الكماليات المرغوب فيها بالشمال الإفريقي ويتم تصديرها لدول المغرب ومنه إلى أوروبا، فهي من البضائع التي يرغب في شرائها، وبذلك يعتبر أهم صادرات السودان الغربي⁽²⁾.

التوابل: كان التجار المحليون يجلبون التوابل والبهارات من مناطق الغابات الإستوائية، واستخدمت إما للطهي أو كعقاقير طبية، وكانت أثمانها باهظة جدا رغم ذلك كان الإقبال على شرائها شديدا⁽³⁾.

كما صدرت بلاد السودان مواد وسلع أخرى كالسياط المستعملة في الترويض الحيوانات، واشتهرت بلاد التكرور بصناعتها، كم صدر السودان الغربي الإبنوس والعسل والقمح وحبوب كاوكاو والشب⁽⁴⁾.

رابعا: نظم التعامل

أ/ المقاييس: كانت المقاييس التي تعارف عليها الناس وتعاملوا بها هي:

الشبر: ويساوي الامتداد بين الخنصر والأبهام حين تكون الكف مفتوحة وقد قدره موني بـ 21.5 سم تقريبا.

الذراع: وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ويساوي حوالي 50 سم تقريبا.

الميل: وهو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة وقد قدره موني أيضا بـ 1920 مترا بالتقريب.

الفرسخ: وتقاس به المسافات الطويلة، ويساوي ثلاثة أميال أي $3 \times 1920 =$ حوالي 5760 متر تقريبا.

البريد: استعمل ولكن بقلّة وكان يساوي المسافة التي تعادل سير ساعة بالحصان السريع⁽⁵⁾.

ب/ المكاييل: ومن بين المكاييل نجد:

المد: يساوي أربعة أمداد بجمع اليدين، وقد قدره موني بما يعادل 0.75 سل بالتقريب.

الصاع: يساوي أربعة أضعاف المد أي ما يعادل ثلاث لترات تقريبا.

1 - زيادية، المرجع السابق، ص 225-226.

2 - الدالي المبروك، المرجع السابق، ص 323.

3- زيادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، ص 40.

4- الدالي المبروك، المرجع السابق، ص 323.

5 - زيادية، المرجع السابق، ص 198-199.

الفتنار: وقد قدر في دائرة المعارف الإسلامية بمائة رطل.

المودي: وهو يساوي ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد⁽¹⁾.

ج/ الموازين: يستخدم المتقال لوزن المعادن ويساوي وزن اثنتين وسبعين حبة من حبات القمح متوسط الحجم، ويقدر وزن المتقال بحوالي أربع غرامات من الذهب، ويقابل المتقال الذهبي الواحد ثلاثة آلاف ودعة، والدرهم عندهم يساوي سبعة أعشار المتقال، أما الدينار فكان يساوي أربعين درهما، ويعادل سعر الدينار ستة أوقيات من الذهب، وتزن الأوقية الواحدة نحو سبعة وعشرين ونصف غرام⁽²⁾.

الخاتمة:

أهم ما يمكن استنتاجه بعد دراستنا لموضوع الأوضاع التجارية في بلاد السودان الغربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيون نتيجتين هما:

- أن الصحراء لم تقف عائقا أمام حركة التجارة بين دول المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي وما ساهم في ذلك كثرة المسالك التجارية الرابطة بين المنطقتين مثل طريق (غدامس - تمبوكتو)، طريق (ورقلة - تمبوكتو)، طريق (مراكش - تمبوكتو)، وبذلك شهدت أسواقه نشاطا كبيرا وعرفت سلعهم الكثير من الرواج كما أن شمال إفريقيا كانت حلقة وصل لرواج ومرور السلع الأوربية إلى غرب إفريقيا كالأقمشة الصوفية، القبعات القطنية، المنتجات الحديدية، المشروبات الكحولية، وبعض المنتجات الهندية المجوهرات الزجاجية، العنبر.

- شكلت كتابات الرحالة الأوربيين مصادر ضرورية ومادة علمية للكثير من الباحثين والدارسين والمؤرخين في دراسة الأوضاع الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لبلاد السودان الغربي، كما أنها ساهمت أيضا في توغل الفرنسيين إلى هذه المناطق لما قدمته لهم من دراسات مستفيضة عن طبيعة السكان وطرقها الرئيسية وظروف هذه الدول السياسية والحضارية وغيرها وتسجيلها في كتبهم وتقاريرهم.

- البيبليوغرافيا

أ/ المراجع العربية:

- البرتلي محمد بن أبي بكر (2002)، فتح الشكور في تراجم علماء التكرور، تح: الهادي المبروك الدالي، بنغازي، دار الكتب الوطنية.

- الزبيري العربي (1972)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

1 - زبانية، المرجع السابق، ص 199.

2 - الدالي مبروك، المرجع السابق، ص 337.

- القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- الوزان الحسن (1983)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- بوعزيز يحي، "طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى"، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، العدد 59، 1980.
- بوفيل (1988)، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: محمد عزيز، ليبيا، منشورات جامعة قار يونس.
- ج. هوبكنز (1998)، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- زيادة عبد القادر (1989)، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي لإفريقيا الغربية فيما وراء الصحراء، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عباس عبد كريم، الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 4، سبتمبر 2010.
- علي باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم (2007)، المسلمون في غرب إفريقيا "تاريخ وحضارة"، لبنان، دار الكتب العلمية.
- مبروك الدالي الهادي (1999)، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- محمد بن محمد محمود ، المدخل إلى علم الجغرافيا، بيروت، دار المريخ.
- مقدم مبروك (2002)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرنين 18 و 19، دار الغرب، الجزائر.

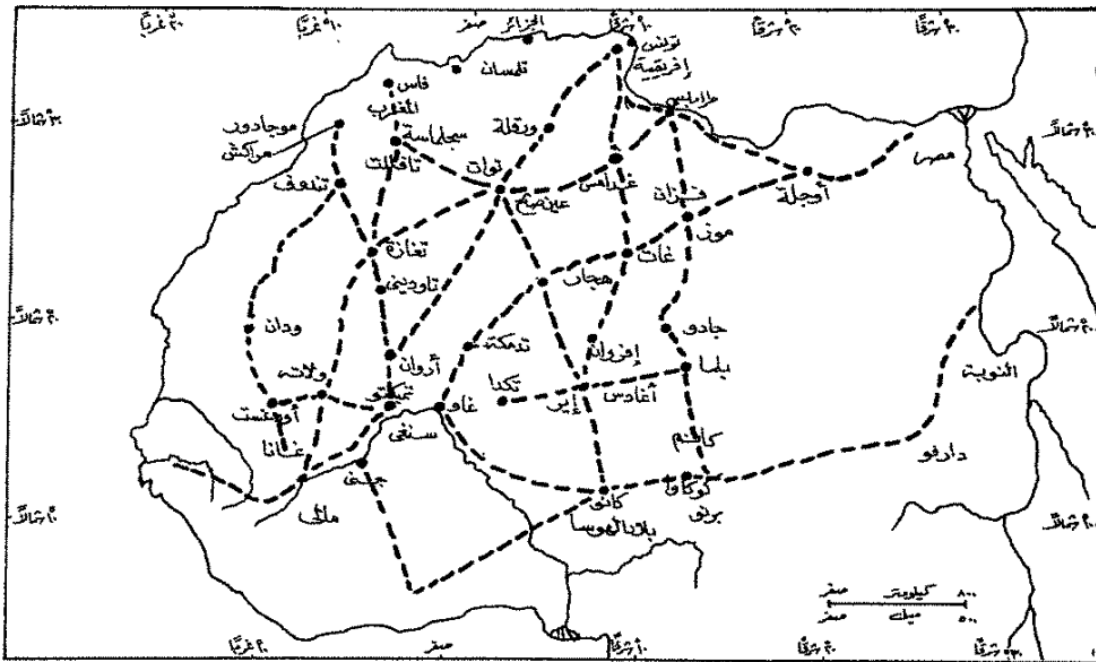
ب/ المراجع الأجنبية:

- Barth Henri, **Voyages Et Découvertes Dans l' Afrique Septentrionale Et central pendant les Année 1849 A 1855**, T3, Tr Paul Ithier, Firmin Didot Frères fils Et cie, Paris, 2 ed, 1863.
- Caillé René, **Journale d'un Voyage a Tombouctou et A Jenné Dans L'Afrique Centrale**, L'imprimerie Royale, Paris .
- Cat Edouard, **A Travers Le Désert**, Librairie Gedalge, Paris, 1892,
- Duveyrier Henri, **Les Touaregs du Nord**, Editeur Challamel Aîné , Paris, 1864.
- Park Mungo, **Voyage dans l'Interieur de l'Afrique 1795-1797**, J.Castéra, Pr :Adrian Adams, 2 ed, François Maspéro, Paris, 1980 .
- Soleillet Paul, **L'Afrique Occidentale « Algarie, Mzab, Tidikelt »** Avignon, Imprimerie De F Seguin Aîné, Paris, 1877.



صورة تبرز قافلة تجارية وسط الصحراء وعلى جانبها بقايا الهياكل العظمية، ينظر:

Edouard Cat , A Travers Le Désert, Librairie Gedalge, Paris, 1892, p83.



خريطة توضح طرق التجارة في السودان الغربي خلال القرن 19م ، ينظر: ج. هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ص 167.



صورة للرحالة الفرنسي روني كاييه، ينظر:

Edouard Cat, Op-Cit, p13.

الثورات الشعبية للطرق الصوفية في القرن 19 وموقف الاستعمار منها ثورات الطريقة الرحمانية أنموذجاً.

أ/ محمد الأمين عطلي

المركز الجامعي آفلو

أ/ محمد الأمين شرويك

المركز الجامعي آفلو

مقدمة:

ترتبط الطرق الصوفية ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الجزائري، كما تحظى الأخيرة بتأثير بالغ على بنيته الفكرية والثقافية، كونها تشكل إحدى أهم المرجعيات الدينية لمجتمعنا من جهة، وأساس له بالغ الأثر في تكوين معالم الشخصية والهوية الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، واستمدت هذا التأثير من كونها أقدم المرجعيات الفكرية في المغرب العربي، والتي تعود إلى القرن 14 ميلادي ولعبها دور كبير كمؤسسة دينية وثقافية واجتماعية وحتى عسكرية.

وتعتبر الزوايا من بين أهم الظواهر الاجتماعية الجديرة بالإهتمام، نظير ما قدمته من خدمات جليلة للدين الإسلامي وتشكيلها لمركب مهم للهوية السوسولوجية للمجتمع الجزائري، بالرغم من تعالي الأصوات المقللة من شأنها ودورها التاريخي متناسين فضلها ومعتبرينها وسيلة للانحطاط والتخلف، إلا أنها تبقى تحافظ على وجودها واستمراريتها، كما حافظت على مقومات هذا المجتمع أيام الحقبة الاستعمارية.

انتشرت الزوايا انتشاراً كبيراً في الجزائر خلال القرن 19، حيث بلغ عددها حوالي 349 زاوية منتشرة على شرق البلاد وغربها ومن شمالها إلى جنوبها؛ واشتهرت عدة طرق وكثر إتباعها ومريديها مثل القادرية والطيبية والتيجانية والسنوسية والرحمانية وغيرها وتباينت أدوارها واختلفت مواقفها وتأثيراتها على المجتمع الجزائري خلال القرن 19.

ونظراً لشساعة موضوع الطرق الصوفية في الجزائر، وكثرة عددها شدنا الإهتمام إلى دراسة الطريقة الرحمانية الأزهرية، ودفعنا للبحث فيها مواقفها البطولية والجهادية ضد الاستعمار؛ وتبنيها لثورات شعبية على مدار ما يقارب العشرون سنة كاملة.

الإشكالية: يكاد يجزم البعض على أن الطرق الصوفية قد لعبت دوراً سلبياً عشية الاحتلال الفرنسي بتأييدها وموالاتها له، إلا أن هذه النظرة تعتبر ضيقة، وهو ما دفعنا لطرح الإشكال التالي عن نموذج للطرق الصوفية التي حملت لواء المقاومة: كيف تأسست الطريقة الرحمانية؟ وما هو مجال انتشارها؟ ما هو موقفها من الاستعمار؟ وما هي سياسة فرنسا اتجاه الثورات الشعبية الصوفية عموماً وثورات الرحمانية خصوصاً؟

أولاً:

1- نشأة الطريقة الرحمانية:

تنسب جميع الدراسات الطريقة الرحمانية بالجزائر إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطولي الجرجي¹ وهناك من يلقبه بمحمد بن عبد الرحمان القشطولي الإدريسي الأزهري² ولقب بالأزهري نسبة إلى جامع الأزهر بمصر مجاورة له وتبركا به.

واختلفت المصادر في تحديد تاريخ مولد الشيخ محمد بن عبد الرحمان، حيث نجد مولده يعود إلى ما بين سنتي 1715-1728 في الكتاب الشهير " الطرق الدينية في الجزائر" للضابطان ديبون وكوبولاني³ وهو نفس التاريخ الذي اعتمده الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه " تاريخ الجزائر العام". ويؤكد هذا التاريخ العقيد كورنابي ترميليه **Corneille Trumelet** في " كتابه الجزائر الأسطورية" بتحديد تاريخ الميلاد في الربع الأول من القرن الثامن عشر⁴ وهو نفس التاريخ تقريبا الذي أورده أبو القاسم سعد الله في " كتابه تاريخ الجزائر الثقافي".

ولد بقرية بوعلاوة بعرض أيت إسماعيل من حلف قشتولة، والتي تقع على بعد 15 كلم شرق ذراع الميزان ببلاذ جرجرة، مع وجود رواية أخرى أن مولده كان في الجزائر العاصمة، وهذه الرواية انفرد بها **Corneille Trumelet**، لكن أغلبية من ترجم له ذكر أن مسقط رأسه هو وطن بني إسماعيل⁵.

بعد حفظه للقرآن الكريم، و تعلمه الأول بزواية الشيخ الحسين بن آعراب بأيت أيراثن ببلاذ القبائل توجه إلى القاهرة، ويبدو أن منطقة زوأة كانت تربطها علاقات علمية بالأزهر الشريف، حيث نجد أن الشيخ الحسين بن آعراب هو الآخر قد درس بالأزهر الشريف، وأخذ عن الشيوخ هناك⁶ وجد ضالته في الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الخلوتي كمرابي وشيخ له في نفس الوقت الذي أرسله إلى السودان لتعليم الناس أورد الطريقة الخلوتية، ولم يرجع إلى سنة 1177هـ-1763م، وهي نفس السنة التي أجازها بها شيخه، وأمره بالعودة إلى بلاده لنشر علمه بها.⁷

2- تأسيسه للطريقة الرحمانية: 1183هـ - 1769م

بعد عودته إلى مسقط رأسه أسس زاويته الرحمانية نسبة إليه، وقد سميت بالخلوتية في البداية وشرع في الوعظ وتقديم الدروس حتى اشتهر ووصل صيته إلى مدينة الجزائر، وأصبحت زاويته وقرية بني إسماعيل منارة للعلم، ومقصدا للمريدين من كل الأمصار وانتشرت طريقته بالمدينة ومستغانم ووهران وتونس وطرابلس.⁸

تبنت الطريقة الرحمانية التطبيق العلمي للشرع قولاً وعملاً وأخلاقاً منهاجاً لها، وبصحة المربي والشيخ الذي لا يكتفي بتعليم المرید، وإنما يأخذ بيده إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، واهتمت

الطريقة بنشر الدروس والتعاليم والثقافة الإسلامية، على مبادئ السنة الشريفة وتعاليم القرآن الكريم وبذلك قد حافظت على مقومات الهوية المحلية⁹.

وتركز الطريقة الرحمانية في مناهجها على المزج بين منهاج العلماء الذين يرون ضرورة التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية ومنهج الصوفية المتمسكين بضرورة التجربة الدينية¹⁰، فهي بذلك تحافظ على مصادر التشريع من جهة، وتكيف منهج الصوفية مع ظروف المجتمع من جهة؛ خاصة إذا عرفنا أن أغلبية مريدي الطريقة ينحدرون من الطبقات الفقيرة.

3- انتشارها وعدد مريديها:

اعتبرها كل من ديبون وكوبولاني من أشهر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارا في القرن 19، حيث بلغ عددها سنة 1851م حوالي: 225299 بنسبة 32% من جملة المنتمين للطرق الصوفية، وفي 1897م بلغ عدد زوايا الطريقة الرحمانية حوالي 177 زاوية من مجموع 349 زاوية في الجزائر كلها¹¹ أما في سنة 1906م فقد بلغ عدد المريدين الرحمانيين حسب أبو القاسم سعد الله حوالي 133.500 من بينهم أكثر من 13.000 من النساء.¹²

كما يذكر يحي بوعزيز أن هذه الطريقة ظلت تحافظ على وجودها أثناء الوجود العثماني بفضل شيوخها، ويذكر منهم أحمد بن الطيب الرحموني، وزاوية الحامة بالعاصمة، وزاوية الشيخ الحداد ببلدة صدوق، والزاوية العثمانية بطولقة.¹³

وحسب دائرة المعارف الإسلامية: فإن الطريقة الرحمانية أكثر الطرق انتشارا في الجزائر، ويبلغ عدد زواياها الكبرى أربع زوايا وهي: زاوية سطيف وقسنطينة وبوسعادة وآقبو، وتحتل زاوية الهامل المرتبة الأولى بحوالي 43 ألف مريد¹⁴، وهذا يبين مدى نجاح هذه الطريقة في استقطاب عدد المريدين، وحجم تمسك المجتمع الجزائري آنذاك وإلى اليوم بالطرق الصوفية، كملاذ ديني وروحي في نفس الوقت، بعيدا عن التشدد والمغالاة والتطرف.

ثانيا:

1- الطرق الصوفية والاحتلال الفرنسي:

شكلت الزوايا أحد أهم المؤسسات الدينية والروحية التي اهتم بها الاستعمار نتيجة للدور الذي لعبته في مواجهة السياسة الاستعمارية الرامية إلى طمس معالم هوية المجتمع الجزائري والقضاء على مقوماته الشخصية، فإلى جانب تلقينها تعاليم الدين، فإن أئمتها كانوا زعماء الثورات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي.

فالطرق الصوفية هي من تولى مهمة الجهاد بداية الاحتلال، بداية بمقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين، الذي التفت حوله جموع المقاومين¹⁶، خصوصا إذا علمنا أن الشيخ محي الدين عرف بالتقوى والزهد والتصوف، والتي جلبت له محبة واحترام الناس وفي هذا الصدد يقول: **حمدان بن عثمان خوجة** في كتابه **المرآة**: " إن شيوخ الطرق الصوفية هم من أمروا الناس بالمقاومة والجهاد لما كان لهم من تأثير كبير على عموم الناس، خصوصا بعد تهاوي سلطة الأتراك العثمانيين " ¹⁷، وهذا بتأكيد من الفرنسيين أنفسهم حيث ورد في تقاريرهم حول المقاومات الشعبية، أن المرابطين يقفون وراء كل الأفعال التي يقوم بها السكان ضدهم. ¹⁸

ولعل من بين أهم ردود الفعل الشعبية المنظمة على أيدي شيوخ الطرق الصوفية في القرن التاسع عشر والعشرين، نجد مقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين 1832-1848م، وثورة محمد بن عبد الله المعروف بـ: " بومعزة " 1846-1847م في منطقة الشلف والونشريس وهو من إتباع الطريقة الطيبية، وثورة بن ناصر بن شهرة أحد أتباع الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري وتحديدا جنوب الأغواط والتي نشطت مابين سنتي 1846-1875م، وثورة الشيخ بوزيان القادري في واحة الزعاطشة 1849 وثورة الشريف محمد بن عبد الله السنوسي في ورقلة 1852-1861م، وثورة أولاد سيدي الشيخ الطيبين بالغرب الوهراني 1864-1881م، وبعدها الشيخ بوعمامة الطيبي أيضا 1881-1908م¹⁹، أما ثورات الطريقة الرحمانية فهي موضوع بحثنا والتي سنتطرق إليها بنوع من التفصيل.

2- ثورات الطريقة الرحمانية ضد الاحتلال الفرنسي:

شاركت الطريقة الرحمانية كغيرها من الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية، باعتبارها الطريقة الأوسع انتشارا في القطر الجزائري²⁰ سواء في ثورات قادها شيوخ الطريقة أو في شكل مساندات ومساعدات قدموها للطرق الصوفية الأخرى كالقادرية والطيبية، ولعل من بين أهم انتفاضات الطريقة الرحمانية نجد: ثورة الحاج عمر الرحماني ومولاي إبراهيم وفاطمة نسومر في جبال جرجرة 1850-1857م، وثورة الشيخ الحداد في جرجرة والبابور والهضاب العليا وقسنطينية 1871م.

2- ثورة الحاج عمر و فاطمة نسومر في جبال جرجرة 1850-1857:

- ثورة الحاج عمر الرحماني:

يعتبر من أعلام الطبقة الثانية للطريقة الرحمانية، تولى مشيخة الزاوية الرحمانية بأيت إسماعيل سنة 1841م، واحد رجال المقاومة منذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، كما عرف بحيويته ونشاطه الشديدين²¹، فايد ثورة الشريف بوبغلة وقاد ثورة سنة 1851م وتحصن بالجبال القريبة من الزاوية، إلا أن

القوات الفرنسية أرغمته على الاستسلام في بني كوفي بأيت إسماعيل في 14 سبتمبر من نفس السنة²² وبالرغم من ذلك فقد حافظ على مشيخته للزاوية الرحمانية.

ربط الشيخ عمر الرحماني علاقات طيبة مع شيوخ جرجرة أمثال الشيخ محمد بن عبد الرحمان شيخ بني منقور، والشيخ وأعراب في أيت اراثن، ولالة فاطمة نسومر، ليعود مجددا للمقاومة مع بداية سنة 1856م²³ حيث انطلقت أولى معاركه ضد القوات الفرنسية في 02 سبتمبر من نفس السنة بذراع الميزان وتواصلت معاركه مكبدا العدو هزائم كبيرة وخسائر في الأرواح والعتاد، إلا أن عدم تكافؤ الطرفين أنهى المعارك في 22 سبتمبر، وزحف الجنرال الفرنسي على زاوية أيت اسماعيل وحاصرها ودمرها كلياً واضعاً حداً لمقاومة الحاج عمر الرحماني.²⁴

ومع دخول قوات الفرنسيين إلى منطقة القبائل سنة 1857م، نفي الحاج عمر إلى تونس، وتحديدًا بزاوية الكاف²⁵، وتفرغ للوعظ والعبادة، كما بقي على اتصال مع إتباع الرحمانية في الجزائر والذين اختاروا الشيخ الجعدي شيخاً للطريقة الرحمانية خلفاً له.

- ثورة لالة فاطمة نسومر:

تتحدّر لالة فاطمة نسومر من أسرة تنتمي للطريقة الرحمانية، فوالدها الشيخ محمد بن عيسى مقدم زاوية سيدي احمد أمزيان، وهي من مواليد 1830، انضمت إلى مقاومة الشريف بوبغلة 1850-1857م في منطقة جرجرة، وشاركت معه في الدفاع عن نات إراثن، وانضم إليها عدد من شيوخ الزوايا والأعراش. وتعتبر معركة ربوة تمزقيدة من أهم المعارك التي قادتها لالة فاطمة إلى جانب الشريف بوبغلة ضد قوات العدو الفرنسي بقيادة الجنرال راندون و ماکماهون، وبرأي منها تراجع الثوار إلى بني يني حيث انضم إليها عددا كبيرا من الإتباع حيث اتجهوا نحو منطقة واضية لمواجهة العدو، الذي بلغت قواته 45 ألف جندي، في حين لم يتعدى جيشها 07 آلاف جندي²⁶، بالرغم من عدم التكافؤ إلا أنها حققت انتصارا كبيرا.

رغم الهزيمة واصل الجنرال راندون تغلغه في جرجرة واحتل عزازقة في 1854م واستولى على أراضي الفلاحين، ووزعها على المعمرين، وبالمقابل واصلت لالة فاطمة هجماتها على مواقع العدو في كل من: يللتن وتخلجت والأربعاء وعين تاوريغ وتاوريرت الأمر الذي دفع بقوات العدو الاستعانة بقوات جديدة واعتماد الإبادة كوسيلة لتخويف السكان، والقضاء على المقاومات الشعبية الطرقية وهذا ما سنفصل فيه لاحقا.

ونظرا لعدم تكافؤ القوى قررت لالة فاطمة نسومر الانسحاب رافة بالنساء والأطفال إلى قرية تيلجيت ناث عتسو وتم التفاوض بشأن الاستسلام بشرط الحفاظ على الشرف والعرض، لكن القبطان فورشو دخل قرية تاكلا بالقوة وأسر فاطمة وحوالي 200 امرأة معها في 11 جويلية 1857م، وأبعدت عن منطقة جرجرة ووضعت تحت الإقامة الجبرية في زاوية سي الطاهر بن محي الدين باش آغا ببني سليمان بالمدينة، وبقيت هناك إلى أن توفيت بمرض في سبتمبر 1863م عن عمر 33 سنة²⁷ لتوقف حلقة من جهاد الرحمانية وتنطلق مقاومة أخرى.

- ثورة الشيخ صادق بن الحاج:

تعود أولى بدايات ثورة الشيخ الصادق إلى مشاركته في ثورة الزعاطشة عام 1849م، إلى جانب الشيخ عبد الحفيظ مقدم الطريق الرحمانية، وخاض معه معارك شهيرة مثل: معركة امشوشن 1844م ومعركة وادي براز سنة 1848م، وساند ثورة الشيخ بوزيان²⁸، وبعد استيلاء الجنرال هيربيون على واحة الزعاطشة والتتكيل بأهلها وقطع رأس كل من الشيخ بوزيان وابنه والحاج موسى الدرقاوي، وأعدم ما يقارب 1500 شخص²⁹، اندلعت ثورة الحاج الصادق بين بلدة منعة وسيدي عقبة.

كان الحاج الصادق شديد الحرص على تحريض الناس على الجهاد بقوله: " إن الرومي يعمل ضد ديننا ضد صلاتنا، ضد زكاتنا وضد حجنا، أنه يفرض علينا إتباع دينه وهو ما لم يأمر به الله ورسوله"³⁰، وانطلقت المواجهات مع الجنرال ديفو في 05 جانفي 1859م، لكن لعدم التكافؤ فضل المجاهدون الانسحاب إلى قرية القصر مقر الزاوية الرحمانية، ومنها قرروا الخروج إلى تونس حيث ألقى القبض عليهم في 20 جانفي من نفس السنة بمنطقة تمقلين وأسر معه 88 مجاهد³¹.

حكم على الشيخ الحاج الصادق ب: 15 سنة سجنا في 17 مارس 1861م، وأدخل سجن الكدية وخوفا من تجديد إتباعه للثورة حكم عليه بالإعدام لكن لم ينفذ الحكم وتم نفيه إلى سان مارغريت لكنه توفي قبل ذلك في 1862م.³²

ونقل جثمانه إلى قرية تبرمارسين ودفن هناك لتتوقف ثورة من أهم ثورات الرحمانية، وتفتح الباب لأهم ثورات الرحمانية وأعنفها في القرن 19م وهي ثورة الشيخ علي بن الحداد.

- ثورة محمد بن امزيان الحداد: 1871 - 1873م:

تعتبر ثورة الشيخ ابن الحداد من أهم ثورات القرن 19، وحظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين والمؤرخين دراسة وتحليلا وهذا يرجع على الأرجح إلى نطاق انتشارها وعدد إتباعها ونتائجها ويتميز السياسة الإستعمارية التي تعاملت بها مع هاته المقاومة.

ينحدر الشيخ الحداد من أسرة رحمانية، ويكنى بمحمد أمزيان بن علي الحداد، شيخ الزاوية الرحمانية بصدوق بزواوة ومقدم الطريقة الرحمانية، من مواليد 1790م وأنتخب على رأس الطريقة الرحمانية بعد فشل ثورة القبائل 1857م، وهجرة محمد الجعدي إلى تونس، ونقل الزاوية من أيت اسماعيل إلى صدوق أوفلا.³³

أسباب ثورته:

حسب عبد الرحمان الجيلالي يمكن حصر أسباب ثورته، في انهزام فرنسا في حربها ضد ألمانيا وتغيير نظام الحكم فيها من الملكية إلى الجمهورية، إضافة إلى تفاقم الضرائب التي أدت إلى تفجير السكان³⁴، إضافة إلى قرار كريميو والذي منح الجنسية لليهود سنة 1870م مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية.³⁵

أما يحي بوعزيز فنلمس في كتاباته عن أسباب وظروف هذه الثورة تركيزه على دور الباشاغا المقراني والانعكاسات السلبية التي تجرعتها بسبب تقربه الكبير من الإدارة الفرنسية من جهة، واستفادته من قروض بنك الجزائر والتي عجز عن ردها من جهة أخرى الأمر الذي دفعه إلى الثورة؛ ضد تنامي شوكة اليهود المدعمن من كريميو وزير العدل حافظ الأختام، والذي أبدى المقراني سخطه منهم بقوله "إني مستعد أن أضع رقبتني تحت السيف ليقطع رأسي، ولكن لا أطيع أبدا أحدا من غير الجنود، ولا أقبل أن أخضع لحكومة التجار اليهود" وقرر أن يخوض غمار الثورة.³⁶

اندلاع الثورة :

اندلعت الثورة بعد إعلان تطبيق النظام المدني في 24 أكتوبر 1870م واستقالة المقراني من منصب الباشاغوية احتجاجا على المرسوم؛ وناقش مسألة الثورة مع عائلته وقواده ما بين 10 و15 مارس 1871م، وفي 16 مارس زحف على مدينة برج بوعريبيج على رأس 7 آلاف فارس،³⁷ وانضم إليه عدد كبير من الجزائريين العاملين في قوات الحرس الفرنسي.³⁸

وامتدت الثورة لتشمل زكار مليانة وتقرت إلى جيجل و القل شرقا وإلى الحضنة، بوسعادة ، تقرت ،باتنة بسكرة وعين صالح جنوبا، وأبلى المقراني بلاء حسنا دفع بالرحمانيين للانضمام إلى ثورته وتبنيها كليا.³⁹

بالرغم من معارضة الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد ولأنه كان طاعنا في السن ولا يميل إلى الحروب التي كان يرى فيها تخريبا لزاويته، إلا أن ولده عزيز أقنعه لإعلان الجهاد في 08 أبريل 1871م؛ ببلدة صدوق وامتدت الثورة إلى كل من المناطق الشمالية للجزائر إلى القل وجيجل وباتنة وبجاية ودلس وتيزي وزو والأربعاء وذراع الميزان والأخضرية.⁴⁰

واستطاع الحداد جمع ما يقارب 125 ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة، وقاد الجهاد بنفسه وصل إلى جبال البابور بالشمال القسنطيني حيث إتباع الطريقة الرحمانية، ومن أبرزهم شيخ زاوية فرجيوة والمقدم الحسين بن احمد الشريف المدعو " مولاي الشقفة " شيخ زاوية مولاي الشقفة بالبابور، إلا أنهم واجهوا صعوبات بمقاومة بعض العائلات الموالية لفرنسا مثل؛ أولاد ثابت وعائلة بن حبيلس وأولاد داودي بن كسكاس.

وامتدت الثورة إلى ذراع الميزان حيث زاوية امحمد بن عبد الرحمن " بوقبرين " وإلى دلس حيث الحاج عمر بن محي الدين ممثل الرحمانيين، ووصلت حتى الجزائر العاصمة ومنتجة⁴¹، وبلغ عدد المعارك التي خاضوها 350 معركة، وعدد الثوار وصل إلى 200 ألف مجاهد، وأبلى الرحمانيون بلاءا حسنا في وادي الصومام وجبل طاقات بالبابور، والودية وعين عبيسة وغيرها، إلى غاية استشهاد المقراني بسفلات بسور الغزلان في 06 ماي 1871م، وتولى بعده أخوه الشيخ بومزراق وعمره 35 سنة.⁴² وبعده استسلم الشيخ عزيز بن الشيخ على بن الحداد، ولحقه أخوه الشيخ محمد والشيخ الحداد نفسه في 13 جويلية من نفس السنة في منطقة تيزي لكحل في وادي الساحل، وصدر حكم في حقه في 19 أبريل 1873م بالسجن 05 سنوات، إلا أنه توفي بعد 05 أيام عن عمر ناهز 83 سنة ودفن بقسنطينة⁴³، أما والديه فقد نفيا إلى كاليدونيا الجديدة، وبالرغم من اندلاع ثورة الشيخ بن جار الله في 30 ماي 1879م، إلا أنها لم تأخذ صدى ثورة الحداد وقمعت بسرعة.

- الشيخ محمد بن فيالة ودوره في مقاومة 1871:

إن ثورة عام 1871م في منطقة جيجل والشمال القسنطيني هي امتداد لثورتَي المقراني والشيخ الحداد اللتين تعتبران من أهم الثورات الشعبية ما قبل ثورة نوفمبر 1954 م، وإن هذه الشخصية التي نحن بصدد الحديث عنها تعتبر من أهم أقطاب هذه الثورة وإنه لمن المؤسف أن تتغافل الجهات الرسمية المعنية بالتاريخ عن البحث ودراسة حياة هذه الشخصية ومدى تأثيرها في المقاومة، فلا يكاد يُعلم لها خبر في مصادرهم، على العكس تماما من المستعمر الذي كان يذكرها في كل تقاريره الخاصة بثورة 1871م. يقول علي خنوف في كتابه القيم "تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا" في الصفحة 195 "سي محمد بن فيالة: تقول عنه التقارير الفرنسية أنه أخطر ثائر في المنطقة الشرقية، وقد ذكر اسمه في كل المحاكمات التي جرت بعد فشل الثورة، وهو مقدم زاوية سيدي وارث قرب سوق الجمعة، كما عمل قاضيا لعرش بني حبيبي"، وقد أسهب المؤلف في ذكر أحداث ثورة 1871 م في منطقة جيجل والشمال القسنطيني بقيادة كل من القائدين محمد بن فيالة والحسين بن أحمد، وإنه لمشكور على مؤلفه القيم.

نسبه:

القائد محمد بن فيالة هو محمد بن بلقاسم بن إبراهيم بن عبد القادر بن مبارك بن أحمد بن محمد بن مبارك المجذوب بن أحمد بن الصالح بن محمد بن أحمد العابد بن علي بن محمد بن عبد الرزاق بن علي بن عبد الصمد بن علي بن سليمان بن منصور بن عبد الصمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن محمد المدعو حرمة بن عيسى بن سليمان الملقب سلام بن مزوار بن علي الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله المحضر بن الحسن الأصغر بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب يعود نسبه للسيد سماعيل بن فيالة ابن مسعود.

ولادته ونشأته:

جبال بني حبيبي منشأ محمد بن فيالة ونقطة انطلاق ثورته، ولد محمد بن فيالة نحو 1827م في منطقة قبائل بني حبيبي إحدى مناطق الشمال القسنطيني (جيجل حالياً) قرب مصب وادي الكبير، وكانت عائلته صوفية متدينة توارثت الفقه والعلوم الدينية أبا عن جد، فكان لا بد أن ينشأ نشأة العالم المتدين الذي يحظى بتقدير واحترام القبائل، هذا وقد زاد من سطوع نجمه تمرسه في ركوب الخيل والمبارزة منذ صغره ثم إتقانه استعمال الأسلحة النارية التقليدية المتوفرة في ذلك الوقت، فكانت له كل المؤهلات لأن يكون الرجل القائد ذو المكانة الخاصة بين قبائل المنطقة، وفي فترة مبكرة من شبابه زار البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وبعد عودته تولى القضاء وتسيير شؤون الزاوية التي حملت اسمه بعده، لكن وبسبب سيطرة المستعمر الفرنسي على معظم مناطق القبائل الصغرى والظلم والتكيل الذي كان يتلقاه الأهالي تشكلت لمحمد بن فيالة روح جهادية كبيرة وعزيمة على محاربة وطرده هذه القوة المسيحية الغازية وتطهير أرض الإسلام منها.

ثورته:

في 16 مارس 1871م اندلعت ثورة المقراني، وتدعمت بإعلان الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين الجهاد في 8 افريل من نفس السنة، وانتشرت هذه الثورة بشكل سريع في مختلف مناطق الشرق الجزائري فكان لا بد لمحمد بن فيالة أن يكون حامل لواء هذه الثورة في مناطق الشمال القسنطيني، ولما كان قد تسلم في وقت سابق بعض الأموال من حاكم ميلا بعد أن تم تهريبها من خزائن باي قسنطينة قبيل الزحف الفرنسي على المدينة، أعلن الانضمام للثورة في 20 جوان 1871م، وبدأ في تشكيل جيشه وطلب مساندة شيوخ القبائل واستطاع بالتنسيق مع الحسين بن أحمد اليدري (مولاي الشقفة) من توحيد صفوف المقاومة وكسب تأييد كل من الشيخ اعمر بن رفاص من قبائل بني مسلم وإبراهيم بن عمر من قبائل بني عبيد والشيخ صالح بن صويلح من قبائل بني فرقان.⁴⁴

بدأ محمد بن فيالة عملياته الجهادية بالهجوم على القافلة العسكرية الفرنسية بتاريخ 4 جويلية 1871 م، لتتوسع على نطاق كبير في منطقة جيجل، حيث وقع الهجوم على مدينة جيجل في 4 جويلية من نفس السنة وألحق الثوار بالقوات الفرنسية خسائر بشرية ومادية معتبرة، ومنها انتقلت الإنتفاضة إلى شمال منطقة الميلية، قام إثرها الثوار بالهجوم على القوات الفرنسية المرابطة فيها.

بعد ذلك بدأت عملية التوعية بضرورة توسيع المقاومة إلى مناطق أخرى فمن سكان عشيّش وبنى قايد العقبية إلى بنى تليلان بالماء الأبيض، وقام محمد بن فيالة بمراسلة شيوخ وسكان هذه المناطق لحثهم على حمل السلاح وتخريب المنشآت الإقتصادية التي أقامها العدو الفرنسي حيث تم تخريب السكة الحديدية الرابطة بين منطقة سكيكدة وقسنطينة وتعرضت القرى التي أنشأها المعمرون بدورها إلى الحرق والتخريب، وفي 27 جويلية 1871 م خاض القائد محمد بن فياله مع الحسين بن أحمد معركة كبيرة ضد قوات العدو الفرنسي هاجموا خلالها منطقة ميله وأتلفوا مزارع المعمرين، ونتج عن هذه المعركة التي وقعت في وادي شرشار وقوع خسائر كبيرة في صفوف العدو الفرنسي.⁴⁵

عاد محمد بن فيالة إلى مسقط رأسه قبائل بنى حبيبي وأتى مع قواته على حرق مزارع المعمرين وغابات وادي الكبير ووادي زهور ومع بداية شهر أوت من عام 1871م، خاض مع الحسين بن أحمد عدة معارك ضارية ضد القوات الفرنسية التي كان على رأسها كل من الجنرال دو لاکروا والضابط أوبري لينتقلا بعدها إلى مناطق أخرى لتوسيع الإنتفاضة، حيث وصلا بقواتهما إلى عين النخلة ثم فج بينان ومنها إلى جبل سيدي معروف وجبل قوفي.⁴⁶

اعتقاله:

في يوم 21 أوت 1871م وبمساعدة بعض الخونة باغتت القوات الفرنسية القائد محمد بن فيالة وهو في مقر زاويته وطوقت المنطقة وتمكنت من القاء القبض عليه واقتادته أسيرا إلى سجونها، وقد تعمدت سلطات الاحتلال الفرنسي طمس هذه الشخصية التاريخية وقطع أخباره، فلا يُعلم عنه شيء منذ اعتقاله إلى اليوم إلا بعض الأخبار غير الأكيدة التي رُوجت أثناءها تقول أنه حُكم عليه بالإعدام لكنه توفي في السجن قبل تنفيذ الحكم.

بيت محمد بن فيالة لا يزال قائما إلى اليوم في بلدية الجمعة بنى حبيبي، ولاية جيجل، وهذه بعض مقاطع قصيدة رثائية نُظمت في القائد محمد بن فيالة بعد اعتقاله:

يكيو أحمد وابراهيم والغربية معاهم، يا ربي تكون معاهم والناس لملاح،

يكيو على بأباهم في الحبس ألتاح

غزالة يا الزينة وقفت فالباب، والحرقة دي الغزالة كي دي الكباد

الله ربي واللوح المحفوظ، بيكيو على باباهم فالجنة محطوط
تبكي يا الشريفة على باهي الصفة، وسيدي محمد والسرج والقطيفة
تبكي يا عيشوش وخلالك منقوش، بالفضة مرشوش للكعبة ينادي
تبكي يا زينب على زين المركاب وسيدي محمد على قشّو يربط

والأمر الذي نخلص إليه أن الطريقة الرحمانية كانت من بين أبرز الطرق الصوفية عداً للاستعمار ومناهضة له بداية من مسانقتها وتأييدها للأمير عبد القادر ووصولاً لتبنيها الجهاد بنفسها على أسس دينية ضد العدوان الصليبي، إن الطرق الصوفية وفي مقدمتها الرحمانية من الطرق الدينية التي كتبت تاريخها من ذهب في القرن 19م، بعيداً عن الموالاة والإذعان لقوات العدو وسياسته، وعانت من ويلات الاستعمار ما لم تعانه بعض الطرق الأخرى التي والت الاستعمار بسياسة أقل ما يقال عنها لا إنسانية ارتكزت أساساً على الإبادة والتعصب الديني وحرمان الجزائريين من مصادر عيشهم لتشجيع الاستعمار.

ثالثاً:

1- سياسة فرنسا الاستعمارية لقمع الثورات الشعبية:

بعد اندلاع الثورات الشعبية ضد الإستعمار الفرنسي، وتأكده في ضلوع الطرق الصوفية فيها، وجه اهتمامه إلى دراستها ومحاولة فهم طريقة تفكيرها ومناهج تنظيمها، فكلف ضباطه بإنجاز الدراسات والتقارير حولها؛ واتسمت هذه الدراسات بالدقة والتركيز على الجانب الديني والاجتماعي والانتروبولوجي. ولعل من بين أهم الدراسات التي أنجزت نجد:

دراسة الضابط "فرانسوا دي نوفو" المعنونة بـ "الإخوان الطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر" باريس 1846، وطبعت ثانية 1882 م.

- دراسة بروسلاز الإخوان باريس 1859 .

- دراسة الضابط لويس رين مرابطون وإخوان الجزائر 1884 .

- الطرق الإسلامية في الحجاز، للضابط "لوشاتليه" وصدرت دراسته هاته سنة 1887

- الطرق الإسلامية ودورها السياسي نابليون ناي، بروكسل 1891

- الطرق الدينية في الجزائر : ديبون وكوبولاني، 1897 وهي دراسة مفصلة كتبها الضابطان

الفرنسيان ديبون وكوبولاني بعنوان: الطرق الصوفية الإسلامية، وقد صدر هذا الكتاب سنة 1897 وتضمن

567 صفحة.

- وأخرها في زمن الاستعمار دراسة الجنرال " أندريه " مدخل إلى دراسة الطرق الدينية المسلمة
الجزائر " 1956 ⁴⁷

وبالتوازن مع هذه الدراسات طبقت فرنسا الكولونيالية سياسة إبادية؛ للقضاء على هذه الثورات
ومحاولة تفتيتها، بالقضاء على أسسها، ومصادر تموينها، وقد حاولنا دراسة هذه السياسة من زاوية مختلفة
بعض الشيء، مركزين على سياسة الإبادة، والإستيطان والتعصب الديني.

2- بداية المقاومة الشعبية و محاولة تفتيتها:

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر عام 1830م واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة ومتنوعة في
التوسع والاحتلال، إلى الغرب الوهراني والشرق القسنطيني، بسبب عدة عوامل، حيث اتسمت هذه المرحلة
ببروز حركة المقاومة الشعبية بقيادة أحمد بأي أولا ثم مرحلة مقاومة الأمير عبد القادر وباقي المقاومات
الشعبية الأخرى. ⁴⁸

ولقد أقر الاحتلال الفرنسي نمطين من الحكم بالجزائر: الحكم العسكري: منذ سنة 1830م إلى
سنة 1870م، وكانت مرحلة الاحتلال العسكري محدودة لبعض المناطق الساحلية، والسيطرة غير المباشرة
دون أن يمتد النفوذ الاستعماري إلى دواخل البلاد من 1830م إلى 1839م، حيث ميزت هذه المرحلة
ظاهرة سياسية ومجتمعية وحيدة وثابتة هي: تواتر الانتفاضات الشعبية للطرق الصوفية. ⁴⁹

فتصاعدت المقاومات الشعبية بداية من سنة 1830م عرقل عملية بسط النفوذ وتوسيع الاحتلال
الفرنسي، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية آنذاك، تنتهج سياسة جديدة تميزت بعنف لا قبيل له في
التاريخ إلا نادرا، بإتباع أسلوب الحكم المباشر واعتماد الإبادة الجماعية للسكان، وإتلاف أرزاقهم، وتدمير
مقومات ومعالج شخصيتهم. ⁵⁰

وفي هذه الأثناء ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر شيخ الطريقة القادرية 1832-1847م، حيث
تعتبر أكبر مقاومة من حيث المساحة التي غطتها من الحدود المغربية إلى مدينة الجزائر العاصمة شمالا
إلى المدية جنوبا إلى المدينة مليانة وضواحيها غربا وحتى شرشال ومدينة البويرة غربا. ⁵¹

وتبعاً لذلك تم رسم برامج للإبادة المنظمة والمبررة - أي مقننة - على النحو التالي:

تقتيل وحشي بغرض الإخضاع (الاحتلال).

تقتيل انتقامي بعد كل إنتفاضة (التهدة) .

النقتيل الوقائي لمنع الانتفاضات (الردع) .

(الحرب الشاملة) ضد كل ثورة ⁵² .

وبالفعل قد طبق بيجو منذ وصوله إلى الجزائر 1841م سياسة الحرب الشاملة ضد الشعب الجزائري لا تبقي ولا تذر أحدا من المسلمين الجزائريين الذين يعيشون في هذه الأرض، وكان يرى في إستراتيجية أن حرب الإبادة وحدها الكفيلة بالقضاء على مقاومة الشعب الجزائري وإضعاف قدرته القتالية والنضالية.⁵³

وقد سعى بيجو و منذ توليه الحكم في الجزائر إلى القضاء على المقاومة بأي طريقة كانت، فهذا خطابه الذي ألقاه أمام مجلس النواب في البرلمان يومئذ يوضح ذلك: "... يجب قلب الجنسية الجزائرية وتحطيم قوة الأمير عبد القادر و إلا لن تفعلوا شيئا في الجزائر ... ".
 " إنكم أمام شعب عزيز متحمس للقتال ومعد بشكل عجيب للحرب، مستعدا دائما للحرب، غير على حريته كما يؤكد تاريخه على ذلك ".
 "... للهيمنة عليه وتحويله، واغتصابه لصالح الشعب الجديد الذين تريدون إدماجه، يجب أن تكونوا دائما أقوياء! إما بجيش دائم وإما بطبيعة وتركيبية الشعب المتسلط".⁵⁴

من خلال هذا الخطاب نلمس معالم السياسة المنتهجة، ضد الإنتفاضات الشعبية، والتي قوامها القوة والبطش والإبادة، لغرس فئات المستوطنين، وهذا نموذج من سياسية القهر والإبادة التي انتهجها بيجو ضد الجزائريين والتي أحرز بمقتضاها على "عصا المارشالية" ولقب "قاهر الجزائر"، ونعني بذلك منه المجزرة الرهيبة التي وقعت في أولاد رياح وبغار الفراشيش في ناحية الظهر في جوان 1845م، وكان جلد هذه المجزرة هو القائد بيلسيه، وخلاصتها أن معركة كبيرة وقعت خلال جانفي 1945م بناحية الظهر، تعرف عند الفرنسيين بإنفاضة الطرق الصوفية، شاركت فيها على الخصوص القادرية والدرقاوية والرحمانية والطيبية وفروعها، وكانت قبيلة أولاد رياح التي شاركت في الإنفاضة تقطن جنوب تنس فغزاها بيلسيه وحطم أملاكها طبقا لسياسة الأرض المحروقة. ففرت القبيلة واحتمت بغار محصن يسمى غار الفراشيش رجالا ونساء وأطفالا مع حيواناتهم يوم 17 جوان 1845م فحاصر بيلسيه وجنوده الغار وأضرم النار في الحطب المكسد أمام المدخل فهلك كل من في داخله بفعل الدخان والنار التي ظلت مشتعلة لمدة يومين كاملين⁵⁵.

وفي إطار إجراءات الترهيب و التنكيل بالزعماء الثوريين أقدمت السلطات الاستعمارية عند ثورة الزعاطشة 1849م على الإبادة الجماعية للأهالي و هذا بتعليق الجرحى من الثوار على النخيل و أمر هيربيون بنصب مقصلة على باب معسكره و رفع عليها ثلاث رؤوس هي: رأس الشيخ بوزيان و رأس ابنه و رأس الحاج موسى الدراوي نكاية و عبرة للثائرين⁵⁶، وتبنت قوات الاستعمار الأسلوب نفسه مع ثورة لالة فاطمة نسومر، والحاج الصادق بحرق مقر زاويته وتشريد السكان والإبادة والتدمير.

إن جزائر الفرنسيين التي أرادتها فرنسا من واقع مخطتها الأصلي ذا السطوة والتجبر في الإبادة الجماعية للسكان وتدمير البنى الشعبية، كان تصريح فرنسا علانية بهدفها النهائي منه وهي أنها أرادت جزائر بدون جزائريين.⁵⁷ وقامت بنفي منتفضي ثورة المقراني والحداد إلى كاليديونيا الجديدة، لتشجيع ظاهرة الاستيطان.

بالرغم من كون هذه الجريمة حديثة التقنين دولياً، إلا أنها قديمة في التشريع الفرنسي عن طريق القانون العقابي في 25 سبتمبر 1791م، ويتم الإعلان عن حكم النفي والأبعاد عن طريق المحاكم الجنائية مؤقتاً أو مؤبداً، كما أقر القانون العقابي في 1810م عدداً من هذه العقوبات الجنائية بين الأعمال الشاقة المؤبدة والأعمال الشاقة المؤقتة وكان على البرلمان تعيين مكان التنفيذ.⁵⁸

كما أن قانون 09 سبتمبر 1835م وسع في تنفيذ هذه العقوبة لكنه لم يحدد مكان النفي للمحكوم عليهم بالمؤبد، إما بالسجن داخل التراب الوطني الفرنسي، أو في سجن يقع خارج إقليمها القاري في إحدى مستعمراتها، وقد حدد الدستور الفرنسي جزيرة "نوكاھيفا" كمكان للنفي العادي وأحدى جزر "الماركيز" كمفنى حصين. و بعد ثورة المقراني والحداد سنة 1871م اهتم البرلمان الفرنسي بإخراج 3600 محكوم عليهم بالنفي وبمقتضى قانون 23 مارس 1872م عينت كاليديونيا الجديدة لتنفيذ حكم النفي وحددت ظروف نقل المنفيين إلى كاليديونيا عن طريق قانون 25 مارس 1870م.⁵⁹

قبل انطلاق الرحلة إلى كاليديونيا الجديدة تم فحص المنفيين ومعاينتهم، وتم اختيار من يتوفرون على صحة جيدة وبنية مورفولوجية قوية وتم نقل المنفيين في سفن متعددة منها لالوار (حوالي 320 شخص) وكالفادوس (70 شخص) وتيفارين، في 05 جويلية 1874م وقد أبحرت السفن في اتجاه كاليديونيا، إستغرقت الرحلة فيها من سنة إلى 4 أشهر، وترك للعرب (أي الجزائريين) الحق في بعض الحاجيات. وحسب بعض الوثائق الممضية من طرف المنفيين، كانت فترة سفر شاقة جداً، نظراً لمكوث المنفيين في جوف السفينة طيلة اليوم، في أقباص لا يسمح لهم بالخروج منها إلا ساعة واحدة في اليوم فوق الجسر ومهما كان المناخ.

وعان المنفيون من ظروف حياة فظيعة كانعدام النظافة والروائح الكريهة، تقييد أرجلهم... الخ كانوا محبوسين في أقباص أبعاد حجمها 5.2×5.2×5.1م يتكدس فيها 20 سجيناً، أما الأقباص فمساحتها لا تتعدى 24.2م²، وهذا يعني أن هؤلاء الرجال لا يمكنهم الوقوف طيلة الأشهر الخمسة أي عدة السفر إلى كاليديونيا فهل كانت الأقباص تناسب ظروف جميع المنفيين أم كان الهدف منها هو كسر إرادة الوقوف عندهم؟ قد يكون هذا نوعاً من أنواع العذاب النفسي لإحباط كل إرادة في مجرد الوقوف عند المنفيين إضافة إلى أن طريق العبور إلى كاليديونيا يتم عبر الكاب(رأس الرجاء الصالح)، وعبر مناطق شديدة

البرودة حيث تتراوح درجة الحرارة من 09° إلى 14° تحت الصفر حتى أن أطباء الرحلة لاحظوا أنهم لا يتحملون البرودة ، فكان من الصعب على المعتقلين الذين عاشوا في مناخ معتدل لاجتياز ذلك⁶⁰. وما زاد في حالتهم سوءاً هو نقص الغذاء، خاصة وأن بعض الأغذية تمثلت في شحم الخنزير ومشروبات كالخمر، الأمر الذي جعل المنفيين يمتنعون عن الأكل لأنه محرم فازدادت وضعيتهم سوءاً وخلال شهري جويلية و أوت أصيب جلهم بمرض "فقر الدم" و"الهزال" و"الإسهال" و"الحمى" و"الاضطرابات المعوية" وحالات الانهيار العصبي، كما توفي الكثير منهم⁶¹.

3- القضاء على المقاومة الشعبية لتشجيع الإستيطان:

دون أي شك ولا ريب أن الاستعمار الفرنسي هو استعمار استيطاني بالدرجة التي لم يسبقه فيها نظير والدليل على ذلك قرار 08 ديسمبر 1830م و مارس 1833م القاضيان بإرغام الملاكين والمتحورين والمجموعات الدينية، تسليم ممتلكاتهم، إلى الإدارة العقارية في الوقت محدد، ولم تستثنى قرارات المصادرة حتى أماكن العبادة والتعليم، من ذلك انه تم الاستيلاء في الجزائر على 176 عمارة مخصصة للعبادة منها 13 مسجدا و 109 مسجد صغير، وعدد كبير من زوايا الطرق الصوفية المعادية للاستعمار⁶². كما نلاحظ أن إدارة الاحتلال كانت تمول حروبها ضد الشعب الجزائري من ممتلكات الشعب عبر الضرائب والمصادرة والاقتطاع والحجز، وقد وصف العديد من المؤرخين حالة الاحتكار والاستغلال والربا من قبل إدارة المحتل ونذكر في هذا المجال: بما كتبه "شارل روبير أجرون" في كتابه "تاريخ الجزائر المعاصر"، وعلى امتداد أكثر من عشرين صفحة، تحدث المؤرخ عن انهيار الوضعية الاقتصادية للسكان المسلمين - إشارة إلى المشاركين في انتفاضات الطرق الصوفية - خلال سنوات (1870-1914م)⁶³.

واستعملت إدارة الاحتلال أساليب تسلط أخرى ومباشرة لتشريد الأهالي عن مواقعهم، بما في ذلك اغتصاب الأراضي بالقوة وممارسة الأبادات الجماعية للسكان، الأمر الذي أرغم هؤلاء على الهجرة إلى المدن، أو إلى مغادرة البلاد نحو أقطار عربية مجاورة أو بعيدة، ونحو فرنسا نفسها طلبا للرزق، وهروبا من جحيم الإبادة والقهر وتحول الباقيون إلى أجراء لدى الكولون أو الخماسين، وقد لاحظت إدارة شؤون الأهالي في سنة 1871م بعد ثورة الشيخ الحداد ذلك جيدا و عجزت عن أي شيء و عبرت عن ذلك قائلة "...إن جميع الطبقات الوسطى تنهار...".

وفي نفس السنة كرد فعل عن ثورة الشيخ الحداد؛ بموجب قانون فرنسي LoisWarnier ، في 26 جويلية 1873م الخاص بتأسيس الملكية العقارية⁶⁴ تم نزع الأراضي للكثير من الجزائريين، فقد رصدت الإحصاءات 450.000 هكتار من خيرة الأراضي الفلاحية والتي اغتصبت من ملاكها الأصليين، وتم

توزيعها على النازحين الفرنسيين من الألزاس واللورين كتعويضات عن عدم رضوخهم للألمان في حرب القرم، التي شنتها ألمانيا ضد فرنسا، كما تم فرض ضرائب على السكان الأصليين قدرتها الإدارة الفرنسية بـ: 36.5 مليون فرنك كخسائر لحقت بالجيش الفرنسية نتيجة المقاومة الشرسة من قبل ثورة المقراني والحداد، ويذكر المارشال سانت أرنو⁶⁵، على لسان الجنرال بيجو: "...حربنا في الجزائر ليست حرب طلاقات رصاص، ولكن هي حرب تجريد العرب من كل منابع العيش ولا بد أن نقضي عليهم...".

كما ذكر المارشال قائلاً بعد حملة لتهيئة المكان للمستوطنين: "... لقد تركت ورائي محرقة مهولة لكل القرى و المد اشرف، والتي تقدر بحوالي: 200 قرية وحرقتنا كذلك كل الزراع وقطعنا أشجار الزيتون، لم نترك شيئاً ورائنا"؛ وكنتيجة حتمية فقد باع معظم الملاكين أراضيهم من اثر الترهيب والترغيب حتى بلغت مساحات أراضي المستوطنين خلال نهاية ق19، وبداية القرن العشرين ما يقرب من مليوني هكتار.⁶⁶

4- القضاء على دور الطرق الصوفية وتشجيع التنصير:

اعتبر رئيس الوزراء الفرنسي أن سقوط الجزائر في أيدي الجيش الفرنسي سيجلب أجل الخدمات و أكبر الفوائد للمسيحية جمعاء⁶⁷ ومن أجل أن يهبئ الملك الأرضية اللازمة اتجه إلى الشعب لينفخ في حماسته، مراكز على وتر الدين والوطنية، حيث أعلن في خطاب العرش الملكي بتاريخ 02 مارس 1830م "...إن الهدف الذي ترمي فرنسا لتحقيقه من الحملة الفرنسية يجب أن يرضي شرف فرنسا ويرجع فضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية"، وعندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها الجنرال بورمون منتصراً صرح لهؤلاء القساوسة قائلاً: "... لقد أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تينع قريباً الحضارة التي انطفت في هذه الربوع " وقد توجه دي بورمون قائلاً: " لقد أعدتم الرباط مع الصليبيين".⁶⁸

ومن هنا يتضح أن فرنسا اعتمدت على الكنيسة في مناصرتها للسياسة الاستعمارية، ذلك الأساس النظري الذي استند إليه مفكروها في إثبات حق الاستعمار وربطه بالتبشير ويتلخص هذا الأساس في أن العالم قد خلق لجميع الناس ولا يستطيع أي شخص أن يضع العراقيل أمام بلوغ الإنسان ثروات العالم أينما كانت فالإنجيل يأمر قائلاً: "...إذهبوا وعلموا جميع الأمم ولا يمكن لأي شخص أن يمنعكم أو يعرقل الدعوة التبشيرية إلا المسيح...".⁶⁹

وفي إطار سياسة التضييق على نشاط الطرق الوفية وشيوخها، أصدر المجمع الكنسي توصية تتضمن أربع نقاط هامة:

-إلحاق شؤون العبادة الإسلامية بإدارة الاحتلال (رقابة عسكرية).

-إخضاع المسلمين يتطلب احتقار عقيدتهم وإبصالها لدرجة كبيرة من الغموض.

-اعتبار الحج من التعصب الديني.

-إخضاع النشاطات الدينية للزوايا والكتاتيب للرخص.⁷⁰

وجعلت هذه الإيديولوجية الكولونيالية من التعصب الديني، عقيدة مطلقة ومطبقة بشراسة على الأهالي بدوافع حاقدة على المسلمين (الجزائريين) من أيام عز الدولة الإسلامية، ولقد تكونت لديهم تصورات وإدراك جماعي بأن الإسلام يتسم بالكذب والتشويه، وأنه دين لا يعرف إلا لغة الحرب والخراب⁷¹ وصرح لوي فويوه في كتابه الجديد الذي تزامن مع تواتر ثورات الطرق الصوفية، " فرنسا في الجزائر "1869م : "...آخر أيام الإسلام هذا الركاب من العقائد المنحطة و المتوحشة في الجزائر قد اقتربت فالجزائر بعد عشرين عاما لن يكون بها إله غير المسيح،..... إذا لنكمل حربنا الصليبية ".⁷² وقد وصل التعصب الديني و العنصري ضد الجزائريين في العهد الأيرال دوقيدون درجة الهوس حتى سمي هذا الحاكم بالأسقف cardinal l'amiral بسبب تواطؤه مع لافيغري، فبعد فشل التنصير عمد لافيغري إلى حيلة أخرى عن طريق خطف الأطفال و تمسيحهم فبين سنتي 1867 و 1868م وصل عدد الأطفال 1750 طفلا أغلبهم أيتام شارك آباؤهم في ثورات ضد فرنسا، ولقد أثارت هذه القضية ردودا كبيرة في paris أدت إلى إعادة 200 طفل وتوفي 600 طفل (!؟)، وبقي 378 ذكور و 342 إناث.⁷³ وتكاد تجمع كل الدراسات أن إهتمام فرنسا بنشر الدين المسيحي، كان نتيجة اصطدامها بشعب قوي وعزيز ومؤمن بدينه مستعد للموت دون أن يتراجع عنه.

والممتنع للسياسة الفرنسية يجد أن فرنسا اعتمدت أيضا الإعلام المتمثل في الصحافة، لتخويف وترهيب الثائرين، ويكفي الاطلاع على الصحف الواسعة الانتشار في ذلك العهد مثل المستقل Indépendant التي كتبت في افتتاحية أفريل مايلي: "...إن عطاء الأمان لهؤلاء الوحوش يمثل جريمة، إن القانون الوحيد الصالح لهم هو السحل " lynch " وتطالب في عدد جوان بإعدام جماعي لكل رجال الدين بينما تتهم صحيفة زايرمان " Zairman " الجيش بحقن دماء الجزائريين، و التقصير في ذلك وتقول: "...إنه لا يقتل سوى 50 من الأهالي كل يوم، مع امكانية قتل مليون شخص في اليوم".

أما صحيفة سييوس فهي تدعو إلى الإمعان في القتل إلى درجة يصبح فيها كارثة أسطورية تنتقلها الأجيال، وبذلك نضمن الأمن للمهاجرين القادمين للجزائر، إلى جانب هذا كانت الصحف تدعو إلى قمع منتقضي ثورة الطريقة الرحمانية للشيخ إبن الحداد، فهذه صحيفة قسنطينة تعلق حول ضرورة قمع منتقضي 1871م قائلة: "...حان الوقت لنبيين للسكان الجزائريين بأن القمع لم يعد مجرد كلام، وأن الحكومة لن تتسامح مع متمردي الجزائر..." ودعت لحجز أملاك وأراضي الثوار على نطاق واسع لصالح المستوطنين من سكان الألزاس واللورين⁷⁴، وهو ما أشرنا لحديثاته سابقا.

وفي الأخير نخلص إلى أمر مهم مفاده أن الإدارة الفرنسية طبقت سياسة متكاملة، ركزت في جوانبها على القوة والدين والاستيطان، للقضاء على المقاومات الشعبية بمختلف أشكالها، ونجحت إلى حد كبير في هذه السياسة ظاهرا، إلا أن عقيدة الجزائريين ظلت ثابتة لم تتغير، كانت منبعا للجهاد في الثورة الكبرى.

خاتمة:

- ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:
- شكلت الزوايا أهم المؤسسات التي إهتم بها الإستعمار الفرنسي، نتيجة الدور الكبير التي لعبته دينيا واجتماعيا وعسكريا
 - إقترن ذكر الثورات الشعبية ضد الإستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، مع الطرق الصوفية، فلا تكاد تظهر مقاومة شعبية، إلا وكانت تقف خلفها طريقة صوفية.
 - تعتبر الطريقة الرحمانية من أهم الطرق الصوفية، شهرة وإنتشارا في القرن التاسع عشر، ولعب شيوخها دورا بارزا في المقاومة ضد الاستعمار.
 - دامت ثورات الطريقة الرحمانية حوالي عشرون سنة برهنت من خلالها على نبذها للاستعمار واستمرارية فكرها الجهادي بتواتر شيوخها.
 - طبقت إدارة الاحتلال سياسة ممنهجة، لضرب الطرق الصوفية وإفشال انتفاضاتها، فركزت على دراستها تاريخيا واجتماعيا وأنتروبولوجيا، حتى يتسنى لها فهمها فهما صحيحا يمكن من ضربها وإضعاف دورها الاجتماعي والسياسي.
 - ارتكزت سياسة فرنسا للقضاء على المقاومات الشعبية على ثلاث أسس هي: الإبادة والتعصب الديني، وتشجيع الإستان.
 - استطاعت ثورات الطرق الصوفية عرقلة سياسة التوسع والإخضاع، ووقفت حصنا منيعا للحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية.

قائمة مصادر ومراجع البحث

- 1 - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج4 ، ط1، بيروت، 1989، ص 143 .
- 2- اسمه الكامل ورد في نص إجازته لعبد الرحمان باش تارزي المحفوظ بزواية الهامل: " كاتب هاتين الإجازتين بالبنان، الذي هو الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد ابن أبي القاسم ابن يوسف ابن علي ابن إبراهيم ابن عبد الرحمن ابن أحمد ابن الحسن ابن طلحة ابن جعفر ابن محمد العسكري ابن عيسى الرضا ابن موسى المرتضى ابن جعفر الصادق ابن محمد الناطق ابن عبد الله ابن حمزة ابن إدريس ابن إدريس ابن عبد الله ابن محمد ابن الحسن ابن فاطمة ابنة رسول الله الملقب بالأزهري مجاورة، في جامع الأزهر تبركا، في مصر القاهرة، الزواوي إقليما، القبطولي قبيلة، الإسماعيلي عرشا، الباعليوي زاوية وقرية" انظر: عبد المنعم قاسم الحسني: الطريقة

- الخلوتية الرحمانية : رسالة دكتوراه، إشراف: عمار جيدل، جامعة الجزائر، 2008-2009. ص، 218.
- 3 - Dupont et Coppolani : **confréries religieuses musulmanes**, Alger, A. Jourdan, 1897, P 383.
- 4 - Colonel Corneille Trumelet, **L'Algérie L-gendaire:en p-L- Rinage-** A ET La aux Tombeaux des principaux thaumaturges de l'islame , tell et sahara, jourdan, Alger , 1892, P 341.
- 6 - يحي بوعزيز : **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1995، ج2، ص 143 .
- 7 - قاسم الحسني: **المرجع السابق**: ص 220. ومن أهم الشيوخ الأزهرية الذين نهل من علمهم وتلمذ على أيديهم نجد: " الشيخ أحمد بن محمد العدوي الشهير ب "الدردير" ، علي بن أحمد الصعيدي، الشيخ علي العمروسي، الشيخ محمد بن عبد الله التلمساني المعروف ب"المنور" انظر: نفسه، ص 221.
- 8 - يحي بوعزيز : **المرجع السابق**، ج2، ص 153.
- 9 - قاسم الحسني: **المرجع السابق**، ص 243.
- 10- صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، 2002، ص 193.
- 11- قاسم الحسني: **المرجع السابق**، ص 244.
- 12- Dupont et Coppolani: op. cit.p 389.
- 13 - أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ج4، ط 1، ص 178
- 14- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع الجزائر، 2004 ص 223.
- 15 - قاسم الحسني: **المرجع السابق**، ص 244.
- 16 - قاسم الحسني: **المرجع السابق**، ص 251.
- 17 - أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ج4، ط 1، ص 44.
- 18 - حمدان خوجة: **المرأة، تزمة محمد بن عبد الكريم بيروت**، ص، 68.
- 19 - عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ص، 309.
- 20 - عن الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي أنظر: يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، الجزائر. وأنظر أيضا: صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، مرجع سبق ذكره.
- 21 - أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص، 132.
- 22 - Louis Rinn, **Marabouts et khouan**, étude sur l'islam en Algérie, Alger : imp, Adolph Jourdan, 1884, P, 458.
- 23 - صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، 97.
- 24- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 151-156.
- 25 - يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 151-156.
- 26 - أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص، 132.
- 27- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 143.
- 28 - يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر**، ص 132.
- 29 - صالح فركوس و آخرون: **المختصر في تاريخ الجزائر**، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص، 180.

- 30- هيئة التحرير: حقائق مفصلة عن تعذيب الجزائريين بفرنسا، المجاهد، السنة: 1959/01/15م، ص 193.
- 31 - صالح فرкос: المرجع السابق، ص، 180.
- 32- عبد الرحمان بيرماسين: سي الصادق بن الحاج، منشورات جمعية الشروق الثقافية، باتنة، ط1، 2004، ص 26 . على الانترنت
- 33 - عبد الحميد زوزو: ثورة الأوراس، 32.
- 34- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص، 145
- 35 - تشير بعض الدراسات الفرنسية مثل دراسة الاخوان ل لويس ريني، أن الضرائب أثرت على أصحاب النفوذ، أمثال الباشاغا المقراني، الذي استطاع تأليب إتباعه ضد فرنسا، واقناع الشيخ الحداد للانضمام لثورته. هذه الملاحظة أوردها يحي بوعزيز في دراسته لثورة المقراني والحداد في كتابه ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 234-235.
- 36- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ، 305-306.
- 37 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، 234-235.
- 38- نفسه: ص، 339.
- 39- عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق، ص، 311.
- 40 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، 240.
- 41- عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق، ص، 311.
- 42- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، 251-253.
- 43 - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص، 312.
- 44- نفسه: ص، 315.
- 45 -Louis rinn, **histoire l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger: librairie Adolphe Jourdan,1891, p:539.
- 46 - Ibid,p p:541,542..
- 47- Ibid,p : 546.
- 48- قاسم الحسني : المرجع السابق، ص 560.
- 49- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 19-20.
- 50- نور الدين الدقي: المغرب و الاستعمار الفرنسي، نبراس للنشر 2002 تونس، ص، 12.
- 51- عامر فرحات: حقيقة تاريخية لظاهر الاستعمار الاستيطاني في حوض المتوسط، الجزائر نموذج، مذكرة ماجستير، في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذة: يحيوي مسعودة، 2007م، ص90.
- 52- عبد الرحمان الجيلالي :تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة ببيروت، 1980م، ص65.
- 53- محمد العربي ولد خليفة: المحنة الكبرى ،مدخل لدراسة و صفة لمعاناة الشعب الجزائري و مقاومته البطولية نصوص مختارة كرونولوجيا جزئية، وثائق أساسية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية O.N.P.S الجزائر 1999م، ص14.
- 54- سعدي بزيان :جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، 2005 ص15.
- 55 - Saadia Lalehdar : **l'aliénation colonialiste et la suit once de la famille algérienne**,edition.la cité 1960,P48.
- 56- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، الجزائر، 1989، ص 163 وأنظر

- أيضا: السعيد بورنان: شخيات بارزة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص، 27.
- 57- أحمد حمدي: مرجعيات الخطاب الوطني الجزائري - في - مجلة المصادر، العدد الرابع، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 1421 هـ، 2000م، ص27.
- 58- محمد العربي ولد خليفة: المذابح الكولونيالية في الجزائر نماذج من الإجرام المنظم، سلسلة الملتقيات بعنوان: الأسلاك الشائكة، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة و الألغام، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، الجزائر، ص125.
- 59- رشام دليلة : **الجزائريون المنفيون إلى كاليدونيا الجديدة (1870 - 1920)**، مذكرة ليسانس في التاريخ اشراف محمد العربي معريش، 2005- 2006 ص
- 60- رشام دليلة: المرجع السابق، ص
- 61- سعيد عولمي، شهود الذاكرة (سلسلة في قرص مضغوط)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الأبيار، 2004م.
- 62- نفسه.
- 63- عامر فرحات: حقيقة تاريخية لظاهر الاستعمار الاستيطاني في حوض المتوسط، الجزائر نموذج، مذكرة ماجستير، في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذة: يحيوي مسعودة، 2007م، ص.65
- 64 - Charles Robert Ageron : **histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de l'ilciration 1954**, tom presse université de France 1979.p210.p223
- 65- جاء هذا القانون بإجراءات جديدة الخاصة بتأسيس الملكية وحفظها وقد عرفت المادة الأولى كما يلي:
تأسيس الملكية العقارية بالجزائر وحفظها والانتقال التعاقدى للعقارات والحقوق العقارية مهما كان مالكا تخضع للقانون الفرنسي" أنظر: الطاهر ملاحسو: نظام التوثيق في ظل التشريعات العقارية بالجزائر 1830-1962، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر آبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007، ، 36. والكتاب مجموعة دراسات .
- 66- سانت آرنو: ولد بباريس سنة 1798م عرف ب: أشيل لوروا سان آرنو، شارك بالحرب في اليونان، وبعد عودته التحق بالجيش من جديد و شارك في الحملة على الجزائر، كان على علاقة و طيدة بالجنرال بيجو، تميز بطرق الوحشية في القتال، له كتاب خاص بذلك هو: **الشرف الضائع** سانت آرنو توفي سنة 1854م.
- 67 -R.Ageron.op, cit p133.
- 68- عبد الجليل التميمي: **التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين في الجزائر في ق19**، المجلة التاريخية المغربية العدد1974، 1م، ص ص12 إلى 24 (بتصرف).
- 69- شاوش حباسي: **مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص.11
- 70 - مزيان سعدي: المرجع السابق، ص.05 .
- 71- محمد العربي ولد خليفة: المرجع السابق، ص.84.
- 72 - عبد الله يوسف سهر محمد: **مؤسسات الاستشراف والسياسة الغربية باتجاه العرب و المسلمين**، ط1، دراسة إستراتيجية، العدد 57، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الامارات العربية، 2001، ص.10.
- 73- محمد العربي ولد خليفة : المرجع السابق ، ص 90 .
- 74- محمد العربي ولد خليفة: المرجع السابق، ص88. وللمزيد عن الصحف الفرنسية ونشاطها أنظر :
- 75-Raymond monery: **la presse de la troisième république**, rue la sayette, paris, 1958

الجهود الدولية للقضاء على العنف ضد الطفل

د/ سميحة يونس - جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)

أ/ كلثوم مسعودي - جامعة قاصدي مرباح (الجزائر)

الملخص:

كثر الحديث في الأونة الأخيرة على ظاهرة العنف، والتي أخذت منحى تصاعدي في كافة المجتمعات، المتقدمة والمتخلفة على حد سواء، مما جعل الكثير من الدول والمنظمات والهيئات الدولية الحكومية منها وغير الحكومية تتكاتف من أجل القضاء عليه، غير أن العنف يأخذ أشكالا عديدة، منها العنف ضد الطفولة والذي يعتبر أخطر أشكال العنف باعتباره يقع أهم شريحة وهي شريحة المستقبل وعليه فمن الضروري أن تأخذ الدول على عاتقها محاربة هذه الظاهرة.

Summary :

There has been a lot of recent talk about the phenomenon of violence, which has taken an upward trend in all societies, both advanced and backward. Many countries, organizations and intergovernmental and non-governmental organizations have come together to eliminate it. Violence, however, takes many forms, Against childhood, which is the most dangerous forms of violence as the most important segment is the slice of the future, so it is necessary for States to take it upon themselves to fight this phenomenon.

1- مفهوم العنف:

1.1- التعريف اللغوي للعنف: العنف في اللغة العربية: مأخوذ من الجذر (ع- ن- ف)، ويعرف " ابن منظور " العنف في لسان العرب كما يلي: " العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره... وإعتنف الأمر بعنف وبشدة والخرق والجهل والحمق والعنيف الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل، وفي الحديث الشريف: (إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله)، وهي بهذا تشير إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة، القسوة، التوبيخ، واللوم والتفريع "(1).

أما العنف في اللغة اللاتينية: العنف "Violence" مفهوم منشق عن الكلمة اللاتينية violare وتعني أحداث الأذى بالأشخاص أو الأشياء"، وتعني في معجم ويستتر استخدام القوة لأحداث الأذى بالغير "(2).

أما العنف في القاموس الإنجليزي: قوة جسدية تتسبب في أحداث ضرر شخص ما وبممتلكاته تبدأ بالإهانة وتنتهي بالاعتداء الجسدي "(3).

2.1-التعريف الاصطلاحي للعنف:

- من الناحية النفسية: عند علماء السلوك يعني العنف " نمط من أنماط السلوك الذي ينبع عن حالة إحباط مصحوب بعلامات التوتر ويحتوي على نية سيئة إلحاق ضرر مادي ومعنوي لكائن حي أو بديل عن كائن حي "(4).

أما "ميرز" "MERZ" فيعرفه بأنه سلوك يؤدي إلى أيقاع الأذى بالآخرين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(5).

- من الناحية القانونية: يعرفه "بول كولنج" بأنه استخدام غير شرعي وغير قانوني للقوة أو التهديد بهدف إلحاق الأذى والضرر بالآخرين(6)، يشير هذا التعريف إلى أن العنف هو استخدام القوة بطرق غير شرعية لإلحاق الأذى بالآخرين.

وهو أيضا استخدام الضغط أو القوة استخدامًا غير مشروع وغير مطابق للقانون من نشأته التأثير على الأفراد والجماعات، وقد يستخدم بمعنى الإكراه ومنه تنشأ الفرض وتنتشر العلاقات العدوانية في المجتمع(7)، بمعنى أن هذا التعريف يشر إلى العنف فعل مكره يؤثر في الأفراد والجماعات وهو ضد القانون. هو القوة المادية والإرغام البدني، أو الإكراه البدني واستعمال القوة بغير حق ويشير اللفظ إلى كل ما هو شديد وغير عادل وبالغ الغلظة(8).

من خلال التعاريف نجد أن العنف من الناحية القانونية يعتبر سلوكًا مخالفًا للقانون وضرورة تطبيق العقوبة على مرتكبيه لأنه يستخدم طرق غير مشروعة تنتافي وتخالف قيم ومعايير المجتمع.

- من الناحية الاجتماعية: يعرفه "مصطفى حجازي" على أنه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع والآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين ترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالإعتراف بكيافته وقيمه(9)، صاحب التعريف ركز على أن العنف هي اللغة الأخيرة في التخاطب للوصول بصوته نتيجة الفشل.

ويعرفه "دينستين" بأنه استخدم وسائل القوة والقهر والتهديد بهدف تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة تماما(10)، إذ يؤكد دينستين أن العنف هو استخدام القوة والتهديد والضرر للأشخاص والممتلكات.

ويعرفه "أيسنارد" "HESNARD" بأنه نتاج مأزق علائقي بحيث يعيب التذمر ذات الشخص في نفس الوقت الذي ينصب فيه على الآخر لا بإرادته، قد تشكل العدوانية طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخر(11)، ونجد "أيسنارد" يؤكد على أن العنف من خلال تعريفه نتاج مأزق علائقي.

كما أن العنف سلوك مكتسب، يتعلمه المرء أو يعايشه من خلال حياته، وخاصة في مرحلة الطفولة، فإن مورس عليه العنف سابقا وفي المراحل الأولى من عمره، فهو في الغالب سيمارسه لاحقاً مع غيره من الناس، أو مع عناصر الطبيعة نباتاً كان أو حيواناً⁽¹²⁾.

هو الاستخدام الفعلي للقوة أو التهديد باستخدامها وقد يعبر عن مجموعة من التناقضات والإختلالات الكامنة في البناء الاجتماعي⁽¹³⁾.

من خلال ما سبق نجد أن العنف من الناحية الاجتماعية هو سلوك لا اجتماعي يتكون عن طريق إجبار الفرد للقيام به.

2- أشكال العنف: يؤدي العدوان عامة والعنف على وجه الخصوص إلى خلق العديد من المشكلات على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ككل، ولقد اكتشف علماء النفس والاجتماع أشكالاً عديدة للعنف توجد في كافة المجتمعات الإنسانية، وأهم أشكال هذا العنف هي التي توجد في الأسرة والشارع والتي توجه نحو المرأة فضلاً عن العنف الجماعي الذي يحدث في فترات معينة⁽¹⁴⁾، ومن بين أشكال نذكر ما يلي:

1.2- من حيث كونه وسيلة:

- **العنف الجسدي:** هو سلوك موجه نحو الذات أو الآخرين لأحداث إذى وضرر للآخرين باستعمال الضرب أو الدفع أو شد الشعر والعض⁽¹⁵⁾.

- **العنف اللفظي:** وسيلة العنف هنا هي الكلام ويهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الألفاظ السيئة، وهو عادة ما يسبق العنف الجسدي⁽¹⁶⁾.

- **العنف الدلالي أو الرمزي:** يسمى عند علماء النفس بالعنف التسلطي، وذلك للقدرة التي يتمتع بها الفرد مصدر العنف، وتتمثل في استخدام طرق تعبيرية أو رمزية تحدث نتائج نفسية وعقلية واجتماعية لدى الشخص الممارس عليه العنف، وهو يمثل التعبير بطرق غير لفظية كاحتقار الآخرين أو الامتناع عن النظر إليهم⁽¹⁷⁾.

2.2- من حيث عدد المشاركين:

- **العنف الفردي:** يمارسه الفرد بأي صورة لفظية أو بدنية تجاه الآخر، كما يعرف أيضاً بأنه إيقاع الفرد الأذى بغيره من الأفراد أو الجماعات أو الأشياء باعتبارها حالات خاصة به وحده هو أيضاً العنف الذي يخلق الأذى بالسلامة الجسدية أو المعنوية.

- **العنف الجماعي:** وهو صورة من صور القوة التي تقوم به جماعة ما ويستهدف تدمير أو إيذاء فرد أو جماعة أو موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي أو محتمل من مصادر الإحباط والخطر أو كمركز لهما⁽¹⁸⁾.

وقد يكون هذا النوع من العنف نتيجة تفاعل عدة عوامل اجتماعية واقتصادية أو عقائدية... هذه العوامل عادة ما تكون بارزة في إذهان الممارسين للعنف الجماعي ويسعون للتعبير عنها وتحقيقها بشتى الوسائل والطرق "تخريب، نهب، قتل...⁽¹⁹⁾، وقد تدعى هذه الحالة من العنف "بهستيريا الشعور الجماعي" وهو نوع من الهوس بالمشاركة الجماعية تنتعش خلاله بواطن النفس فتتشكل في نوع من ردود الأفعال غير المنضبطة، فيرتكب جرائم النهب والسلب وغير ذلك⁽²⁰⁾، وهو أيضا العنف الذي يستعمل من طرف مجموعة من الأفراد ضد فرد أو مجموعة أفراد آخرين باستخدام القوة والتهديد... الخ ومن مظاهره أن يمارس العنف من طرف مجموعة ضد الدولة أو أن تمارس الدولة عنفا ضد بعض المجموعات... الخ - **العنف الدولي**: وهو شكل آخر من العنف يعبر عن شمولية الصراع فيه بين الدول وبيبرز في شكل الحروب وفرض الحصار من طرف بعض الدول على بعضها الآخر⁽²¹⁾.

2.3- حسب المجال:

- **العنف السياسي**: وهو أكثر الأنواع شيوعا في الحياة المعاصرة وقصد به كل عمل من أعمال الخروج عن النظام والتدمير أو الأصابة، تكون آثاره واختيار أهدافه وضحاياه وظروف تنفيذه ذات مدلول سياسي وقد يكون على وجهين إما عنف تمارسه السلطات تجاه الأفراد ومعناه أن تستنفر أجهزة الدولة إمكاناتها البشرية والعسكرية والقضائية من أجل الغاية سواء وضعها في إطارها القانوني أو القمعي والاعتماد على المركز الاجتماعي والسياسي الذي يتمتع به رجال السلطة، وإما العنف الثاني فهو الذي يمارسه الأفراد تجاه الدولة بكل صورها وذلك بهدف هدم أو زعزعة النظام السياسي القائم في المجتمع والذي يخالف العقائد والأفكار المعتقدية لديهم.

- **العنف الديني**: يصعب على الفرد لديه اليقين الديني ويملك الوعي الكامل بأمور دينه وعقائده وعباداته أن يقرن بين العنف والدين، إلا أن هناك من يحاول صبغ الدين بالعنف، من أجل تشويه صورة الأديان السماوية، فيعرف العنف الديني أنه اجتهاد بعض العناصر في تفسير النصوص الدينية حتى أنها صبغت بالتقصير وقد استمرت هذه العناصر تواجدها في المجتمع الطلابي الذي يعاني من ضعف الوازع الديني وثقافته ليبحث في نفوسهم أفكار متطرفة، ويحثهم على استخدام العنف كوسيلة لحماية الدين وردع الخارجين عن أفكارهم وتجمعاتهم⁽²²⁾.

- **العنف الاجتماعي**: يأخذ العنف شكله الاجتماعي حيث يتفاوت توزيع الثروة بين فئات المجتمع فيقسم المجتمع بذلك إلى طبقات يصبح لكل منها وضع اقتصادي ومكانة اجتماعية وثمة سلوكيات واتجاهات وميول تحكمها، ويكون الصراع بين هذه الطبقات أمرا حتميا ويصبح العنف هو المحصلة النهائية لهذا الصراع الاجتماعي الطبقي، وتزداد حدة العنف الاجتماعي والطبقي بتزايد الاختلافات بين الطبقات مما

يؤدي إلى اختلالات وظيفية في البناء المكون للمجتمع، ونذكر هنا نظرية دوركايم (نظرية اللامعيارية المفارقة في إتاحة الوسائل المشروعة) فحين يحدث الكساء المفاجئ أو الرفاه المفاجئ أو التغيير التكنولوجي المتلاحق زمنيا ومكانيا، ترى الفئات المختلفة أن من حقها تحقيق أهداف معينة كانت تبدا مستحيلة وصعبة المنال.

- **العنف الجنائي:** انتشر هذا النوع من أنواع العنف في المجتمع خلال بضعة سنوات سابقة واتخذ شكلا من الأشكال المتناقضة في مجتمعنا، صبغت بالشكل القانوني والسلطة الوظيفية وشكلا آخر باللسان والعضلات والسب وما إلى ذلك من الأعمال العنيفة وخطورته في انتشاره بسرعة بين مختلف الفئات في المدارس والجامعات والمصالح الحكومية والنوادي الراقية والشارع خاصة بين الشباب، وتدرج أعمال البلطجة من استخدام المشاجرات العادية بالاحتكاك البدني لتصل إلى استخدام الآلات الحادة كالسيوف والأسلحة البيضاء، ووصولاً إلى استخدام المواد الكيماوية ثم الأعيرة النارية من أسلحة قد لا تكون مرخصة قانوناً(23).

3.3- حسب الأثر:

- **العنف المادي:** ويتم الاستعانة فيه ببعض الأدوات من أجل إلحاق أضرار مادية ملموسة، كأن يلحق الأذى بالأشخاص في أجسامهم مثل الاعتداء بالضرب والجرح والقتل... إلخ، أو إلحاق الأذى بالممتلكات مثل حرق المزارع والعقارات الثابتة والمتنقلة، سرقة الأشياء أو تخريبها...

- **العنف المعنوي:** وهو إلحاق أضرار معنوية عن طريق السب والشتم والإهانة لفرد ما أو جماعة، مما يجعلهم يشعرون بالإحباط والرغبة في الرد بعنف مضاد، كما يضيف "محمود صالح العادلي" أن العنف المعنوي يتفق والإكراه المعنوي متجسداً في التهديد والشتم والسب(24).

2.4- حسب درجة الإلزام:

- **العنف المحرم:** ويتم هذا النوع من العنف ظلماً مع الفرد نفسه أو غيره، وهو محرم قانوناً وشرعاً ويوصف بالعدوان غير الاجتماعي، وتحت هذا النوع من الاختلالات الخلقية حيث يوصف الأفراد الذين يصدر منهم سلوك يمثل خرقاً للقانون الخلقى السائد في المجتمع إذ يتم إما بالعنف نحو الذات وهو أقصى أنواع تعذيب النفس أو بالعنف مع الآخرين .

- **العنف الفرضي "الإلزامي":** وهو قائم على الدفاع عن النفس ضد الاعتداءات وللدفاع عن الآخرين سوءاً كان العدوان مع الآخرين ممثلاً بصورة فردية أو جماعية حيث يكون سلوك العنف من قبل الفرد للدفاع عن النفس أو العرض أو الدين أو الوطن، وهو إلزامي لكل قادر حيث بأمر الله سبحانه وتعالى أن نقاتل في سبيله الذين يقاتلوننا وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم(25).

ثانياً: العنف ضد الطفل:**1- تعريف الطفل:**

1.1- التعريف اللغوي للطفل: - هو الصغير من كل شيء عينا أو حدثا، فالصغير من الناس أو الدواب طفل (26).

- الصبي هو طفل حين يسقط من بطن أمه حتى يحتلم (27).

- تعرف الطفولة على أنها مرحلة عمرية متأخرة من دورة حياة الكائن الإنساني تمتد من الميلاد إلى بداية المراهقة (28).

- تعرف الطفولة على أنها المرحلة الممتدة ما بين نهاية الرضاعة و سن البلوغ وتنقسم إلى ثلاث مراحل:

* مرحلة الطفولة المبكرة من 03 إلى 05 سنوات

* مرحلة الطفولة الوسطى من 06 إلى 09 سنوات

* مرحلة الطفولة المتأخرة من 10 إلى 13 سنوات

وتتميز كل مرحلة من هذه المراحل بخصائص معينة ومطالب نمو محددة.

- يعرف الطفل المتعرض للإساءة بأنه كل طفل لحق به إذى بدني أو لفظي أو جنسي من طرف والديه أو شخص مسؤول عن رعايته وأدى ذلك إلى حرمانه من النمو الطبيعي ومن حقوقه المختلفة (29).

2.1- مفهوم الطفل في القانون الدولي: رغم اهتمام القانون الدولي العام بحماية حقوق وحرية الطفل

إلا أنه لم يكن هناك تعريف للطفل قبل صدور إتفاقية الطفل لعام 1989، وحسب الإتفاقية فإن الطفل هو « كل مخلوق بشري منذ لحظة ولادته حتى بلوغه سن الثمانية عشرة، أو حسب قانون الدولة، أو إذا بلغ سن الرشد قبل ذلك » (30).

3.1- مفهوم الطفل قانونياً: هو « الإنسان الكامل الخلق والتكوين لما يمتلك من قدرات عقلية وروحية

وعاطفية وبدنية وحسية، إلا أن هذه القدرات لا ينقصها سوى النضج والتفاعل بالسلوك البشري في المجتمع لينشطها ويدفعها للعمل، فينمو الاتجاه السلوكي والإرادي لدى الطفل داخل المجتمع الذي يعيش فيه» (31).

2- أشكال العنف ضد الطفل: من خلال تعريف العنف السابقة وتعريف الطفل، يمكن التمييز بين أشكال

العنف الممارس على الطفل- والذي قد يحدث داخل الأسرة، المدرسة، الشارع- في التالي:

1.2- عنف قبل الميلاد: وأبرزه التعدي الإرادي على حياة الطفل، من خلال عملية الإجهاض، بمعنى

إسقاط المرأة جنينها بفعل منها، أو بفعل غيرها عمداً، باستخدام وسائل لقتله عمداً داخل الرحم عن طريق دواء، أو جهد عضلي أو ألعاب رياضية عنيفة أو ما شابه ذلك (32).

2.2- عنف بعد الميلاد: ويمكن تصنيفه إلى:

- **عنف جسدي:** ويعني استخدام القوة عمدا بهدف إيذاء الطفل، كالتسمم نتيجة الإهمال، الحرق، الرفس العض،⁽³³⁾ أحداث الجروح، التعدي على حياته بالقتل أو قطع الأطراف...⁽³⁴⁾.

- **عنف نفسي:** كالتخريب، وإنكار الطفل والإنقاص من شكله وإنجازاته، التخويف المتكرر، الصراخ التهديد، الكلام القاسي، منأداة الطفل بألقاب قبيحة، إلقاء اللوم عليه، التمييز بين الجنسين وبين الأكبر والأصغر، الاستغلال من خلال تشغيل الأطفال، اللامبالاة والإهمال ونقص الرعاية، افتقاد التشجيع والمدح، القهر الفكري للأبناء ومصادرة آرائهم، بالإضافة إلى العقاب غير البدني (مثل الحرمان من مشاهدة التلفاز...)⁽³⁵⁾. هذا ويمكن إضافة نوع ثالث للعنف الممارس على الطفل وهو:

- **العنف الجنسي:** والذي يعني استغلال الطفل جنسيا بهدف المتعة التي يحققها المعتدي، أو بهدف الأرباح المادية، ويكون ذلك من خلال توريط الأطفال في ممارسات جنسية لا يفهمونها ولا يعطون موافقة واعية لممارستها، وتعتبر منافية للعرف والقيم الاجتماعية⁽³⁶⁾.

3- الجهود الدولية للقضاء على العنف ضد الطفل: بدأ الحديث عن حقوق الطفل منذ عقود طويلة- وإن لم تتفرد نصوص خاصة بالطفل كما ورد في إتفاقيات **لاهأي 1907**، ومن بعدها إتفاقيات **جنيف** عام **1949**، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان- إلا أن أبرز المبادرات بالحديث عن حقوق الأطفال بشكل منفرد، جاءت في ما سمي بـ "إعلان جنيف لسنة 1924" الذي تطور لاحقا ليصدر عام 1959 "الإعلان العالمي لحقوق الطفل"؛ هذا الإعلان الذي تحدث عن عشرة مبادئ أساسية لحقوق الطفل. وبجهد دولي وبخاصة جهد المنظمات الأهلية تطور الإعلان عام 1979، وصدرت عام 1989 إتفاقية حقوق الطفل⁽³⁷⁾.

قبل التطرق للجهود الدولية للقضاء على العنف ضد الطفل نتطرق أولا لتعريف بعض المصطلحات الخاصة بالنصوص القانونية.

1.3- المصطلحات:

- **الإعلان:** مجموعة أفكار ومبادئ عامة، لا تتمتع بالصفة الالتزامية، وله قيمة أدبية ومعنوية، وتتمتع بالثقل السياسي والأخلاقي إذا ما صدرت عن هيئة دولية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة. والإعلان يعد من قبيل العرف الدولي. والإعلان غالباً ما يصدر في ظروف نادرة حينما ينص على مبادئ ذات أهمية كبرى وقيمة دائمة كما هو الحال بالنسبة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والإعلان مرادف: قواعد، مبادئ، مدونة، مبادئ توجيهية، وقد أصبح الإعلان معياراً تقاس به درجة احترام المعايير الدولية لحقوق الإنسان والتقييد بأحكامها.

- معاهدة: تطلق عادة على الإتفاق الدولي الذي يتناول بالتنظيم القانوني موضوعاً ذات أهمية خاصة وذات طابع سياسي، مثل معاهدة السلام المنعقدة بفرساي في 28 يونيو 1919 بين الدول المتحالفة ألمانيا، ومعاهدة الصداقة والتحالف بين المملكة المتحدة والمملكة المصرية في 26 أغسطس 1936 .
- إتفاقية: اصطلاح يطلق على الإتفاق الدولي يقصد به وضع قواعد قانونية ملزمة لأطرافها.
- العهد: إتفاق دولي مرادف لاصطلاح إتفاقية، ورد مرتين في سياق المواثيق الدولية لحقوق الإنسان (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 1966، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الإقتصادية والاجتماعية والثقافية 1966).
- الميثاق: اصطلاح يطلق على الإتفاقيات الدولية التي يراد إضفاء الجلال على موضوعها وهي عادة تكون منشأة لمنظمات دولية أو إقليمية، مثل ميثاق الأمم المتحدة الموقع في 26 يونيو 1945.
- نظام: اصطلاح يطلق على المعاهدات الجمعية ذات الصيغة الإنشائية، مثل النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الموقع عليه في روما في يونيو عام 1998 .
- الإتفاق: يستعمل لتنظيم المسائل ذات الصبغة السياسية، أو لتنظيم المسائل التي تغلب عليها الصبغة الإقتصادية.
- التصريح: يطلق عادة على الإتفاقات التي يكون موضوعها تأكيد مبادئ قانونية وسياسية مشتركة مثل تصريح نوفمبر 1815 بشأن وضع سويسرا في حالة حياد دائم.
- بروتوكول: إجراء قانوني يستعمل كوسيلة تكميلية لتسجيل توافق إرادات الدول على مسائل تبعية لما سبق الإتفاق عليه في الإتفاقية المنعقدة بينهم، وقد يتناول تسجيل ما حدث في المؤتمرات الدولية، ويستمد قوته القانونية من الإتفاقية الملحق بها، ويخضع لجميع المراحل التي تمر بها الإتفاقية من: مفاوضة تحرير، صياغة، توقيع، تصديق.
- توقيع: إجراء يقوم به المندوبون المفوضون للدول المتعاقدة للتعبير عن ارتضاء الدولة على نصوص الإتفاقية، والتوقيع يكون إما بالأحرف الأولى هو إعطاء فرصة للمندوبين الرجوع إلى دولهم والتعرف على رغبتها فيما تم الإتفاق عليه، فإن أيدت موقفهم تم التوقيع النهائي، إن رفضت الحكومات اعتماد التوقيع عدل عن التوقيع النهائي، والتوقيع بالأحرف الأولى لا يعد ملزماً وليس هناك ما يجبر المندوبين على التوقيع النهائي، أي أن كل يحتفظ بالحرية المطلقة في التوقيع النهائي أو الامتناع عنه.
- تصديق: إجراء يقصد به الحصول على إقرارات السلطات المختصة في الدول للإتفاقية التي تم التوقيع عليها، وتختلف طبيعة هذه السلطات حسب القانون الدستوري في كل دولة، ففي مصر والعديد من الدول العربية تحدد هذه السلطات في مجلس الشعب، وفي فرنسا ممثلة في رئيس الجمهورية، وبإجراء التصديق

تكون الدولة قد قبلت رسمياً بالإتفاقية ونفاذاً في إقليمها. ولا يوجد أجل معين لإجراء التصديق قبل انقضائه إلا إذا حدد مثل هذا الأجل صراحة في الإتفاقية.

- **انضمام:** إجراء تملك بمقتضاه دولة ليست طرفاً في إتفاقية، أن تعرب عن رغبتها في أن تصبح طرفاً في هذه الإتفاقية، وعلى الدولة أن تراعى في هذه الحالة الإجراءات المنصوص عليها في الإتفاقية بشأن الانضمام إليها⁽³⁸⁾.

2.3- التشريعات الدولية:

- **الإعلان العالمي لحقوق الطفل:** يُعدّ الإعلان العالمي لحقوق الطفل الأكثر قبولاً واعتماداً من دول العالم. يركز هذا الإعلان على تأمين حقوق الطفل في مجالات أربعة تشمل: البقاء، والحماية، والتنمية والمشاركة. ويشتمل الإعلان العالمي لحقوق الطفل على المبادئ الآتية:

* **عدم التمييز:** أن يتمتع الأطفال بجميع حقوقهم بغض النظر عن العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة أو الدين، أو الانتماء السياسي، أو الموطن، أو الملكية، أو الإعاقة، أو مكان الولادة.

* **الإهتمام بمصلحة الطفل:** في جميع الأمور يكون الإهتمام بمصالح الأطفال هو الاعتبار الأساسي.

* **البقاء والتنمية:** جميع الأطفال لهم الحق في العيش والبقاء... تأمين أقصى حد ممكن من البقاء والتنمية للطفل.

* **المشاركة:** جميع الأطفال لهم الحق في التعبير عن آرائهم في الشؤون التي تخصهم⁽³⁹⁾.

- **إتفاقية حقوق الطفل:** تعتبر إتفاقية حقوق الطفل الصك القانوني الدولي الأول الذي يلزم الدول الأطراف من ناحية قانونية بدمج السلسلة الكاملة لحقوق الإنسان، حين أقرّ زعماء العالم بحاجة أطفال العالم إلى إتفاقية خاصة بهم، وأيضاً ضمان إعتراف العالم بحقوق الأطفال، أي الحقوق المدنية والسياسية، إضافة إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والإقتصادية، وقد صدرت عام 1989، وقد حققت الإتفاقية القبول العالمي تقريباً، وقد تم التصديق عليها حتى الآن من قبل 193 طرف، أكثر من الدول التي انضمت إلى منظومة الأمم المتحدة أو الدول التي اعترفت بإتفاقيات جنيف.

تتمثل مهمة اليونسيف في حماية حقوق الأطفال ومناصرتها لمساعدتهم في تلبية احتياجاتهم الأساسية وتوسيع الفرص المتاحة لهم لبلوغ الحد الأقصى من طاقاتهم وقدراتهم. وتسترشد اليونسيف بتنفيذها لهذه المهمة بنصوص ومبادئ إتفاقية حقوق الطفل.

وتتضمن الإتفاقية 54 مادة، وبروتوكولان اختياريان. وهي توضح بطريقة لا لبس فيها حقوق

الإنسان الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الأطفال في أي مكان - ودون تمييز، وهذه الحقوق هي: حق

الطفل في البقاء، والتطور والنمو إلى أقصى حد، والحماية من التأثيرات المضرة، وسوء المعاملة والاستغلال، والمشاركة الكاملة في الأسرة، وفي الحياة الثقافية والاجتماعية.

وتتلخص مبادئ الإتفاقية الأساسية الأربعة في: عدم التمييز؛ تضافر الجهود من أجل المصلحة الفضلى للطفل؛ والحق في الحياة، والحق في البقاء، والحق في النماء؛ وحق احترام رأى الطفل. وكل حق من الحقوق التي تنص عليه الإتفاقية بوضوح، يتلازم بطبيعته مع الكرامة الإنسانية للطفل وتطويره وتتميمته المنسجمة معها.

وتحمي الإتفاقية حقوق الأطفال عن طريق وضع المعايير الخاصة بالرعاية الصحية والتعليم والخدمات الاجتماعية والمدنية والقانونية المتعلقة بالطفل.

وبموافقتها على الالتزام (بتصديقها على هذا الصك أو الانضمام إليه)، تكون الحكومات الوطنية قد ألزمت نفسها بحماية وضمنان حقوق الأطفال، ووافقت على تحمل مسؤولية هذا الالتزام أمام المجتمع الدولي.

وتلزم الإتفاقية الدول الأطراف بتطوير وتنفيذ جميع إجراءاتها وسياساتها على ضوء المصالح الفضلى للطفل(40).

العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرخ في: 16 ديسمبر 1966 - تاريخ بدء النفاذ: 3 جانفي 1976.

*المادة 12:

1. تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن بلوغه.

2. تشمل التدابير التي يتعين على الدول الأطراف في هذا العهد اتخاذها لتأمين الممارسة الكاملة لهذا الحق، تلك التدابير اللازمة من أجل:

أ- العمل على خفض معدل موتي المواليد ومعدل وفيات الرضع وتأمين نمو الطفل نموا صحيا.

ب- تحسين جميع جوانب الصحة البيئية والصناعية.

ج- الوقاية من الأمراض الوبائية والمتوطنة والمهنية والأمراض الأخرى وعلاجها ومكافحتها.

د- تهيئة ظروف من شأنها تأمين الخدمات الطبية والعناية الطبية للجميع في حالة المرض.

***المادة 13:**

1. تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل فرد في التربية والتعليم، وهي متفقة على وجوب توجيه التربية والتعليم إلى الإنماء الكامل للشخصية الإنسانية والحس بكرامتها وإلى توطيد احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وهي متفقة كذلك على وجوب استهداف التربية والتعليم تمكين كل شخص من الإسهام بدور نافع في مجتمع حر، وتوثيق أواصر التفاهم والتسامح والصدقة بين جميع الأمم ومختلف الفئات السكانية أو الإثنية أو الدينية، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم.

2. وتقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن ضمان الممارسة التامة لهذا الحق يتطلب:

أجعل التعليم الابتدائي إلزاميا وإتاحته مجانا للجميع.

ب. تعميم التعليم الثانوي بمختلف أنواعه، بما في ذلك التعليم الثانوي التقني والمهني، وجعله متاحا للجميع بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجيا بمجانبة التعليم.

ج. تشجيع التربية الأساسية أو تكثيفها، إلى أبعد مدى ممكن، من أجل الأشخاص الذين لم يتلقوا أو لم يستكملوا الدراسة الابتدائية.

هـ. العمل بنشاط على إنماء شبكة مدرسية على جميع المستويات، وإنشاء نظام منح واف بالغرض ومواصلة تحسين الأوضاع المادية للعاملين في التدريس.

3. تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد باحترام حرية الآباء، والأوصياء عند وجودهم، في اختيار مدارس لأولادهم غير المدارس الحكومية، شريطة تقيد المدارس المختارة بمعايير التعليم الدنيا التي قد تفرضها أو تقرها الدولة، وبتأمين تربية أولئك الأولاد دينيا وخلقيا وفقا لقناعاتهم الخاصة.

***المادة 14:** تتعهد كل دولة طرف في هذا العهد، لم تكن بعد وهي تصبح طرفا فيه قد تمكنت من كفالة إلزامية ومجانبة التعليم الابتدائي في بلدها ذاته أو في أقاليم أخرى تحت ولايتها، بالقيام، في غضون سنتين، بوضع واعتماد خطة عمل مفصلة للتنفيذ الفعلي والتدريجي لمبدأ إلزامية التعليم ومجانبيته للجميع خلال عدد معقول من السنين يحدد في الخطة(41).

-العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية: اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب

قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرخ في 16 ديسمبر 1966 تاريخ بدء النفاذ: 23 مارس 1976.

***المادة 6:**

1. الحق في الحياة حق ملازم لكل إنسان، وعلى القانون أن يحمي هذا الحق. ولا يجوز حرمان أحد من حياته تعسفا.

5. لا يجوز الحكم بعقوبة الإعدام على جرائم ارتكبتها أشخاص دون الثامنة عشرة من العمر، ولا تنفيذ هذه العقوبة بالحوامل.

المادة 7: لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الإطاحة بالكرامة، وعلى وجه الخصوص، لا يجوز إجراء أية تجربة طبية أو علمية على أحد دون رضاه الحر.

***المادة 8:**

1. لا يجوز استرقاق أحد، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما.

2. لا يجوز إخضاع أحد للعبودية.

3. لا يجوز إكراه أحد على السخرة أو العمل الإلزامي.

***المادة 9:**

1. لكل فرد حق في الحرية وفي الأمان على شخصه. ولا يجوز توقيف أحد أو اعتقاله تعسفا. ولا يجوز حرمان أحد من حريته إلا لأسباب ينص عليها القانون وطبقا للإجراء المقرر فيه.

2. يتوجب إبلاغ أي شخص يتم توقيفه بأسباب هذا التوقيف لدى وقوعه كما يتوجب إبلاغه سريعا بأية تهمة توجه إليه.

***المادة 14:**

4. في حالة الأحداث، يراعى جعل الإجراءات مناسبة لسنهم ومواتية لضرورة العمل على إعادة تأهيلهم.

5. لكل شخص أدين بجريمة حق اللجوء، وفقا للقانون، إلى محكمة أعلى كي تعيد النظر في قرار إدانته وفي العقاب الذي حكم به عليه.

***المادة 16:** لكل إنسان، في كل مكان، الحق بأن يعترف له بالشخصية القانونية.

***المادة 17:**

1. لا يجوز تعريض أي شخص، على نحو تعسفي أو غير قانوني، لتدخل في خصوصياته أو شؤون أسرته أو بيته أو مراسلاته، ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته.

2. من حق كل شخص أن يحميه القانون من مثل هذا التدخل أو المساس.

المادة 20:

1. تحظر بالقانون أية دعاية للحرب.

2. تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف.

*المادة 24:

1. يكون لكل ولد، دون أي تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل القومي والاجتماعي أو الثروة أو النسب، حق على أسرته وعلى المجتمع وعلى الدولة في اتخاذ تدابير الحماية التي يقتضيها كونه قاصرا.

2. يتوجب تسجيل كل طفل فور ولادته ويعطى اسما يعرف به.

3. لكل طفل حق في اكتساب جنسية.

*المادة 26: الناس جميعا سواء أمام القانون ويتمتعون دون أي تمييز بحق متساو في التمتع بحمايته. وفي هذا الصدد يجب أن يحظر القانون أي تمييز وأن يكفل لجميع الأشخاص على السواء حماية فعالة من التمييز لأي سبب، كالعرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسيا أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة أو النسب، أو غير ذلك من الأسباب(42).

-إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام: صدر إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام عام 1990 عن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وقد تضمن العديد من المبادئ التي تحرم العنف ضد الإنسان وتلزم الدولة والمجتمع بحماية هذه الحقوق الأساسية للإنسان، ومن بين ما جاء فيه ما يلي :

* تتص المادة (2 / أ ، د) من الإعلان على ما يلي :

أ- الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان، وعلى الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه، ولا يجوز إزهاق روح دون مقتض شرعي.

د- سلامة جسد الإنسان مصونة، ولا يجوز الاعتداء عليها، كما لا يجوز المساس بها بغير مسوغ شرعي، وتكفل الدولة حماية ذلك.

* وتحرم المادة (20) من إعلان القاهرة: تعريض الإنسان للعنف البدني والنفسي في العلاقات الإنسانية وبموجب المادة السابقة: "..... ولا يجوز تعريضه للتعذيب البدني أو النفسي أو لأي من أنواع المعاملات المذلة أو القاسية أو المنافية للكرامة الإنسانية، كما لا يجوز إخضاع أي فرد للتجارب الطبية أو العلمية إلا برضاه وبشرط عدم تعرض صحته وحياته للخطر، كما لا يجوز سن القوانين الاستثنائية التي تخول ذلك للسلطات التنفيذية(43).

- الميثاق العربي لحقوق الإنسان (2004) : صدر الميثاق العربي لحقوق الإنسان عام 2004، ودخل

دور التنفيذ في 15 مارس 2008، وينص الميثاق العربي على ما يلي:

***المادة 02:** على الدول الأطراف احترام مبدأ المساواة الفعلية بين الرجل والمرأة: في الحقوق والحريات من خلال اتخاذ: "التدابير اللازمة لتأمين المساواة الفعلية في التمتع بالحقوق والحريات كافة المنصوص عليها في هذا الميثاق بما يكفل الحماية من جميع أشكال التمييز بأي سبب من الأسباب المبينة في الفقرة السابقة.

***المادة 03:** الرجل والمرأة متساويان في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات في ظل التمييز الإيجابي الذي أقرته الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية الأخرى والتشريعات والمواثيق النافذة لصالح المرأة. وتتعهد تبعا لذلك كل دولة طرف باتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين تكافؤ الفرص والمساواة الفعلية بين النساء والرجال في التمتع بجميع الحقوق الواردة في هذا الميثاق.

***المادة 05:** التأكيد على مبدأ الأمن الشخصي للإنسان.

***المادة 08:** تنص على ما يلي:

- يحظر تعذيب أي شخص بدينياً أو نفسياً أو معاملته معاملة قاسية أو مهينة أو حاطه بالكرامة أو غير إنسانية.

- تحمي كل دولة طرف كل شخص خاضع لولايتها من هذه الممارسات، وتتخذ التدابير الفعالة لمنع ذلك وتعد ممارسة هذه التصرفات أو الإسهام فيها جريمة يعاقب عليها لا تسقط بالتقادم، كما تضمن كل دولة طرف في نظامها القانوني إنصاف من يتعرض للتعذيب وتمتعه بحق رد الاعتبار والتعويض.

***المادة 10:** تقرر ما يلي:

- يحظر الرق والاتجار بالأفراد في جميع صورهما ويعاقب على ذلك، ولا يجوز بأي حال من الأحوال الاسترقاق والاستعباد.

- تحظر السخرة والاتجار بالأفراد من أجل الدعارة أو الاستغلال الجنسي أو استغلال دعارة الغير أو أي شكل آخر أو استغلال الأطفال في النزاعات المسلحة.

***المادة 23:** تتعهد كل دولة طرف في هذا الميثاق بأن تكفل توفير سبيل فعال للتظلم لأي شخص انتهكت حقوقه أو حرياته المنصوص عليها في هذا الميثاق حتى لو صدر هذا الانتهاك من أشخاص يتصرفون بصفتهم الرسمية⁽⁴⁴⁾.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: في 10 ديسمبر 1948 اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصدرته، وبعد هذا الحدث التاريخي، طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان و"أن تعمل على نشره وتوزيعه وقراءته وشرحه، ولاسيما في المدارس

والمعاهد التعليمية الأخرى، دون أي تمييز بسبب المركز السياسي للبلدان أو الأقاليم". وقد جاء في الإعلان ما يلي:

***المادة 1:** يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

***المادة 2:** لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. فضلاً عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلاً أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

***المادة 3:** لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

***المادة 4:** لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.

***المادة 5:** لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الإطاحة بالكرامة.

***المادة 6:** لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

***المادة 7:** كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

***المادة 8:** لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

***المادة 9:** لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

***المادة 10:** لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

***المادة 11:**

1. كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

2. لا يدان أي شخص من جراء أداة عمل أو الامتناع عن أداة عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرمًا وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت ارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

***المادة 12:** لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

***المادة 15:**

1. لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

2. لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.

***المادة 17:** لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

***المادة 25:**

1. لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ويتضمن ذلك التغذية والملبس والسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

2. للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.

***المادة 26:**

1. لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

2. يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

3. للأباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم⁽⁴⁵⁾.

-**المكتب الدولي لحقوق الطفل 1994:** أنشأ المكتب الدولي لحقوق الطفل سنة 1994 في مونتريال بكندا، وهو منظمة دولية غير حكومية تتميز بوضع استشاري خاص لدى المجلس الاقتصادي

والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، ويقدم المكتب خبرته خاصة في المجال القانوني للمساهمة في حماية حقوق الطفل بما يتناسب مع إتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة سنة 1989⁽⁴⁶⁾.

3.3- الجهود الجزائرية للقضاء على العنف ضد الطفل: يعتبر العنف ضد الأطفال في الجزائر مسألة

غير جديرة بالإهتمام إلى حد كبير، وذلك بسبب هيمنة ثقافة العنف منذ الفترة التي ساد فيها الإرهاب أي فترة التسعينات⁽⁴⁷⁾، إلا أن هذا لا يقر بأن الدولة الجزائرية واقفة موقف الحياد من هذه المشكلة، فهي تحاول بشتى الطرق لمعالجة هذه الظاهرة، كما أن لجنة حقوق الطفل في ملاحظاتها الختامية الصادرة سنة 2005 قد شددت على ضرورة استمرار الجزائر في اتخاذ التدابير للحد من هذه الظاهرة أو التقليل منها⁽⁴⁸⁾، وعلى هذا الأساس فقد عملت الجزائر ما يلي:

- المصادقة على إتفاقية حقوق الطفل في 19 ديسمبر 1992.
- المصادقة على البروتوكولين الملحقين بالإتفاقية من خلال القانون الرئاسي الصادر في 02 سبتمبر 2006.
- تم سن القانون رقم 04-05 الصادر في فيفري 2005 في إطار إصلاح المؤسسات المعنية بعدالة الأحداث بغية ترويح إدماج الأطفال الاجتماعي، ويشتمل هذا القانون على تدريب العاملين في وزارة العدل.
- تم تحضير خطة عمل وطنية سنة 1992 خاصة بإنقاذ الطفل وحمائته ونموه استجابة للقمة العالمية للأطفال لكن لم يتم تقييم هذه الخطة.
- تم تحضير خطة عمل وطنية سنة 1998 خاصة بحماية الأطفال ورفاهيتهم مع إنشاء لجنة التقييم لمتابعة تنفيذها.

هذه الخطط مختصرة وواسعة النطاق وتعطي الأولوية لمسائل مثل: صحة الطفل وحماية الأطفال والأمهات والحصول على التعليم والدعم للأطفال المهملين⁽⁴⁹⁾.

وتماشيا مع التغيرات الدولية ووفقا للتحويلات الإقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع الجزائري فقد تمت إعادة النظر في كثير من الأحكام القانونية من بين تلك الأحكام التعديلات الواردة على قوانين الأسرة والجنسية والعقوبات وغيرها من القوانين⁽⁵⁰⁾.

الهوامش:

- (1)- ابن منظور: لسان العرب، المجلد التاسع، ط3، دار الصادر، بيروت، 1994، ص:257.
- (2)- شتيوي ربيع وسمايلي محمود: العوامل المدرسية المؤدية إلى العنف لدى تلاميذ المرحلة الثانوية الجزائرية "دراسة حالة تلاميذ ثانوية"، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، العدد(2-3)، جامعة جيجل، جوان 2007، ص-ص: 71-108.
- (3)- وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ط6، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص:89.
- (4)- كامل عمران: تأثير العنف المدرسي على شخصية التلاميذ، الملتقى الدولي حول العنف والمجتمع، 9-10 مارس 2003، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص-ص: 118-133.
- (5)- كوثر إبراهيم رزق: في ديناميات الاعتداء على الدرسين، الكتاب السنوي لعلم النفس، المجلد6، 1979، ص: 206.
- (6)- محمد منير حجاب: مرجع سابق، ص: 1.
- (7)- أحمد زايد وآخرون: الأسرة والطفولة "دراسات اجتماعية أنثروبولوجية"، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، ص:182.
- (8)- عبد الرحمان عيسوي: المجرم الشاذ، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2005، ص:187.
- (9)- مصطفى حجازي: الصفحة النفسية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص:225.
- (10)- جليل وديع شكور: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، 1997، ص:31.
- (11)- المرجع السابق، ص: 32.
- (12)- المرجع السابق، ص: 62.
- (13)- محمد منير حجاب: مرجع سابق، ص: 1679.
- (14)- معتز سيد عبد الله: علم النفس الاجتماعي، ط1، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001، ص:685.
- (15)- شتيوي ربيع وسمايلي محمود، مرجع سابق، ص-ص: 71-108.
- (16)- محمد رضا جواد: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، بيروت، 1986، ص: 56.
- (17)- حسين محمد الظاهر: الأساليب التربوية الحديثة في التعامل مع ظاهرة العنف الطلابي، الكويت، وزارة التربية، إدارة التطوير والتنمية، 1997، ص: 03.
- (18)- سعيد محمد نصر و محمد سليمان: ظاهرة العنف لدى شرائح المجتمع المصري، المجلد السادس، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، مصر، 1979، ص:71.
- (19)- عزت سيد إسماعيل: السيكولوجية للإرهاب وجرائم العنف، منشورات ذات السلال للطباعة والنشر، الكويت، 1988، ص-ص: 26-25.
- (20)- عبد الله موسى، قراءة نفسية إ ج لظاهرة العنف، مجلة النبأ عدد2000، 24.
- (21)- حسن صفوان عصام: التناول الاعلامي لظاهرة العنف في الجزائر من خلال الصحافة المكتوبة، جامعة الجزائر، 95/96، ص: 14.
- (22)- وفاء محمد البرعي: مرجع سابق، ص-ص: 111-113.
- (23)- المرجع السابق، ص-ص: 117-118.
- (24)- محمود صالح العادلي: موسوعة القانون الجبائي للإرهاب، الجزء1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2003، ص:43.

- (25)- المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب: الثقافة الأمنية، دار الكتاب للنشر، الرياض، 1988، ص- ص: 26-27
- (26)- مختار الصحاح، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية الليبية، 1981، ص: 418.
- (27)- ماهر جميل أبو خوات: الحماية الدولية لحقوق الطفل، دار النهضة العربية، 2005، ص: 10
- (28)- عيسوي عبد الرحمان: التربية النفسية للطفل والمراهق، ط1، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000، ص: 56.
- (29)- خديجة بن فليس: أشكال الإساءة الممارسة على الأطفال داخل الأسرة وعلاقتها بإدراك مفهومي الذات والأسرة لديهم "دراسة ميدانية بولاية باتنة" مجلة العلوم الإنسانية، العدد 46، قسم علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2010، ص: 7.
- (30)- علي قصير: الحماية الجنائية للطفل في التشريع الجزائري، مذكرة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008، ص: 4
- (31)- حسين نصار: تشريعات حماية الطفولة، حقوق الطفل، منشأة المعارف الإسكندرية، ص: 18.
- (32)- علي قصير، مرجع سابق، ص: 14.
- (33)- خديجة بن فليس، مرجع سابق، ص: 5.
- (34)- علي قصير، مرجع سابق، ص: 14.
- (35)- خديجة بن فليس، مرجع سابق، ص: 6.
- (36)- المرجع السابق، ص: 7.
- (37)- وزارة التخطيط الفلسطينية: الخطة الوطنية للطفل الفلسطيني 2009/2011، 2007.
- (38)- <http://www.gohod.net/node/39>
- (39)- وزارة التخطيط الفلسطينية: مرجع سابق
- (40)- http://www.unicef.org/arabic/crc/34726_50765.html
- (41)- <http://www.bibalex.org/arf/ar/lmpDocs/CSC.htm>
- (42)- <http://www.bibalex.org/arf/ar/lmpDocs/PCRs.htm>
- (43)- بدرية عبد الله العرضي: الأطر القانونية لمكافحة العنف ضد المرأة في منطقة الخليج العربي، مؤتمر العنف الأسري في الدول العربية في الفترة من 2-4 ديسمبر 2008، المنامة، مملكة البحرين.
- (44)- المرجع السابق.
- (45)- <http://www.bibalex.org/arf/ar/lmpDocs/WHRs.htm>
- (46)- المكتب الدولي لحقوق الطفل: أعمال حقوق الطفل في شمال إفريقيا، 2007، ص: 1.
- (47)- المرجع السابق، ص: 29.
- (48)- المرجع السابق، ص: 36.
- (49)- المرجع السابق، ص: 14.
- (50)- الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، ص: 39.

الفايس بوك والعلاقات الاجتماعية

أ. بلخير فايزة - المركز الجامعي غليزان - الجزائر

ملخص:

يعيش الفرد اليوم موجة من المعلومات بسبب التطور التكنولوجي بظهور الانترنت، حيث لوحظ في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا لهذه الشبكة منها الفايس بوك الذي يسمح بخلق صداقات مع أصدقاء، كما انه يقوم على العلاقات غير المرئية أو غير المباشرة، مما يتيح للفرد التعامل مع أكبر عدد ممكن من الأفراد فلا يتطلب مهارات اجتماعية خاصة لدى الأشخاص الانطوائيين والذين يشعرون بالوحدة والذين يشعرون بقلق اجتماعي من خلال تواصلهم وجها لوجه هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعلاقات في المجتمع الافتراضي أغلبيتها قد تكون مبنية على معلومات مزيفة وليس من السهل الوصول إلى معلومات عن الذين يتم التفاعل معهم، وخلوها من تعابير الجسد، كما أصبح الأفراد يتعلقون بشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها ويقضون وقتا كبيرا أمام الشاشة أكثر من الوقت الذي يخصصونها للأشخاص في الحياة الواقعية، إلا انه يبقى الاستخدام الأمثل لهذه الشبكة هو الذي يحافظ على هذه العلاقات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الفايس بوك، المجتمع الافتراضي، العلاقات الاجتماعية، العلاقات الافتراضية.

Abstract:

Today, the individual is experiencing a wave of information because of the technological development of the Internet. In recent years there has been a major development of this network, including Facebook, which allows friendships with friends. It is based on invisible or indirect relationships, allowing the individual to deal with as many people as possible. Of individuals does not require special social skills in the introverted and lonely people who are socially concerned through their face-to-face interaction on the one hand. On the other hand, relations in virtual society, the majority of which may be based on false information, Yen is interacting with them, and they are free from expressions of the body, and became individuals largely Cling relationships they create and spend too much time in front of the screen more than the time that A_khassunha people in real life, but it remains the best use of this network is the one who maintains these social relations.

Keywords: Facebook, Virtual Society, Social Relations, Virtual Relationships

مقدمة :

يشهد عالم اليوم موجة من المعلومات بسبب التطور التكنولوجي والعلمي الذي أحدث مجموعة من التغيرات في شتى مجالات الحياة منها في مجال الاتصال بظهور صفحات ويب على شبكات الانترنت منها شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك facebook، حيث يعرض كل مشترك اخباره وصوره

ومناسباته التي يطلع عليها المشتركون الآخرون من الأصدقاء عادة ويتفاعلون، فهو شبكة اجتماعية استأثرت بقبول وتجاوب كبير من الناس خصوصا من الشباب في جميع أنحاء العالم، وهي لا تتعدى حدود مدونة شخصية في بداية نشأتها في شباط عام (2004)، في جامعة (هارفارد) في الولايات المتحدة الأمريكية، من قبل طالب متعثر في الدراسة يدعى (مارك زوكربيرج)، وكانت مدونته (الفييس بوك) محصورة في بدايتها في نطاق الجامعة وبحدود أصدقاء (زوكربيرج)، الطالب الموهوس في برمجة الكمبيوتر، ولم يخطر بباله هو وصديقين له أن هذه المدونة ستجتاح العالم الافتراضي بفترة زمنية قصيرة جدا، فتخطت شهرتها حدود الجامعة وانتشرت في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة، وظلت مقتصرة على أعداد من الزوار ولو أنها كانت في زيادة مستمرة. (محمد منصور، 83:2012-84)، أما في قاموس الإعلام والاتصال عرف **فيسبوك** **FACEBOOK** على أنه "موقع خاص بالتواصل الاجتماعي أسس عام 2004 ويتيح نشر الصفحات الخاصة **PROFILES** وقد وضع في البداية لخدمة طلاب الجامعة وهيئة التدريس والموظفين لكنه اتسع ليشمل كل الأشخاص" (مريم نريمان نومار، 2011: 55). كما أنه موقع تواصل اجتماعي تابع لشركة فيس بوك يستطيع أي شخص الوصول إليه عبر الإنترنت والتسجيل به مجانا، ويقوم بالاتصال مع الآخرين والتفاعل معهم. أما كلمة "بوك" فأتت من أوروبا وتعني دفتر ورقي يحمل صوراً أو معلومات لأفراد وجماعة معينة من أجل تعرف الطلبة المنتسبين على الطلاب المتواجدين في نفس الكلية. (عبد الكريم سعودي، 44:2014)

ولقد بدأت ظاهرة التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت من خلال ظاهرة المواقع الاجتماعية في عام 1997 وكان موقع **six degrees. Com** أول هذه المواقع من خلال إتاحتها الفرصة بوضع ملفات شخصية المستخدمين على الموقع وكذلك إمكانية التعليق على الأخبار الموجودة على الموقع وتبادل الرسائل مع باقي المشتركين. وإذا كان موقع **six degrees.com** هو رائد مواقع التواصل الاجتماعي فإن موقع **myspace.com** هو الذي فتح أفقا واسعة لهذا النوع من المواقع، وقد حقق نجاحا هائلا منذ نشأته علم 2003، بعد ذلك توالى مواقع التواصل الاجتماعي لكن العلامة الفارقة كانت في ظهور موقع **الفيس بوك** **face book**. (حسني عوض، 47:2012)

ولقد أسسه مارك زوكربيرج من مواليد 14 ماي 1984 في الرابع من فبراير 2004 الذي كان طالبا في جامعة هارفارد وكان الموقع في البداية مخصصا فقط للطلبة في جامعة هارفارد فقط لكن تم تطويره لاحقا ليصبح لطلبة الجامعات بشكل عام بالاشتراك في الموقع من ثم السماح ليشمل طلبة المدارس الثانوية وأي شخص يتعدى عمره 13 سنة. (وائل مبارك خضر فضل الله، 13:2010)، فبحسب إحصائيات **SOCIALBACKER.COM** المتخصص في متابعة شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت، تأتي

الولايات المتحدة الأمريكية في أول القائمة من حيث عدد مستخدمي " الفاييس بوك " وذلك بأكثر من 157 مليون مستخدم، تليها اندونيسيا والهند بأكثر من 41 مليون مشترك ثم البرازيل بأكثر من 35 مليون مشترك ، أما في العالم العربي فتتصدر مصر القائمة بعدد مستخدمين فاق تسعة ملايين مشترك ثم السعودية والمغرب بأكثر من 4 ملايين تليها الجزائر في المرتبة الرابعة بما يقارب الثلاثة ملايين مستخدم ثم تونس والإمارات بأكثر من مليوني مستخدم.(مريم نريمان نومار، 2011:56)

فوجد مجتمع الشباب في الفاييس بوك نافذة مطلعة يجوب من خلالها العالم بيدي فيها الآراء بالبحث عن إقامة الأصدقاء بل تعدها إلى مشاركة وتبادل الأحاديث والغمر حتى في تفاصيل الحياة الخاصة التي يعتبر من أقوى الأسباب بالارتباط مستخدم الانترنت بالفايس بوك ، إضافة إلى دافع الفضول والاطلاع خاصة ما أحدثه الفاييس بوك من رواج إعلامي من خلال امكانية مشاركة الملفات والصور وتبادل مقاطع الفيديو ، وكذلك مكنت مستخدميها من إنشاء المدونات الإلكترونية وإجراء المحادثات الفورية وإرسال الرسائل .

فنظرا لما حققه هذا الموقع أي الفاييس بوك من انتشار من خلال تزايد نسبة المتابعة التي تضم أعمار مختلفة وشرائح من مختلف الجنسيات، مما يجعلنا نطرح التساؤلات التالية:

ما ماهية شبكة التواصل الاجتماعي " الفاييس بوك " ماهي أهم خصائص هذه الشبكة ؟ ما المقصود بالعلاقات الافتراضية على هذه الشبكة؟ وهل يؤثر الفاييس بوك على العلاقات الاجتماعية لدى الفرد؟

فترى الدكتورة (سوسن حامد) أستاذ علم النفس " أن هذا الشكل يعد من معطيات العصر وتبادل العلاقات بين الشباب والتعارف في عالم افتراضي ، هو شكل حديث من أشكال التطور الذي يفرض نفسه ، وقد يعود إدمان الشباب من كلا الجنسين على غرف الشات والمنديات بسبب الفراغ الاجتماعي الذي يصيبهم بسبب الظروف السياسية وما مر به البلد من إريكات أمنية والتي دفعت الشباب للجلوس على الانترنت وتفرغ طاقاتهم المكبوتة وملا الفراغ الذي أصابهم سواء الفراغ الاجتماعي أو العاطفي . وفي المنديات بشكل خاص تبدأ العلاقة بتجاذب الأفكار والارتياح العقلي والانسجام الفكري مع الآخر، وقد تتحول بعض هذه العلاقات من عالم افتراضي إلى عالم واقعي عن طريق إعطاء مساحة أكبر من التعارف على أرض الواقع ".(محمد منصور ، 2012: 65_66)

فالفايس بوك يحتوي على العديد من الأنشطة فأكثر من 800 مليون يتعاملون عبر الفاييس بوك (صفحات ، جماعات ، أحداث ، صفحات اجتماعية ..إلخ).

- متوسط المشتركين يستخدمون ثمانون صفحة اجتماعية .
- متوسط المستخدمين ينشؤون تسعون صفحة محتوى كل شهر.

- أكثر من عشرون مليار صفحة من المحتويات (وصلات شبكة الانترنت والأخبار والقصص واعلانات الوظائف والملاحظات وألبومات الصور ..الخ). (عبد الكريم سعودي، 2014: 44)

فهو يقدم العديد من الخدمات التي لا تتطلب جهدا كبيرا أو تكاليف من أجل التسجيل في هذا الموقع والتواصل مع الآخرين الذين تربطهم اهتمامات مشتركة ، ومن بين من الخدمات التي تقدمها هذه الشبكات هي: "امكانية تكوين ألبومات صور خاصة بالمشارك وعائلته وأصدقائه ، ويكون متاح للأصدقاء الآخرين للاطلاع عليها . ومن يرغب في التسلية فتوجد في شبكة الفيس بوك الآلاف من الألعاب المسلية وبالإمكان اللعب فيها منفردا أو ضمن مجاميع من الأصدقاء. ولم تغفل صفحة الفيس بوك قضايا الإعلانات ، لأنها مهمة للكثير من الناس ، فكيف إذا كانت تعرض بشكل شيق ومتطور ، وهذا ما يتيح الفيس بوك لمستخدميه . وقدمت الفيس بوك دليلا خاصا بها ، يتضمن الملايين من التطبيقات لأغراض كثيرة ومتنوعة . ويقدم الفيس بوك خدمات أخرى أيضا وهي، امكانية اضافة روابط مهمة للمستخدم مثل : مواقع الفيديو المفضلة ، ومواقع مهنية وثقافية ربما تستهوي المستخدم وتستعري انتباهه".

(محمد منصور ، 2012، ص87)

وعليه تعددت الخدمات ما بين التسلية والترفيه والتسويق والاشهار والتثقيف وتسهيل التواصل مع الآخرين نظرا لما يتمتع به من خصائص وهي :

كسهولة الاستخدام : حيث انها لا تحتاج إلى اجراءات معقدة للاشتراك بها ولا تحتاج إلى مهارات صعب اكتسابها في التعامل معها .

المجانية في عمل الحساب : تساعد على اشتراك أكبر عدد ممكن من الافراد في هذه المواقع حيث انها لا تتطلب اكثر من وجود الانترنت وجهاز الاتصال به ، وهذه المجانية اتاحت امكانية الاشتراك لجميع الأفراد.

تساعد على بناء مجتمعات من البشر بسرعة : يتشاركون الإهتمامات والانشطة المختلفة والمصالح المشتركة مثل مجتمع الدراسة ومجتمع العمل ومجتمع التسلية والترفيه.

سرعة التواصل مهما كانت المسافات بين المستخدمين : وسرعة الوصول إلى حلول للمشكلات التي قد تواجه بعض الافراد المشتركين فيها ، وذلك بتبادل الآراء ، والمقترحات من الآخرين .

استخدامها لأشكال متعددة من الاتصال الكتابي واللفظي والبصري والسمعي: وذلك اثرآ لعملية التواصل ويجعلها تحقق أهدافها بسهولة .

توفر البيانات والمعلومات المطلوبة للمستخدمين بسهولة : عن طريق الصور والفيديوهات والوثائق والملفات المعلومات والأخبار في أسرع وقت .

امكانية استخدام عديد من أدوات الاتصال : مثل الرسائل وغرف الدردشة ولوحات الرسائل والتعليق والتراسل المباشر الفوري وتبادل كل انواع الملفات وذلك يزيد القدرة على التفاعل الاجتماعي داخل المنظمات والمؤسسات وبين الأفراد والمعاهد من أجل المصالح المشتركة وذلك لأنها تترك خيارات متعدد للمستخدمين وتلبي جميع رغباتهم .

التزامية في التفاعل والانتشار السريع حول العالم : مما جعلها تتسم بالعالمية ، بالإضافة إلى تحويل المعلومات من المحلية للعالمية مما يكتسبها الانتشار الواسع .

التفاعل والإيجابية : وذلك لأنها تجعل من المستخدم مشاركا إيجابيا بالإضافة والتجديد المستمر لحسابه مما يعكس شخصية المستخدم وتقوده وهذه الخاصية تعلمه المبادرة والإبتكار .

(خديجة عبد العزيز علي إبراهيم، 2014: 230 - 231)

فيقوم الفيس بوك على العلاقات غير المرئية أو غير المباشرة ، كما أنه مجتمع يتيح للفرد التعامل مع أكبر عدد ممكن من الأفراد ولا يتطلب مهارات اجتماعية لإدارة العلاقات في فترة وجيزة ، ضف إلى ذلك أنه يقوم على مجتمع يتميز بالخيال فيما يعرض ، فلا أحد يستطيع أن يجزم أن ما يعرضه الفرد عن نفسه حقيقي خاصة لو كنت لا تعرفه على الأرض وهو ما يخلق للفرد الشخصية التي يتمناها ولو لبعض الوقت ، التعامل مع مجتمع يتكون مع أفراد قد ينتحلون شخصيات متعددة وأسماء مستعارة . فالفايس بوك يوظف آليات التواصل من خلال يتيح للمشاركين آليات لتبادل الآراء والأفكار والصور والفيديوهات من خلال أن يكون لكل ملف شخصي يسمى **profile** يقوم من خلاله بتكوين صداقات عن طريق إرسال إذن للصديق الذي تود أن تتحاور معه عبر ملفك الشخصي.

كما يضيف نصيف أن المشتركين يمكنهم أيضا كتابة المقالات عبر هذا الموقع وتكوين مجموعات تقوم بإنشائها تدعو إليها الأصدقاء للانضمام وتكون هذه المجموعات عالمية ، أي انه يمكن لأي شخص الدخول إليها حسب أدوات التحكم بالمجموعة التي انشأتها ، كذلك أيضا من خلال الموقع دعوة الأصدقاء إلى حدث معين سواء معرض أو ندوة أو مسابقة أو إنشاء صفحات وإرسال رسائل داخلية بداخل الموقع والدردشة فيكون بذلك دائرة متصلة دائما للتفاعل الثقافي عبر البلدان المختلفة.

(تهاني زياد فوره، 2012:34)

وعليه يعد موقع الفيسبوك من اكثر مواقع الشبكات والتواصل الاجتماعي رواجاً وانتشاراً لما يحققه من ميزات يتمتع بها رواده ، إذ انه يمثل أداة لتسهيل التواصل الاجتماعي لأشخاص يجدون صعوبة في تكوين علاقات اجتماعية ، وروابط وصلات مع الآخرين.(سامي احمد شناوي ، محمد خليل عباس ، 2014: 76)، فهو يتيح الامكانية لمستخدميه بإرفاق الملفات والكتابة حول مواضيع محددة ومعينة والتعليق

والتواصل مع الآخرين بالرغم من بعد المسافات واختلاف الثقافات ، ونظرا ما حققه هذا الموقع من انتشار بحيث من مختلف الاعمار والطبقات الاجتماعية يرتادون على هذه الشبكة ، ومن بين النماذج التي هي أكثر ارتيادا على الفيس بوك أو الاصناف التي ينتمون إليه بحسب بالكاتبة الألمانية (أيلينا زنغر) والكاتب (خالد الكوطيط) أن يتوقفا امام نموذج من زوار الفيس بوك والمشاركين فيه ، وأن يعتبروا مجموعة من الزوار تتدرج ضمن النماذج التالية :

"النموذج الأول: المتخفي / ضمن هذا النموذج يرى الكاتبان أن الكثيرين ممن يسجلون انفسهم لا يفهمون مبدأ التواصل والتشابك، فيخفون صورتهم ولا يقدمون أية معلومات شخصية عنهم للأصدقاء الذين يدعونهم، ويقول الكاتبان: هؤلاء لا يفصحون عن هويتهم ويكتفون بالملاحظة وبالاطلاع على الصفحات الشخصية للمستخدمين الآخرين.

ربما يخاف هذا النمط من المستخدمين من ان يفوتهم شيء ما . أو يعيشون طفولتهم من جديد حيث كانوا يكتفون بالوقوف في ركن ما من ساحة إلى اظهرت ان خيار التخفي ليس بالأمر السيئ على الاطلاق ، إذا ما اخذت بعض التعليقات غير اللائقة التي يكتبها البعض بعين الاعتبار.

النموذج الثاني : رفيق المدرسة / (لم نلتقي منذ وقت طويل) ، بهذا يتحدث الكاتبان عن هذا النموذج من الاشخاص فيوضحان : هذه الرسالة يتلقاها المرء من اشخاص فقدت اثارهم منذ وقت طويل ، وغالبا ما يكونوا زملاء من أيام المدرسة . رسالة تثير فضولا كبيرا عما أصبحت عليه أحوال الآخر، لكن في كثير من الأحيان ما يلبث هذا الزميل القديم أن يختفي ولا يبقى سوى اسمه في لائحة الأصدقاء.

النموذج الثالث : الخطيب السابق أو الخطيبة السابقة / هم أصدقاء غير مريحين ، ويتوقف الكاتبان عند هذا النوع من الأصدقاء ، الذين يتجسسون على صفحات المشتركين في الفيس بوك ، وقد يثيرون بعض المشاكل غير المريحة لصاحب الصفحة ، كون انهم يحاولون التأثير على علاقاته الجديدة ، وخلق المشاكل في علاقته مع اصدقائه الجدد.

النموذج الرابع : الأبوين/ لاشك ان الكثير من الأباء والامهات لا يعرفون عن الفيس بوك ما يكفي اضافة إلى أنهم لا يرغبون في خوض هذه التجربة الجديدة ، لكن حرصهم على أولادهم يدفعهم في الكثير من الاحيان إلى التطفل على اهتمامات الأبناء والبنات بهذا التواصل الاجتماعي، والدخول إلى صفحاتهم وطلب صداقة أبنائهم ، الذين يقومون بتشكيل مجاميع من الأصدقاء تحد من تدخلات الأباء في شؤونهم ومن هذه المجموعات التي يشكلونها الأبناء : (دعونا نقصي الأباء من الفيس بوك).

النموذج الخامس : المدير / يتسم هذا النموذج بطابع أكثر ما يقال عنه تجسسي _نرجسي ، فالمدير يفتح صفحة شخصية له على الفيس بوك ، ويدعو العاملين عنده بالتسجيل في الفيس بوك والدخول إلى

صفحة الخاصة، ومن هنا يحقق نرجسيته باعتباره يتحكم فيهم حتى وهم في العالم الافتراضي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يصبحون تحت انظاره ويراقب تحركاتهم وسلوكهم.

النموذج السادس: القريب/ يرى الكاتبان في هذا النموذج أنه: لا داعي لمكالمة القريب البعيد، لمعرفة كيف حاله. فالخبر يمكن قراءته على الفيس بوك . ولا حاجة للحديث عن الجد أو الجدة أو عن أشياء لا أهمية لها. فإيس بوك يمنح إمكانية البقاء على اتصال بهؤلاء الأقارب دون الحاجة للاتصال بهم"

النموذج السابع : الأصدقاء الحقيقيون / يخلص الكاتبان إلى أن الأصدقاء الحقيقيون هم أصدقاء بصرف النظر أن اضيفوا إلى العالم الافتراضي أو لا ، ويقولون : الصديق الحقيقي هو الصديق الذي نعرفه منذ وقت طويل . في هذه الحالة لا يحتاج المرء لفيس بوك للحفاظ على الصداقة. لكن ضم هؤلاء الأصدقاء إلى لائحة الأصدقاء على الفيس بوك هو أمر طبيعي، على الرغم من قلة أو عدم أهمية ما يمكن اضافته هناك حول هؤلاء الأصدقاء.(محمد منصور، 2012: 88-90)

يمكن القول أن النماذج التي ذكرها الباحثان والتي حصرت في سبعة فئات التي هي أكثر ارتيادا على هذا الموقع الاجتماعي ، فربما هي نابعة من ثقافة المجتمع الغربي خاصة النموذج الخامس ، الا انها اغفلا فئة كبيرة ترتاد على هذه الشبكة وهي النموذج الطبيعي المتمثل في العلماء والخبراء والأدباء والفنانين وأساتذة وطلبة التي يبديون آرائهم وافكارهم ومقالتهم القيمة وانتقاداتهم على صفحات الفيس بوك بالإضافة النموذج المرضي بما فيهم الأشخاص الانطوائيين والمصابين بالقلق الاجتماعي الذين يعانون من قصور في مهارات التواصل فأصبحوا يميلون للتفاعل عن بعد، فيرغبون في خلق حالة أخرى يعيشون فيها كما يتمنون دون أن يطالبهم أحد بأن يكونوا على حقيقتهم.

وهذا ما وجده فريق البحث أن الأشخاص الذين يعانون من القلق ويشعرون بالرهاب وعدم الامن الاجتماعي هم الأكثر استخداما للفيس بوك من أولئك الذين ينخفض لديهم معدل تلك الصفات، وتضيف اندرسون أن الناس الذين هم أكثر تنظيما وأعلى طموحا هم الأقل عرضة لخطر إدمان الفيس بوك وأن النساء هن أكثر عرضة للإدمان.(عبد الكريم سعودي ، 2014: 45)

ضف إلى ذلك ان هناك دوافع تدفع بالأشخاص إلى الدخول على هذه الشبكة منها التعريف بالذات فتوصلت الدراسة التي قام بها برك وآخرون (2009) إلى أن عديد المنتمين إلى مجموعات "فايسبوكية" يستخدمونها لتقديم انفسهم وتطوير علاقاتهم المهنية ، ومن بين الاشباعات المحتملة الخاصة بالحفاظ على شخصية الفرد في الأنترنت والتي تتكامل مع شخصيته الواقعية هو مقدار الكشف الذاتي الذي تتيحه الشبكات الاجتماعية لمستخدميها والذي يمكنه الاتصال ، ويقترح TUFECKI (2008) عددا من العوامل التي تساعد الشخص في تقديم نفسه عبر الشبكات الاجتماعية ، مكان الإقامة ، وغيرها.

والحصول على المعلومات : العديد من مستخدمي الشبكات الاجتماعية يرون انه من بين أهم الاشباعات المحققة أيضا هي الحصول على المعلومات المخصصة لهم على الشبكات الاجتماعية ، وحسب بارك وآخرون فإن مستخدمو " الفاييس بوك " يلتزمون الحصول على معلومات الأحداث داخل وخارج الجامعة والقضايا السياسية والمدنية .(مريم نريمان نومار، 2011:40)

كما أوضح علماء نفس ألمان أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت يجعل المستخدم أكثر انفتاحا وصراحة ، وقالت (زابينه تريبيته) في دراستها التي أجرتها بالتعاون مع زميلها (ليونارد رينكه) بكلية (هامبورغ ميديا) واعلنت عنها في المؤتمر الأوروبي للتواصل (بها مبورغ) : " أن من يذكر الكثير من بياناته الشخصية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي مثل : موقع فيسبوك تصبح لديه بعد عام قدرة نفسية أكبر على المصارحة الذاتية " ، وأوضحت أن استعدادا أكبر للبوخ بالمزيد من المعلومات الشخصية يتكون لدى مثل هؤلاء الاشخاص مع مرور الوقت ، مضيئة " أي انهم يتغيرون فيما يتعلق بمدى الاستعداد بالبوخ بمعلومات عن أنفسهم عبر الانترنت "، كما تؤكد الدراسة أن الاشخاص الذين يدلون بالمزيد من المعلومات عن أنفسهم في صفحات التواصل الاجتماعي يجمعون أصدقاء أكثر خلال نصف عام ، غير أنه تبين أن هذه الصداقات قلما تكون منها صداقات حميمية أما الصداقات الحقيقية فلا تزال تتم وتستمر بعيدا عن الانترنت .(زهير عابد، 2012:1396).

فبظهور مواقع التواصل الاجتماعي منها الفاييس بوك، من خلال بناء شبكات اجتماعية افتراضية مما غير في طبيعة التواصل الانساني والعلاقات الانسانية فأصبح يشكل خطورة على تماسك العلاقات الأسرية والتي ظهر في مكانها العلاقات الافتراضية. فالعلاقات الاجتماعية هي الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع ، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع". (مريم نريمان نومار، 2011: 79)، كما يعرفها إبراهيم عثمان العلاقات الاجتماعية بأنها صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر بحيث تكون لدى كل طرف صورة عن الآخر والتي تؤثر سلبا أو ايجابا على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات الصداقة والروابط الأسرية والقربة وزمالة والمعارف والأصدقاء .(حنان بنت شعشوع الشهري، 2012: 16)

وينظر كذلك إلى هذا المفهوم على أنه " مجموعة من الروابط المتبادلة بين الافراد وجماعات المجتمع التي تنشأ عن اتصال بعضهم ببعض، وتفاعل بعضهم ببعض مثل روابط القربة والروابط التي تقوم بين أعضاء الجمعيات التعاونية، وأعضاء المؤسسات الاجتماعية ، وأبناء طبقات المجتمع..."

(بودراع فوزي، 2014:54)

يتضح مما سبق أن لبناء علاقات اجتماعية بين الفرد والمجتمع الذي يعيش عليه يشترط وجود تفاعل بين أفرادها التي تتجم عن اتصال بينهم فتخلق مجموعة من الروابط وتبادل المشاعر فيما بينهم. ففي الماضي كان التقارب الجغرافي له دور في بناء العلاقات الاجتماعية، إلا أن بظهور الانترنت خلقت أنماطاً اتصالية جديدة فيتصل الفرد مع الآخر اتصالاً وسيطاً عن طريق هذه الشبكة التي تغيب فيه حدود الزمان والمكان وتحول فيه الأفراد إلى افتراضيين يتفاعلون ويشاركون في أنشطة اجتماعية تدور في عالم افتراضي يحدث بينهم تفاعل وروابط ما يطلق عليها العلاقات الافتراضية.

فيعرف سيرج بروكس **المجتمع الافتراضي** بأنه مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار...، والذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة ويتقاسمون نفس الأدواق، القيم، الإهتمامات ولهم أهداف مشتركة. (مريم نريمان نومار، 2011:88)

ومن بين الخصائص التي تميز المجتمع الافتراضي عن المجتمع الطبيعي ما يلي:

- أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، فالمدينة على حد قول ألبرتا روبرت **ALBERTA ROPERT** و **مشيل جينكنسون JENKINSON MICHAEL** مدينة لا تنام . فهناك دائماً أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتى في منتصف الليل ولا غرابة في ذلك فلقد أصبح الانترنت بشكل عام جزءاً من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من المهتمين بالأنترنت على وجه خاص .
- الأفراد ينتظمون دون علاقة محددة تربطهم بمكان وزمان معين .
- الاتصال والتفاعل : أن ما يميز المجتمعات الافتراضية هو طبيعة التفاعل الذي يكون من خلال الاتصال الوسيطي.
- التعبير عن المشاعر في المجتمعات الافتراضية : على الرغم من أن التعبير على المشاعر عادة يكون بالعديد من الميكانيزمات غير اللغوية مثل الضحك، الإبتسام، تعابير الوجه وغيرها يكون هذا التعبير في المجتمعات الافتراضية من خلال الرسائل النصية التي قد تكون أحياناً متبوعة بما يعرف بالأيموتيكونات **EMOTICONS** أو سمايليز **SMILIES**
- الأعضاء لديهم غرض مشترك، مصلحة واهتمام واحتياج، أو نشاط بسبب الإنتماء للمجتمع المعني ومن بين خصائص المجتمعات الافتراضية أن يكون لديها على الأقل نشاط واحد محدد.
- وجود المعلومات وتوفرها للجميع والدعم والخدمات بين الأعضاء أمر مهم في حركة المجتمع.
- هناك اطار مشترك للتقاليد الاجتماعية واللغة والبروتوكولات المتبعة.

(مريم نريمان نومار، 2011:92-93).

وهذا ما أوضحتها دراسة مزيد (2012) أن العالم الافتراضي يكون بديلاً للعالم الواقعي المأزوم بالنسبة لكثير من مستخدمي الإنترنت ، وأوضح أن سمات العالم الافتراضي تشمل المرونة وانهايار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي ، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدد بالجغرافيا أو القبيلة بل بالإهتمام والمصلحة ، كما أنها مجتمعات لا تنتم ، ومن سماتها أيضا انها تنتهي إلى عزلة وإنفراد ، على ماتعد به من انفتاح على العالم وتواصل مع الاخرين ، فهي رغم انها تعد بالتخلص من عزلة البشر إلا أنها تنتهي بهم إلى عزلة جديدة عن عالمهم الواقعي ، ومن سمات المجتمعات الافتراضية انها لا تقوم على الجبر أو الالزام ، فليس هناك من يرغب أحد على قبول صداقة غيره ، كما أنها تعد فضاءات رحبة مفتوحة للتمرد والثورة ، بداية من التمرد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الانظمة السياسية كذلك تتسم بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدرج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدي. (ماهر عبد العال الضبع، 21:1436)

فالمجتمع الطبيعي هو مجتمع يدوم لفترة طويلة في حين نجد بأن المجتمع الافتراضي مهدد بالزوال في أي لحظة مع مجرد انقطاع في الاتصال بالإنترنت أو انقطاع في الكهرباء، كما أن التقارب الجغرافي في المجتمع الطبيعي يقابله غياب المكان في المجتمع الافتراضي ، الذي يكون الاتصال فيه مواجهي أما في المجتمع الافتراضي فهو اتصال وسيطي ، كما أن الإدراك في المجتمع الطبيعي من خلال الحواس الخمسة أما المجتمع الافتراضي من خلال الافكار والآراء والمفاهيم .

أما العلاقات الاجتماعية الكلاسيكية وجود الحضور الفيزيائي وجها لوجه شرط للإنشاء هذه العلاقة في حين أن العلاقات الافتراضية انعدام الحضور الفيزيائي ، كما أن هناك تقارب جغرافي بين الافراد في اغلب الأحيان في العلاقات الكلاسيكية في حين ليس بالضرورة أن يكون هناك تقارب جغرافي في العالم الافتراضي ، فيعرف المتفاعلون كل المعلومات عن بعضهم البعض في العلاقات الاجتماعية التقليدية في حين العالم الافتراضي اغلبية هذه العلاقات قد تكون مبنية على معلومات مزيفة وليس من السهل الوصول إلى معلومات عن الذين يتم التفاعل معهم.

أما الهوية حقيقية في الأغلب لديها محددات معينة في العلاقات الكلاسيكية ، في حين العالم الافتراضي قد يكون الاعتماد على الهوية الافتراضية من خلال تقديم عدد من المعلومات عن الشخص في صفحات البروفايل مثلا والتي لا تمت بصلة للمستخدم . وبالتالي قد يتفاعل الشخص خلال المجتمع الافتراضي مع شخص آخر لا وجود له في الواقع ، كما أن التعبير على المشاعر يكون من خلال تعابير الوجه : البكاء ، الضحك ، الإبتسام في العلاقات الكلاسيكية ، في حين أن العلاقات الافتراضية يمكن التعبير على المشاعر من خلال الاعتماد على ما يعرف بالأيموتيكونات أو من خلال الرسائل النصية التي

يتبادلها المتفاعلون. (مريم نريمان نومار، 2011)، فالإنسان في علاقاته الواقعية يكون محكوما بالكثير من المحددات الاجتماعية والثقافية في نفس الوقت ، مثل مسألة التبرير المباشر لأطراف العلاقة بالأسباب التي تدفع بالبعض إلى قطعها ، أو وجود حرج في بعض الاحيان يمنع البعض من الإقدام على قطع علاقاته مع الآخرين لسبب أو لآخر ، إلا أن الأمر لا يتكرر بالنسبة للعلاقات الافتراضية ، حيث توفر برامج التواصل الكثير من الخيارات التي تمكن المستخدم من قطع علاقاته بالآخرين من خلال الحذف أو الحظر التام أو المؤقت ، وهنا لا يجد المستخدم في نفسه حرجا من مواجهة الآخرين ، وهو أمر أصبح متعارفا عليه بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية، وجزء من قوانين الخصوصية التي تمنحها لمستخدميها. (ماهر عبد العال الضبع، 50:1436)

فطرق الاتصال الحديث كالفيس بوك التي قلبت التواصل في المجتمع بعد أن جعلت الحضور الفيزيائي والتقارب الجغرافي والتماثل الثقافي أمور لا يشترط توفرها لإقامة التواصل بين الأفراد مما خلق عدة قضايا وإثارة العديد من المشكلات منها ما تعلق تأثيره على مستقبل العلاقات الاجتماعية إما بدعمها أو كسرها. فظهر اتجاهين، فالاتجاه الأول الذي يدعم أن الاتصال عبر الأنترنت ومواقع الشبكات الاجتماعية يدعم العلاقات الاجتماعية، فيؤكد العديد ممن يدعمون هذا الاتجاه إلى ان الشبكات الاجتماعية عبر الانترنت والتواصل من خلالها يساهم في دعم العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها ومثال ذلك الدور الذي يلعبه موقع " الفيسبوك " اليوم في حياة الاشخاص حيث يرى العديد من مستخدميهم بأن الموقع ساعدهم في الحفاظ على علاقاتهم الاجتماعية القديمة والقائمة وهو الهدف من الموقع منذ بداية إنشائه، حيث سمحت هذه المواقع مثل " فايس بوك " و"تويتر" للمستخدمين أن يبقوا على اتصال مع الأصدقاء في أوقات فراغهم حتى في الوقت الذي يجلس فيه المكتب أو ينتظر القطار. (مريم نريمان نومار، 106:2011)

وهذا ما اشارت إليه دراسة خضر (2009) إلى أن التفاعل الاجتماعي بين الأشخاص عبر موقع الفيس بوك يؤدي إلى تنمية المهارات الشخصية والخبرات الحياتية وكذلك التعامل مع الآخرين ، وأن أهم مزايا الفيس بوك التواصل مع الأصدقاء ومواكبة ما يجري من أحداث ، وتعرف مزاج الأصدقاء وتجديد العلاقات بأصدقاء الماضي وإبداء الرأي الحر.

(ميرفت عزمي زكي عبد الجواد ، اسماء فتحي احمد ، 191:2015)

كما يعتقد بأن الأشخاص الذين بإمكانهم التعبير عن أنفسهم عن طريق الأنترنت أكثر مما يتيح لهم الواقع هم الأكثر قدرة على بناء علاقات اجتماعية مقربة من خلال الأنترنت ، ويمكن تحديد نوعين من هؤلاء الأشخاص الذين لا يستطيعون تحقيق ذواتهم واكتشافها إلا عن طريق الأنترنت ، النوع الأول ، هم الأشخاص الذين يحسون بقلق اجتماعي من خلال تواصلهم وجه لوجه ، والنوع الثاني هم الأشخاص

الذين يشعرون بالوحدة . هؤلاء الأشخاص بإمكانهم تطوير علاقاتهم عبر الانترنت بسرعة كبيرة ويمكن لهذه العلاقات أن تتحول إلى علاقات اجتماعية حقيقية يكون التفاعل فيها وجها لوجه .

(مريم نريمان نومار، 2011: 106)

وبهذا الصدد أشار ريان زينوس xenos & ryan إلى أن البعض يلجأ للعلاقات الافتراضية للتغلب على الخجل في الحياة الواقعية ، وقد أشار كل من ليشيد وماك لويد MCLEOD & LESHED إلى أن القدرة على خلق صورة إيجابية عن الذات وإخفاء الكثير من العيوب ، تعد أحد أهم الأسباب في إقامة العلاقات الافتراضية ، كما أشار دوناس DONATH إلى أن العلاقات الافتراضية تعمل على خلق الشعور بالانتماء للمجتمع أو الجماعة . (ماهر عبد العال الضبع، 1436: 28-29)

في حين يرى الاتجاه الثاني أن الاتصال عبر الأنترنت والشبكات الاجتماعية يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية، فيشير إبراهيم اسماعيل إلى أن الأنترنت لها دور كبير في عزل الأفراد اجتماعياً وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع ، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتاً طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والأنترنت بطريقة لافتة ، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام ، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى اشاعة حالة من العزلة الاجتماعية ، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار انماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع العربي كله . ويشير المتخصصون في هذا الصدد ، إلى ما بات يطلق عليه انطوائية الكمبيوتر وتوجد هذه الحالة عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الحاسوب ساعات طويلة كل يوم بشكل يشبه مدمني القمار، طبعاً مع استثناء الأشخاص الذين يستدعي عملهم ذلك ، وقد توجد هذه الحال لدى الأفراد الإنعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجؤون إلى الحاسوب ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم ، فضلاً عن الاجهاد والوتر النفسي الذي ينتج من استخدام الحاسوب لفترات طويلة.(مريم نريمان نومار، 2011:107)

فالجلوس أمام جهاز الحاسوب لمدة طويلة من الوقت سيؤدي إلى عزل الفرد عن مجتمعه ، وتدني التفاعل الاجتماعي مع أفراد الأسرة وتقليص عدد الأصدقاء وعدم امتلاك مهارات الاتصال الإيجابي وتضاؤل فرص التعبير وتحقيق الذات ، مما يجعله يشعر بعدم القدرة على ضبط الأحداث والتحكم فيها وبالتالي يفقد الثقة في نفسه ومن ثمة الشعور بالإغتراب النفسي.(سامية أبرييم، 2015: 219)

حيث تعتبر العزلة الاجتماعية من بين المشكلات النفسية التي أفرزها استخدام الأنترنت منها مواقع التواصل الاجتماعي الفايس بوك ، حيث أصبح الافراد يتعلقون بشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها عبرها ويقضون وقتاً أكثر من الوقت الذي يخصصونه للأشخاص الواقعيين في حياتهم ، فالاستغراق طيلة

اليوم على صفحات الفيس بوك يؤدي إلى تقلص الدائرة الاجتماعية للفرد والإصابة بالوحدة بالرغم أن الموقع مصمم للتواصل الاجتماعي وتبادل الخبرات والأفكار والأصدقاء الإلكترونيين إن صح القول فالانغماس في عملية الاتصال عبر صفحات الفيس بوك يساعد في انخفاض اتصال الوجه بالوجه وافتقاد حرارة الاتصال الشخصي وتحويل الإنسان إلى شخصية انسحابية تميل إلى العزلة عن المجتمع الحقيقي والجماعات التي ينتمون إليها في مقابل الاندماج مع مجتمع افتراضي ربما يكون زائف ، كما أن الاتصال على هذا الموقع هو اتصال بين الأطراف مجردة تفنقر إلى الوجود أو الكيان المحسوس الملموس ينقصه الجانب الإنساني مما يقلل الاحتكاك المباشر والاتصال الإنساني الذي حولت علاقة الناس مع بعضهم البعض بصورة مباشرة إلى علاقة يكون رابطها الوحيد هو الآلة (الكمبيوتر) ، حتى أن وجدت الأجهزة التي تفسح المجال لخلق تواصل واتصال بتعبير الجسد ، إلا أنها تفنقد إلى حرارة المشاعر وتبادل العواطف بين أفرادها .

فيرى كل من **ثومبسون وديماجيو وكروات وزابوفوستول** أنها تغييرات عملت على تفتيت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، وحولت ما كانت تتمتع به من دفاء وحميمية إلى برود وفتور ، وغيرت انماط تفاعلهم الاجتماعي ، وفتحت أمامهم مسار سلوكية أضرت بقيمهم وأخلاقهم ، فضلا عما أوجدته بينهم من مشكلات جديدة غير مألوفة من قبل ، كتبدل حسهم الاجتماعي والوجداني ، واغترابهم النفسي وعزلتهم الاجتماعية وانتشار قيم الاستهلاك بينهم ، فضلا عن العوالم الافتراضية المتخيلة التي أوجدتها لهم ليعيشوا فيها كعوالم بديلة عن عوالمهم الحقيقية ، علاوة على مساهمتها في انتشار نوع جديد من الإدمان بين مستخدمي هذه الوسائط الاتصالية غير مألوف الخصائص والصفات والأعراض لدى المهتمين بالمشكلات الاجتماعية أطلقوا عليه "إدمان الأنترنت". (حلمي خضر ساري، 2008: 306-307)، حيث يحتل اضطراب إدمان الفيس بوك المرتبة الرابعة بعد إدمان ألعاب الكمبيوتر وإدمان البحث وإدمان المواقع الأباحية ، ويتقبل معظم الطلاب البالغين الفيس بوك كنوع من الإدمان وهذا ما أثبتته دراسة مسحية أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2010 شملت 1605 من البالغين 39 % يرى نفسه مدمن. (عبد الكريم سعودي، 2014: 45)

فلقد اثبت دراسة كروت وآخرون **KRAUT et al** أن الاستخدام المتواصل للأنترنت نجم عنه تراجع في التواصل مع الأسر فضلا عن تراجع في الأنشطة الاجتماعية التي كانت تربط أفراد عينة الدراسة بمحيطهم الاجتماعي. (ماهر عبد العال الضبع، 1436: 29)

كما يؤثر في تراجع عقد زيارات الأقارب والنشاطات الاجتماعية وهذا ما أكدته دراسة مريم ناريمان (2011) التي هدفت إلى الكشف عن اثر استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في العلاقات

الاجتماعية من خلال دراسة على عينة من مستخدمي موقع " الفايسبوك " بالاعتماد على استبيان لجمع البيانات من المبحوثين ، فتوصلت إلى أن النسبة الأكبر تقضي أكثر من ثلاث ساعات في استخدام " الفايسبوك" ، ويفضل اغلبهم خدمة التعليقات والردشة بالدرجة الأولى ؛ كما يستخدم أغلب أفراد العينة موقع " الفايسبوك" بدافع التواصل مع الأهل والأصدقاء إلى جانب الترفيه ، وقد بينت النتائج أن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين استخدام الذكور والاناث وتبين أيضا أن المبحوثين الأكبر سنا يتعاملون بنوع من الوعي عند استخدامهم لموقع " الفايسبوك" ، كما أسفرت الدراسة أن استخدام هذا الموقع يؤثر في الاتصال الشخصي وجه لوجه ، وفي تفاعل المستخدمين مع أسرهم وأقاربهم وأصدقائهم كما يؤدي إلى الانسحاب الملحوظ للفرد من التفاعل الاجتماعي.

فالسبب الذي يدفع الناس إلى إقامة علاقات الصداقة عبر الشبكة هو عدم معرفة الاسم والهوية المجهولية ، وكذلك الرغبة في بناء أو إختلاق صورة إيجابية للمرء عن نفسه . إن كثيرا منهم يؤمن بأن الشخصية التي يتم اختلقها بهذا الشكل يمكن أن يتم تجسيدها في الواقع. وفي الأنترنت يناسب ذلك الخجولين بشكل أساسي ، لأنه يسهل عليهم إقامة معارف جديدة ، لكن هذا لا يحل مشكلاتهم الواقعية لأن معظمهم لا يرغبون في نقل معارفهم من حيز الشبكة إلى الحيز الواقعي ، وعندما يحدث نادرا أن ينقل أحدهم هذه المعرفة إلى حيز الواقع فإن معظم المشاركين في مثل هذه اللقاءات لا يكونون مسرورين بل يشعرون بالخذلان وخيبة الأمل.(مطاع بركات ، 2006:423-424)

ضف إلى ذلك الرسائل الإلكترونية التي تكتب على صفحات الفايس بوك التي يتبادلها المشتركين بالموقع تفتقر إلى الخصوصية التي تحظى بها الرسائل الخطية التي قد يتبادلها الأفراد أنفسهم ، حيث يميلون في العادة إلى الاحتفاظ بها والعودة إليها من وقت لآخر لأن فيها جزء من شخصية صاحبها الذي أرسلها مكتوبة بخط يده والتي قلت في هذا العصر الحديث ، وذلك بعكس الرسائل الإلكترونية التي تكتب على صفحات الفايس بوك التي كثير ما يكون نصيبتها المحو والإلغاء بمجرد لمسة بسيطة على أحد مفاتيح الجهاز مما تثير مخاوف على مستقبل العلاقات الإنسانية.

وكذلك خلق مجموعة من المشاكل الاجتماعية كانشغال الزوج عن زوجته ، وعدم احساسها بوجوده وعاطفته بل ربما يقصر في حقوق المنزل وليس في حقوق زوجته فقط.

- غياب الأب عن أولاده ورعايتهم والإهتمام بهم مما يولد فراغا لدى الأولاد يسبب لهم المشاكل الحقيقية في بناء شخصيتهم وفشلهم في تحديات الحياة.

- عدم رعاية الوالدين والإهتمام بهم لانشغال أولادهم مع الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

- غياب روح الألفة والمحبة والحوار بين الأقارب والأرحام حال التزاور فيما بينهم لإنشغال الأكثر منهم بجوه الخاص مع الفاييس بوك وأخواته.
- وغير ذلك من المشاكل التي يجمعها ضياع الحقوق الاجتماعية لأفراد العائلة الواحدة وبين الأقارب والجيران والمؤمنين في لقاءاتهم وتزاورهم للانشغال بما يعتقد توهما أنه الأهم وهو الفاييس بوك وأخواته. (ميثم الفريجي، 2014: 85-86).

فبالرغم ما قدمه الفاييس بوك من تسهيل التواصل بين الآخرين والحصول على المعلومة وتقريب المسافات التي كانت تعتبر فيما ما مضى حاجزا في إقامة وتأسيس علاقات اجتماعية بين الفرد والآخر وما يثيره من مخاوف تمس الفرد بالدرجة الأولى ونسيج المجتمع بالدرجة الثانية خاصة بما تعلق بمستقبل العلاقات الإنسانية والتواصل الاجتماعي الذي هو فطرة في الإنسان ، لكن يبقى الاستخدام الأمثل لهذه الموقع عن طريق نشر الوعي حول اثر ودور مواقع التواصل الاجتماعي من خلال تنبيه الفرد حول إيجابيات للفايس بوك ومخاطره على جوانب مختلفة منها الصحية والاجتماعية والنفسية من خلال الإستعمال المعقول، حيث لا يتجاوز الساعة أو الساعتين على الأكثر على مواقع التواصل الاجتماعي ممارسة العكس من خلال تحديد نمط استخدام الفرد لهذه الشبكة بمحاولة كسر هذا الروتين أو العادة عن طريق تقديم أنشطة محايدة ومعتدلة وكذلك عمل جدول بإعادة تنظيم وقت الاستخدام الزائد على الأنترنت ، فإذا اعتاد المدمن استخدام الأنترنت بما فيها موقع الفاييس بوك طيلة أيام الأسبوع فإنه يطلب منه الإنتظار حتى يستخدمه في يوم الإجازة الأسبوعية وإذا كان يفتح البريد الإلكتروني أو الدخول إلى موقع الفاييس بوك أول شيء حين يستيقظ من النوم فإنه يطلب منه أن ينتظر حتى يفطر و يشاهد أخبار الصباح ، أي بالتدرج بعمل عكس الشيء يكون الإقلاع عن هذا النوع من الإدمان.

تحديد وقت الاستخدام بوضع مخطط مسبق لجميع أيام الأسبوع من خلال تحديد بوضوح كم عدد الساعات المخصصة لاستخدام هذا الموقع قد يطلب من المدمن تقليل وتنظيم ساعات استخدامه، بحيث إذا كان مثلا يدخل على الموقع لمدة 40 ساعة أسبوعيا يطلب منه التقليل إلى 20 ساعة أسبوعيا بتنظيم تلك الساعات بتوزيعها على أيام الأسبوع في ساعات محددة من اليوم بحيث لا يتعدى الجدول المحدد **وضع بطاقات التذكيرة** بإعداد بطاقات يكتب عليها الشخص المدمن خسا من أهم المشاكل الناجمة عن إسرافه في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كإهماله لأسرته وتقصيره في أداء عمله مثلا ، ويكتب عليها أيضا خسا من الفوائد التي ستنجح عن إقلاعه عن الإدمان كزيادة الإهتمام بعمله ويضع الفرد المدمن تلك البطاقات في جيبه أو حقيبته ، فحيثما ذهب ووجد نفسه مندمجا في استعمال الأنترنت أخرج البطاقات لتذكير النفس بالمشاكل الناجمة عن ذلك الاندماج.

"الضبط الاجتماعي الصادر من المجتمع والأسرة والمعلمون في المدرسة وتنقيف الشباب وغرس العقيدة الإسلامية وتعزيز الرقابة الذاتية في نفوسهم دور في الحد من خطورة الاستخدام السلبي لشبكة الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي". (بندر بدر العتيبي ، سعيد الراشدي ، 2013:867)

قائمة المراجع:

1. بودراع فوزي (2014)، ثقافة المؤسسة وطبيعة العلاقات الاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع والعمل والتنظيم، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، الجزائر .
2. بندر بدر العتيبي ، سعيد الراشدي (2013)، التحديات التي تفرضها شبكة الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي على القيم في الوطن العربي، المجلة الدولية التربوية المتخصصة ، المجلد (2) العدد(9).
3. وائل مبارك خضر فضل الله (2010)، اثر الفاييس بوك على المجتمع ، مدونة شمس النهضة، ط1، الخرطوم ،السودان.
4. زهير عابد (2012)، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي - دراسة وصفية تحليلية ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) مجلد 26(6).
5. حلمي خضر ساري (2008)، تأثير الاتصال عبر الأنترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري)، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 24، العدد الأول والثاني .
6. حنان بنت شعشوع الشهري(2012)، اثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية " الفيس بوك وتويتر نموذجا" رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية .
7. حسني عوض (2012)، دراسة حول اثر استخدام " الفاييس بوك" على تقدير الذات لدى فئة الشباب في محافظة طولكرم، مجلة القدس الرقمي.
8. ماهر عبد العال الضبع(1436)، العلاقات الافتراضية بين الشباب في المجتمع السعودي دراسة في الخصائص والمحددات، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد السابع والثلاثون .
9. ميثم الفريجي(2014)، مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية ، اخلاقية ، تربوية ، ط1، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان.
10. محمد منصور (2012)، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين (دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية ، رسالة ماجستير غير منشورة في الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية في الدانمارك).
11. مريم نريمان نومار(2011)، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفاييس بوك في الجزائر ، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم الإعلام والاتصال ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر .
12. مطاع بركات (2006) ، الواقع الافتراضي : فرصه ومخاطره وتطوره (دراسة نظرية)، مجلة جامعة دمشق المجلد 22 ، العدد الثاني.

13. ميرفت عزمي زكي عبد الجواد، أسماء فتحي احمد (2015)، الفروق في بعض سمات الشخصية والقلق الاجتماعي بين مستخدمي وغير مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي لعينة من طلاب كلية التربية جامعة المنيا ،مجلة العلوم التربوية والنفسية ، المجلد 16 ، العدد 4 .
14. سامي احمد شناوي ، محمد خليل عباس (2014)، استخدام شبكة التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين ، مجلة الجامعة المجلد 18 ، العدد 2.
15. سامية أبرييم (2015)، العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالإغتراب النفسي (دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة ام البواقي ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، العدد 15).
16. عبد العزيز علي إبراهيم (2014)، واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية بجامعات صعيد مصر (دراسة ميدانية) مجلة العلوم التربوية ، العدد الثالث ج 2 .
17. عبد الكريم سعودي (2014) ، إدمان الفيس بوك وعلاقته بالتوافق الأسري للطلاب الجامعي دراسة على عينة من طلبة جامعة بشار ، مجلة دراسات نفسية وتربوية ، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية العدد 13 .
18. تهاني زياد فوره (2012)، تكنولوجيا التعليم باستخدام الشبكة الاجتماعية FACE BOOK في تنمية مهارات استخدام الحاسوب والانترنت لدى الطالبات المعلمات في الجامعة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس، غزة، فلسطين.

القضاء ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية دراسة من خلال كتاب المستطرف

في كل فن مستظرف للأبشيهي .

أ.م.د. ظافر اكرم قدوري

جامعة ديالى/ العراق

أ.م.د. سماهر محي موسى

جامعة ديالى/ العراق

الملخص:

لا تكاد الأمم وأخبار السابقين تخلو من أحاديث العدل وأصحاب الحكم وقصصهم وموروثهم مع الشعوب تتوالى على أسماعنا بين الحين والآخر وهي تحكي قصة الإنسان في بحثه عن تحقيق أهم وأبرز مرتكزات الدولة الا وهو العدل والمساواة فهما الركن الذي إذا تحقق به استقرار أي بلد أو دولة ولذلك فقد افرغ لذلك صاحب كتاب المستظرف أبواباً وفصولاً يذكر فيها حكايات الحكام والقضاة مع الرعية وفي الكثير من تلك القصص عبر ومواعظ تبين مكانة القضاء وأهميته في تحقيق العدل الاجتماعي بين بني البشر وقد نقل صاحب الكتاب تلك القصص من خلال إفراغ فصول لها ولأصحابها حيث خص مثلاً هذا الموضوع بأكثر من فصل عند حديثه عن أخبار الدول والأمم التي سبقت تاريخ وفاة المؤلف (سنة 850هـ) فهو يتحدث عن أخبار الأمويين والعباسيين وأحياناً الأمم الغابرة التي سبقت الإسلام منوهاً إلى ذكر أخبار القضاة والحكام ومكانة ذلك كله في تحقيق العدل بين إبناء المجتمع سعياً للوصول إلى نوع من أنواع العدالة الاجتماعية والتي هي غاية كل الحكام والملوك والأمراء ، فيها يتحقق الاستقرار وبها تدوم الدول وتتصل ببعضها البعض لذلك فقد ارتأت هذه الدراسة تخصيص موضوع للتعريف بهذا الكتاب وصاحبه بصورة مقتضبة ثم عرجت على تعريف العدل لغة واصطلاحاً وما قيل فيه منذ القدم وأهميته ثم التعريف بأبرز وا هم الأبواب التي تناول فيها الأبشيهي موضوع القضاء والقضاة وكل ما له دور في تحقيق العدل الاجتماعي وقصص الحكام والخلفاء والملوك مع القضاة عند مثلهم بين أيديهم وهي أبواب متعددة عرج عليها صاحب الكتاب من خلال الأبواب التي تناولها هذا الموضوع مثل الباب الثامن عشر (في العدل والإحسان والإنصاف) وأبواب أخرى حيث حاولت الدراسة قراءة ما ورد في الأبشيهي من قصص وحكايات حول أولئك القضاة وأحوالهم وعلاقتهم بالملوك وكيفية إقرار العدل وما أحصوه من تحديات في سبيل ذلك . وفي كل تلك القصص والموروثات ما يوحي إلى الصراع الأزلي بين الإنسان ومحاولته تحقيق أعلى درجات العدل المجتمعي وبين أولئك الذين يسعون دائماً إلى تحويل السلطة أو النفوذ لغايات ضيقة ومصالح شخصية وهو ديدن البشر على مر التاريخ فهذا الصراع لن يهدأ مادامت الأرض تدور حول الشمس وقد أدى عدم تحقيق العدل الاجتماعي عبر عصور طويلة إلى ظهور حالات العنف

المجتمعي كردة فعل من قبل الجماعات البشرية التي كانت توضع في خانة الاضطهاد والأمثلة على ذلك لا حصر لها ولا عدد فمن الصعاليك قبل الإسلام وحتى ظهور العيارين والشطار وغيرهم كانت تعتبر تلك الجماعات أنها انما تطبق العدل الاجتماعي الذي عجز عن تحقيقه ولاية الأمر .

Abstract

The nations and the news of the former are devoid of the talk of justice and the people of government, their stories and their heritage with the peoples, we hear from time to time, they tell the story of man in his search for achieving the most important elements of the state, justice and equality. Thus, the author of the book Almtazrp doors and chapters in which the stories of the rulers and judges with the parish and in many of these stories through the preaching of the status of the judiciary and its importance in achieving social justice among human beings has been transferred by the author of these stories by emptying chapters for her and her friends, (850AH), he talks about the news of the Umayyads, the Abbasids, and sometimes the ancient nations that preceded Islam, referring to the news of the judges and the rulers, and the place of all this in achieving justice among the members of society in order to reach some kind of Social justice, which is the goal of all rulers, kings and princes, in which stability is achieved and by the continuity of the States and relate to each other so this study decided to allocate a subject to the definition of this book and his companion briefly and then asked to define justice language and terminology and what has been said since ancient times and importance and then In the most prominent and most important sections in which Alapshiha dealt with the subject of the judiciary and the judges, and all that has a role in the achievement of social justice and the stories of rulers and caliphs and kings with the judges when appearing in their hands, a multi-door he stopped by the author of the book through the doors that addressed this subject, such as Chapter XVIII

) In justice, charity and equity) and other sections where the study tried to read what Al-Abshihi stories and stories about these judges and their situation and their relationship to kings and how to recognize justice and the challenges they have identified in order to do so. In all these stories and legacies, it suggests the eternal struggle between man and his attempt to achieve the highest degrees of social justice and those who always seek to transfer power or influence for narrow ends and personal interests. He has never been so human. This conflict will not rest until the earth revolves around the sun. The realization of social justice through the long ages to the emergence of cases of community violence as a reaction by the human groups that were placed in the category of persecution and examples of this countless and no number of thieves before Islam and even the emergence of caliber and Shattar and others were considered that these groups are applying the Social gaps that the governors failed to achieve.

مقدمة

يعتبر القضاء ركن من اركان الدولة وجزء هام من مقومات المجتمع وتقع مسؤوليته حماية الانفس والارواح والاموال والحقوق وتطبيق الانظمة والاحكام ليؤمن الطمأنينة والهدوء والسلام والعدل في المجتمع.

فالعادلة من المثل العليا التي تعشقها الإنسانية وحرص الناس الخيرون للوصول إليها وكانت ومازالت وستبقى إلى الأبد غاية يسعى لتحقيقها المصلحون. والقضاء والعدل يدلان على اشكال الدولة ويظهران مدى استقرار الاشخاص في الحكم .

تناولنا في هذا البحث عدة محاور فكان المحور الأول عن سيرة الأبشيهي ، والمحور الثاني عن تعريف العدل لغة واصطلاحاً ، أما المحور الثالث عن منظور القضاء من خلال كتاب المستطرف والمحور الآخر يتحدث عن روايات الأبشيهي عن العدل ثم تلتها خاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

أولاً: الأبشيهي - سيرته :

هو محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى البهاء أبو الفتح بن الشهاب أبي العباس الأبشيهي المحلي الشافعي (1) .

مولده ونشأته :

ولد سنة 709هـ في أبشويه (2) ، وهي قرية من قرى مصر من الغربية (3) ، ويبدو أن والده انتقل به إلى المحلة فاستقر بها . وكان والده يتولى الخطابة في بلده ، فعرف المؤلف لهذا بابن الخطيب (4) .

وحفظ الأبشيهي كتاب الله العزيز فحفظه ، ثم قرأ " المختصر في الفقه الشافعي " للمظفر الواراني المعروف بالشيخ أمين الدين التبريزي ، و " ملحة الإعراب " للحريري صاحب المقامات . وفي سنة 814هـ عندما بلغ من العمر الرابعة والعشرين ، أدى فريضة الحج ، ولعلها هي المرة الوحيدة التي غادر فيها المؤلف ديار مصر ، ولكن ارتحل إلى القاهرة فدخلها غير مرة ، وسمع بها دروس الإمام عبد الرحمن بن رسلان المعروف بالجلال البلقيني ، وعاد إلى بلده ليتولى الخطابة بعد وفاة أبيه (5) .

ففي سنة 838هـ التقى بالإمامين ابن فهد والبقاعي في ميعاد للعلم البلقيني بالحرارية عندما كان قاضي سنهور نيابة عن أخيه (6) ، فقال الأبشيهي (1):

(1) السخاوي ، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت902هـ) ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت-د.ت) ، ج7 ، ص109 .

(2) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج7 ، ص109 .

(3) ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، 1977م) ، ج1 ، ص73 .

(4) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج10 ، ص67 .

(5) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج7 ، ص109 .

(6) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج7 ، ص109 .

وعظ الانام إمامنا الحبرُ الذي
سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه
والوعظ لأيشفي سوى من صالح

أولاده :

ذكر السخاوي واحداً من أولاده ، وهو شمس الدين أبو النجا محمد بن محمد بن أحمد بن منصور بن احمد بن عيسى الأبشيهي المحلي الشافعي ، المعروف بابن الخطيب ، ولد سنة 818هـ تقريباً بالمحلة وحفظ بها القرآن وصلى به، والعمدة واربعين النووي والتبريزي والملحة، وعرض على جماعة واشتغل قليلاً وناب في القضاء عن أوجد الدين العجيمي وكان عفيفاً بارعاً في الصناعة ، ومات سنة 880هـ (2) .

مؤلفاته:

تفرغ الأبشيهي للنظم والتصنيف قبل أن يستكمل ادواته فيهما ، فكان يقع في كلامه اللحن كثيراً لعدم إمامه بال نحو ، ولكنه استطاع بجهده ودأبه أن يتحف المكتبة العربية بعدد من الكتب النفيسة ، منها المستطرف من كل فن مستطرف ، وتذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين،⁽³⁾ واطواق الازهار على صدور الانهار في الوعظ ، في مجلدين⁽⁴⁾، وشرع في كتاب في صنعة الترسل والكتابة⁽⁵⁾، وله مجموعة قصائد نبوية⁽⁶⁾ .

موارده في كتاب المستطرف :

فقد اعتمد الأبشيهي في تأليفه المستطرف على " ربيع الأبرار " للزمخشري و " العقد الفريد " لابن عبد ربه وعلى " التذكرة الحمدونية " و " المحب والمحبوب " للسري الرفاء و " سراج الملوك " للطرطوشي و " حياة الحيوان " للدميري وعلى " عجائب المخلوقات " للقزويني . ولقد أعتمد على ربيع الأبرار اعتماداً شبه كلي ، في الوقت الذي لم ينقل عن العقد الفريد إلا صفحات قلائل معدودات⁽⁷⁾.

- (1) الابشيهي ، بهاء الدين ابو الفتح محمد بن احمد بن منصور(ت854هـ) ، المستطرف في كل فن مستطرف ، ط3، دار صادر ، (بيروت-2007) ، ص3 مقدمة الكتاب .
- (2) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج9، ص47.
- (3) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج9، ص47.
- (4) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج7، ص109، الغزي ، شمس الدين أبو المعالي بن عبدالرحمن ، (ت1167هـ)، ديوان الاسلام ، تحقيق سيد كسرون حسن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1990) ، ج1، ص73 ، الزركلي ، خير الدين ، الإعلام ، دار العلم للملايين ، ط5، (د.م- 2002) ج5، ص332.
- (5) كحاله ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت- د.ت) ، ج9، ص22.
- (6) درنيقة ، محمد أحمد ، معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، تقديم ياسين الايوبي ، الناشر دار ومكتبة الهلال ، (د.م- د.ت) ، ص56.
- (7) مقدمة الكتاب ، ص4.

وفاته :

مات الأبشيهي في أواخر سنة 854هـ قريباً من قتل أخي الاستادار (1) .

ثانياً : العدل لغة وأصطلاحاً

العدل في اللغة : عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل ، والعدل: الحكم بالحق يقال هو يقضي بالحق ويعدل وهو حكم عادل ذو معدله في حكمه ، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه (2) .

أما اصطلاحاً : تعني نصره المظلوم والأخذ على يد الظالم وإيصال الحقوق إلى مستحقيها وإعانتهم عليه ويبعد عن الظلم والمحابات وإبعادهم عنه . فكل تجاوز للسلطة والتعسف في استعمالها يعد جوراً يفسد الرعية والرعية لا يصلحها الا العدل (3) .

إذن يتحقق العدل بأيصال كل حق إلى مستحقه والحكم بمقتضى ماشرع الله من احكام ويتجنب الهوى بالقسمة بين الناس بالسوية (4) .

ثالثاً : منظور القضاء من خلال كتاب المستطرف :

الروايات التي نقلها الأبشيهي في القضاء :

أولى الأبشيهي مسألة القضاء مكاناً مهماً ، لما كانت تدور عليه أسس الخلافة والملك ، وتناولنا في ذلك حوادث متفرقة تعود إلى العصر الراشدي والاموي والعباسي ، وكان في كل مانقله روايات إختارها بعناية لتدل على مسالة أهمية القضاء ومكانة القاضي سبل إختياره ومكانته مراعيّاً بذلك مسالة استقلال القاضي حتى تصل تلك الاستقلالية إلى مكانة تسمو فوق الخليفة أو الحاكم أو الوالي (5) ، كما اشار الأبشيهي أيضاً إلى نماذج من الخلفاء كانوا قد مارسوا القضاء بين الناس وكانوا عندئذ يحاولون التثبيت دائماً من المتخصصين لكي يقضيا بالعدل بينهما (6) .

(1) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج7، ص109 ، الغزي ، ديوان الاسلام ، ج1، ص83.

(2) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت- د.ت) ، ج11، ص430.

(3) السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي السمناني (ت499هـ) ، روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، مطبعة أسعد ، (بغداد -1988) ، ج1، ص158. الشرييني ، محمد بن أحمد الشرييني (ت977هـ) ، مغني المحتاج إلى معرفة الفاظ المنهاج ، مطبعة البابي الحلبي ، (القاهرة-1957)، ج4، ص391.

(4) سابق ، السيد ، فقه السنة ، ط2، دار الفكر ، (بيروت -1983) ، ج3، ص322.

(5) الابشيهي ، المستطرف ، ص141 (قصة المأمون مع القاضي يحيى بن أكثم)

(6) الابشيهي ، المستطرف ، ص140.

من باب آخر سلط صاحب المستطرف دائما الضوء على مسألة مهمة في تولي القضاء من قبل بعض الشخصيات التي حاولت أن تكون بعيدة عن هذا الباب خشية أن يقع الظلم (بغير عمد أو قصد) على أحد المتخاصمين وهو ينقل بذلك مثلاً قصة الفقيه أبو حنيفة ، والذي قال عن القاضي : " القاضي كالغريق في البحر الأخضر إلى متى يسبح وإن كان سابحاً"⁽¹⁾ .

ثم يسرد قصة أبو حنيفة ، مع عمر بن أبي هبيرة⁽²⁾ الذي اراد توليته القضاء فرفض ذلك فحلف ليضربنه بالبساط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجهه وراسه من شدة الضرب فقال عندها " الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة " ⁽³⁾ . وهكذا فهو يستعرض شدة القضاء خوفاً من الوقوع في الجور والظلم وعدم تحقيق العدل الاجتماعي والذي أحدى أبرز وأهم مؤسساته مؤسسة القضاء التي كان القاضي فيها عمود تلك المؤسسة وأساسها .

يبدو من خلال قراءة سريعة لما أورده الأبيشيهي أن مسألة تولي القضاء والحكم بين الناس كانت تأخذ في غالب الاحيان بنظر الاعتبار تطبيق الاحكام الشرعية والنصوص الدينية والتي لم تؤول وإنما كان تفسيرها يقع بجزءه الأكبر على براعة المفسر وتبحره في العلوم الدينية والموروث الديني وهي مشكلة بدأت تظهر مع تدوين المسلمين للتفسير ، وللحديث النبوي والسيرة النبوية.

وكانت الآيات القرآنية حاضرة في مسألة القضاء وبقوة ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽⁵⁾ ، ومع توسع التدوين واختلاف التفسير كان على القاضي أن يكون بارعاً في أمور عدة ليس أقلها مسألة التثبت من المتخاصمين والسماع لهما وهو ما

(1) الابشيهي ، المستطرف ، ص140.

(2) عمر بن ابي هبيرة : عمر بن هبيرة بن سعد بن عديّ الفزاري، أمير، من الدهاة الشجعان. كان رجل أهل الشام. وهو بدوي أمي. صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم، فأظهر بسالة.

وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة، المناوئ للحجاج الثقفي، وأخذ رأسه، فسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فسُر به عبد الملك وأقطعه إقطاعاً ببرزة (من قرى دمشق) . ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولاة الجزيرة، فتوجه إليها. وغز الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً واستمر على الجزيرة إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراف وخراسان، فكانت إقامته في الكوفة. ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة 105هـ. وولي خالد بن عبد الله القسري، فحبسه خالد في سجن واسط ولم يطل حبسه، هرب من السجن وذهب إلى بلاد الشام ومات سنة 110هـ. ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، (بيروت - 1997) ، ج5، ص37-38.

(3) الابشيهي ، المستطرف ، ص140.

(4) سورة ص ، الآية ، 22.

(5) سورة المائدة ، الآية ، 47.

أورده الأبشيهي مثلاً في قصة الخليفة أبو بكر ، عندما سلم عليه عمر بن الخطاب ، فلم يرد السلام وكان ذلك في مجلس يقضي فيه أبو بكر ، بين اثنين فلما سأل عن سبب عدم رد السلام قال أبو بكر أتاني ، وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري ، وعلمت أن الله سائلي عنهما ، وعما قالاً⁽¹⁾. ولا بد أن ذلك الحال كان مع كل متخاصم يأتي بجناية أو مشكلة .

ومن خلال هذه الروايات يتبين لنا صعوبة مهمة القاضي فهو يجب أن يتقن للسمع ويجب أن يكون عارفاً بكل الأحكام وتفسير الآيات والسنة التي وصلت عن النبي (ص) والأهم من ذلك أن يكون محايداً بعيداً عن الأهواء وما ذلك إلا لتكون الأحكام صادقة تبتغي العدل والحق حتى لأيقع الظلم بين الناس وتكثر الضغائن والأحقاد وكنموذج من تلك المساواة بين المتخاصمين وضرورة أن يكون كل طرف مساوياً لخصمه مانتقله الأبشيهي من أدهاء رجل على علي بن أبي طالب ، واشتكاه زمن عمر بن الخطاب ، فحكم بينهما عمر ، وعندما نادى على المتخاصمين قال للإمام علي ، " يا أبا الحسن قم فإجلس مع خصمك فتناضرا"⁽²⁾ فلما فرغت المناظرة وانتهى الحكم رجع علي، إلى مكانه فتبين لعمر التغيير في وجه علي ، " يا با الحسن مالي أراك متغيراً أكرهت ما كان قال: نعم ،قال: وما ذاك ، قال: كنييتي بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فأجلس مع خصمك " ⁽³⁾، وهي رواية تؤكد مسألة بسط العدل الاجتماعي ولو كان ذلك يخص الناس أصحاب المنزلة والمكانة الرفيعة ، ولا بد أن ذلك الرعيل الأول أحس بضرورة أن يكون القاضي أو من يتولى مهمة القضاء على درجة تامة من الاستقلال والحيادية حتى في مناداة الخصوم وأصحاب الشكوى مهما علت وارتفعت مكانتهم .

وفي معرض حديثه عن القضاء يورد أيضاً أمثلة من القضاة الذين عرف عنهم الظلم وعدم الحيادية في الأحكام فيذكر على ذلك مثلاً وهو القاضي بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري⁽⁴⁾ وكان أميراً وقاضياً في البصرة حيث ينقل الأبشيهي رواية عنه يذكر فيها : " أن الرجلين يتقدمان إلى

(1) الأبشيهي ، المستطرف ، ص140.

(2) الأبشيهي ، المستطرف ، ص140.

(3) الأبشيهي ، المستطرف ، ص140.

(4) بلال بن ابي بردة : عامر بن أبي موسى الأشعري: أمير البصرة وقاضيا.كان رواية فصيحاً أدبياً.

ولاه خالد القسري سنة 109 هـ، فأقام إلى أن قدم يوسف ابن عمر النقي (سنة 125 هـ) فعزله وحبسه، فمات سجيناً سنة 126 هـ، كان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852هـ) ، تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (الهند- 1326هـ) ، ج1، ص500.

فاجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضي له⁽¹⁾ وفي هذا الباب أيضا يذكر ماكان عليه بعض القضاة من جور في الاحكام وينقل فيها قصة لا مرآة وهي تعنق القاضي قائلة له " كبر سنك ، وقل عقلك ، وعظمت لحيتك حتى غطت على لباك ، ما رأيت ميثاً يقضي بين الأحياء غيرك" ⁽²⁾ .

ويبدو رغم التدقيق في صفات القاضي وصعوبة اختياره من قبل الحكام فان هناك من كان يتولى القضاء وهم على درجة من الظلم والجور أو قلة المعرفة بالأحكام ويضرب الأبشيهي أمثلة لأولئك القضاة حيث يقول " وقيل المضروب لهم المثل في الجهل وتحريف الاحكام قاضي منى⁽³⁾ وقاضي كسكر⁽⁴⁾ وقاضي أيدج⁽⁵⁾ " ⁽⁶⁾ .

ورغم ان الأبشيهي لا يضع الفترة الزمنية لأولئك القضاة بالتحديد لكن يمكن الاستنتاج أنها كانت في فترة ضعف العباسيين وتمزق دولتهم بصورة عامة حيث أصبحت مناصب الدولة ومنها القضاء تبايع وتشتري .

ويبدو أن هؤلاء القضاة وقصصهم كانت تجري على السن الناس من باب الاستخفاف بهم والاستهزاء باحكامهم وفي ذلك حكاية أوردها صاحب المستطرف يذكر فيها أن الشعبي انصرف يوماً من مجلس القضاء فمر ومن معه بخادمة تغسل الثياب وهي تقول " فتن الشعبي لما فتن الشعبي لما ، ولم تعرف بقية البيت فلقتها الشعبي وقال رفع الطرف إليها ثم قال أبعد الله أما أنا فما قضيت إلا بالحق " ⁽⁷⁾ .

(1) الابشيهي ، المستطرف ، ص141. ينظر : وكيع : ابو بكر محمد بن خلف بن حيان (ت 306هـ) ، أخبار القضاة، تحقيق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي ،المكتبة التجارية الكبرى، (مصر - 1947) ،ج2، ص36.

(2) الابشيهي ، المستطرف ، ص141-142.

(3) منى : بلدة على فرسخ من مكة طولها ميلان، وهي بين جبلين مطلين عليها، بها مصانع وآبار وخانات وحوانيت تعمر أيام الموسم، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها.القرويني ، زكريا بن محمد بن محمود القرويني (ت 682هـ) ،آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،(بيروت -د.ت) ، ص123.

(4) كسكر : هي احدى مدينتا واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في الجهة الغربية على نهر دجلة وبها مزارع ويساتين عامرة . ينظر : الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ) ،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب،(بيروت- 1409هـ)،ج1 ، ص382.

(5) ايدج : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجلّ مدن هذه الكورة، وسلطانها يقوم بنفسه، وهي في وسط الجبال . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج1، ص228. ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (ت 739هـ) ،مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، (بيروت-1412هـ) ، ج1، ص136.

(6) الابشيهي ، المستطرف ، ص142.

(7) الابشيهي ، المستطرف ، ص142. وكيع ، اخبار القضاة ، ج2، ص419.

وهذه الصورة كانت تمثل بدايات انحلال مؤسسات الدولة وعلى رأسها القضاء الموكول به تحقيق العدل المجتمعي .

رابعاً - روايات الأبشيهي عن العدل

أفرد صاحب المستطرف باباً في موضوع العدل والانصاف وقد جعله قريباً لموضوع القضاء فالأخير انما هدفه تحقيق العدل وبسطه بين الناس ، وكعادته بدء حديثه بآيات من القرآن والحديث النبوي ، مؤكداً على دوام السلطة والملك وقرينها بالعدل " وأعلم أن عدل الملك يوجب محبته ، وجوره يوجب الافتراق عنه "(1) .

ويورد الأبشيهي رواية تعود بزمنها إلى الاسكندر المقدوني عندما سأل أهل بابل " أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل، قالوا: إذا استعملنا العدل إستغنينا به عن الشجاعة"(2) . وهو بذلك يعرف قيمة وأهمية العدل عند الإنسانية جمعاء .

يورد الأبشيهي صورة للمجتمع الإسلامي على مراحل في العصر النبوي والراشدي والاموي والعباسي. ورغم أنه يورد حكاًيات متفرقة عن تلك الازمات إلا أنها تمثل تغير المجتمع وتطوره وتحولهُ بعد الفتوحات والتوسع الكبير واختلاف القيم والمبادئ بتغير الأحوال فهو يذكر مثلاً ما كان عليه العراق من حال في زمن عمر بن الخطاب ، وكيف يصل خراج العراق إلى "مئة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف"(3) ، ثم أخذ يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف.(4) .

وهي مقارنة لازالت موجودة إلى يومنا هذا فقد قرن بذلك العدل وتحقيقه بين الناس بزيادة الخيرات ووفرتها وكتأكيد لتلك المقولة فإن واردات العراق ارتفعت مرة أخرى في زمن عمر بن عبد العزيز الذي اطلق عليه لقب الخليفة الخامس لعدله حتى اصبح في سنتين مثلاً "ستين ألف ألف"(5)

والأبشيهي يقارن حتى في أقوال حكام وملوك الامم السابقة وأن لم يكونوا مسلمين فهو يستعرض مثلاً قول كسرى " لاملك إلا بالجند ولاجند إلا بالمال ، ولأمال إلا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعايا ، ولا رعايا إلا بالعدل"(1) . وهي تأكيد لمحاولة فهم العدل دون التقيد بالاشخاص الذين يسعون لتطبيقه.

(1) الابشيهي ، المستطرف ، ص145.

(2) الابشيهي ، المستطرف ، ص145.

(3) الابشيهي ، المستطرف ، ص145.

(4) الابشيهي ، المستطرف ، ص145.

(5) الابشيهي ، المستطرف ص 145 .

ومن خلال التمعن فيما نقله صاحب المستطرف نصل إلى تغيير الاحوال وتبديلها ومحاولة استغلال المعارضين لأي سلطة لمسألة الظلم وعدم تحقيق العدل فهذا المنصور مثلاً أول خلفاء العباسيين يزور البصرة قبل أن يستتب الأمر لبني العباس قاصداً واصل بن عطاء يريد سماع أبياتاً لسليم بن يزيد العدوي في العدل وعند سماعه لتلك الأبيات يردد المنصور قائلاً: "وددت لو أنب رأيت يوم عدل ، ثم مت"⁽²⁾ ، والحادثة توضح بجلاء ما ألت إليه أحوال الحكام والولاة من غياب العدل والمساواة ولا بد أن أحوال القضاء تغيرت وتغير معها حتى القضاة ودورهم وأحكامهم . ثم يورد بعد ذلك روايات عن جور الحكام ومحاولتهم إغتصاب أملاك الناس بالقوة وكيف تحولت تلك الاملاك والزرع من الخير الوفير إلى الجذب والشح والانقطاع فيذكر قصة النخلة التي كانت بصعيد مصر والتي كانت تحمل عشرة أرداد⁽³⁾ ثم غصبها السلطان لنفسه فلم يكن من ثمارها في ذلك العام شيئاً ولا ثمرة واحدة⁽⁴⁾ ⁽⁵⁾. وهي قصص كانت تصور حال المجتمع وانحداره وضياع العدل وقوة القانون والقضاء إلى سلطة الولاة والحكام والملوك ، ولا بد أن ذلك التغيير كان يعمل عمله في أضعاف سلطة

(1) الابشيهي ، المستطرف ، ص 145 .

(2) الابشيهي ، المستطرف ، ص 147.

(3) الارذب : مكيال ضخم بمصر يساوي اربعة وعشرون صاعاً . هنتس ،فالتر ، المكايل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي (عمان - 1970) ، ص 58.

(4) الابشيهي ، المستطرف ، ص 148.

القضاء بل وسلطة الدولة وانهايار مؤسساتها وفقدان ثقة الناس بحكامها وولاتهم مما عجل بسقوط الكثير من الولاة بل وحتى الدول .

خاتمة :

تتناول الخاتمة مجموعة من النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث وهي :

- 1- اهتم الأبشيهي اهتماماً كبيراً بالقضاء لاسيما عندما أرسى قواعد القضاء وصفات القاضي وأكد على ضرورة من يتولى القضاء ان يكون على درجة من الاستقلالية والحيادية في اصدار الحكم .
- 2- بين الأبشيهي من خلال الروايات بان العدالة لا تتاثر باختلاف الدين لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ بغض النظر عن الطائفة والدين والعرق وكلمة الناس تشمل المسلم وغير المسلم .
- 3- يتأثر القضاء وتحقيق العدالة بالمؤثرات السياسية والإقتصادية التي يتعرض لها البلد من خلال اجراء الأبشيهي مقارنة بين العدل وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس وبين الرفاه الاقتصادي وكذلك أثناء ضعف سلطة الدولة وانهايار مؤسساتها وتأثيرها على القضاء والعدل .

المصادر والمراجع

- ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ) .
- 1- الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي، (بيروت - 1997)
 - الأبشيهي ، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن احمد بن منصور(ت854هـ) .
 - 2-المستطرف في كل فن مستطرف ،ط3، دار صادر ،(بيروت-2007) .
 - الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالببي (ت 560هـ) .
 - 3-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب،(بيروت- 1409هـ) .
 - ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852هـ) .
 - 4-تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (الهند- 1326هـ)
 - درنيقة ، محمد أحمد .
 - 5-معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، تقديم ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، (د.م-د.ت) .
 - الزركلي ، خير الدين .
 - 6-الاعلام ، دار العلم للملايين ،ط5، (د.م- 2002).
 - سابق ، السيد .
 - 7- فقه السنة ،ط2، دار الفكر ، (بيروت -1983)
 - السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت902هـ) .
 - 8-الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت-د.ت) .

- السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي السمناني (ت499هـ) .
- 9- روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، مطبعة أسعد ، (بغداد -1988)
- الشربيني ، محمد بن أحمد الشربيني (ت977هـ) .
- 10- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، مطبعة البآبي الحلبي ، (القاهرة- 1957).
- إبن عبد الحق ، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (ت739هـ) .
- 11- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، (بيروت-1412هـ)
- الغزي ،شمس الدين أبو المعالي بن عبد الرحمن، (ت1167هـ).
- 12- ديوان الإسلام ، تحقيق سيد كسرون حسن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1990)
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ) .
- 13- آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،(بيروت -د.ت) كحاله ، عمر رضا .
- 14- معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت- د.ت) .
- إبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) .
- 15- لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت-د.ت) .
- 16- المكايبيل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسلي (عمان - 1970).
- وكيع ، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان (ت 306هـ) .
- 17- أخبار القضاة، تحقيق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي ،المكتبة التجارية الكبرى (مصر - 1947)
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م) .
- 18- معجم البلدان، ، دار صادر ،(بيروت ، 1977م).

إدارة الأزمات المرورية في الوطن العربي بين الواقع والمأمول.

"الجزائر والسعودية نموذجا"

أ.ساحي علي

أ. سلامي أسماء

جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر)

جامعة قسنطينة 03 (الجزائر)

الملخص:

نتج عن التحولات والتغيرات التي عرفتها طبيعة الحياة البشرية العديد من الأزمات منها التقنية، البيئية الأزمات المرورية وهي الأزمات التي تخلف آثار سلبية غير مرغوب فيها، تصل الى تهديد حياة الفرد ومن أمثلة هذه الأزمات نذكر "أزمات الازدحام و الاختناق المروري في العديد من دول العالم العربي أزمات حوادث المرور التي تعتبر أخطر الأزمات والتي باتت تتحول الى كوارث ومآسي تنتهي بخسائر بشرية بالغة، فقد باتت إحصائيات أزمات حوادث المرور تفوق إحصائيات الأزمات والكوارث الطبيعية، هذا ما جعلنا أمام حتمية دق ناقوس الخطر وضرورة إيجاد حلول لمعالجة هذه الأزمات "المرورية"، وذلك بالإعتماد على خطط وإستراتيجيات علمية حديثة، فلم يبقى الأمر مقتصرًا على الجهات الرسمية فقط، بل تعدى ذلك ليشمل كافة فواعل المجتمع رسمية كانت أو غير رسمية، حيث سجلنا فعالية المجتمع المدني في هذا المجال خاصة بالنسبة للدور الجوهرى الذي يلعبه في مجال التوعية والإرشاد في الوطن العربي.

Abstract:

The crises and changes that have characterized the nature of human life have resulted in many crises, such as technical, environmental, and traffic crises. These crises have negative effects that are undesirable and threaten the life of the individual. Examples of these crises include "congestion and traffic congestion crises in many countries of the Arab world, Traffic accidents are the most serious crises, which are turning into disasters and tragedies that result in the loss of human lives. The statistics of road traffic accidents are more than the statistics of crises and natural disasters, which made us inevitable alarm bells and the need to find solutions to address these "traffic" crises. We have registered the effectiveness of civil society in this field, especially for the essential role it plays in the field of awareness and guidance in the Arab world.

مقدمة:

تصدرت العديد من الدول العربية القوائم السوداء لحوادث المرور وذلك نظرا لحجم ضخامة مخلفات حوادث المرور ونتائجها الكارثية، سواء تعلق الأمر بالخسائر البشرية أو المادية... حيث أصبحت حوادث المرور تعد ثالث حاصد للأرواح بعد الكوارث الطبيعية والأمراض المزمنة، وذلك للعديد من الأسباب منها ما تعلق بالمركبات ومنها ما تعلق بالطرق ولكن الأسباب الأكثر تسببا في حدوث الأزمات والكوارث هو العنصر البشري.

هذا ما يجعلنا أمام الإشكالية التالية ما هو واقع مساهمة إدارة الأزمات المرورية في التصدي والحد من هذه الأزمات والتقليل من أثارها السلبية في الوطن العربي، وما هي الأفاق المستقبلية؟
لمعالجة هذه الإشكالية قسمنا دراستنا هذه إلى ثلاث محاور مقسمة كما يلي:

المحور الأول: مدخل نظري

المحور الثاني: الأزمات والكوارث المرورية في الوطن العربي " الجزائر، السعودية"

المحور الثالث: إدارة الأزمات المرورية.

المحور الأول: مدخل نظري

1- تعريف الحادث المروري:

هو الفعل الخاطئ الذي يصدر بدون قصد سابق أو عمدي، ينجم عنه ضرر سواء أكان وفاة أو إصابة أو تلف بسبب استخدام مركبة أثناء حركتها على الطريق العام¹.

وتعرف اللجنة الاقتصادية لأوروبا الحادث المروري بأنه هو الحادث الذي يتوافر فيه العناصر التالية (أن يحدث في الطريق العام في الطريق العام، وينتج عنه وفاة أو إصابة شخص أو أكثر، أن تشترك فيه إحدى المركبات المتحركة على الطريق).

2- الأزمات المرورية:

هي أحداث مأساوية يترتب عنها نتائج سلبية غير مرغوب فيها (مادية-معنوية-بشرية) تتطلب معاملة خاصة ورشيده.

تبرز مشكلة المرور عند عجز نظام المرور عن تحقيق أهدافه ويمكن حصر المشاكل التي تواجه المرور والتأخير وتلوث البيئة، ولعل مشكلة حوادث المرور هي الأهم لما لها من آثار بالغة على إقتصاد الدولة وكيانها الاجتماعي إضافة لنتائجها المؤسفة بالنسبة للأفراد، وما يجعلنا نتوقف عند هذه الحوادث ما يرتبط بها من أعداد كبيرة للوفيات والإصابات الناجمة عنها والتي تتزايد في سائر المجتمعات².

3- الوعي المروري:

شكلا خاصا من أشكال هذا الوعي، هناك ذات بشرية (سائقون، المشاة، رجال المرور...)، تتفاعل مع محيط خارجي، أي مع واقع موضوعي له معطياته وقواعده ونظمه وقوانينه، إن معرفة معطيات هذا الواقع الموضوعي (المجال المروري)، ومعرفة نظمته وقوانينه ومن ثم السلوك المروري السليم في ضوء هذه المعرفة، هو ما يعكس الوعي المروري ويجسده، والوعي المروري بمفهومه الشامل هو التغطية الحسية والمعنوية، والمعرفة بكل ما يتعلق بالمرور ن مركبة وطريق وأنظمة وقوانين وغيرها، بما ينعكس إيجابيا على الشخص ومراعاته لأنظمة المرورية المختلفة، هذا النوع من الوعي لا يحدث دفعة واحدة، بل هو

مجموعة من المعارف والخبرات المتراكمة، التي يأتي بعضها من خلال التجربة والخبرة والممارسة و الاحتكاك، كما أن بعضها يأتي بفعل التعلم والتعليم³.

4-التوعية المرورية:

التوعية المرورية عبارة عن منظومة السياسات والخطط والبرامج الهادفة إنتاج مضامين ورسائل تتعلق بمختلف جوانب الحياة المرورية، وتقوم نشاطات وفعاليات مختلفة، وتستخدم وسائل اتصالية مختلفة من أجل نشر هذه المضامين والرسائل التي تشكل خطابا مروريا توعويا متكاملًا، إلى مختلف الشرائح الاجتماعية ومختلف الجماهير المعنية بالمسألة المرورية، ويمكن تحديد أهم خصائص التوعية المرورية ويمكن تحديد أهم خصائص التوعية المرورية وشروطها على التالي: الاستمرارية، المنهجية والانظام والتماسك، الشمولية، التكامل، التجدد والتطور، الاتفاق مع الإستراتيجية المرورية، التفاعلية، التوعية أسلوب وقائي⁴.

وهي مجموعة الأعمال التوعية الهادفة إلى توعية وتذكير الإنسان، بخطر الطريق والمركبة عليه "وتتم بعدة وسائل أهمها تنظيم حملات التوعية، وهذا الأسلوب يعتمد أساسا على إختيار موضوع الحملة نفسه وذلك اعتمادا على دراسة وتحليل المعطيات والبيانات المتعلقة بحوادث المرور، كما يستند إلى إختيار الأسلوب المناسب لصياغة محتوى الرسالة التوعوية، والأسلوب الملائم لإيصالها والأسلوب الملائم لإيصالها إلى الملتقى، وذلك يكون عادة باعتماد دعائم توعية متعددة مثل الومضات الإشهارية والفواصل التي تبث عن طريق وسائل البث الإعلامي المرئي والمسموع(التلفزيون والإذاعة) والمعلقات الملصقات المطويات وماشبه⁵."

وتعرف أيضا بأنها نشاط إتصالي منظم يهدف إلى إحداث تغيرات إدراكية أو سلوكية لدى جمهور محدد من خلال وقت محدد، يرى البعض بأنها مجموعة من الجهود المنظمة التي تساعد على نقل فكرة عينة يمكن للجمهور وعيها، ويعزى ذلك إلى إقتناعهم بحملات التوعية الإعلامية المنظمة من قدرة على تغيير وتحليل وتعزيز السلوكيات والإتجاهات لدى الجماهير عند إستخدامها في إبراز قضية أو حدث من الأحداث المحيطة بهم، وجعلهم على علم ودراية بها ، قادرين على التعامل والتفاعل معها، ويقصد بها حملات التوعية.

5- حملات التوعية المرورية:

يزداد إستخدام الأجهزة المرورية العربية لحملات التوعية، وتتنوع هذه الحملات وتختلف من حيث الحجم والنوع والإستمرارية والجماهير المستهدفة، وتثير هذه الحملات نقاشات مستمرة، تتعلق بالجدوى والفعالية والتنظيم والتخطيط والتوقيت، ونظرا للأهمية هذه الحملات في محمل الجهد الجماعي العام لنشر

ثقافة مرورية تحقق توعية مرورية يقوم على أساسها وعي مروري يسهم في تحقيق السلامة المرورية، وكذلك نظرا للجهود البشرية الفنية برزت الحاجة الماسة، إلى تقييم مدى فعالية هذه الحملات، وجرى في العديد من البلدان العربية دراسات جادة لتقييم هذه الحملات يمكن الإعتماد عليها بسبب المنهجية العلمية التي إتبعها⁶.

هناك مجموعة من العناصر تتوفر في تعريف الحادث المروري تتمثل فيما يلي:



المصدر: من إنجاز الباحثين.

6- أسباب حوادث المرور:

تختلف أسباب حوادث المرور إلا أن النتائج واحدة، فهناك أسباب طبيعية (التقلبات الجوية، الضباب الأمطار القوية، الثلوج والبرد...)، بينما توجد أسباب بشرية تتمثل في التجاوزات في الطرقات، رخص السياقة المتحصل عليها دون كفاءة بطرق متعددة" الرشوة، المحاباة، المحسوبية"، المشاكل التقنية للمركبات، إستعمال الهواتف النقالة، محاكاة الألعاب الإلكترونية، مشاكل الطرقات ورداءتها....وفي الشكل التالي سنذكر أكثر مسببات حوادث المرور البشرية.



المصدر: من إنجاز الباحثين

7- إدارة الحركة المرورية:

يستعمل مفهوم برنامج إدارة الحركة المرورية لشرح الخطوات المتبعة لضبط أو تحسين إستعمال شبكة الطرق القائمة لتحقيق أهداف مرسومة دون اللجوء إلى بناء طرق إضافية، وعلى سبيل المثال يمكن تطبيق مثل هذه البرامج على مقاييس منطقة محدودة لتحسين وضع الحركة المرورية دون الحاجة إلى إنشاء شبكة طرق جديدة لمواجهة الاختناقات المرورية، إن الهدف الرئيسي من إدارة الحركة المرورية هو غالبا⁷.

المحور الثاني: الأزمات والكوارث المرورية في الوطن العربي " الجزائر، السعودية"

سيطرت الدول العربية على ريادة المراكز الأولى في حوادث المرور، حيث يشير الباحث النرويجي (قابريل سيون) إلى أن حوادث السيارات عبر العالم تؤدي إلى وفيات مليون ومئتي ألف نسمة كل سنة تقريبا، وإصابة خمسين مليون إصابات جسدية، وأن 86 بالمائة منها حصل في الدول النامية، وعليه فهو يشير إلى أن حركة المرور في الدول النامية أصبحت عبارة عن كارثة Traffic in developing countries Is bececoming ومن المتوقع أن يتضاعف هذا الرقم بحلول 2030، فالمشكلة تكمن في أن تزايد عدد المركبات في الدول النامية مرتبطة أساسا بالزيادة السكانية في المدن الحضرية على حساب القرى والأرياف...الوضع الكارثي لحوادث المرور في دول العالم وتحديدا في الدول النامية يؤدي إلى وفات ما يقارب المائة ألف نسمة كل شهر معظمها في الدول النامية⁸.

حيث أن حوادث المرور بما ينتج عنها من أثار وخيمة لم تعد مقتصرة على دولة محددة ولم تعد هذه الحوادث ظاهرة إجتماعية يعاني منها بعض الدول فحسب، بل أصبحت ظاهرة عالمية تعاني منها مختلف الشعوب ومختلف المدن والعواصم الأمر الذي جعل هذه الحوادث مصدر قلق وإزعاج لكل الأجهزة المعنية في كافة دول العالم، ولقد وصفت منظمة الصحة العالمية هذه الظاهرة بأنها وباء يغزو المجتمعات المتمدنة وتؤكد إحصائيات هذه المنظمة أن حوادث المرور قد تكون سببا رئيسيا للوفيات في معظم دول العالم، بل إنها تفوق أسباب الوفاة الأخرى مثل أمراض القلب والسرطان ولقد جاء في تقرير المنظمات الدولية مثل منظمات الصحة العالمية والإتحاد الدولي للطرق RIF والبنك الدولي أن الوضع في الدول النامية أخذ في التدهور حيث تضاعفت معدلات حوادث الطرق وتضاعفت معها الخسائر الإقتصادية والبشرية بصورة لم يسبق لها مثيل⁹.

وتشير الإحصاءات الرسمية إلى أن تكاليف حوادث المرور في الدول النامية تعادل مجمل المساعدات الخارجية إلى تلتقتها هذه الأخيرة في سنة 2008 مثلا...والحقيقة أسوأ مما ذكر، حيث إن التكاليف المرتبطة بحوادث المرور في الدول النامية تشير فقط إلى التكاليف المباشرة لحوادث المرور

والخبراء الدوليين يتوقعون أن إصابات حوادث المرور، سوف تزداد وتؤدي إلى وفيات بأعداد خيالية الغالبية منهم سوف يكون في الدول النامية، والدليل على ذلك هو أن منظمة الصحة العالمية تتوقع إنخاف ضحايا الحوادث المرورية في الدول الصناعية المتطورة بنسبة تصل إلى 28 بالمائة بحلول 2020 وارتفاعها إلى 44 بالمائة في دول أمريكا اللاتينية، ونسبة 80 بالمائة من دول إفريقيا¹⁰.

إن المشاكل الناجمة عن الحوادث المرورية تكمن في أنها تستنزف الموارد البشرية والإقتصادية، وتهدد الكيان الاقتصادي للدول إذ أن حوادث المرور هي ذلك النوع من الأخطار التي لا تحتمل إلا الخسارة، فإذا تحققت الأخطار تحققت معها الخسارة وما يؤكد هذا الحجم على الصعيد العالمي هو ما ورد في الإحصائيات الحديثة من أنه يوجد سنويا مليون ومئتي ألف قتيل وما بين 10 إلى 15 مليون مصاب وتشمل خسائر المرور إلى 500 مليار دولار أي ما يقارب 1,3 بالمائة من الناتج الوطني الخام¹¹.

تشير المعطيات الإحصائية التي ذكرها الأمن العام لمجلس وزراء الداخلية العرب محمد على كومان بتاريخ 02 ماي 2009 إلى أن الحوادث المرورية المميتة في العالم العربي تؤدي إلى مقتل نحو ستة وعشرين ألف قتيل ونحو ربع مليون مصابا، وهذه المعطيات الإحصائية هي ما أعلنه مجلس وزراء الداخلية العرب في مناسبة العربي للوقائية ن حوادث المرور 10/4 ماي 2009، وهذه الحوادث المرورية تكلف المجتمعات العربية نحو ستين مليار دولار، هذا زيادة على التكاليف الوخيمة الأخرى، في المجال الإجتماعي والنفسي والإقتصادي التي تخلفها الحوادث المرورية في المجتمعات العربية، وذكر الأمن العام لمجلس وزراء الداخلية العرب أن العامل البشري يعد العامل الرئيسي وراء الحوادث المرورية المميتة في العالم العربي، وهو ما يشير إلى ضعف الوعي المروري وضعف المسؤولية في مجال المرور، لدى السائق العربي ولدى المواطن العربي بصورة عامة¹².

تشير الإحصائيات العالمية من ثلاث مائة ألف شخص يموتون، بينما يصاب حوالي عشرة مليون شخص في حوادث المرور على مستوى العالم في كل عام، تبرز مشكلة حوادث المرور في الدول النامية بشكل لافت للنظر حتى أصبحت حوادث الطرق في هذه الدول مشكلة إجتماعية متزايدة النمو خاصة وأنها تحصد أرواح صغار السن من الشباب الذين يكونون حجر الأساس لدفع التنمية في هذه البلدان.

وكشفت منظمة الصحة العالمية تقريرها السنوي لعام 2015 حول "سلامة الطرق" على مستوى العالم أن حوادث الطرق تحصد أرواح أكثر من 1.2 مليون شخص سنويا، وأن 90% من هذه الوفيات تحدث في الدول النامية على الرغم من أن هذه الدول لا تضم سوى 54% فقط من أعداد السيارات على مستوى العالم.

وأرجع التقرير الذي نقلته "أرقام" ذلك إلى غياب القوانين المنظمة لسلوكيات القيادة والسرعة في تلك الدول إضافة إلى عدم تخطيط الطرق على النحو الجيد الذي يضمن سلامة السائقين الأكثر عرضة لمخاطر الطريق، ولفت إلى أن حوادث الطرق تعد السبب الرئيسي للوفاة بين الشباب في الفئة العمرية 15-29 عاما، وهي تكبد الحكومات نحو 3% من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.

وأوضح أن مخاطر وفيات الطرق تختلف من منطقة لأخرى حيث تُمنى إفريقيا بأعلى المعدلات، بينما تحظى أوروبا بأقل المعدلات (9.3 أشخاص لكل 100 ألف شخص) وهو أقل كثيرا من المتوسط العالمي (17.5 شخصا)، وينخفض المعدل بصفة عامة في الدول مرتفعة ومتوسطة الدخل ويرتفع بالدول منخفضة الدخل.

وأشار التقرير إلى ظاهرة غريبة في الشرق الأوسط وهي أنه حتى الدول الأعلى دخلا بالمنطقة ترتفع بها معدلات حوادث الطرق على عكس الاتجاه العالمي، وذلك نتيجة لعجز تلك الدول عن تطوير الطرق وقواعد المرور بالصورة التي تتلائم مع النمو الاقتصادي السريع الذي تشهده وما يترتب عليه من زيادة عدد السيارات على الطرق.

وجاءت المملكة في المركز الثاني عربيا بعد ليبيا والـ23 عالميا من حيث زيادة معدلات وفيات الطرق بمعدل بلغ 27.4 شخصا، وسجلت الأردن معدلا بـ26.3 وعمان بـ25.4 والجزائر بـ23.8 والكويت بـ18.7 وقطر بـ15.2 ومصر بـ12.8 والإمارات بـ10.9 والبحرين بـ8.

وحظيت دولة "ميكرونيزيا" (مجموعة جزر بالمحيط الهادي) بأقل معدل لوفيات الطرق والذي يتم احتسابه من خلال عدد الوفيات من كل 100 ألف شخص من السكان¹³.



1- الأزمات المرورية في الجزائر:

الجزائر مثلها مثل باقي المجتمعات العربية الأخرى تعاني وبشدة من الحوادث المرورية، هذا مع العلم أن الجزائر بها أكبر عدد من المركبات في كل القارة الإفريقية (أكثر من خمسة ملايين مركبة) بعد جمهورية جنوب إفريقيا وربما أيضا لديها أكبر عدد من المركبات في العالم العربي تنافسها في ذلك

المملكة العربية السعودية، ولتوضيح فضاة نتائج الحوادث المرورية في الجزائر تشير إلى أن الحوادث المرورية إلى مقتل خمسة عشر شخصا، وإصابة نحو مئتي شخص يوميا وأن تكلفة الحوادث المرورية في الجزائر تتجاوز الخمسة والسبعين مليار دينار يوميا وهو ما يعادل سبع مئة وخمسين مليون يورو، وذلك حسب ما ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية A F P عن تصريح وزير التعليم العالي 14 سبتمبر 2009¹⁴.

بالنسبة لعوامل حوادث المرور في الجزائر يأتي العامل البشري في الدرجة الأولى بمجموع 18,77 بالمئة، ثم يأتي بعده التجاوز الخطير بنسبة 11، 23 بالمئة، ليأتي عدم إحترام الأولوية وبعدها يأتي التغيير المفاجئ للمسار دون الإشارة، ثم تأتي القيادة في حالة سكر، وبعدها يأتي عدم إحترام التباعد الضروري بين المركبات، وهذه العوامل في مجموعتها تشير إلى عدم إحترام قوانين المرور بصورة عامة، وقلة الوعي المروري لدى كل من السائق والمواطن وبالرجوع لفعاليات وبيانات المركز الوطني للوقاية من حوادث المرور لسنة 2008 فإن عدد قتلى حوادث المرور في الجزائر في المتوسط السنوي نحو أربعة آلاف قتيل سنويا، وأنه في سنة 2008 مثلا نتج عن حوادث المرور في الجزائر 74، 2 قتيلًا و 40,871 جريحا، ومن مجموع حوادث المرور في الجزائر نجد أن 60 بالمئة منها حصلت في المناطق الريفية بعدد 14928 حادثة بمقارنة ب 10,929 حادثة حصلت في المناطق الحضرية، وأن ولاية وهران في الغرب الجزائري تصدرت قائمة حوادث المرور في الجزائر متبوعة بولاية تيبازة غرب الجزائر العاصمة وبعدها أنت ولاية باتنة، متبوعة بولاية سطيف، ثم ولاية الجزائر العاصمة وولاية تلمسان...¹⁵.

2- المملكة العربية السعودية:

المملكة تحتل المرتبة الأولى في وفيات الحوادث بالنسبة لكل 100 ألف إنسان، مشيرة إلى أن الخسائر المادية سنويا تبلغ 13 مليار ريال سعودي في كل عام، وأن اعنف الحوادث تقع في طرق السرعة فيها من 60 إلى 70 كيلو مترا في الساعة، وليس في الطرق السريعة كما يذهب الكثير، وبخاصة أن نسبة الحوادث الشديدة داخل المدن تبلغ 72%، والسرعة الزائدة مسؤولة عن 65% من الحوادث؛ وتطرت إلى الضغط الشديد الذي يعاني منه القطاع الصحي، مشيرة إلى أن من أسباب أزمة الأسرة في المستشفيات تعود للحوادث، إذ تستحوذ الحوادث من كل 100 سرير على 30% من أسرة المستشفيات، بمعدل إصابة أو إعاقة كل 15 دقيقة، وكل دقيقتين حادث مروري.¹⁶

رغم أن وسائل النقل تعد من النعم التي من الله علينا بها، والتي سهلت مصاعب السفر إلا أنها ومع الأسف فقد حول بعض شبابنا هذه النعمة إلى نقمة، إذ تراهم بالموت يلعبون، وبالأرواح يغامرون وبالأبرياء مضحون بالأموال يبددون، وتقيد الإحصائيات أن الحوادث تكلف الدول النامية ما بين 2،4 بالمائة من إجمالي الناتج المحلي سنويا وتعتبر الحوادث خاصة المرورية منها التسبب لوفاة في المملكة العربية السعودية، خاصة بين فئة الشباب... ويعاني مجتمعنا كغيره من المجتمعات في المنطقة المحيطة

من إرتفاع معدل الحوادث المرورية، بل إن المملكة أصبحت تعد في المنطقة المحيطة من إرتفاع معدل الحوادث المرورية ، بل إن المملكة أصبحت تعد من أكثر الدول التي تعاني من هذه المشكلة بما تخلفه من خسائر بشرية واقتصادية، وخلال السنوات القليلة شهدت المملكة تصاعدا ملحوظا في نسبة الحوادث صاحب ذلك زيادة عدد الوفيات والإصابات والإعاقات، ولهذا فقد أصبحت تمثل أحد أهم القضايا والمشاكل المتنامية الجسيمة التي تطل قطاعات واسعة من المجتمع، حيث تبلغ نسبة الوفيات في الحوادث المرورية في المملكة من صغار السن فإنه هو المتسبب بها، ومن المعروف أن المملكة العربية السعودية تفقد ما يقارب الخمسة آلاف سنويا من مواطنيها والمقيمين على أرضها، إضافة إلى حوالي 29370 مصابا، وهو عدد يضاهاي بسبب الحروب والكوارث الطبيعية، وذلك من جراء 1398780 حادثا مروريا، ونتيجة لذلك تفنقد المملكة من إقتصادها الوطني ما قدره 21 ليار ريال سنويا¹⁷.

تشكل حوادث الدهس في السعودية مشكلة داخل المدن والأحياء، وعند المدارس والمجمعات التجارية حيث تسجل إحصائيات المرور أكثر من سبعة آلاف حادث دهس خلال العام الواحد، تشير الإحصائيات الرسمية إلى وقوع ما يقارب ال 65 ألف قتيل ونحو 50 ألف مصاب نتيجة وقوع 800 ألف حادث خلال الفترة 1971-1994 حين سجلت الدراسات الحديثة وقوع 1,5 مليون حادث في الثلاثين عاما الماضية في تؤكد الدراسات أن التصنيف العمري للمتوفين يدق ناقوس الخطر، حيث إن 78 في المائة تقل أعمارهم عن 45 عاما، إضافة إلى أن إحصائيات وزارة الصحة تشير إلى أن خمس المتوفين هم من الأطفال ممن نقل أعمارهم عن 15 عاما¹⁸.

ومنذ عام 1971 وحتى نهاية 1994 بلغ عدد ضحايا المرور على طرق المملكة العربية السعودية أكثر من مليون ضحية 507,318 وذلك ما يقارب 3,5 بالمائة من سكان المملكة، وقد كانت نسبة المتوفين من بين هؤلاء الضحايا حوالي 12 بالمائة، إذ وصل عددهم إلى أكثر من ستين ألف قتيل، وقد قدرت بعض الدراسات أن الخسائر السنوية لحوادث المرور في المملكة تقدر بحوالي 18,6 بليون ريال في العام (وزارة التخطيط)، إن هذه الخسائر البشرية والمادية الناتجة عن حوادث المرور تؤثر سلبا على الإقتصاد الوطني¹⁹.

وبلغت المخالفات المرورية في المملكة العربية السعودية عام 2002 مجموع 5,401103 مخالفة مرورية ثم إرتفعت إلى 7,932427 مخالفة مرورية في عامي 2003، ويبلغ معدل حوادث المرور في المملكة العربية السعودية لكل 4000 سيارة بلغت سبع حوادث ينتج عنها وفاة شخص واحد، وخمس إصابات بدنية سنويا أي بمعدل عشرة وفيات وأربع وستين إصابة بدنية يوميا وهي أعلى معدلات حوادث المرور في العالم، وأن العامل البشري كان مسؤولا عن 84 بالمائة منها كذلك فإن معدلات الوفيات

الناجمة عن حوادث المرور في دول الخليج العربي تعد هي الأخرى الأعلى في العالم، وفي مدينة الرياض وحدها عام 2006 سجلت في شوارعها مليون ومائة وثلاثون ألفاً وثمانين مئة وتسع عشرة مخالفة مرورية وتصدرت السرعة المفرطة داخل المدينة المخالفات برصد 260129 وجاء حزام الأمان وعدم ربطه في المرتبة الثانية وأما قطع الإشارة المرورية المرورية فجاءت في المرتبة الثالثة برصد 70390 مخالفة وأظهرت دراسة أعدها مجلس التعاون الخليجي عام 2008، أن المملكة العربية السعودية تعد واحدة من أكثر بلدان العالم التي تحدث فيها الحوادث المرورية المميتة، وفي سنة واحدة فقط (تعتقد 2005) قتل أربعة آلاف شخص وأصيب إثنان وعشرون ألفاً، نتيجة لحوادث السيارات في المملكة العربية السعودية كما يشير الإحصائيات التي ذكرت في مجلة الأمن العام 2007، إلى أن مجمل ما قتل في المملكة العربية السعودية جراء الحوادث المرورية خلال السنوات الماضية كان أكثر من ثلاثين ألف قتيل²⁰.

تستخدم الشركة السعودية للنقل الجماعي عدة أساليب وطرق للمحافظة على سلامة المركبة، بإخضاعها لبرنامج صيانة شاملة من فترة إلى أخرى وفحص أجهزة التحكم الكوابح والإطارات للتأكد من سلامتها وتزويد الحافلات بأجهزة وأنظمة حديثة مثل أنظمة إمتصاص الصدمات ونظام التحكم في الكوابح والانزلاق بالإضافة لتكثيف البرامج التدريبية للسائقين والتدريب على الجوانب الفنية والسلوكية وتدريب الفنيين والميكانيكيين على مختلف أنواع الصيانة والوقاية والدورية للحافلات، كما تقوم الشركة بتطبيق برنامج إحلال الحافلات المتقادمة بحافلات جديدة لضمان الأداء العالي للحافلات...منذ عدة سنوات بدأت المملكة العربية السعودية تجربة جديدة من نوعها في الشرق الأوسط، وهي تجربة إدخال الفحص الدوري وإلزام جميع المركبات للفحص للتأكد من سلامة المركبات التي تسير على الطرق، لقد أثبتت بعض الدراسات التي أجرتها شركة أرامكو السعودية أن تلف الإطارات تسبب في وقوع الحوادث ويشكل نسبة 2,5 بالمائة من أسباب حدوث الحوادث لسيارات شركة أرامكو، وبصفة عامة تقدر نسبة الحوادث الناتجة عن قصور في الأداء المتوقع من السيارة لعطل مفاجئ أو خلل في المركبة في الدول العربية بحوالي 10 بالمائة من مجموع الحوادث المرورية، بينما تبلغ نسبة الحوادث الناتجة عن الغفلة أو الإهمال والخطأ أكثر من 67 بالمائة ونسبة الحوادث الناتجة عن قصور في التصميم الهندسي إلى حوالي 23 بالمائة إن هذه الأرقام تدل دلالة مباشرة على أن للمركبة وصيانتها دوراً كبيراً في التأثير على عدد الحوادث مما يتطلب إجراء الفحص الدوري وضرورة متابعة صيانة المركبة للتأكد من أنهاصالحة²¹.

على الرغم من الهجوم العنيف والمستمر من قبل الشارع السعودي على نظام الضبط المروري "ساهر" إلا أن الأرقام أثبتت جدوى تطبيقه، عندما أسهمت العناية الإلهية، ثم "فلاشاته" في خفض نسبة وفيات الحوادث 26 % في عام 1435 هـ عن العام الذي قبله، وفقاً لقائد القوة الخاصة لأمن الطرق في منطقة

الرياض اللواء زايد الطويان، خلال ورقة عمل قَدِّمها في اللقاء العلمي الـ 35 بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، أمس، بعنوان "دور التوعية المرورية في الحد من حوادث المرور".

ذكر أن "المرور" سجّل 9 آلاف حالة إصابة من جرّاء الحوادث المرورية في المواقع التي طبّق فيها برنامج ساهر خلال 1434، بينما سُجّلت 6853 حالة إصابة في المواقع نفسها خلال 1435.

وأشار إلى أن الإحصاءات أظهرت ارتفاع نسبة الوفيات في الحوادث التي تقع خارج النطاق العمراني بسبب تجاوز السرعة، مؤكداً أن الحوادث المرورية لها انعكاسات سلبية على المستوى الاقتصادي، إذ تبلغ خسائر الحوادث المادية أكثر من 13 مليار ريال، فضلاً عن الخسارة التي تتكبّدها وزارة الصحة وجهات أخرى من معالجة مُصابي الحوادث، وأمام هذه الأرقام المخيفة ظهرت الحاجة إلى إيجاد حلول للحد من الحوادث المرورية، وكان مدير إدارة السلامة المرورية والناطق الرسمي للمرور العميد الدكتور علي بن ضبيان الرشيد، قد افتتح الندوة بورقة عنوانها "تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والهاتف الجوّال في قيادة المركبة"، أوضح فيها أن السلامة المرورية تعد مطلباً أساسياً في حياة المجتمعات المعاصرة حيث ركزت الدول في السنوات الأخيرة على القضايا المتعلقة بتركيز السائق في القيادة، مؤكداً أن هذا الاهتمام يعود إلى الوسائل التقنية الحديثة، ومن ضمنها استخدام الهاتف في أثناء القيادة وأثره في السلامة المرورية. ورأى "الرشيد" أن مسؤولية وقوع الحوادث تشترك فيها عوامل عدة تشكل في مجملها منظومة تتفاوت في حجم مسؤوليتها، حيث يؤكّد 58% من السائقين أن الهواتف الجوّالة تشكل الجزء الأكثر من الانشغال في أثناء القيادة مقارنة بالعوامل الأخرى، مثل ضغوط الوقت أو الأكل والشرب أو استخدام المسجل أو المذياع²².

المحور الثالث: إدارة الأزمات المرورية

أ. الوقاية من حوادث المرور:

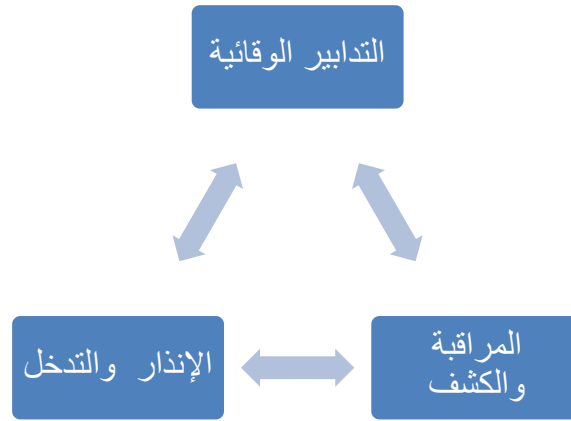
من الناحية العلمية فإن مفهوم الوقاية من حوادث المرور لا يمكنه فهمه، كمفهوم علمي إلا من خلال مدلوله الأصلي الذي أستخدم فيه، وهو الوقاية من الجريمة وذلك بالنظر للتشابه الكبير بين مثلث الجريمة ومثلث المرورية، تهدف هي الأخرى إلى تشكيل إرادة مضادة للحوادث المرورية في أوساط المجتمع بمختلف فئاته وذلك بما يتخذه المجتمع من تدابير ووقاية في مجال الوقاية من حوادث المرور²³.

ب. الوقاية من الأزمات المرورية:

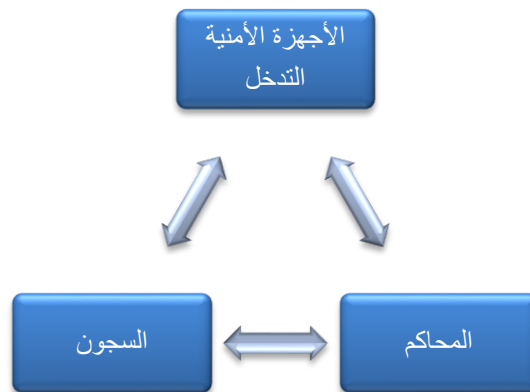
هي جملة الإجراءات التي تتخذها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية (المجتمع المدني)، للحيلولة دون بلوغ الخطر.

تعتمد الخطط الوقائية على تشخيص كل العوامل التي تؤدي إلى سوء إستعمال المركبات، ومعرفة عوامل الحوادث المرورية، والعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك وبناء على نتائج البحوث والدراسات الميدانية تعد البرامج العلمية والعملية الدقيقة والمتكاملة، ثم ترصد الإمكانيات اللازمة لتنفيذها.

عدم جدوى سياسية المكافحة الميدانية، وحدها في مواجهة الحوادث المرورية، وهذا بكل بساطة لأن المكافحة الميدانية (القمع) هي تدابير بعديّة (بعد حدوث الفعل)، وهي موجهة للمخالفين أنفسهم ، بينما الوقاية المرورية هي تدابير قبلية (قبل حدوث المخالفات المرورية) لأنها تهدف لعدم إرتكابها، أو حصولها من أصله، وهي بذلك موجهة لعامة الناس أو حصولها من أصله، وهي بذلك موجهة لعامة الناس وللسائقين المنضبطين، وعليه تعتقد أن الإستراتيجية الحديثة والسياسة الحديثة في المجال المروري يجب أن تبني على المثلث الوقائي، بدل المثلث المكافحاتي والمثلث الوقائي ويشمل



أما مثلث المكافحة فيتمثل في:



كلما زادت الحوادث المرورية، وكلما فشلنا في التعامل مع حوادث المرور طالبنا بمزيد من الأجهزة الأمنية في مجال المرور، ومزيد من العقوبات والمزيد من العقوبات يؤدي إلى مزيد من المحكومين، والمزيد من المحكومين يؤدي إلى المزيد من السجون، وهو ما نسمة سياسة الحلقة المفرغة ، ولتوضيح الأمر نذكر ما يلي²⁴.

- سياسة الوقاية في المجال المروري يجب أن تنطلق من السياق الزمني والمكاني الذي تعتمد فيه وهو ما يعني أنها يجب أن تكون مبنية على معطيات، وبيانات وحقائق ميدانية من المجتمع المعني، ومن الفترة الزمنية المحددة (الحوادث المرورية في التعامل في التفاصيل قد تختلف إختلاف الزمان والمكان وبإختلاف الأولويات) وهو ما يشير إلى ضرورة الانطلاق من بحوث ودراسات ميدانية، ومن معطيات وبيانات حقيقية عن حوادث المرور، وعواملها في فترة زمنية محددة وفي مكان أو مجتمع معين.

- الوقاية من الحوادث المرورية تنطلق من تحديد عناصر ومكامن الخطر نفسها (عوامل الخطر)، أي العوامل المحددة والواضحة المؤدية للحوادث المرورية في المكان المعني (المكنة المعنية) والمجتمع المعني نفسه، وهو يعني أن عدم تحديد عناصر أو مكامن الخطر يعني بالضرورة عدم إمكانية التصدي لها.

- الوقاية من حوادث المرور يجب أن تنصب على الشيء أو القيمة العليا المراد الحفاظ عليه، وهي في هذه الحالة الإنسان نفسه القيمة هنا تعني الإنسان، وذلك بهدف الوقاية وإبعاد الخطر عنه، بينما تنصب المكانة الميدانية على الخطر نفسه، وهنا نجد فرقا واضحا بين جوهر السياسة الوقائية وجوهر السياسة المكافحتية، وبصورة عامة فإن المعادلة النظرية في هذا المجال يشير إلى أنه (كلما زادت التدابير الوقائية كلما قلت التدابير المكافحتية).

- السياسة الوقائية تنطلق من التفريق بين الأخطار التي تواجه الفرد السائق أو الراجل أو المشاة وبين الأخطار التي تواجه النظام المروري ككل، وهو المنطلق الذي يحدد طبيعة السياسة المكافحتية وطبيعة السياسة الوقائية.

- السياسة الوقائية تركز على تعزيز الإرادة، أي تعزيز إرادة المواطن وقناعته في إحترام قوانين وقواعد المرور والسلوك المروري الحضاري وبصورة أعم تركز على الوصول إلى رأي عام مضاد للحوادث المرورية وهذا بإتباع برامج التوعية الطويلة الأمد المحترفة الإعداد والتطبيق.

- السياسة الوقائية تنطلق من تحديد التدابير الوقائية الموجهة للسائق والتدابير الوقائية، الموجهة للمركبات والتدابير الوقائية الموجهة للمحيط والطرق.

ج. إستراتيجية التقليل من الحوادث:

هناك مجموعة من الإجراءات لتقليل الكوارث منها: ²⁵

- ◀ معالجة منطقة محددة ومعينة في موقع واحد تقع به حوادث مرورية متكررة.
- ◀ عمل مخطط عام للمناطق لمعرفة الحوادث المرورية ذات الطابع المتشابه.
- ◀ معالجة مسار معين تتكرر فيه الحوادث بمعدل عال جدا.

◀ تطبيق برنامج واسع وشامل لمنطقة كبيرة نوعا ما مع تطبيق عدة وسائل لتقليل الحوادث ضمن برنامج تحسين إدارة الحركة المرورية.

ويتطلب هذا البرنامج قدر كاف من المعلومات عن عدد الحوادث المرورية ومكان حدوثها وأنواعها بالإضافة إلى ضرورة وجود خرائط توضح المكان الجغرافي لمواقع حدوثها، ويجب أن يعطي نوع من العناية لتصنيف حجم الحادث وحجم الخسائر الناتجة عنه سواء كانت بشرية أو في الممتلكات، وأن وجود تقنية الحاسب الآلي وقلة تكلفتها في السنوات الأخيرة يجعل سهولة الحصول عليها واقتناءها أمرا ميسورا بعد تحديد مكان الحادث يجب أن نحلل جميع المعلومات المتعلقة بالحوادث حتى نتمكن من معرفة أسباب الحادث، والجديد بالذكر أن الدراسات أثبتت أنه ينذر وجود سبب واحد للحدث بل إن الحادث غالبا ما ينتج من عدة أسباب متعلقة ببعضها البعض، بعد ذلك تأتي مرحلة المراقبة والمعالجة وكيفية إيجاد الحلول الممكنة لتقليل الحوادث في منطقة معينة بإنجاز عدة خطوات أبرزها (إزالة التعارض حماية المشاة، منع المشاة من قطع الشارع، تحسين الرؤية وإزالة التقاطع).

تعد السويد رائدة في مجال الوقاية من حوادث المرور، حيث وضعت برنامجا جديدا أسمته الهدف صفر أي السعي من خلال تنفيذ خطة دقيقة إلى توفير السلامة على الطرق ، يعمل من خلاله كل متعهدي توريد وسائل ولوازم وخدمات نظم المرور السويدية على الطرق والمكلفين بإنقاذ هذه النظم وتستعملها بشكل مشترك، ويصنعون الأهداف المنشورة وغير من معايير الأداء، والهدف النهائي لذلك البرنامج هو التوصل إلى نظام المرور على الطرق تبلغ فيه الوفيات أو إصابات الخطيرة عند التصادمات مستوى الصفر²⁶.

أسلوب النظام الذكي كأسلوب فعال لإدارة الأزمات المرورية:

تتمثل تقنيات النظام الذكي إلى خمسة نظم وهي: ²⁷

- ❖ نظم إدارة المرور المتقدمة: التي تسمح بالتحكم الأني بنظم الإشارات المرورية التي ترشد السائقين.
- ❖ نظم المعلومات المتقدمة للسائقين: للسائقين وتقوم تزويدا للسائقين بمعلومات عن مواقعهم وكيفية الوصول إلى المقاصد التي يرغبون الوصول إليها.
- ❖ نظم تشغيل المركبات التجارية: وتشمل هذه النظم تقنيات متطورة من (ADIS) تساعد المركبات التجارية، مثل الشاحنات للوصول إلى مقاصدها بمستوى أعلى من السرعة والسلامة.
- ❖ النظم المتقدمة للتحكم بالمركبات (A V C S J): تشمل تقنيات جديدة تساعد المركبات على تحديد المعوقات على الطريق أماها وتحديد أياها.

❖ نظم متقدمة للنقل الجماعي APTS : وتزود مشغلي ومستخدمي النقل الجماعي بإحدى المعلومات التشغيلية مثل جداول الرحلات ووجود الخدمة على الطريق، كما تساعد إدارة أسطول النقل على متابعة حركة مركبات الأسطول ويتكون النظام الذكي من عناصر أساسية لتقنيات النظام الذكي للمركبات والطرق وتداخلها، وهي الخاصة والتجارية والخدمة العامة ومركبات الطوارئ من جميع الأنواع ومراقبة الطرق وحركة السير وأجهزة التحكم وأنظمة الإتصالات ومشغلي نظام النقل وأنظمة تقادي الإصطدام والمسافرون والمستخدمون الذين يتم تنويرهم عن ظروف الطريق أمامهم وكيفية الوصول إلى مقاصدهم، وهذه العناصر تشمل تقنيات النظام الذكي، حيث تنقل المعلومات بين مستعملي الطريق مثل إدارة المرور من جهة ومستخدمي الطريق من جهة أخرى هي الأساس الذي يستند عليه النظام الذكي، وتتدفق تلك المعلومات عبر وسائل إتصال متطورة منها المثبت عن الطريق ومنها يكون متينا داخل المركبة وتلعب الأقمار الصناعية دورا رئيسيا في ذلك.

أنواع الابتكارات للنظام الذكي IVHS :

لقد صاحب تطوير التقنية النظام الذكي إبتكارات للأنظمة وأجهزة إلكترونية مثل: ²⁸

- أنظمة إدارة المرور التي ترصد الظروف السائدة: وتقوم بتعديل المسارات وحدود السرعة، والإشارات المرورية وذلك حسب الظروف الفعلية لحركة المرور وليس على التنبؤات والأنماط التاريخية المعمول بها حاليا.
- معززات للنقل العام: مثل النطاقات الذكية وشاشات الوقت الحقيقي كحالة الخدمة تجعل العلاقة الديناميكية مع الراكب أمرا ممكنا.
- أجهزة إلكترونية : تسمح لناقلي الشاحنات التجارية ومركبات الطوارئ وحافلات النقل العام، وشاحنات الموارد الخطرة لمتابعة مركباتهم بصورة مستمرة وأن يتصلوا بسائقهم مما يستنتج عنه خدمات أسرع إستجابة.
- أجهزة تسمح بالجمع الإلكتروني: للضرائب ورسوم العبور ورسوم مستخدم النقل الآخرون.
- توفير أنظمة : يمكن أن تقوم بالوزن والتفتيش إلكترونيا للمركبات التجارية أثناء سيرها وتمكن من إصدار ومراقبة التصاريح إلكترونيا للمركبات التجارية أثناء سيرها وتمكن من إصدار ومراقبة التصاريح إلكترونيا تقوم بتابعة حاوية من بين شحنات متعددة الوسائط.

ومن أمثلة على الأنظمة المطورة للنظام الذكي نذكر منها (أنظمة الإرشاد والملاحة، أنظمة التحكم المروري ، نظم إدارة الحوادث، نظم مراقبة السلامة على السيارة، نظام تقادي الإصطدام).

خاتمة

أصبحت حوادث المرور من الموارد البشرية والمالية ما يفوق خسائر الكوارث الطبيعية والصحية خاصة في الدور العربية الجزائر، السعودية... التي دقت ناقوس الخطر، وتعمل جاهدة من أجل إيقاف هذه المجازر المرورية، وذلك عن طريق إدارة فعالة، لكن ورغم ذلك ما تزال الأرقام مخيفة وهو الأمر الذي يتطلب مجهود وإرادة أكبر، وتكافل كافة الجهات رسمية كانت أو غير رسمية.

الهوامش:

1. راضي عبد المعطي السيد، الآثار الاقتصادية لحوادث المرور، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، 2008، ص12.
2. حسن عبد السلام عبد الفتاح، ماهر بن سعيد الجديد وآخرون، التعليم والسلامة المرورية، ط1، الجزء الثاني الرياض، 2009، ص528.
3. أديب محمد خضور، حملات التوعية المرورية العربية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض 2007، ص 10.
4. أديب محمد خضور، مرجع سابق، ص14.
5. حسن عبد السلام عبد الفتاح، ماهر بن سعيد الجديد وآخرون، مرجع سابق، ص595.
6. أديب محمد خضور، مرجع سابق، ص120.
7. الندوة العلمية الأربعون أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، تنفيذًا لمتطلبات الخطة الأمنية العربية الثانية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 27-29 ماي 1996، ص 32
8. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، الندوة العلمية للتجارب العربية والدولية في تنظيم المرور مركز الدراسات والبحوث، الجزائر، 1/3 جوان 2009، ص4.
9. راضي عبد المعطي السيد، مرجع سابق 2008، ص12.
10. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 5.
11. راضي عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص 18.
12. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 5.
13. المملكة تحتل المرتبة 23 في معدل وفيات حوادث الطرق عالم، جريدة الرياض، العدد 17290، الاثنين 13 محرم 1437 هـ (أم القرى) - 26 أكتوبر 2015 م .
14. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 7.
15. نفس المرجع السابق، ص ص7،8.
16. «أرامكو» تحذر من ارتفاع أعداد قتلى حوادث المرور إلى أكثر من 9 آلاف حالة.. والخسائر المادية إلى 23 مليار ريال في 2019، جريدة الرياض، العدد 16757، الأحد 12 رجب 1435 هـ - 11 مايو 2014م.
17. حسن عبد السلام عبد الفتاح، ماهر بن سعيد الجديد وآخرون، مرجع سابق، ص341.
18. حسن عبد السلام عبد الفتاح، ماهر بن سعيد الجديد وآخرون، مرجع سابق، ص344.
19. الندوة العلمية الأربعون أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، مرجع سابق.
20. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، مرجع سابق، ص9.
21. الندوة العلمية الأربعون أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 36.
22. عيسى الحربي، احصاءات المرور: انخفاض وفيات الحوادث في المملكة 26%، جريدة سبق الإلكترونية، 8 ماي 2015.

23. أحسن مبارك طالب، سبل ووسائل الوقاية من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 15.
24. نفس المرجع السابق، ص 17.
25. الندوة العلمية الأربعون أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، مرجع سابق، ص 34، 35.
26. حسن عبد السلام عبد الفتاح، ماهر بن سعيد الجديد وآخرون، مرجع سابق، ص 605.
27. الندوة العلمية الأربعون أساليب ووسائل من حوادث المرور، مرجع سابق، 72.
28. نفس المرجع السابق، ص 79-80

جودة الحياة الأسرية (مفهومها وأبعادها)

د/ عون علي

جامعة الاغواط (الجزائر)

أ / صندوق فريحة

جامعة الجلفة (الجزائر)

ملخص:

تشكل الأسرة نواة المجتمع ، فيها تبنى أسس الشخصية وتوجهاتها وقيمها وفيها ترسي أسس السواء واللاسواء ، والصحة النفسية أو الاضطراب النفسي والسلوكي ، وبمقدار صحتها النفسية ستتمكن من تنشئة أجيال فاعلة اجتماعيا ، وهذا ما يبرز أهمية جودة الحياة الأسرية ، التي تعتبر إحدى موضوعات علم النفس الإيجابي وهو مجال معاصر يهتم بدراسة الخصائص الإيجابية ونواحي القوة لدى الإنسان بغرض مساعدة الأفراد على إصدار سلوكيات إيجابية منتجة والتمتع بصحة نفسية.

الكلمات المفتاحية : جودة الحياة، جودة الحياة الأسرية، مفاهيم جودة الحياة الأسرية ، أبعادها.

Abstract:

The family is the nucleus of society, embracing personal principles and beliefs and values and which lay the foundations of both and Allaswae, mental health or psychiatric and behavioral disorder, by mental health will be able to bring up generations active socially, and this highlights the importance of the quality of family life, which is one of the topics positive psychology He is interested in studying the field of contemporary positive characteristics and strengths in humans for the purpose of helping individuals to produce positive behaviors productive and enjoy psychological health.

Keywords : quality of life, the quality of family life, the concepts of quality of family life, its dimensions)

مقدمة:

يُعد عقد التسعينات من القرن العشرين هو عقد الجودة الشاملة Total Quality ، بينما كان عقدي السبعينيات والثمانينيات هما عقدي الكفاية Efficiency والفعالية Effectiveness (سعيد والبيلاوي، 2006). وأما العقد الأول من القرن الحادي والعشرين فيمكن اعتباره عقد الجودة طبقاً لرائد الجودة الأمريكي جوزيف جوران J. Juran ؛ حيث أن الدراسات الإحصائية في مجال جودة المنتجات الصناعية تشير إلى أن المستهلك أصبح أكثر وعياً واهتماماً بالجودة، فقد ارتفعت نسبة الباحثين عن الجودة من 30-40% عام 1979 إلى 80-90% عام 1988. وهذا التطور يجعل من الجودة ضرورة ومطلب أساسي في عالم اليوم. (المديرس. 2004)

ومصطلح جودة الحياة (Quality of Life) من المفاهيم الحديثة التي لاقت اهتماماً كبيراً في العلوم الطبيعية والإنسانية (على سبيل المثال لا الحصر: علم البيئة، والصحة، والطب النفسي، والاقتصاد

والسياسة، والجغرافيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتربية، والإدارة، وغيرها). ويرى الأشول (2005) أنه نادراً ما يحظى مفهوم ما بالتبني الواسع على مستوى الاستخدام العلمي أو الاستخدام العملي العام في حياتنا اليومية وبهذه السرعة مثلما حدث لمفهوم جودة الحياة.

ومن بين العلوم التي اهتمت بجودة الحياة كان علم النفس Psychology ، حيث تم تبني هذا المفهوم في مختلف التخصصات النفسية، النظرية منها والتطبيقية. فقد كان لعلم النفس السبق في فهم وتحديد المتغيرات المؤثرة على جودة حياة الإنسان، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أن جودة الحياة في النهاية هي تعبير عن الإدراك الذاتي لتلك الجودة، فالحياة بالنسبة للإنسان هي ما يدركه منها (الأشول، 2005) ذلك فإن المتتبع للدراسات النفسية الحديثة، يلاحظ اهتماماً ملحوظاً بمفهوم الجودة بشكل عام، وجودة الحياة لدى الفرد بشكل خاص (ومن أمثلة هذه الدراسات، دراسة كل من: إبراهيم وصديق، 2006؛ حسن والمحرزى وإبراهيم، 2006؛ العادلي، 2006؛ فرجاني، 1992، 1999، 2006؛ Picher, ; 2006, Hajiran ; 1999, Faro, 1992, James, Heapy, 2006; Wagner & Abbott, 2006). وهذا الإهتمام يعكس أهمية هذا المفهوم وتأثيره على مختلف الجوانب النفسية؛ فالجودة، هي انعكاس للمستوى النفسي ونوعيته، وإن ما بلغه الإنسان اليوم من مقومات الرقي والتحضر، تعكس بلا شك مستوى معين من جودة الحياة. وهكذا فإن الجودة هي هدف جميع المكونات النفسية.

وتشير الأدبيات النفسية، إلى صعوبة صياغة تعريف محدد لجودة الحياة (Graham, & Titman, Smith, 1997). فعلى الرغم من شيوع استخدامه إلا أنه لا يزال غير واضح ويتسم بالغموض (عبد الفتاح وحسين، 2006). وطبقاً للأشول (2005) تكمن أسباب الصعوبة إلى الأسباب الآتية:

- حداثة المفهوم على مستوى التداول العلمي.
- تطرق هذا المفهوم للاستخدام في العديد من العلوم، حيث يستخدم أحياناً للتعبير عن الرقي في مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع، كما يستخدم للتعبير عن إدراك الأفراد لمدى قدرة هذه الخدمات على إشباع حاجاتهم.
- لا يرتبط هذه المفهوم بمجال محدد من مجالات الحياة، أو بفرع من فروع العلم، إنما هو مفهوم موزع بين الباحثين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم، والملفت للنظر أن أصحاب كل تخصص يرون أنهم الأحق باستخدامه سواء كان تخصصهم علم الاجتماع أو الطب بفروعه المختلفة، أو العلوم البيئية أو الإقتصادية.

ويرى الأنصاري (2006) أن مفهوم جودة الحياة يرتبط بصورة وثيقة بمفهومين آخرين أساسيين وهما: الرفاه (Welfare) والتنعيم (Well-being). كذلك يرتبط مفهوم جودة الحياة بمفاهيم أخرى، مثل: التنمية (Development) (توسيع خيارات متعددة تضم حريات الإنسان، وحقوق الإنسان، والمعرفة، وتعتبر هذه الخيارات ضرورة لرفاه الإنسان)، والتقدم (Progress) الترقى في حال الإنسان في الحياة نتيجة للتطور المعرفي والعلمي، والتحسين (Betterment)، وإشباع الحاجات (Satisfaction of needs) الشعور بالرضا والارتياح، والأمن عند إشباع الحاجات والدوافع)، فضلا عن الفقر (Povert) أي فقر الدخل، أو اللامساواة الإقتصادية، وفقر التنمية الإنسانية الذي يحد من قدرات الإنسان والبلدان على الاستخدام الأفضل لمواردهم الإنسانية والمادية على حد سواء). بينما يرى منسي وكاظم (2006) إن الشعور بجودة الحياة يمثل أمراً نسبياً، لأنه يرتبط ببعض العوامل الذاتية Subjective مثل المفهوم الإيجابي للذات، والرضا عن الحياة وعن العمل، والحالة الاجتماعية، والسعادة التي يشعر بها الفرد، كما يرتبط ببعض العوامل الموضوعية Objective مثل الإمكانيات المادية المتاحة، والدخل، ونظافة البيئة، والحالة الصحية، والحالة السكنية والوظيفية، ومستوى التعليم، وغير ذلك من العوامل التي تؤثر في الفرد. وهذه العوامل الذاتية والموضوعية تجعل أمر تقدير درجة جودة الحياة لدى الفرد أمراً ضرورياً لأن الفرد الذي يتفاعل مع أفراد مجتمعه، يحاول دائماً أن يحقق مستوى معيشي أفضل والحصول على خدمات أجود، أو يحافظ على حياة أو مستوى معيشي لا يقل عن مستوى الحياة التي كان يعيشها في الماضي. ولكن على الرغم من ذلك التداخل بين مفهوم جودة الحياة والمفاهيم ذات الصلة، تزخر الأدبيات النفسية بعدد من التعريفات.

1- جودة الحياة:

التعريف اللغوي:

معجم العين: جود: جاد الشيء يجود جودة فهو جيد ، وجاد الفرس يجود جودة فهو جواد

(الخليل بن أحمد الفراهيدي وعبد الحميد هنداي ، 2003 ، ص272)

المعجم الوسيط: جاد- جودة : صار جيداً. يقال: جاد المتاع ، وجاد العمل: فهو جيد.(ج) جيداً.

والرجل:أتى بالجيد من قول أو عم ، فهو مجاد. (المعجم الوسيط ، 2004 ، ص145)

المنجد في اللغة : جاد : جودة وجودة : صار جيد وهو ضد الرديء ، جود الشيء : حسنه: جعله جيداً.

(لويس معلوف ، 1952 ، ص109)

علي بن هادية: جاد: يجود، جودة الشيء : صار جيداً ، وجوداً: بماله أو بنفسه: سخا وبذل وتكرم.

(علي بن هادية وآخرون ، 1984 ، ص243)

- **التعريف الاصطلاحي:** بما أن مفهوم جودة الحياة مفهوم جديد مازال قيد الدراسة فقد تعددت واختلقت تعريفاته نظرا لتعدد وجهات النظر.

تعريف عبد المعطي: "هو تعبير عن مدى إدراك الفرد وتقييمه للجوانب المادية وأهميتها في حياته في ظل الظروف التي يعيشها، حيث تتضح في مستويات السعادة والشقاء التي قد تؤثر بشكل كبير في طريقة تعامل الفرد في حياته اليومية". (حسن عبد المعطي ، 2005 ، ص 334)

تعريف الأشول: هي "درجة رقي مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع ومدى إدراكهم لقدرة الخدمات على إشباع حاجاتهم". (رمزي شحده ، 2013 ، ص 62)

- **تعريف فرانك (Frank):** يعرفها بأنها "حسن امكانية توظيف إمكانيات الإنسان العقلية والإبداعية وإثراء وجدانه ليتسامى بعواطفه وبمشاعره وقيمه الإنسانية". (Frank, 2000; P 24)

تعريف روبن (Rubin): هي الدمج و التكامل بين عدة اتجاهات لدى الفرد من ناحية الصحة النفسية والجسمية والحياة الاجتماعية، متضمنة كلا من المكونات الإدراكية والذي يشمل الرضا والمكونات العاطفية والتي تشمل السعادة". (Rubin ; 2000, p 19)

تعريف كارول رايف و آخرون (Ryff et all): "تتمثل في الإحساس الإيجابي بحسن الحال كما يتم رصده بالمؤشرات السلوكية التي تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن ذاته وحياته بشكل عام كذلك سعيه المتواصل لتحقيق أهداف شخصية مقدرة ، وذات قيمة ومعنى بالنسبة له لتحقيق استقلالية في تحديد وجهة ومسار حياته ، وإقامته لعلاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين ، كما ترتبط بالإحساس بالسعادة والاستمتاع بالحياة والسكينة والطمأنينة النفسية". (سلاف مشري ، 2014 ، ص 226)

تعريف منظمة الصحة العالمية: "إدراك الأشخاص لمركزهم في الحياة وسياق الثقافة ونسق القيم الذي يعيشون فيه ، وفي علاقة ذلك بأهدافهم وتوقعاتهم ومستوياتهم وأنه مفهوم واسع ومعقد يتأثر بصحة الفرد الجسمية ، وحالته النفسية ، ومستوى استقلاله وعلاقاته الاجتماعية وعلاقته بالجوانب المهمة في البيئة التي يعيش فيها". (حرطاني أمينة ، 2014 ، ص 21)

تعريف كاظم وعبد الحليم منسي: "جودة الحياة هي شعور الفرد بالرضا والسعادة وقدرته على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورفي الخدمات التي تقدم له في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية مع حسن إثرائه للوقت". (كاظم وعبد الحليم منسي ، 2006 ، ص 65)

2. جودة الحياة الأسرية :

تعريف بارك وآخرون (Park et al) 2003: يعرفون جودة حياة الأسرة على أنها "مقابلة احتياجات الأسرة وتمتع أعضائها بحياتهم معا كأسرة ، وامتلاك الفرصة لجودة الحياة الأسرية وهي: التفاعل الأسري

والحياة اليومية ، والحالة المادية المتيسرة للوالدين والإشراف الانفعالي ، والبيئة، والصحة الاجتماعية والتماسك". (فوقية أحمد السيد عبد الفتاح ، 2006 ، ص 17)

تعريف جان آن سمرز Jean Ann Summers : "تعني نوعية العلاقة التي تجمع بين أفراد الأسرة أو

العائلة وتأثيرها على حياة كل فرد. (Jean Ann Summers ,2006,P238)

3. الأسرة:

- التعريف اللغوي:

لسان العرب: تعني عشيرة الرجل وأهل بيته ورهطه الأذنون لأنه يتقوى بهم .

(ابن منظور ، د ت ، ص 200)

معجم علم الاجتماع: الأسرة عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا برابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة ، وبين الأم والأب والأبناء ، ويتكون منها جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة. (Joseph Smph ,Michel ,1973 ,p 131)

التعريف الاصطلاحي:

تعريف بوجاردوس Bogardus : يعرف الأسرة بأنها جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال ، يتبادلون الحب وينقاسمون المسؤولية وتقوم بتربية الأطفال ، حتى تمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم ، ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية.

تعريف ستيفنز Stephens : الأسرة بأنها تقوم على ترتيبات اجتماعية قائمة على الزواج وعقد الزواج متضمنة حقوق وواجبات الأبوة مع إقامة مشتركة للزوجين وأولادهما والتزامات اقتصادية متبادلة بين الزوجين. (أحمد محمد مبارك الكندري ، 1992 ، ص ص 23-24)

المصطلحات التي لها علاقة بجودة الحياة: هناك مجموعة من المصطلحات لها علاقة بجودة الحياة

ومن بينها نذكر:

السعادة : يعرفها مايكل أرجايل: "أنها شعور بالبهجة والاستمتاع وطمأنينة النفس وتحقيق الذات". ويعرفها فينهوفن (Venhooven 2003) بأنها الدرجة التي يحكم فيها الشخص إيجابيا على نوعية حياته بوجه عام ، وبمعنى آخر تشير السعادة إلى حب الشخص للحياة التي يعيشها واستمتاعه بها وتقديره الذاتي لها. (مايكل أرجايل ، 1993 ، ص 10)

التوجه نحو الحياة : تناول بدر الأنصاري (2002) مفهوم التوجه نحو الحياة موضحا أن معنى الحياة لدى الفرد هو الذي يجعل من السعي الدؤوب وتحمل المشقة شيئا يرفع من قيمة الحياة ويجعلها تستحق أن تعاش، وهذا يعني أن الإيمان بمعنى الحياة يمد الفرد بالقدرة على العطاء والتسامي على الذات، ومن

هنا يكون إدراك قيمة الحياة ، وقد افترض شاير وكارفر (Sheierg & Carver) أن الاتجاه نحو الحياة يمكن أن يؤثر تأثيرا مباشرا على الدافعية ، وتؤكد إلى حد بعيد تأثير الدافعية بالمعارف التي يكتسبها الفرد عن المستقبل فضلا عما يرتبط بهما من مكونات وجدانية خاصة بالقيم. (مجدي عبد الكريم، 2006، ص 81)

4. العوامل المؤثرة في جودة الحياة الأسرية: من المهم تحديد العوامل والمؤثرات التي تسهم في

إحساس المراهق المتفوق بجودة الحياة ومن بينها:

عوامل خاصة بالأسرة: الأسرة عبارة عن مجموعة من الأفراد يشتركون في الأهداف والمصالح والمشاعر فالأسرة لها تأثير كبير في حياة ونمو المراهق الفكري والتربوي ، فجو الأسرة له دخل كبير إذ من شأنه أن يساعده على التغلب على الصعوبات التي تواجهه ويعطيه دفعا قويا لمحاولة تحسين جودة حياته .

أكدت نتائج الكثير من الدراسات أن نوعية العلاقات الاجتماعية المتبادلة داخل الأسرة ، خاصة العلاقات بين الأباء والمراهقين تعتبر عاملا رئيسيا في تحديد مستوى جودة الحياة ، فقد خلصت نتائج دراسة شيك Shek (1997) إلى أن تقدير الأداء الوظيفي الأسري هو المحدد الرئيسي لجودة الحياة كما أنها خلصت لوجود ارتباطات دالة بين الأداء الأسري الوظيفي والتوافق النفسي الاجتماعي خاصة الصحة النفسية الإيجابية. (محمد السعيد أبو حلاوة ، 2009 ، ص 10)

العامل الاقتصادي : يرى بارك وآخرون (Park et al) 2002: أن هناك عدد من العوامل المؤثرة على جودة الحياة الأسرية ، ومن أكثر هذه العوامل أهمية هو الفقر الذي يؤثر على جودة بصفة عامة وجودة الحياة الأسرية بصفة خاصة.

أما في دراسة هونج وماري ونتر 2007 : أن عمل الزوجين يزيد من الدخل الاقتصادي للأسرة ومن ثم زيادة جودة الحياة بصفة عامة. (أمانى عبد المقصود وسميرة شند ، 2010 ، ص 503)

أما في دراسة (دونكان) 1994: فقد وجد أن المراهقين الذين ينشئون في فقيرة لم يستكملوا دراستهم الثانوية ، وكانت معدلات تسربهم مرتفعة عن أقرانهم ممن يعيشون في بيئة غنية.

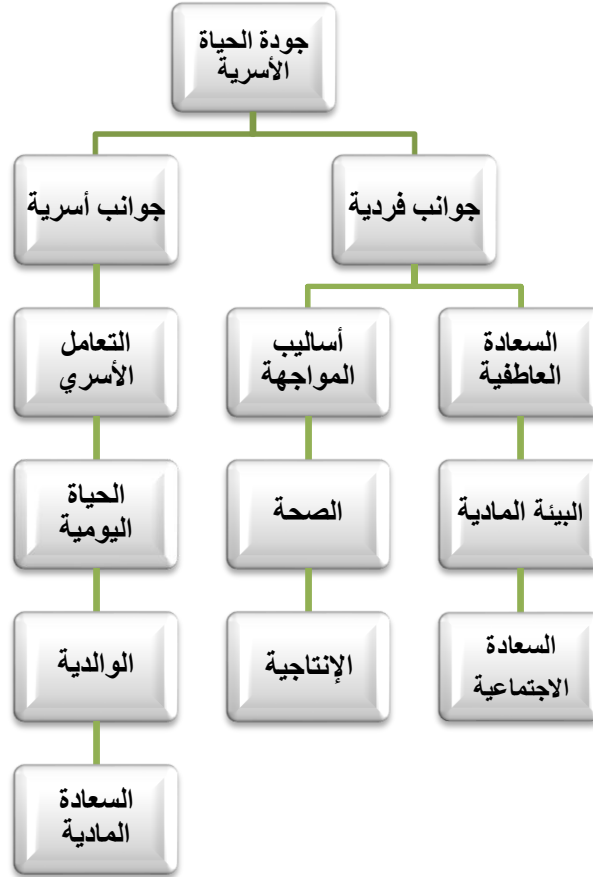
وبحثت دراسة دروكر (Drekkar) 2003 عن الارتباط بين الحرمان الاقتصادي الاجتماعي للجيرة وجودة الحياة وتوصلت النتائج لارتباط الحرمان الاقتصادي الاجتماعي للبيئة بمجالين هما الصحة النفسية والصحة المدركة بالإضافة لارتباطه بالمعدلات المنخفضة لجودة الحياة. (فوقية أحمد السيد، 2006، ص 22)

5. أبعاد جودة الحياة: تتعددت أبعاد جودة الحياة وذلك لتعدد مفهومها ومن بينها :

أبعاد جودة الحياة النفسية : تقترح رايف (Ryff) 1989 : أن جودة الحياة النفسية ربما تتضمن الأبعاد التالية: تقبل الذات ، العلاقات الاجتماعية الإيجابية مع الآخرين ، الاستقلالية ، السيطرة على البيئة الغرض من الحياة ، والتطور الشخصي ، وتعرف هذه الأبعاد على النحو التالي:

- **تقبل الذات:** ويشير إلى القدرة على تحقيق الذات إلى أقصى مدى تسمح به القدرات والإمكانات النضج الشخصي ، والاتجاه الإيجابي نحو الذات ونحو الماضي.
- **العلاقات الاجتماعية الإيجابية:** وتشمل القدرة على إقامة علاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين قائمة على الثقة والتواد ، القدرة على التوحد مع الآخرين ، القدرة على الأخذ والعطاء والتعلم من الآخرين.
- **الاستقلالية:** القدرة على تقرير مصير الذات، الاعتماد على الذات، والقدرة على ضبط وتنظيم السلوك الشخصي أثناء التفاعل مع الآخرين.
- **السيطرة على البيئة أو الكفاءة البيئية:** القدرة على اختيار وتخيل البيئات المناسبة لمن هم مثله إضافة إلى المرونة الشخصية أثناء التواجد في مختلف السياقات البيئية.
- **الغرض من الحياة:** أن يكون للمرء هدف في الحياة ورؤية توجه تصرفاته وأفعاله نحو تحقيق هذا الهدف مع المثابرة والإصرار وتتحية كل المنغصات، التي قد تحول دون تحقيق ذلك الهدف.
- **التطور الشخصي:** يشير التكرور الشخصي إلى قدرة المرء على تنمية قدراته وإمكاناته الشخصية لإثراء حياته الشخصية . (Ryff , 1989 , pp 1070-1075)
- 6. أبعاد جودة الحياة الأسرية:** تعتبر جودة الحياة الأسرية مفهوما متعدد الأبعاد ظهر في السنوات الأخيرة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية مركزا ومهتما بالأسرة التي لديها أفراد معاقين وقد صنف بارك (2003) جودة الحياة الأسرية إلى بعدين رئيسيين هما:
- * **البعد الأول:** جوانب فردية وتتمثل في السعادة الانفعالية، البيئة المادية السعادة الاجتماعية، الصحة الإنتاجية المقاومة أو أساليب المواجهة.
- * **البعد الثاني :** فهو الجوانب الأسرية وتتمثل في التفاعل الأسري ، الحياة اليومية ، الوالدية ، الحالة المادية المتيسرة.

و يتضح ذلك كما في الشكل رقم (1): أبعاد جودة الحياة الأسرية



وتجدر الإشارة إلى بعض الاجتهادات المختلفة في اقتراح أبعاد جودة الحياة الأسرية فقد خلص بوستون وآخرون (2008) إلى أن جودة الحياة الأسرية تتضمن أربعة أبعاد رئيسية هي الحياة الأسرية اليومية التفاعل بين أفراد الأسرة ، السعادة المادية ، والوالدية. ويرى دانيال وآخرون (2007): أن جودة الحياة الأسرية تتضمن بعدين أساسيين هما: المناخ العائلي ودرجة الارتباط بين أفراد العائلة. (نفس المرجع السابق، 2010، ص 505) ويرى (دانيال Daneil) و (شيك Sheik) 2007: أن أبعاد جودة الحياة الأسرية تكمن في ثلاثة أبعاد هي:

- البعد المادي (الرفاه المادي): الصحة واللياقة البدنية ، التنقل والسلامة الشخصية
- البعد الاجتماعي (الرفاه الاجتماعي): العلاقات الشخصية الإيجابية ، المشاركة الاجتماعية.
- البعد الانفعالي (الرفاه العاطفي): الرضا الشخصي عن الحياة ، الإيمان ، الثقة بالنفس.

(Daniel et Sheik ,2007 ,p ;1222)

6. الاتجاهات المفسرة لجودة الحياة: إن محاولات التعريف لمفهوم جودة الحياة قد تباينت وذلك لاختلاف الأطر النظرية التي قدمت تعريفات لها ، وذلك لأن استخدامها لا يرتبط بمجال معين من

مجالات الحياة ولا بإطار محدد فقد استعمل مصطلح الجودة في تخصصات مختلفة مثل علم الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والطب ، وعليه فقد تعددت الاتجاهات المفسرة لها كل حسب تخصصه ، ومن بين الاتجاهات التي فسرت جودة الحياة ما يلي :

الاتجاه الاجتماعي: يرى هانكس (Hankiss) أن الإهتمامات بجودة الحياة قد بدأت منذ 1986 وقد ركزت على المؤشرات الموضوعية في الحياة مثل معدلات المواليد ، معدلات الوفيات معدل ضحايا المرض ، نوعية السكن ، المستويات التعليمية لأفراد المجتمع ، إضافة إلى مستوى الدخل ، وهذه المؤشرات تختلف من مجتمع لآخر، وترتبط جودة الحياة بطبيعة العمل الذي يقوم به الفرد وما يجنيه الفرد من عائد مادي من وراء عمله والمكانة المهنية للفرد وتأثيره على جودة الحياة

ويرى العديد من الباحثين أن علاقة الفرد مع الزملاء تعد من العوامل الفعالة في تحقيق جودة الحياة فهي تؤثر بدرجة ملحوظة على رضا أو عدم رضا العامل عن عمله. (صالح اسماعيل عبد الله، 2010، ص 43) قد لا تعبر دوماً القياسات الكمية عن جودة الحياة بقدر ما هي تعبير عن الكم من الخدمات التي تقدم للأفراد ، فجودة الحياة لا تعتمد على مجال كمي موضوعي قابل للقياس ، فهذا الجانب لا يكفي وحده وليس كل من تتوفر لديه خدمات راقية ودخل جيد يتمتع بجودة حياة وهذا ما تتفق معه دراسة (صالح 1990) إذ ترى أن زيادة الدخل القومي أو زيادة نصيب الفرد منه أو ارتفاع مستوى المعيشة أو زيادة التقدم العلمي والتكنولوجي لا يدل على أن المجتمع قد انتقل إلى حالة أفضل .

الاتجاه النفسي: إن الحياة بالنسبة للإنسان هي ما يدركه منها حتى أن تقييم الفرد للمؤشرات الموضوعية في حياته كالدخل ، المسكن ، العمل ، والتعليم يمثل انعكاساً مباشراً لإدراك الفرد لجودة الحياة في وجود هذه التغييرات بالنسبة لهذا الفرد وذلك في وقت محدد وفي ظل ظروف معينة ، ويظهر ذلك في مستوى السعادة والشقاء الذي يكون عليه ، ويرتبط بمفهوم جودة الحياة العديد من المفاهيم النفسية منها: القيم الإدراكية الذاتية ، الحاجات ، مفهوم الاتجاهات ، مفهوم الطموح ، مفهوم التوقع إضافة إلى مفاهيم الرضا والتوافق ، الصحة النفسية ويرى البعض أن جوهر جودة الحياة يكمن في إشباع الحاجات كمكون أساسي لجودة الحياة ، وذلك وفقاً لمبدأ إشباع الحاجات في نظرية أبراهام ماسلو. (شيخي مريم ، 2014، ص 83) وفيما يتعلق بمفهوم القيم فإنه يتشكل من خلال مركز الدائرة التي تتمحور حولها مؤشرات جودة الحياة وذلك للأسباب التالية :

- لأهمية القيم في تفسير الطموحات والتوقعات الخاصة بالأفراد.
- لإسهام القيم في تحديد مستويات الأهمية النسبية لمجالات الحياة المتعددة.
- لأهمية القيم في تقدير الفرد لقيمة الحياة في جوانبها المختلفة. (الغندور ، 1999 ، ص 28-30)

- **الاتجاه الطبي:** إن قياس جودة الحياة وفقا لهذا الاتجاه يعد قديما نسبيا ، فالأطباء كانوا يلجئون إليه لتقييم حالة المريض والخدمات المقدمة له ، وقد اهتمت الدراسات الطبية في مجالات جودة الحياة بنوعية الأشخاص الذين يعانون من الأمراض مثل مرضى السكر ، والسمنة المفرطة ، والأمراض النفسية والمعوقين ، والشيوخ ، والسرطان بأنواعه . (جوان اسماعيل بكر، 2012 ، ص54)

ويهدف هذا الاتجاه إلى تحسين جودة الحياة للأفراد الذين يعانون من أمراض جسمية مختلفة أو نفسية أو عقلية ، وذلك عن طريق البرامج الإرشادية والعلاجية التي تتعلق بالوضع الصحي وفي تطوير الصحة. (محمدي فوزية، 2013، ص 6)

المنظور التكاملي: إن مفهوم جودة الحياة من المفاهيم متعددة الأبعاد تتضمن مؤشرات موضوعية وأخرى ذاتية ، فقد وضع أندرسون (2003) Anderson شرحا تكامليا لجودة الحياة فقد أشار إلى أن هناك ثلاث سمات مجتمعة تؤدي إلى الشعور بجودة الحياة هي:

الأولى : تتعلق بالأفكار ذات العلاقة بالهدف الشخصي الذي يسعى الفرد لتحقيقه.

الثانية : المعنى الوجودي الذي ينتصف العلاقة بين الأفكار والأهداف.

الثالثة : الشخصية والعمق الداخلي، وفي ضوء هذه السمات فان النظرية التكاملية تضع المؤشرات التالية الدالة على جودة الحياة.

إن شعور الفرد بالرضا هو الذي يشعره بجودة حياته ، وأن شعوره يتحقق بالآتي:

* أن نضع أهدافا واقعية نكون قادرين على تحقيقها.

* أن نسعى إلى تغيير ما حولنا لكي يتلاءم مع أهدافنا.

إن إشباع الحاجات لا يؤدي بالضرورة إلى رضا الفرد ، وإلى شعوره بجودة الحياة ، ذلك انه أمر نسبي يختلف باختلاف الأفراد واختلاف الثقافات التي يعيش ونفياها.

إن استغلال الفرد لإمكانياته في نشاطات إبداعية، وعلاقات اجتماعية جيدة ، وأهداف ذات معنى وبعائلة ثبت فيه الإحساس بالحياة هو الذي يشعره بجودة الحياة. (بشرى عناد مبارك ، 2012 ، ص ص727- 728)

كما ترى (الجوهري 1996) في دراستها عن الذات والموضوع في تشكيل نوعية الحياة أن الإهتمام بدراسة جودة الحياة يعد اهتماما بحقيقة كلية شكلتها متغيرات الواقع الاجتماعي ، فهي نتاج كلي لمجموعة من المتغيرات الاجتماعية والنفسية ، والإقتصادية ، والثقافية والسياسية ، ومن هنا يرى (الغندور 1999) أن الذات والموضوع وجهان لعملة واحدة ، فإذا طمس أحد وجهيها ، انعدمت فوائدها الحقيقية .

(الغندور ، 1999 ، ص 62)

نظرية الاختيار: يعد (وليام كلاسر 1984) مؤسسها ، والتي تقوم على أساسا على تجنب الفكرة الشائعة التي تدعو إلى التحكم الخارجي في حياة الآخرين ، ويقصد بالتحكم الخارجي شعور الفرد بالتحكم الآخرين في حياته الشخصية، وذلك لاعتقادهم أن كل ما يختارونه للفرد هو الصواب ، وما يفعله الآخر هو الخطأ وترتكز هذه النظرية على مبدأ الاختيار، فالإنسان يختار سلوكه سواء أكان إيجابيا بناءا ، أم سلبيا مدمرا ويبين كلاسر أن اختلاف الأفراد في الإدراك يرجع إلى عالم الجودة ، هذا العالم الشخصي الصغير الذي يبدأ تكوينه في الذاكرة القصيرة بعد الميلاد إذ يتعلم الفرد ما الذي يرضيه وما الذي لا يرضيه ، وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية وجهده الفردي ، ويستمر هذا العالم في التعديل والتغيير خلال حياته ، ويتكون من مجموعة خاصة من الصور التي تعد أفضل الطرق لإشباع واحدة أو أكثر من الحاجات الأساسية وتصنف هذه الصور في ثلاث فئات وهي :

أ- الأشخاص الذين يريد الفرد أن يبقى معهم أكثر من غيرهم.

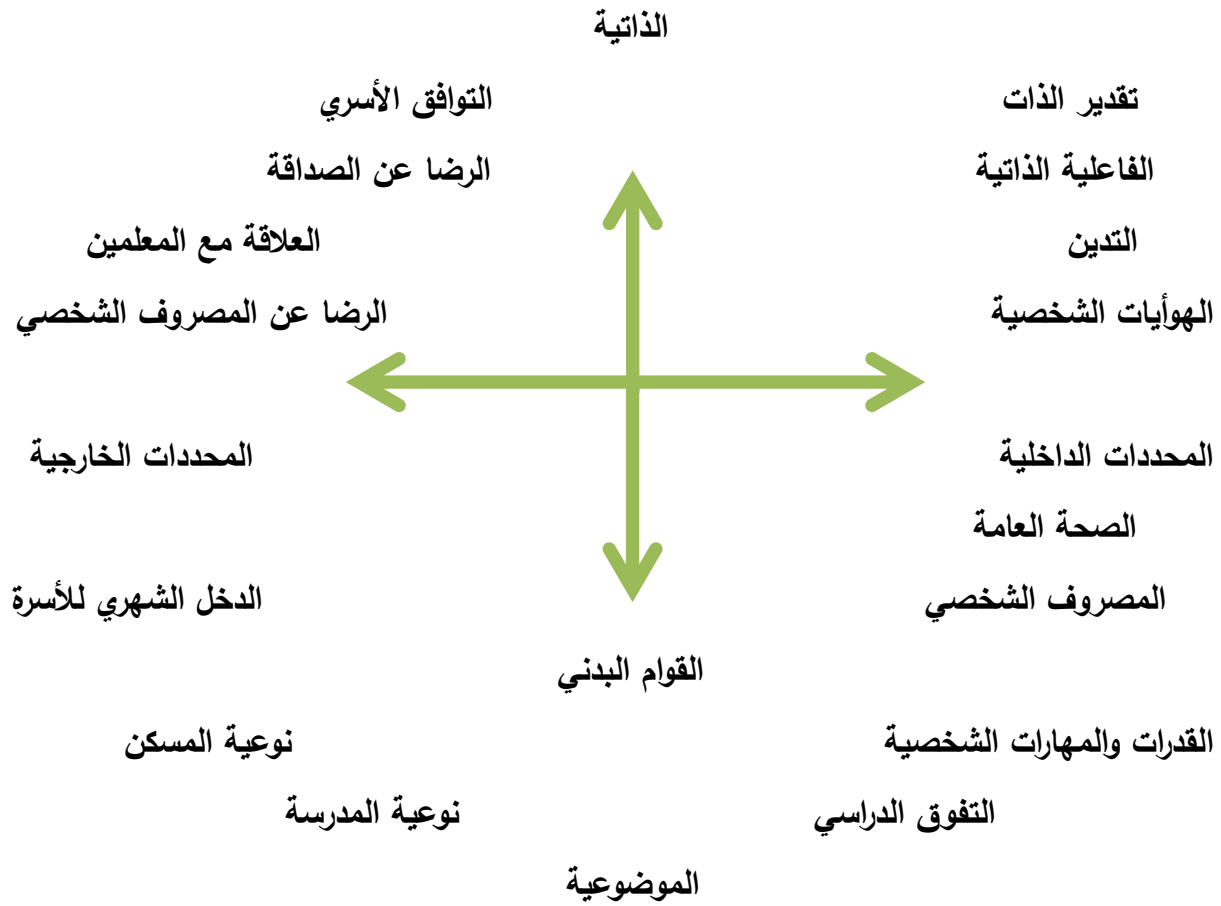
ب- الأشياء التي يحب الفرد امتلاكها.

ج- الأفكار التي يعتقدونها الفرد والتي تتحكم في سلوكه.

وفي أي وقت يشعر فيه بالجودة يكون ذلك بسبب اختياره لسلوكه ، وفي أي وقت ينجح فيه الفرد على إرضاء صورة عالم الجودة فإنه يشعر بالمتعة والسعادة ، وعندما يفشل فإنه يشعر بالألم والإحباط.

(جوان اسماعيل بكر ، 2012 ، ص65)

7. النموذج النظري العربي لتفسير جودة الحياة: ويقترح أبو سريع وشوقي و أنور ومرسي نموذجا لتفسير وتقدير جودة الحياة يعتمد على تصنيف المتغيرات المؤثرة في تشكيل جودة الحياة موزعة على بعدين متعامدين ، يشمل البعد الأفقي قطبي توزيع محددات جودة الحياة حسب كمونها داخل الشخص أو خارجه ، وتسمى بالمحددات الشخصية الداخلية في مقابل المحددات الخارجية ، ويمثل البعد الرأسي توزيع تلك المحددات وفق أسس قياسها وتقدير مدى تحققها ، والتي تتوزع ما بين أسس ذاتية يقدرها الفرد من منظوره الشخصي كما يدركها ويشعر بها ، إلى أسس موضوعية تشمل الاختبارات والمقاييس ومقارنة الشخص بغيره أو بمتوسط جماعته المعيارية ، أو اعتمادا على معايير كمية وكيفية أخرى مثل الملاحظة ومقاييس التقدير، ويسمى بعد الذاتية في مقابل بعد الموضوعية .



شكل رقم (02) يمثل تصور أبو سريع وآخرون لتصنيف جودة الحياة محددات جودة الحياة في حياة الطالب وفق موقعها (داخلية وخارجية) وطريقة قياسها (ذاتية وموضوعية)

(كاظم علي وعبد الخالق البهادلي ، 2006 ، ص73)

يمثل هذا الشكل تصنيف جودة الحياة من منظور التفسير العربي لأبو سريع وشوقي و أنور ومرسي نموذجاً.

الجودة من منظور إسلامي : ظهر اليوم ما يسمى بمفهوم الجودة والذي يقصد منه الأداء الجيد في كل مناحي الحياة ، وتسعى كل المؤسسات والمجتمعات لتحقيقها في كل المجالات ، ورغم أن هذه المفاهيم في الوقت الراهن قد بدأت عند الغرب ، إلا أن الإسلام قد سبقهم في ابراز مفهوم الجودة ، بل إن مفهومها حاضر بقوة في كل تعاليم الإسلام ، إذ هي أحد مبادئه وقد حث القرآن الكريم على الجودة في كل الأعمال ، وقد ارتبط مصطلح الجودة بمرادفات ومفاهيم أخرى ذات علاقة ومن أمثلة ذلك الإحسان: فقد جاء في قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين، الآية 4) . وقوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة ، الآية 195)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف، الآية 30)

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مُبِينٌ﴾ (سورة هود ، الآية 7) . والأمثلة كثيرة على ضرورة الإحسان في العمل ومعاملة الناس بالحسنى وبالأخلاق الحسنة فالإحسان وإتمام العمل وفعل الأشياء الجيدة بهذا تكون الجودة مظهرا من مظاهر الإحسان وثمره من ثماره.

8. مقومات جودة الحياة : تتمثل مقومات جودة الحياة في عناصر من بينها:

حالة المعافاة الكاملة بدنيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا و وفق تعريف منظمة الصحة العالمية فإن للصحة عناصر عدة هي:

- * الصحة الجسدية: القدرة على القيام بوظائف الجسم الديناميكية وحالة مثلى من اللياقة البدنية.
- * الصحة النفسية: القدرة على التعرف على المشاعر والتعبير عنها، وشعور الفرد بالسعادة والراحة النفسية دون اضطراب أو تردد.
- * الصحة الروحية: وهي صحة تتعلق بالمعتقدات والممارسات الدينية للحصول على سلام مع النفس.
- * الصحة العقلية: وهي صحة تتعلق بالقدرة على التفكير بوضوح وتناسق والشعور بالمسؤولية وقدرة على حسم الخيارات و اتخاذ القرارات و صنعها.
- * الصحة الاجتماعية: وهي القدرة على إقامة العلاقات مع الآخرين والاستمرار بها والاتصال والتواصل مع الآخرين واحترامهم.
- * الصحة المجتمعية: وهي القدرة على إقامة العلاقة مع كل ما يحيط بالفرد من مادة لأشخاص وقوانين وأنظمة. (رغاء علي نعيمة، 2012، ص 146)

8. مؤشرات جودة الحياة: لقد تم الإهتمام بمفهوم جودة الحياة في المجالات الأخرى ولكن تم قياسه بمؤشرات خاصة تماشيا مع خصوصية السياق الذي يتم تناوله فيه ، فنجد:

- 1.8- مؤشر علماء النفس: يعد علم النفس من بين العلوم التي اهتمت بجودة الحياة، وقد تم تبني هذا المفهوم في مختلف التخصصات النفسية النظرية منها والتطبيقية، ويرى العارف بالله الغندور أن علم النفس له السبق في فهم و تحديد المتغيرات المؤثرة في جودة حياة الانسان ، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أن جودة الحياة عبارة عن الإدراك الذاتي لنوعية الحياة.(سلاف مشري ، 2014 ، ص ص 216-217)
- 2.8- مؤشر العلماء الاجتماعيين: اهتموا بهذا الموضوع على ضوء المؤشرات الاجتماعية والمصادر المجتمعية المحددة لمستواه، مثل الإنتاج القومي الكلي ومعدلات المواليد و وفيات الأطفال والحراك الاجتماعي، نوعية السكن، المستويات التعليمية لأفراد المجتمع ... وغير ذلك.

3.8- مؤشر علماء البيئة: أما علماء البيئة فقد اهتموا بنوعية البيئة التي تحمي الحياة وتحافظ عليها ومن المؤشرات لنوعية الحياة في منطقة ما تلوث الهواء والماء، واستهلاك الطاقة وإزالة الغابات ... وغيرها. ومن وجهة النظر الاجتماعية والإقتصادية والسياسية ينصب الإهتمام على هناء المجتمع ورفاهته وتستخدم معدلات الجريمة والانتحار والعنف والتفكك الأسري ومعدل الدخل القومي بوصفها مقاييس لرفاهة أي مجتمع .

9. جودة الحياة الأسرية وعلم النفس الإيجابي: إهتم علماء النفس زمنا طويلا بالمرض النفسي ونماذج السمات السيئة المرضية ، أسفر هذا الإهتمام عن معلومات كثيرة وقوائم طويلة عن أوجه القصور والمرض والضغوط والمشكلات السلوكية .

ثم ظهر اتجاه جديد لدراسة السلوك ، إنه توجه حديث ، يركز على دراسة المشاعر والانفعالات الإيجابية. (بشير معمرية ، ب ت، ص ص 102-103)

وهذا التوجه هو علم النفس الإيجابي الذي ظهر سنة 1998 على يد مارتن سيلجمان وبدأ اهتمام علماء النفس الإيجابي بالخبرة الذاتية والسمات الشخصية الإيجابية. (سلاف مشري ، 2014 ، ص 222)

فعلم النفس الإيجابي هو الدراسة العلمية للأداء النفسي الوظيفي المثالي، ويهدف علم النفس الإيجابي للكشف عن العوامل التي تمكن الأفراد والمجتمعات من الازدهار ، وعلم النفس الإيجابي هو فرع من فروع علم النفس يهتم علماءه بالبحث عن محددات السعادة البشرية والعوامل التي تفضي إلى تمكين الإنسان من العيش حياة يحقق فيها طموحاته ويوظف قدراته إلى أقصى حد ممكن ، وصولا للرضا عن الذات وعن الآخرين وعن العالم بصفة عامة. (محمد السعيد أبو حلوة ، 2014 ، ص ص 14-15)

ومن المجالات التي يهتم بها علم النفس الإيجابي ثلاث مجالات بحثية متداخلة فيما بينها هي :

1- البحوث التي تتناول دراسة ما يعرف بالحياة السارة أو حياة الاستمتاع وتهتم هذه البحوث بدراسة كيف يتعامل البشر مع الانفعالات والمشاعر الإيجابية كجزء أساسي وسوي للحياة الإنسانية مثل : (العلاقات الإيجابية ، الإهتمام ، الاستمتاع).

2- البحوث التي تتناول ما يعرف بالحياة الجيدة أو حياة الانغماس أو الاندماج مثل التدفق وهو شعور الفرد عندما يندمج بصورة مثالية في الأنشطة المفضلة لديهم ، عندما يحدث له نوعا من التطابق الإيجابي بين قدرات الشخص وإمكانياته والمهام التي يؤديها أو يتعامل معا ، بمعنى عندما يشعر الأفراد بالثقة في قدراتهم على انجاز المهام التي يواجهونها.

3- البحوث التي تتناول ما يعرف بالحياة الهادفة ذات المعنى والانتماء إلى الآخرين حيث تجعل الشخص يتجاوز اهتماماته الذاتية الضيقة إلى أهداف عامة تحقق المصلحة والخير العام وذلك بالانتماء الفعال للجماعات الاجتماعية، المنظمات. (محمد السعيد أبو حلاوة ، ب ت ، ص ص 3-4)

إذا تعتبر جودة الحياة الأسرية من أهم المواضيع لعلم النفس الإيجابي وهذا ما نلاحظه من خلال الإهتمام الزائد في الأونة الأخيرة لهذا الموضوع ، لأن جودة الحياة الأسرية لها أهميتها في توافق الأبناء على المستوى الاجتماعي والانفعالي ، والنفسي ، هذا التوافق يؤدي بالفرد لتحسين مستوى الصحة النفسية لديهم.

ويرى بوتنم (1995 Poutnam) بأن جودة الحياة الأسرية من أكثر الموضوعات أهمية حيث أكد أن الأسرة هي المنظمة الأساسية الأكثر تماسكا في المجتمع وهي تمثل رأس المال الاجتماعي. (أماني عبد المقصود ، 2010 ، ص 498)

خاتمة:

تبين لنا أن جودة الحياة الأسرية لها الأهمية البالغة في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والانفعالي وفي ظل التطورات والمستجدات كان من الواجب الوقاية قبل العلاج وهذا ما رمى إليه علم النفس الإيجابي لذا أصبحت مطلبا لا بد من تحقيقه.

لتحقيق جودة الحياة الأسرية يجب أن نبحث في كافة تفاصيلها وكلما كانت جوانب الحياة أكثر إيجابية فهذا يعني تحقيق جودة الحياة ، فالأسرة يجب أن تكون إيجابية في تعاملاتها وأساليبها وقضاء أكبر وقت ممكن مع أبنائها ومساعدتهم على كيفية استغلال وقتهم ليحقق أبنائها جودة حياة أسرية أكبر.

ذلك لأن الجودة في مجال الأسرة تختلف عنها في المجال الاقتصادي أو الطبي وغيرها من المجالات الأخرى لأن الأسرة لا تنتج سلعا تصنع وتباع بل تنتج أفرادا هم ركائز المجتمع ، وتفوقهم في الدراسة يساعد في تطور وبناء المجتمعات ، وعليه يجب أن تتسم الأسرة بجودة العلاقات والممارسات الإيجابية التي يتبعها الوالدان في تنشئة الإبناء وما تتسم به من دفاء وتقبل ومشاركة وتشجيع واستحسان في المواقف الحياتية المختلفة ، وردود أفعالهم اتجاه هذه الممارسات ، والعلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة وما تتسم به هذه العلاقات من أساليب سوية في التعامل لتحقيق الهدف ، وانجاز الأعمال والمهام ودعم أفراد الأسرة في المواقف المختلفة وبهذا يرتفع مستوى جودة الحياة الأسرية لإبناء المراهقين وينعكس هذا التفاعل الإيجابي على دراستهم وتفوقهم .

قائمة المراجع:

المصادر:

- القرآن الكريم

الكتب:

- أحمد محمد مبارك (1992)، علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط2، الكويت.
- بشير معمري، ب ت، علم النفس الإيجابي اتجاه جديد لدراسة القوى والفضائل الإنسانية، الجزائر.
- جوان اسماعيل بكر (2013)، جودة الحياة وعلاقتها بالإنتماء والقبول الاجتماعيين، ط1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

المعاجم والقواميس:

- ابن منظور (ب ت)، لسان العرب، المجلد 4، دار الفكر العربي، بيروت لبنان.
- أحمد مختار عمر (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي وعبد الحميد هندواي (2003)، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الجزء 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المعجم الوجيز (1989)، دار التحرير للطبع والنشر، جمهورية مصر.
- لويس معلوف (1952)، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، ط19، المجلد 1، بيروت لبنان. معجم الوسيط (2004)، مكتبة الشروق الدولية ط1، مصر.
- علي بن هادية وبلحسين البليش والجيلاني بن الحاج يحي (1984)، القاموس الجديد معجم عربي، المؤسسة الجزائرية للكتاب، الجزائر.

الرسائل والأطروحات :

- أماني عبد المقصود عبد الوهاب وسميرة محمد شند (2010)، جودة الحياة الأسرية وعلاقته بإعالية الذات لدى عينة من الإبناء المراهقين، المؤتمر السنوي 15، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين الشمس.
- بوعيشة آمال (2014)، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى عينة من ضحايا الإرهاب بالجزائر أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- حرطاني أمينة (2014)، جودة الحياة لدى الأمهات وعلاقتها بالمشكلات السلوكية عند الإبناء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران الجزائر.
- دعاء الصاوي السيد حسين (2009)، جودة الحياة المدركة لدى عينة من طلاب الجامعة ومدى فاعلية برنامج إرشادي وجودي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة سوهاج .
- رمزي شحده سويكري (2013)، الأمن النفسي وعلاقته بالاستقلال وجودة الحياة لدى المعاقين بصريا، رسالة ماجستير إرشاد نفسي غير منشورة، جامعة غزة .

- شيخي مريم (2014) ، طبيعة العمل وعلاقتها بجودة الحياة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر .

- صالح إسماعيل عبد الله الهمص (2010) ، قلق الولادة لدى الأمهات في المحافظات الجنوبية بقطاع غزة وعلاقتها بجودة الحياة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، غزة.

المجلات والمؤتمرات:

- الأشول عادل عز الدين (2005)، الإرشاد النفسي وجودة الحياة، المؤتمر العلمي الثالث، جامعة الزقازيق، مصر.
- الغندور العارف بالله (1999) ، أسلوب حل المشكلات وعلاقته بنوعية الحياة دراسة نظرية ، المؤتمر الدولي السادس ، مركز الإرشاد النفسي ، جامعة عين شمس ، مصر.
- حسن عبد المعطي (2005) ، الإرشاد النفسي وجودة الحياة في المجتمع المعاصر ، المؤتمر العلمي إنماء النفسي والتربوي للإنسان العربي ، جامعة الزقازيق .
- رعداء علي نعيسة (2012) ، جودة الحياة لدى طلبة جامعة دمشق ، مجلة دمشق ، المجلد 28 ، العدد 1 ، دمشق.
- سلاف مشري (2014) ، جودة الحياة من منظور علم النفس الإيجابي ، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية ، جامعة الوادي ، العدد 08 ، الجزائر.
- علي كاظم مهدي وعبد الخالق نجم البهادلي(2006) ، جودة الحياة لدى طلبة الجامعة العمانيين والليبيين دراسة ثقافية مقارنة ، المجلة العلمية العربية بالدانمارك ، العدد3.
- فوقية أحمد السيد عبد الفتاح ومحمد حسين سعيد (2006)، العوامل الأسرية المدرسية والمجتمعية المنبئة لجودة الحياة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم ، المؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية بني سويف.
- مجدي عبد الكريم حبيب (2006) ، فعالية استخدام تقنيات المعلومات في تحقيق أبعاد جودة الحياة لدى عينات من الطلاب العمانيين ، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة ، جامعة السلطان قابوس، عمان
- محمد السعيد أبو حلاوة (2014) ، علم النفس الإيجابي ماهيته ومنطلقاته النظرية وآفاقه المستقبلية ، مؤسسة العلوم النفسية العربية ، العدد 34 .
- محمد السعيد أبو حلاوة (ب ت) ، علم النفس الإيجابي تعريفه ومجالاته .
- محمود عبد الحليم منسي وعلي كاظم (2006) ، مقياس جودة الحياة لدى طلبة الجامعة ، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة ، جامعة السلطان قابوس ، عمان.
- منذر عبد الحميد الضامن وعبد الحميد سعيد حسن (2006) ، جودة الحياة لدى طلبة جامعة السلطان قابوس ، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط، عمان.
- ناهدة عبد زيد الدليمي وإيمان مخيّل حسن وإيمان عامر عز الدين وأية كاظم عباس (2013) ، تقدير الذات وعلاقته بجودة الحياة لدى الطالبات بجامعة بابل ، مجلة العلوم الإنسانية ، المجلد 30 ، العدد 4.
- **Frank Snock** (2000). In quality of life a closes look at measuring will being , diabete spectrum.

- **Jean Ann Summers** , (2006) , Family quality of life survey , research director , Beach centre on disability.
- **Prutkin Jordamathew** (2002) , A history of quality of life measurements ,at hesis submitted , Yale University school of New Haven.
- **Rubin Richard** (2000) , Diabetes quality of life , diabetes spectrums volume 13 number.
- **Ryff** (1989) , Happiness is everything or is it ? exploration on the meaning of psychology.
- **Joseph Smph. Michel Hugus**(1973) :Dictionnaire de sociologie : la rosse ,paris.



المركز الجامعي آفلو

ص ب 603